

حدائق الروح

Spiritual Orchards

(بالعربية)

للدكتور
حسن عبدالقادر يحيى

مجموعة مقالات في علم النفس والاجتماع والتربية والسياسة

مقدمة الكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبي المرسلين وآله وصحبه وسلم وبعد،
فقد من الله على عبده الفقير إلى الله كاتب هذه السطور ، بالعمر المديد والعلم الوفير والعناية بالصحة وفتاحة فرص الكتابة ، وترجمة لذلك فإني أقوم نظرا لما حصلت عليه في العلوم الدنيوية والأخروية بالكتابة للناطقين بالضاد ، وأملني أن تصل المعلومات الغنية في هذه المقالات إلى عقل العربي وروحه فينتفع بها في دنياه ويظل متمسكا بأخرته ما استطاع، وقد اخترت بعض المقالات التي أعتز بكتابتها نظرا لما تحتويه من تطبيقات ونماذج كتابية تنير بساتين العقل من أجل حياة سعيدة حبانا الله بها وشرفنا بالتمييز عن الحيوان ، وتفتح أسرار الروح فقربنا إلى مستوى الملائكة ، والعقل والروح وحدهما كفيلان بالوعي بمعظم الظروف التي تحيد بالحياة الإنسانية وهما المرشدان لاستغلال الوقت بأفضل الطرق واتباع أفضل المناهج لتوصلنا إلى السعادة .

فقد سبرت أغوار الأدب والشعر والتاريخ والفلسفة الشرقي منها والغربي، حيث اطلعت على كتابات فلاسفة وعلماء الغرب مثل أفلاطون وسقراط وأرسطو وهوميروس ودانتي ونيثشة وجون لوك وجون سميث وإيميل دوركهايم ومونتسكيو وجون جاك روسو وفولتير وجون ديوي وميكافيللي ويرانارد شو وبرتيراند راسل وبين إلخ... وكتابات علما وفلاسفة الشرق مثل الغزالي وأبن رشد وابن سينا وابن العربي وابن خلدون وابن الفارض ابن شهيد الأندلسي إلخ...

وقد قرأت ووعيت بحرص شديد وفهمت معظم الأفكار التي تناثرت في بطون الكتب وأعجبت بالكثير منها ، حتى أنني أشعر بصغر النفس وقلة المعرفة كلما اطلعت على روائع الفكر الغربي والشرقي معا مما يقارب أفكارى أو ما يفوقها إبداعا وابتكارا في شتى المجالات . فالإنسان محدود الوقت والمكان والقوة الفسيولوجية أو الجسدية . ولا منال ولا طائل لمن سعى إلى المنال ، فحياة واحدة ليست كافية لمتابعة البحث عن الحقيقة ، وهذا أمر يضع على الأجيال التالية عبء السير في مشوار البحث عن الحقيقة فيسلموا من بعدهم مثلما فعلنا نحن لما بعدنا ، خط الحياة القصير لتجديد التربة وزرع أنواع الرياحين الأدبية شعرا ونثرا وفنونا . فلا دائم إلا وجهه .

وقد خصصت هذا الكتاب لبعض من مقالاتي التي تزيد على المئات في شتى المواضيع الأدبية والشعرية والنقدية والتحليلية باللغة العربية ، وهي تملأ الإنترنت والصفحات الورقية ، وسأقوم بنشر كتاب آخر خاص ببعض مقالاتي باللغة الإنجليزية وهي تختلف عن محتوى هذا الكتاب لغة وموضوع ونوادير وقصص ومسرحيات وأشعار .

وقد سبرت خلال حياتي بعدة ترجمات لقصص ومسرحيات عالمية ، كما نشرت بعض الكتب ضمن مشروع بدأت به لوحدي ، -ليس افتخارا- أسميته الموسوعة العربية الأمريكية وقد أخذ المشروع على عاتقه إحياء التراث العربي في بلاد المهجر من خلال معهد التراث العربي في الولايات المتحدة .

ومن الكتب التي نشرتها في هذا المجال كتب بالعربية: وأخرى بالإنجليزية تجدها مفصلة في نهاية هذا الكتاب . ورجائي من الله أن يبدأ العرب بقراءات جديدة لكتاباتي ، رغم أنني لست بكاتب مرموق نال شرف التقدير كجبران خليل جبران أو أيليا أبو ماضي أو إدوارد سعيد أو ميخائيل نعيمة ولست بشاعر أتقن فنون الشعر في محاولاته البسيطة ، ولكني بتواضع شديد ، أعرف أكثر من غيري ، في مجالات عدة تتصف بالموسوعية المعرفية في علمي النفس والاجتماع والإدارة التربوية . وكلها تتصل اتصالا وثيقا بالنظريات العلمية التقليدية والحديثة وتطبيقها خاصة التي انبثقت عن الفلاسفة والمفكرين شرقا وغربا . لذا فأني أستطيع وصف نفسي بأنني باحث عن الحقيقة للوصول إلى العدالة ، ولعلي بهذا الوصف أقرب إلى الفلاسفة وعامة الشعب ممن يرون العدالة فيما يقومون به وما يأترون به من أخلاق عقيدية تعلموها وحياة كفاف ورثوها أبا عن جد . ففي معظم كتاباتي أجعل للعقل والمنطق متسعا أكثر من العاطفة وإن كان للروح متنفس في بعض كتاباتي إلا أنها تتسم بفهم القانون وروحه في التطبيق .

وفي الختام ، أتمنى من الله تعالى أن تفيد كتاباتي الدارسين والباحثين عن الحقيقة تحت ظلال العدالة الاجتماعية وروح الجماعة مهما كانت منحازة إلا أنها في النهاية لا بد وأن تصل إلى سلام مع النفس والروح والعقل بما يتنافى مع العصبية الدينية كانت أم عرقية ، فكلنا لأدم وأدم من تراب ولا دوام لحي على هذه الأرض أو في السماء سواه ، به أستعين وعليه أتوكل وهو الرحمن الرحيم بعباده.

حسن يحيى
أستاذ علم الاجتماع بجامعة ولاية ميشيغان سابقا
ميشيغان – الولايات المتحدة

تقديم كتاب أدب الأطفال وثقافتهم

تقديم الكتاب INTRODUCTION للأستاذ الدكتور: حسن عبدالقادر يحيى

هذا تقديم لكتاب أدب الأطفال وثقافتهم تأليف د. سمر روجي الفيصل . فيعد أن نشرت عدة مجموعات قصصية للأطفال تحت عناوين مختلفة مثل: خمسة وخمسون قصة قصيرة للأطفال، والطفلة المثالية و20-20 أغاني وقصص للأطفال، بالعربية ، و 65 قصة للأطفال بالإنجليزية ، ونظرا لاهتمامي بدراسات أدب الأطفال فإنه يسرني أن أقدم لهذا الكتاب الذي يعتبر فاتحة جديدة لتقديم رسائل وأبحاث قام بها عدد من الكتاب والمفكرين العرب المتخصصين في مجال أدب الأطفال ونشرها في الولايات المتحدة ضمن مساهمات معهد التراث العربي وإحياء التراث العربي في المهجر والموسوعة العربية الأمريكية التي أسستها منذ عام 2000 ، ويعتبر الكتاب زاوية حديثة العهد في التراث الأدبي وإن كانت قد عرفت في الماضي من خلال ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ، وقصص السيرة ، ونظرا لطول البحث المقدم هنا فإننا نفرده له كتابا خاصا به ، بعنوان: أدب الأطفال وثقافتهم :قراءة نقدية ، للدكتور سمر روجي الفيصل . ولعل من المستحسن أن نلقي نظرة عامة حول أدب الأطفال روادا وأدباء وأمثلة وتوصيات قامت بها مؤسسات أدبية متخصصة شرقا وغربا فنزيد من معرفة القراء بهذه المقدمة البحثية الواعية ، ولعهم بادب الأطفال الذين هم في عرف كثير من الناس بناء المستقبل الزاهر وقادته ومستشاروه .

فيعد قصص إيسوب اليوناني وقصص كليلة ودمنة التي تضمنت قصصا على لسان الطير والحيوان ، كان من أوائل الأدباء العرب الذين اهتموا بأدب الأطفال من مصر ويدي : محمد عثمان يوسف جلال، وهو شاعر ومترجم وأديب مصري من واضعي أساس القصة الحديثة والرواية المسرحية في مصر وكان من ظرفاء عصره. وكان قد ولد في محافظة بني

سوييف بمصر عام 1828 وتوفي بالقاهرة عام 1898. قبل أن يجتاح نابليون مصر وقبل أن تستتب زمام الأمور لمحمد علي في مصر.

وفي مقال للدكتور رافع يحيى ، بعنوان تطور أدب الأطفال العالمي ، يورد أنه بالنسبة للأدب العالمي للأطفال فإن أدب الأطفال على الرغم من قدمه لم يحظ بالتدوين والدراسة كأدب الكبار في شتى العصور الأدبية . ومعظم الحضارات والأمم القديمة لم تهتم بتسجيل حياة الطفولة عندها، أو أدب أطفالها لذاتها، وما وصلنا هو قليل نادر وكان متصلاً بعمل من أعمال القدامى الكبار. وفي الأدب الغربية للأطفال : تعد أساطير لافونتين (بالفرنسية: Fables de La Fontaine) التي كتبها الشاعر الفرنسي جان دي لافونتين (بالفرنسية: Jean de La Fontaine) والبالغ عددها 234، من أفضل ما كتب على لسان الحيوانات، وقد كتبها على غرار أساطير إيسوب وكليلة ودمنة ، ومن أشهرها حكاية الأرنب والسلحفاة، والثعلب والعنكب. والأسد والثعلب ، والغراب والثعلب ، وقد تم اختيار الكتاب الذي ضم تلك الأساطير وهو بعنوان : خرافات مختارة للأطفال (بالإنجليزية: Selected Fables for Children).

ويرى علي الحديدي (1991) أن أدب الأطفال خلال مسيرة تطوره مر بثلاثة أطوار رئيسية. أما الطور الأول فيبدأ عام 1697 بصدر أول كتاب أدبي للأطفال كتبه شاعر فرنسا "تشارلز بيرو" (Charles Perot) بعنوان حكاية أمي الأوزة، وتضمن هذا الكتاب حكايات شعبية، وقد صدر تحت اسم مستعار وهو اسم ابنه الصغير "بيرو دار مانكور"، وقد أثارت هذه المجموعة في فرنسا والبلاد الأوروبية الأخرى، بعد أن ترجمت إلى لغاتها، حركة أدبية نشطة، دفعت الأدباء إلى البحث والتنقيب في الآداب الشعبية الأوروبية وإلى الاهتمام بحكايات الأطفال. ومن ناحية أخرى اجتاحت حكايات "ألف ليلة وليلة" أوروبا بعد أن ترجمها انطوان جالان (Antoine Galan) بين الأعوام (1704-1714)، فتأثرت بها قصص الأطفال تأثيراً كبيراً، وبعد عامي (1749-1747) ظهرت في فرنسا أول صحيفة للأطفال وهي صحيفة صديق الأطفال وكان هذا أيضاً اسم محرر الصحيفة المستعار. (الحديدي 1991)

وفي إنجلترا لم تكن كتب الأطفال في القرنين السابع عشر والثامن عشر تضع اهتمامات الأطفال موضع الاعتبار بل كان هدفها تقديم النصح والإرشاد. وأدب الأطفال الحقيقي بدأ عندما قدم "جون نيوبوري" (John Neubury) بمساعدة عدد من المختصين أدباً شيقاً ومفيداً للأطفال فاختر رونسون كروز ورحلات جليفر لتناسب الصغار. وفي عام 1865 ظهرت في إنجلترا أشهر مجموعة قصصية كتبت للأطفال وهي أليس في بلاد العجائب للكاتب "لويس كارول" (Lewis Carrol). وفي ألمانيا ظلت الحكاية الخرافية تكتب للكبار حتى جاء الأخوان "يعقوب ووليم جريم" (Jacob- Wilhalm Grimm) فأصدرا كتاباً بعنوان حكايات الأطفال والبيوت، وجاء في جزئين صدرا في الأعوام (1812-1814). وفي الدنمارك ظهر راند أدب الأطفال في أوروبا "هانز كريستيان اندرسون" (Andersen) (1805-1875). أما في روسيا فقد شد عالم الأطفال الشاعر "بوشكين" (Pushkin) (1799-1837) الذي كتب للأطفال أشعاراً تناسب أفكارهم وسنهم، و"تولستوي" (Tolstoy) (1828-1910) الذي كتب الكثير من القصص للأطفال.

أما الطور الثاني في مسيرة تاريخ الأطفال فظهر بعد الحرب العالمية الأولى، وقد رافق هذه المرحلة الدراسات المنهجية حول "علم نفس الطفل"، كما برز الاهتمام بالطفل كإنسان مستقل، وبدأ الاهتمام بالطفولة على كافة المستويات ولدى جميع الهيئات.

وبعد الحرب العالمية الثانية بدأ التطور الثالث في مسيرة أدب الأطفال العالمية، وانطلق أدب الأطفال إلى عصره الذهبي في العالم المتقدم، ففي أمريكا مثلاً تنوعت أشكال التعبير ووسائل من كتب وصحف ومجلات ومسرحيات ومكتبات عامة...وزاد عدد الناشرين للأطفال في معظم دول العالم، وأدرج أدب الأطفال ضمن مناهج الدراسة في المعاهد العليا، وبدأت ترافقه حركات نقدية تدرسه وتحدد ملامحه وقواعده واتجاهاته.

وقد أزهى أدب الأطفال بعد الحرب العالمية الثانية بسبب الحاجة إلى إقامة ثقافة للأطفال في بلدان المنظومة الاشتراكية وبعض دول أوروبا وأمريكا اللاتينية. وكان الهدف الأساسي من وراء ذلك كله هو الاتجاه العام لبناء ورعاية جيل ما بعد الحرب، والتركيز على تربيته من جديد وفق منظور علمي قادر على تنمية الدافع الإنساني في سلوكه (الجبوري 1976).

ويمكن تقسيم تطور أدب الأطفال إلى خمسة أطوار حسب "أورنيل أوفك" وهي:

أ. الفترة القديمة: وتضم هذه الفترة النصوص التي كتبت في الحضارة القديمة، والتي تتلاءم مع أدب الأطفال في أيامنا. وقد وجدت على أوراق البردي الكثير من هذه النصوص المتبقية منذ زمن الحضارة القديمة.

ب. العصور الوسطى: في هذه الفترة قام رهبان الأديرة بجمع القصص القديمة من أماكن بعيدة وحافظوا عليها، وبواسطتهم تم نشر هذه القصص، التي ضمت أيضاً قصصاً للأطفال. وإلى جانب ما قام به الرهبان لوحظ اهتمام بالقصص الشعري في هذه الفترة.

ج. عصر الطباعة: وتبدأ هذه الفترة بعد منتصف القرن الخامس عشر، أي بعد اختراع الطباعة، حيث بدأت في أوروبا طباعة كتب تضم قصصاً شعبية. وفي سنة 1550 صدرت في إنجلترا الكتب الأولى المطبوعة المخصصة للأطفال سميت "Horn Book"، ولم تتخذ الكتب في تلك الأيام شكل وإخراج الكتاب في أيامنا، بل كانت هذه الكتب عبارة عن صفحة مطبوعة عليها الكلمات من جهة واحدة. وبعد ذلك بدأت كتب الأطفال تتخذ شكل الكراريس المتعارف عليها في أيامنا. وفي القرن السابع عشر ظهر كتاب أمي الأوزة لمؤلفه "شارل بيرو" (1628-1703) (Charles Perot)، وهي المجموعة الأولى التي احتوت أساطير كتبت خصيصاً للأطفال، وقد احتوى الكتاب على ثمانية أساطير، منها: سندريلا، القط أبو جزمة، ليلي الحمراء. وفي القرن الثامن عشر برز "الأخوان جريم"، و"هانز كريستان أندرسون"، ككتاب أطفال معروفين.

د. العصر التعليمي: وتبدأ هذه الفترة مع صدور كتاب "إميل" لروسو (1762) الذي شدد فيه على أهمية التعامل مع الأطفال حسب أجيالهم. وتتميز هذه الفترة بصدور المواد العلمية والتثقيفية والموسوعات الخاصة بالأطفال، وفي منتصف القرن الثامن عشر نجد اهتماماً لدى كتاب أدب الأطفال بعنصري التشويق والمتعة، ورائد هذا الاتجاه "جون نيوبيري" John Neubury (1713-1767).

هـ. العصر الحديث (الذهبي): بدأ هذا العصر في منتصف القرن التاسع عشر مع صدور

كتاب أليس في بلاد العجائب لمؤلفه لويس كارول (Lewis Carroll)، وقد صدر بعد هذا الكتاب الكثير من الكتب للأطفال، وبدأت اتجاهات متعددة في الكتابة للأطفال.

ومن الجدير ذكره أنه لما كان أدب الأطفال لا يزال ناشئاً وليداً في الأمم الغربية فقد استعان كثير من مؤلفي قصص الأطفال بما جاء في ألف ليلة وليلة من عناصر شيقة للأطفال، ومن هؤلاء المؤلفين هانز أندرسون (Andersen)، كما وأصبحت قصص ألف ليلة وليلة جزءاً من ثقافة الأطفال في أوروبا بعد ظهور تراجم ألف ليلة وليلة (القلموي 1965). فقد زودت الليالي أدب الأطفال العالمي بمصادر وحي جديدة كان تأثيرها على هذا الأدب شاسعاً، وأصبح السنديباد، وعلي بابا، وعلاء الدين، والبساط السحري، والأميرات والأمراء، والحصان الطائر، والخوارق، رموزاً تسبح في فضاء أدب الأطفال العالمي، ولها مكانة خاصة في عالم الأطفال. ومن بواكير المجموعات القصصية التي تأثرت بألف ليلة وليلة واستوحت الكثير منها مجموعة "دار لاروس" المعروفة تحت اسم "مؤلفات الناشئة" التي تشمل على فئتين من الكتب: "كتب الناشئة الزرقاء" و"كتب الناشئة الوردية" واحتوت هاتان المجموعتان على حكايات من الليالي، وهي جميعها عبارة عن تهذيب واقتباس للحكايات ترجمها "جالان" (Galan) و"ماردروس" (Mardross) وتم إعدادها بصورة ثلاثية الأطفال، وإن هذا التأثير مستمر حتى يومنا هذا، فسر الليالي لم ينطفئ بعد وامتد إلى السينما والتلفزيون فنجد حكايات الليالي تعرض كأفلام وصور متحركة للأطفال في محطات البث العربية

أما في التراث العربي والإسلامي سنجد ألوفاً كثيرة من أدب الأطفال، وتذكر المصادر التاريخية والأدبية عدداً كبيراً من الأشعار في الجاهلية والإسلام، التي تعد من الأنشيد أو الأشعار والغاني الخاصة بالأطفال، كما أن التراث غني بالنصوص النظرية شريطة أن نخضعها لظروف عصرها وطبيعته وقيمه وعاداته (بريغش 1992) وإذا كان الأدب العربي في العصور السابقة لم يعرف فناً أدبياً ناضجاً خاصاً بالأطفال فلا ينفرد بذلك وحده، فقد ميز هذا النقص آداب الأمم الأخرى، ولكننا نعثر في الأدب العربي على بعض المؤشرات الإيجابية التي انفرد بها الأدب العربي عن غيره وتميز بها (أحمد 1989، جريس، 1980، حمدالله 1986)

1. الاهتمام المبكر بالتربية الشاملة للأطفال روحياً وجسدياً منذ مجيء الإسلام.
2. وجود أرضية تراثية خصبة تضمنها التراث الأدبي الواسع.

وقد خلص البعض إلى أن أدب الأطفال العربي قديم وبعضه مشمول في أدب الكبار وإن بعض القدماء وضعوا كتباً للأطفال ونصوا في المقدمة على ذلك، وإن عبارة "أدب الأطفال" عبارة قديمة. والأدري المولود سنة 750هـ-1349م كان ملماً بأدب الأطفال أي قبل أدب الأطفال الأوروبي بـ 135 سنة. (سليمان، 1984) ويختلف الباحثون حول هوية أول كتاب عربي فهناك من يرى أن أول كتاب أطفال عربي حديث هو النفثات لرزق الله حسون من حلب، وكان صدره سنة 1867. أما أحمد نجيب فقد خلص إلى أن قصة القطيطات العزاز لمحمد حمدي وجورج روب التي نشرتها دار المعارف سنة 1912 هي أول كتاب أطفال عربي، وأن ما سبقه من كتب لا تتحلى بالصفات المطلوبة في كتاب الطفل، رغم توجه

أصحابها بها إلى الطفل العربي، بينما يرى عبد التواب يوسف أن أقدم قصة عربية هي الأسد والغواص.

وأدب الأطفال في العالم العربي حديث، وإن كانت جذوره تمتد إلى مصر القديمة، وجذوره الحديثة أيضاً تمتد إلى مصر الحديثة، حيث حملت مصر مشاعل الريادة لهذا الفن في الأدب الحديث. (يوسف 1985)

ففي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي بين أعوام (1849-1854) أتم محمد عثمان جلال (1828-1898) ترجمة معظم الحكايات الشعرية الخرافية الغربية إلى العربية نقلاً عن الشاعر الفرنسي لافونتين (1621-1695) (Lafontaine). وقد اطلق محمد عثمان جلال على كتابه المترجم: العيون اليواظ في الأمثال والمواعظ . ويعتبر إصدار مجلة روضة المدارس المصرية في عام 1870 ونشرها المواد الأدبية للطلاب والكتاب مرحلة غير مسبوقة في نشر الكتابات الأدبية للناشئين (زلط، 1994).

ويرى بعض الدارسين الذين تناولوا تاريخ أدب الأطفال بعام 1875، كبداية لنشأة أدب الطفل في الدب العربي الحديث، ودليلهم إصدار رفاة الطهطاوي لكتابة المرشد الأمين في تربية البنات والبنين في تلك السنة . ومن قصصه المترجمة حكايات الأطفال، عقلة الاصبع، وقد ادخل الطهطاوي قراءة القصص في المنهج المدرسي. (العناني 1996)

وفي العصر الحديث، كان للأدب العربي دور بارز في ميدان القصة فقد أنجز بعض الشعراء الرواد، أمثال "أحمد شوقي" شعراً قصصياً عظيماً للطفل معبرين عن ميول هذا السن المبكر ورغباته، فجاءت أشعارهم التي تحكي قصصاً وروايات على لسان الحيوان والطيور "وكان شوقي بأغنياته وقصصه الشعرية التي كتبها على ألسنة الطيور والحيوان للصغار رائداً لأدب الأطفال في اللغة العربية وأول من كتب للأحداث العرب أدباً يستمتعون به ويتذوقونه".

وعندما أصدر الشاعر أحمد شوقي ديوان الشوقيات عام 1898 دعا الشعراء في مقدمة الديوان في الكتابة للأطفال. وقد تأثر شوقي بأسلوب "لافونتين" كما جاء في مقدمة الديوان. وقد تضمنت الشوقيات عدداً من الحكايات الشعرية على ألسنة الحيوان. ويعتبر أحمد شوقي بذلك رائداً لأدب الأطفال في اللغة العربية (دياب 1995).

ويقول شوقي عن الحكايات والأغنيات التي قدمها للأطفال في الوطن العربي كتجربة شعرية رائدة: "وجريت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب "لافونتين"، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث اجتمع بأحداث المصريين وأقرأ عليهم شيئاً منها فيهمونه لأول وهلة، ويأسون إليه ويضحكون من أكثره. وأنا استبشر لذلك، واتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثملاً جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة، منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم..."

إن " القصص التي كتبها شوقي للأطفال تهدينا إلى الحكم بأن الشاعر كان يدرك أن " أدب الأطفال" أقوى سبيل يعرف به الصغار الحياة بأبعادها المختلفة، وإنه وسيلة من وسائل التعليم والتسلية، وأسلوب يكتشف به الطفل مواطن الخطأ والصواب في المجتمع، ويوقفه على حقيقة ما في الحياة من خير وشر".

والقصة على لسان الحيوان، ليست جديدة على الشعر العربي، فالكل يعرف أن كتاب "كليبة

ودمنة" ترجم إلى العربية قبل يترجم إلى اللغات الأوروبية، وأن الأديب الفرنسي "لافونتين" قد برع وبرز في قصصه التي اقتبسها عن كليلة ودمنة، والتي جعلت من "لافونتين" صاحب فضل على الشعراء العرب، أمثال أحمد شوقي عندما قلده في هذا الفن، ونجحوا في تقديم القصص والحكايات التي لا تقل جودة عن قصص وحكايات لافونتين (صبيح 1985) ويمكن القول أن من خطا الخطوات الأولى في مجال أدب الأطفال محمد عثمان جلال ثم ابراهيم العرب، وأحمد شوقي وثلاثتهم شعراء، وتبع شوقي محمد الهراوي الذي نظم الأناشيد والأغاني للأطفال (أبو أسعد، 1980).

وفي مجال الكتابة النثرية ألف علي فكري عام 1903 كتابه مسامرات البنات، وكما وضع 1916 كتاباً آخر للبنين سماه النصح المبين في محفوظات البنين . والمحاولات المذكورة سابقاً كانت محفزاً للكثيرين ليتابعوا الطريق، أمثال: عمران الجمل وفايز الجمل، وحسن توفيق، ونعمه ابراهيم، وتوفيق بكر، ومحمد عبد المطلب، وقد غلب على كتبهم الطابع التعليمي، وتلاجيل الرواد جيل برز في الثلث الثاني من القرن العشرين أمثال: عمر فروج، وحبوبة حداد، وروز غريب في لبنان. وعبد الكريم الحيدري، ونصر سعيد في سوريا، وبعضهم تجاوزت شهرته حدود بلاده، مثل: كامل الكيلاني ومحمد سعيد العريان وعطية الأبراشي، و ابراهيم عزوز، وأحمد نجيب وقد تميزت كتابات هذه المرحلة بالاعتدال والنقل من اللغات الأجنبية، أو التبسيط لكتب العرب القدماء، يضاف إلى ذلك عدم اهتمام أصحابها بالطفولة في مراحلها الأولى، وحاول مؤلفو هذه المرحلة إحياء التراث العربي، فلجأوا إلى ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، والحكايات الشعبية، ليزودوا الأطفال بأمثال القصص من هذا التراث. ويعتبر كامل الكيلاني من أبرز كتاب هذه المرحلة للأطفال، ويعتبر الرائد الفعلي والحقيقي لأدب الأطفال في اللغة العربية. وقد كتب الكيلاني أكثر من مائتي قصة ومسرحية للأطفال، وكانت أول قصة له هي السندباد البحري (1927). كانت الترجمة مصدراً رئيسياً من مصادر أدب الأطفال في العالم العربي بين الحربين العالميتين، بدأت تتراجع لصالح التأليف العربي إلى تأليف نوعي في السبعينات، دون أن تخفي الترجمة ودون أن تتمكن من المحافظة على مكانتها السابقة، إضافة إلى أن تطور أدب الأطفال في الطن العربي تطور غير متكافئ. ففي حين كانت الترجمة أساساً لهذا الأدب الفريد في مصر فإنها لم تكن في سوريا والعراق. ومقابل تأخر ظهور أدب الأطفال في دول الخليج تطور هذا الأدب بسرعة في لبنان وسوريا والعراق ومصر وتونس. وترى سمر الفيصل أن العلاقة بين أدب الأطفال والتراث العربي ما زالت في بداياتها الأولى، لأن مشكلة الاستلham من التراث ما زالت قيد الدراسة. وما يلاحظه المرء من قصص وأشعار ومسرحيات مستمدة من التراث، يجب أن يخضع لسؤال هام هم مدى ملاءمته للطفل؟ وهل هو تبسيط للتراث؟ أم استلham منه؟ .

ومع انقضاء الثلث الثاني من القرن العشرين، تلتها مرحلة بدأ أدب الأطفال خلالها بانتزاع اعتراف الهيئات العلمية والأدبية به، وسلك طريقه ليصبح مادة من مواد التدريس في الجامعات.

ولقد كان لحرب حزيران عام 1967 أثر كبير على الاهتمام بالأطفال وأدبهم من خلال رؤية تهدف إلى بناء مجتمع سليم قوي، والذي يشكل الأطفال اللبنة الأساسية فيه، فصارت تعقد الندوات والمؤتمرات، وتقام المراكز من أجل النمو بالطفل وأدبه، ومن أبرز من اهتموا للكتابة للأطفال بعد حرب حزيران سليمان العيسى وزكريا تامر من سوريا (أبو هيف، 1984).

وفي الوقت الذي قطعت بعض الدول العربية شوطاً في مجال أدب الأطفال، مثل: مصر وسوريا، نجد دولة اليمن يتحدد ميلاد أدب الأطفال فيها بالعام 1973 (الخطيب، 1980). ، أما في المغرب فتحتى سنوات الثمانين كان أدب الأطفال يخطو خطواته الأولى. وقد رافقه ترجمات من أدب الأطفال الفرنسي المترجم والذي كان منتشرأ لدى لبنان. (سالم، ليلى. 1984)

ويتميز الثلث الأخير من هذا القرن بالتنافس بين دور النشر لإصدار مجموعات ملونة جميلة ذات طباعة جذابة للأطفال، وقد تجاوز التنافس حدود الكلمة والكتاب ليصل إلى برامج الكمبيوتر الخاصة بقصص الأطفال وقصائدهم، وكما انه يتم استغلال الكثير من البرامج الترفيهية والتعليمية للأطفال. ونلاحظ منذ السبعينات حتى الآن غزارة في الكتابة للأطفال، وقد ساعد على تنشيط حركة الكتابة وسرعتها التغيرات التي طرأت على البنية العقلية التربوية، وعلى تغيير موقع الطفل في العملية التربوية كذلك في عملية التطوير الاجتماعي، وتحقيق تطلعات المستقبل، ويضاف إلى ذلك كله اهتمام الهيئات الثقافية والتربوية بما يكتب للطفل وتشجيعها على نشره. ولكن، على الرغم من الانتباه الجماهيري المتزايد لأدب الأطفال كنتيجة مباشرة لنجاحه التجاري، فإن المؤسسات الأكاديمية والنقدية في الشرق لم تركز بعد جهود كافية لبحث هذا الأدب، وإن وجد بعض الباحثين الذين بدأوا يتوجهون لبحث أدب الأطفال (Ballas & Snir. 1998).

أما عربياً فقد ذكر د. أحمد زلط من مصر أيضاً، فصلا في كتابه "رواد أدب الطفل العربي" عن محمد عثمان جلال تحت عنوان "عطر البدايات"، وفيه تحدّث عن إشكالية التأليف، وإشكالية اللغة ووظائف المضمون، وعن علاقة المضمون بأدبيات الطفل. (زلط 1993)

ويخلص زلط في نهاية الفصل إلى أن "العلاقة بين أدبيات الطفل وديوان العيون اليواظ تتحقق في العديد من وظائف أدب الطفولة، فالوظيفة التعليمية شغلت من الديوان زهاء خمسة وسبعين منظومة شعرية تتوزع بين النصح والإرشاد وتلقين المعارف بأسلوب سهل مباشر. والوظيفة الأخلاقية شغلت من الديوان زهاء ثمان وثمانين منظومة شعرية على لسان الحيوان. أما الوظيفتان الأخيرتان: الجمالية واللغوية فقد تقاسمتها سائر منظومات الديوان في القص على لسان الكائنات المألوفة والمحبة للأطفال، وباستثارة الخيال للتسلية والاستمتاع بالمرويات على أسنة الحيوان، وهو تلقين غير مباشر يحبه الأطفال وينشدونه. هذا عن الوظيفة الجمالية، أما الوظيفة اللغوية فقد ثبتت ظاهرة التيسير اللغوي عند الشاعر التي تمكن الأطفال من متابعة الحكايات لفهمها وإدراك مغزاها عند استعمال الشاعر للمعجم اللغوي اليسير الصحيح الذي يتسم بالإيجاز الدال والإيقاع المنعوم."

وكاتب هذه السطور قام بنفسه فحور وجمع وألف عددا من تلك القصص في عدة كتب منها كتاب تضمن 55 قصة للأطفال بالعربية (يحيى 2008) و65 قصة بالإنجليزية (يحيى 2012) على غرار قصص إيسوب وكليية ودمنة، كما نشرت الدكتورة شيلا سمر فيلد كتابا تضمن 85 قصة للأطفال على نفس المنوال (سمر فيلد 2012).

يرى زلط أن كتاب "العيون البواقظ في الأمثال والمواعظ" يعدُّ من أوائل كتب أدب الأطفال في الأدب العربي الحديث في مصر. ويقول "إن ديوان العيون البواقظ محمد عثمان جلال ، وهو يعتبر أول محاولة عربية تعيد الطريق أمام الكتاب لإرساء دعائم أدب الطفولة، وهي محاولة تسبق محاولة أحمد شوقي بسنوات طويلة، ولقد ارتكزت (الريادة الزمنية) لمحمد عثمان جلال في التوفر على الترجمة والاقتباس من اللغة الفرنسية بإعادة نقل حكايات لافونتين الخرافية إلى اللغة العربية بديوانه الموسوم "العيون البواقظ في الأمثال والمواعظ".

ومن ملف محمد عثمان جلال هذه القصة بعنوان "صاحب الدجاجة" ومحتواها

كان البخيل عنده دجاجة تكفيه طول الدهر شر الحاجة ، في كل يوم مر تعطيه العجب وهي تبيض بيضة من الذهب ، فظن يوماً أن فيها كنزاً وأنه يزداد منه عزا ، فقبض الدجاجة المسكينة وكان في يمينه سكينه ، وشقها نصفين من غفلته إذ هي كالدجاج في حضرتها، ولم يجد كنزاً ولا لقيه بل عظمه في حجره مرميه، فقال: لا شك بأن الطمعا ضيع الأناصن ماقد جمع ثم قال شعرا:

زي القصّه دي ما يمكشني +++ عن راجل ويبيع الطرشي
كان له قطه جواً بيته +++ مطرح ما كان يمشي تمشي
من حبه فيها يطعمها +++ روس الضاني ولحم الكرشي
قال يا رب تبذلها لي +++ جارية من نسوان الحبشي
حبه ربه غيرها له +++ جارية نسوي ألفين قرشي
راح السوق جاب ناموسيه +++ قبل المغرب ما أتأخرشي

بعد المغرب جاب يتعشّي +++ وياها بالقرع المحشي

هما على السفرة يتعشوا +++ إلّا وفار في القاعة يمشي

نطت دي الست اللي بتاكل +++ مسكت دي الفار اللي بيعشي

لما شافها سيدها تأكله +++ حتّى جلده ما ترمهشي

قال يا رب اسخطها قطه +++ دا اللي في هشيمًا يخلّشي

ومن التراجم المشهورة في الخمسين عاما الماضية ظهرت الموسوعة العربية الميسرة التي صدرت تحت إشراف محمد شفيق غربال في مصر بعد تصديق من الرئيس جمال عبد الناصر، وتقع في حوالي 2,000 صفحة. صدرت الطبعة الأولى في القاهرة عام 1965 م عن مؤسسة دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بدعم مالي من مؤسسة فورد الأمريكية. والطبعة الثانية عام 2001 أما الطبعة الثالثة فصدرت عام 2009 ، وتعد من أضخم الأعمال الثقافية في ذلك العصر حيث شارك في إعدادها العديد من ذوي الخبرة في

المجالات المختلفة مثل : د.سهير القماوي, د.إبراهيم مذكور, د.زكي نجيب محمود, د.صبيح عبد الحكيم, د.علي توفيق شوشة .. وغيرهم العديد من المثقفين والعلماء, وهي مرتبة حسب الألفبائية العربية وملحق في نهايتها مجموعة من الصور والرسوم والإيضاحات والخرائط.

كما صدرت الموسوعة العربية الأمريكية وقام بتأسيسها الدكتور حسن يحيى عام 2000، وهي تتضمن كتاباته وكتبه المؤلفة والمترجمة التي زادت على المائة والعشرين كتابا بالإضافة إلى مئات المقالات باللغتين العربية والانجليزية في شتى المجالات العلمية والإنسانية بما فيها مجال أدب الأطفال نثرا وشعرا .

ومن أهم التوصيات التربوية والنقدية والعلمية التي تحاول توجيه أدب الأطفال في العالم العربي من أجل النهوض به قدماً قام الاتحاد العام للأدباء العرب في مؤتمره الثامن عشر ، عام 1992 ومنشورات عام 1993 حول الخيال العلمي كانت التوصيات كما يلي :

أ. الابتعاد عن القصص والحكايات التي تقدم قيماً سلبية للأطفال والاهتمام بالمواضيع المستوحاة من بيئة الطفل، والتي من شأنها أن تغرس قيماً إيجابية في نفسه.

ب. اعتماد التراث كمصدر هام يمكن استلهام الكثير منه لخصوبته في المجتمع والمفيد من موتيفات ونصوص ممكن أن تشكل مصدر إحياء للكاتب، ويستشهد أصحاب هذا التوجه، على سبيل المثال بكتاب " ألف ليلة وليلة" بشكل خاص، والحكايات الشعبية بشكل عام كمصدر هام لهذا الاستلهام. ولم يكن البعد الفني هو وحده الذي يوجه هؤلاء للتنقيب في التراث، إذ أن الفكر القومي يوجههم أيضاً على اعتبار أن التراث جذر من الوعي القومي الذي يجب ترسيخه بين أبناء الأمة العربية.

ت. الاهتمام بقصص الخيال العلمي، وهناك الكثير من المحاولات في العالم العربي لترسيخ جذور هذا الخيال في أدب الأطفال العربي ضمن استراتيجية عامة في تقديم مواضيع علمية في عالم يسيطر عليه إنجاز المعرفة.

ث. الاهتمام بالإخراج الفني للكتب والرسومات الداخلية للكتاب بحيث تتلاءم مع مضمون القصة والجبل المقدمة له.

ج. تطوير الأساليب الفنية في النصوص المقدمة للأطفال للتخفيف من أزمة الوعظ التي باتت تسيطر على الكثير من الإصدارات المقدمة للأطفال.

وفي ختام هذه المقدمة الوجيزة يسرني في نهاية مشواري العلمي والأدبي والحياتي وإلحاقاً لكتبي التي تزيد عن المائة والعشرين كتاباً بين تأليف وترجمة وإعداد وتحقيق أقدم أربعة كتب في أدب الأطفال وهي من إنتاج الأدباء والمفكرين العرب في مجال أدب الأطفال وهي: مجموعة قصص أطفال لمجموعة من الكتاب العرب م (340 صفحة تقريباً) بمن فيهم كاتب هذا التقديم والثاني بعنوان قصائد الأطفال في سورية للكاتب والأديب محمد قرانيا ، وهو كتاب شامل في أدب الأطفال من 800 صفحة ، والتنمية الثقافية للطفل العربي للدكتور عبدالله أبو هيف (200 صفحة)، وهذا الكتاب الذي تقدم له هنا بعنوان: أدب الأطفال وتقاظتهم للدكتور سمر روجي الفيصل(132 صفحة). وحال المقدم يقول:

وإن كان للثروات من شرف +++ فمزيد من العلم والمعارف أشرف

وإني وإن قلت ثروتي مالا فإنني +++ بما حظيت به من عقل إلى العلم أدلج

وأرجو أن يستفيد هواة أدب الطفل وأن يستزيدوا معرفة به ، فكما قلت سابقا فالأطفال هم قادة المستقبل لذا فإن هذا الموضوع يخص الآباء والمربين للعناية بهم أدبا وأخلاقا والمساهمة الشريفة في تكوين شخصياتهم ليكونوا بناة حضارة لم تكن غريبة عنهم . وارجو من الله تعالى أن أرى هذه الكتب مطبوعة ومنشورة قبل فوات الأوان واقترب النهاية التي يتمتع بها كل حي. وكتب الله لنا حسن المآب أنه هو الله التواب ، وهو السميع بعطفه وبكرمه للراجي أجاب. وهو السميع العليم .

د. حسن عبدالقادر يحيى ، أستاذ علم الاجتماع والفلسفة
جامعة ولاية ميشيغان – الولايات المتحدة
مايو 2012

مراجع المقدمة

- الاتحاد العام للآدياء والكتاب العرب ، أدب الخيال العلمي في أدب الأطفال، 1992
- الاتحاد العام للآدياء والكتاب العرب، أدب الأطفال العربي. عمان، 1993
- أحمد، ناصر. 1989. القصص الفلسطيني المكتوب للأطفال. [د.م.]: دائرة الثقافة-منظمة التحرير الفلسطينية، ص18.
- أبو أسعد، أحمد. 1980. " تطور فن الكتابة للأطفال في البلاد العربية ومشكلاته". الموقف الأدبي 105/104(كانون ثاني 1980)، ص218.
- أبو السعد، عبد الرؤف الطفل وعالمه الأدبي القاهرة: دار المعارف، 1994.
- أبو هيف، عبد الله. 1984. "عبد المجيد القاضي وأدب الأفال في اليمن". الموقف الأدبي 164 (كانون أول 1984)، ص115-124.
- بريغش، محمد. 1992. أدب الأطفال. القاهرة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ص29-33.
- بلاص، شمعون. 1958. "اطلالة على منهج محمد عثمان جلال في الترجمة". الكرمل (1958)، ص1-36.
- الجبوري، أسعد. 1976. "أدب الأطفال- قطار على سكة مثلمة" الموقف الأدبي 61(أيار 1970)، ص29.
- جريس، إبراهيم. 1980. كتابان للجاحظ عكا: مكتبة ومطبعة السروجي، ص73.
- الحديدي، علي. 1991. في أدب الأطفال. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ص49-50.
- حمد الله، علي. 1986. " ندوة أدب الأطفال في تونس 5-7 أيار 1986". الموقف الأدبي 184(أب 1986)، ص166.
- الخطيب، ابراهيم. 1980. " تقريرحول أدب الأطفال في المغرب". الموقف الأدبي 105/104 (كانون ثاني 1980)، ص64-72.
- داود، أنس. أدب الأطفال، في البدء كانت الأنشودة ، الإسكندرية: دار المعارف، 1993.
- دائرة المعارف الاسلامية. ج29، ص8966.
- دياب، مفتاح. دياب، مفتاح. 1995. مقدمة في ثقافة الأطفال. القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ص22.
- زلط ، أحمد . رواد أدب الطفل العربي. الزقازيق: دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ/ 1993.
- زلط، أحمد . 1994. أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي. القاهرة: دار المعارف، ص14.
- سالم، ليلي. 1984. "أدب الأطفال بين الوعي والخيال". الموقف الأدبي 160/159 (أب 1984)، ص114.

- سعد، فاروق. 1962. من وحي ألف ليلة وليلة. ط1، بيروت: منشورات المكتبة الأهلية، ص288-189.
- سليمان، موسى.. القصص المنقول. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1984 ص15-16
- سويلم، أحمد. أطفالنا في عيون الشعراء ، القاهرة: دار المعارف (سلسلة اقرأ)، ط2، 1987.
- صبيح، إبراهيم. 1985. الطفولة في الشعر العربي الحديث. الدوحة: دار الثقافة، ص337.
- عبد الباري، عفاف. سلسلة مغامرات الجيل العلمية. بيروت: دار الجيل.
- الضبي، المفضل بن محمد. 1998. تحقيق عمر الطباع. المفضليات. بيروت: دار الأرقام للطباعة والنشر، ص13.
- العناني، حنان. 1996. أدب الأطفال. عمان: دار الفكر، ص14.
- قلماوي، سهير. 1966. ألف ليلة وليلة. القاهرة: دار المعارف بمصر، ص69.
- المقالح، عبد العزيز. الوجه الضائع، دراسات عن الأدب والطفل العربي. بيروت: دار المسيرة، 1405هـ / 1985. الموسوعة العربية الميسرة. مج1، ص636.
- يوسف، عبد التواب.. كتب الأطفال في عالمنا المعاصر. القاهرة: دار الكتاب المصرية، 1985 ، ص10.
- الهيتي، هادي نعمان. ثقافة الأطفال. الكويت: عالم المعرفة (123) 1408 هـ
- يحيى ، حسن ع . 20/20 أغاني وقصص أطفال ، 2009
- يحيى ، حسن ع . الطفلة المثالية : أغاني وأشعار وقصص، 2009
- .د. حسن يحيى، حسن ع. 55 قصة للأطفال (بالعربية) ، مطبعة البركان والموسوعة العربية الأمريكية 2008-
- يحيى، رافع تطور أدب الأطفال العالمي، 2011

مراجع أجنبية:

- Ballas S. and Snir.R. 1998. Studies in Canonical and apaopular Arabic Literature.Toronto: New York. P.P.104
- .Agilda "Saghir", The Encyclopedia of Islam. Vol. 8(1998):821-827
- Arab American Encyclopedia-AAE, USA

تقديم كتاب أضواء على الفكر الغربي للكاتب

الفكر الاجتماعي الغربي ومسألة الحضارة

The Western Social Thought and Civilization

مقدمة

ان ما يدعو للأسف هذه الأيام وبعد مرور خمسة عشر قرنا على بدء نور الرسالة المحمدية، ومع بدء الألفية الثالثة ، أن يعرف طلابنا ومتقوننا عن فلاسفة أوروبا وأمريكا أكثر مما يعرفونه عن الرسول ﷺ وعن أصحابه رضوان الله عليهم. إنه لمن المؤسف أن يتعلم المسلمون تاريخ المسلمين من كتاب أديان وحضارات أخرى. انه لمن المؤسف أن يعرف المسلمون عن عنترة بن شداد وعلي بابا والسندباد وعلاء الدين وهاملت والأغاني الشعبية الهابطة أكثر من معرفتهم بسيرة رسول الله ﷺ وأكثر من معرفتهم عن الأطهار من خلفاء

رسول الله ﷺ (أبي بكر) وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين . ان المطلاع على مناهج الدول الإسلامية في مدارسها وجامعاتها اليوم ليرى العجب العجاب. بضع صفحات هنا عن التاريخ الإسلامي وبضع صفحات هناك عن مظاهر الإسلام وقيمه وأخلاقياته. وبضع صفحات أخرى عن سيرة علمائه وأعلامه. ويدعي البعض أننا وصلنا إلى مرحلة وصف الداء لهذه الأمة وأن علينا التوقف عن الكلام ونبدأ بالعمل. فقد كفانا الكلام سنين طويلة دون فائدة. وينادي بعض آخر أن الوقت قد حان للعمل النافع لمصلحة المسلمين وأمة الإسلام. ونحن على يقين أن الإسلام دين كلمة واتصاف هذه الكلمة بالعمل. والأمران متلازمان. فدراسة الأشياء وتطبيقها يسيران جنباً إلى جنب. وهذا ما كان عليه رسول الله ﷺ . فهو لم يفصل الحياة إلى قسم للقول وآخر للعمل وإنما مزج بينهما. فقد قال عليه الصلاة والسلام لصاحب الناقة: اعقل وتوكل. ولم يقل اعقل فقط كما لم يقل توكل على الله فقط. وانه لمن سقط المتاع أن يقال لنا أن لا نتكلم. أو أننا تكلمنا ما فيه الكفاية. وأن الوقت قد حان للكفاح والعمل. فماذا فعلنا؟

كل الذي قمنا به حتى الآن هو البكاء والوعويل على عصر مضى ، وأنا مقتنع أننا يجب أن نتخلى عن إخفاء الأمانة وأن نعلن للعالم كله عن هذه الآلام من خلال أحاسيسنا بهذه الآلام بطريقة علمية. فنحن أصحاب عقيدة وفكر إسلامي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من أمامه. فمدارس الفكر التي ننتمي إليها إنما هي مدارس معتقدنا ومدارس أقوالنا ومدارس أعمالنا ومدارس نشاطاتنا النابعة من مدرسة الإسلام . وعلينا واجب مقدس تجاه النشء الجديد أولاً ثم الناس الآخرين ثانياً ، لا بد من معرفة القدوة الصالحة ، وأن نعرف الناس بهذه القدوة ، رسول الله ﷺ ، وأي نوع من الرجال كان. وأي رجال كان الصحابة من حوله ، وأي أعمال أنيطت بهم ، وكيف كانوا يواجهون القضايا والمشاكل اليومية ، وأي نوع كان القادة الفاتحون لأرض الله تحت راية لا اله إلا الله. وما سيرتهم ، وأي نوع كان المدافعون عن كلمة لا اله إلا الله عبر التاريخ. وقد كان العلماء الأقدمون يسمون بالأفاضل لأنهم كانوا على علم بكتاب الله وسنة نبيه ، وكانوا على علم بسيرة النبي ﷺ ، وكانوا على علم بسيرة الصحابة رضوان الله عليهم. فأين هم هؤلاء الأفاضل اليوم؟ فتذكروا لعل الذكرى تنفع المؤمنين . من أجل هذا فإن الكلام واجب مقدس فيما هو صالح وفيما هو مفيد. وأنا مقتنع قناعة تامة بأن أعظم الواجبات على مفكري المسلمين اليوم وأكثرها إلحاحاً هو الكلام الصحيح العلمي والمنطقي الذي يعبر عن آلام هذه الأمة وعن تربيها السحيق لبعدها عن معرفة كتاب الله ومعرفة سنة نبي الله ﷺ ، وعن معرفة تاريخ الإسلام بأقلام أبنائه دون فلسفة أو تبجح ، ودون مديح لا طائل تحته ، ودون تجريح متجن غير موثق . ذلك المنطق الذي يزرع الفخر والاعتزاز بالانتماء للحضارة الإسلامية .

أصبحنا اليوم كمسلمين ، نكاد نصدق ما يلفقه العالم من حولنا ، وما يصفونه بالإرهاب من تمسكنا بحقوقنا وبعقيدتنا، وما يتهموننا به بالانحطاط من قدسية حضارتنا. وبدأنا مع الأسف ، نشك في أمر أنفسنا ، وأمر ديننا ومصداق عقيدتنا، وأسس حضارتنا . وبدأنا نفضل الأجنبي على بني جلدتنا. وكل إنسان من غير المسلمين يفخر ببلده ووطنه وبملته وبشخصيته ، فتباركون ما يقول وتسمون ذلك حضارة وحرية وعدالة . فإذا جاء الأمر إلى المسلم نظرتم إليه بالشك والريبة والاحتقار والإرهاب. فهل سألتهم أنفسكم؟ لماذا هذا التضارب في التفكير عندهم؟ ادرسوا التاريخ القديم والحديث ففيه إجابات لتساؤلاتكم حولنا. ستجدون أن الغرب

الذنيوي المادي قد دمر عن عمد ثقافتنا وساهم باسم السعادة في شقاء حياتنا ونهب باسم التعاون موارد أوطاننا ، وسلب باسم التعليم عقولنا وغير باسم التحديث أخلاقنا وأفسد باسم العلم والتصنيع هواء بلادنا. فإذا رفضنا ما تتادون به من تحيز ظالم وبيننا لكم مواضع أخطائكم وصمتمونا بالجهل والتخلف والبلاهة . ونظرتم إلينا بعين الشك وعدم التصديق. إن من المسلمين في بلادكم العلماء الذين أحرزوا من العلم كعلمائكم ، ومن المسلمين الأطباء الذين نبغوا كأطبائكم ، ومن المسلمين علماء فضاء وأرض ساهموا في إنجاح برامجكم الفضائية كعلمائكم. ومن المسلمين علماء تربية وتعليم لا يقلون خبرة ولا مهارة عن علمائكم. ومنهم علماء تسويق واتصالات يقومون بزيادة مداخيل شركاتكم شرقا وغربا . إنه لمن الظلم أن لا يشتهر عالم في أمريكا وأوروبا بسبب دينه : الاسلام. وانه لمن الظلم أيضا أن يشتهر علماء في أمريكا وأوروبا بسبب دينهم كغير مسلمين. ومن الظلم ألا يحتفي العرب المسلمون بعلمائهم ومفكرهم ، انظروا من حولكم لعلمكم تفهمون . معظم الحائزين على جائزة نوبل من اليهود أو منحازون ضد الإسلام ، فنتساءل : ألا يوجد هناك نوبل عربي يكون خال من الوساطة والمحسوبية والفساد ؟ رغم معرفتي بجوائز أهل الخير والصلاح من أبناء هذه الأمة ، إلا أنني أدعو إلى جائزة تحتفل بالعلم على أسس من المنطق لا على أسس من الشهرة الكاذبة أو السياسة العاطفية أو الأيديولوجية .

المسلم مؤتمن برسالة المستقبل وإرشاد الإنسانية إلى طريق الخلاص للبشرية المعذبة مهما اختلف تخصصه ومجال تعلمه. لأن للإسلام مجالات كثيرة وزوايا متعددة يستطيع الإنسان العاقل اكتشافها وزيادة مقدرته على معرفتها ومعرفة انعكاساتها على العلوم الأخرى بقليل من العقل وبجزء من التفكير. وقد حوى القرآن الكريم العديد من المفاهيم التي لم يتطرق إليها علماء الغرب في العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع وعلم الأديان والفلسفة . ففي القرآن الكريم العديد من التفسير لكل النظريات الحديثة والمستحدثة في العالم الغربي وخاصة ما يتعلق بالتاريخ الإنساني وتاريخ الأمم على مر العصور .

ان في سيرة الرسول ﷺ ومناهج حياته وعاداته وعلاقاته مع الأقرباء والأصدقاء والأعداء ما يغني دراسات الاقتصاد والسياسة والفلسفة والعلوم الإنسانية التي يمكن دراستها بالمقارنة مع العلوم المعاصرة . كما أن في الآيات الفضائية والفيزيائية والاستدلالات بحدوث تاريخ الأمم شيئا مختلفا تماما عما نلاحظه في النظريات الحادثة . إن كثيرا من العاملين في المجال الإسلامي رغم أنهم يأترون بأمر الدول التي تطلق على نفسها بالإسلامية، يحدهم الأمل في تحقيق شيء ما ولكنهم لا يحققون إلا القليل من التقدم في سعيهم لتحقيق الأهداف العامة ولا يساوي كلامهم في كثير من الأحيان مجهوداتهم. وليس السبب بخاف على أحد حيث توضع لهم قواعد للعمل ولكنهم لا يعرفون ما المطلوب عمله . وهذا شيء مؤكد طالما أنهم لا يعرفون ماذا يريدون أصلا فانهم لا يعرفون ماذا يصنعون أو ماذا يفعلون.

فأول واجب يقع على عاتقنا كمسلمين إذن هو ببساطة متناهية وبإجابة محددة وواضحة ليس فيها لبس ولا غموض واجبنا المقدس هو معرفة قواعد ديننا ومدارس أفكارنا النابعة من كتاب الله العظيم و الثقافة الإسلامية المترجمة خلال السنوات الثلاث والعشرين التي نزل فيها كتاب الله تعالى ومن خلال سنة نبي الله الكريم والمؤرخة في كتب التابعين من رواة الأحاديث وعلماء الأمة في شتى ميادين المعرفة في مقاصد الشريعة والفقه الإسلامي. فلقد مرت قرون طويلة بعد الالتحام التاريخي للأمة بروادها الأوائل ذلك الالتحام الذي وثقته العقيدة الإسلامية قبل أن تبثلي الأمة بالاعتداءات الفكرية والثقافية من الغرب والشرق .

وللمعرفة في الاسلام مناهج أو عناصر ثلاث لا بد من أن تكون دليلا لكل مشارك في العملية التربوية الثقافية والتراثية مع قدوم الألفية الثالثة وهي :

المنهج الأول : معرفة الله سبحانه وتعالى ووحدايته ومقارنة تلك المعرفة بعقائد الأديان الأخرى.

المنهج الثاني : معرفة كتاب الله سبحانه وتعالى (القرآن الكريم) وسنة نبيه الكريم ومقارنة ذلك بكتب الديانات الأخرى وأنبياؤها وتلاميذها.

أما المنهج الثالث للمعرفة في الإسلام فهي معرفة الشخصيات الإسلامية التي كان لها الأثر الفعال في حمل الرسالة من الصحابة والتابعين وعلماء الفكر ومقارنتهم بشخصيات الأديان الأخرى وعلماء فكرها التي ظهرت في التاريخ.

إن الواجب الملقى على عاتق علماء المسلمين اليوم وقد دلفنا عتبة الألفية الثالثة كعرب وكمسلمين ، هو التوكيد على الشخصية المطمئنة المتفائلة ، والتوكيد على أهمية العقيدة والفكر والمنهاج في احترام الذات وإنشاء مدارس فكر متميزة بأخلاق إسلامية تحترم قدرات الإنسان ومهاراته وكفاءته كفرد فعال في أسرة سعيدة مترابطة وتحترمه كفرد عامل في مجتمع العدالة ومجتمع السعادة ، ومجتمع الأمان والرفاه ، وتحترمه كمواطن صالح أو مواطنة صالحة لا يقلون عن غيرهم في المساهمة في بناء صرح بلادهم وبناء صرح العالم الجديد من خلال ذلك الاحترام بالانتماء في عصر العولمة والتحديات التي يفرضها على التراث الحضاري .

SOCIAL PROGRESS IN THE ARAB

AND MUSLIM NATIONS

واقع التقدم الحضاري في العالمين العربي والاسلامي

ان تقسيم العالم اليوم بين عالم أول وثان وثالث هو تقسيم غربي عشوائي استعماري أحادي النظرة اعتمد على متغيرات معينة مثل التصنيع واستخدام الآلة والمادة مقياسا للحضارة، بل اعتبر الدخل السنوي للأفراد أفضل المقاييس للتقدم الحضاري بشكل عام ، وتعتبر هذه التسمية بعض الصعوبات من ناحية التعميم حيث توجد بعض الدول في هذه التقسيمات وفيها مميزات من دول التقسيمات الأخرى. اذ ليس هناك شعب يخلو من التصنيع. أما بالنسبة لمبدأ

الدخل الفردي كما يحسب عالميا (وهو قسمة الدخل الوطني على عدد أفراد البلد) فاننا نجد أن دولا عربية وإسلامية تتقدم على جميع الدول في التقسيمين الأول والثاني مع الثالث. ومن هذه الدول: قطر والسعودية والإمارات العربية والكويت وبروناي. فما هي المؤشرات أو المقاييس التي يمكن فيها تقييم التقدم الاجتماعي في الدول؟

في الحقيقة ان لكل شعب من الشعوب مميزاته سواء أكان من دول العالم الأول المتقدم كأمريكا وبريطانيا وفرنسا واليابان وأستراليا أو كان من دول العالم الثاني كروسيا وما لف لهما. أو دول العالم الثالث فلكل مميزاتها الخاصة بها . وهذه المميزات سواء كانت الدولة متقدمة صناعيا أو متأخرة فانه يصعب تحديد مؤشراتنا التي تدل على التقدم والتطور والتنمية. وان كان هناك اجماع جزئي لبعض العلماء على اعتبار بعض هذه المؤشرات كأساس لتقويم الدول والشعوب.

مؤشرات قياس التقدم الاجتماعي: تتضمن مقاييس التقدم الاجتماعي مؤشرات مشتركة تعارف عليها في الدول المتقدمة تكنولوجيا وصناعيا ومنظمات هيئة الأمم المتحدة كاليونسكو والبنك الدولي والمنظمات التي لها علاقة بالتنمية الاقتصادية. وكلها تشير الى الناحية الاقتصادية. ومن هذه المؤشرات: دخل الفرد السنوي وعدد الاميين فوق 15 عاما، أو عدد المستشفيات ، أو عدد التلفونات أو مدى طول طرق المواصلات وعدد المركبات في النقل العام ومتوسط الدخل السنوي للأفراد. كما احتوت مقاييس أخرى منها: الأمية بشكل عام ، الحياة التوقعية عند الولادة ، أو نسبة الوفيات. وقام آخرون بإضافة عدة مؤشرات تخص جوانب الحياة السياسية (عدد المنتخبين ومقاييس الحرية والأحزاب السياسية) أو الاجتماعية (نسبة الزواج والطلاق) أو الاقتصادية (التصدير والاستيراد) أو جوانب التقدم التكنولوجي والصناعي (التبادل التقني) . الا أن كل هذه المقاييس لا تشير فعلا الى مستوى التقدم البشري الاجتماعي والمعيشي عند المجتمعات المختلفة . وقد لاقت هذه المقاييس مشاكل لا حصر لها من الناحية النظرية (كتعريف المفاهيم) والناحية المنهجية (كالقياس والتحديد) . وما زالت المحاولات جارية لأيجاد أفضل الوسائل والسبل والمقاييس لقياس التقدم الاجتماعي. ويمكن تلخيص هذه المحاولات فيما يلي:

1. القياسات الاقتصادية كالدخل الفردي مثلا.
 2. القياسات الاقتصادية الاجتماعية كمحاولات هيئة الأمم في تجميع عدد من المؤشرات وحسابها أحصائيا مثل الأمية وعدد المدارس ووفيات الأطفال والعمر التوقعي .
 3. القياسات النفسية كقياسات السعادة والأمل والأمن والسرور والخوف.
 4. قياسات تضم مزيجا من المؤشرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. (ومنها مقياس المؤلف للتقدم الحضاري للدول الإسلامية-يحيى 1989، ويضم عشرة متغيرات تمثل جوانب الحياة الاجتماعية وقد تطرق الى بعضها في هذه الدراسة)
- وبما أن كثيرا من هذه المؤشرات يفتقها الكمال حيث إن المعلومات عند عدد لا يستهان به من الدول العربية خاصة ودول العالم الثالث عامة لا تتوفر لعدم توافر الوسائل لجمع المعلومات المرادة وان كانت وكالات هيئة الأمم تقوم بتقديراتها (العلمية أحيانا) الا أنها بعيدة عن الحقيقة الواقعية للتقدم الاجتماعي في هذه الدول. ولا تعكس هذه التقديرات ما تتمتع به الدول من تقدم أو تأخر فعلي لنقص بعض المتغيرات الزمانية أو المكانية أو السياسية أو الاقتصادية وهكذا. وللعالمين العربي والإسلامي مميزات حسب هذه المؤشرات .

مميزات العالمين العربي والاسلامي الاجتماعية: يمثل العرب من ناحية العدد السكاني سبع (1/7) شعوب العالم الاسلامي أما من ناحية امتلاك الثروة فهم يمثلون ثلاثة أرباع (3/4) ثروة العالم الاسلامي مع الأخذ بالاعتبار ثروات الدول النفطية. كما أن متوسط الدخل الفردي للعربي يساوي ثلاثة أضعاف الدخل الفردي في الدول الاسلامية غير العربية. مع وجود اختلاف في هذه النسب بين الدول العربية والاسلامية نفسها. ومن مميزات العالمين العربي والاسلامي التي تؤثر سلبا أو ايجابا في استمرار حضارتها ما يلي:

زيادة السكان: يشارك العالم العربي غيره من البلاد الاسلامية في ظاهرة تزايد السكان. وان كان يعتبر أقل تزايدا من الدول الأفريقية مثلا الا أنه ما زال بعيدا عن تحقيق زيادة الصفر السكانية التي وصلت اليها بعض الدول الأوروبية المتقدمة كالسويد والدنمرك. ويتفاوت حجم السكان في هذه الدول (كما في الجدولين أدناه) وقد وصل حجم السكان في العالم العربي الى 193 مليون نسمة في عام 1985 وباستمرار النمو الحالي للسكان (أي بمعدل زيادة النمو 2.69) فان حجم السكان سيصل الى 289 مليون نسمة في عام 2000 وفي عام 2025 من المتوقع أن يزيد على 467 مليون نسمة. أما عدد السكان في الدول الاسلامية فقد تعدى البليون قبل خمس سنوات ويتوقع أن يرتفع العدد بنسبة 2 و69 في المائة، فهل ستزيد القوة الانتاجية والمصادر الطبيعية لتكفي هذا العدد الهائل من البشر؟ وما هي خطط الدول لحل هذه المشكلة في السنوات العشرين القادمة؟

البلد	السكان (بالمليون-1985)	المساحة (ميل مربع)	الكثافة السكانية (كم مربع-1983)
أفغانستان	14.7	250000	30
الجزائر	22.2	950000	8
البحرين	0.4	230	585
بنغلادش	101.5	55000	616
تشاد	5.2	496000	4
اندونيسيا	168.4	736000	78
ليبيا	4.0	679000	2
السعودية	11.2	900000	4
تركيا	52.1	296000	58

المصدر: حسن يحيى، تحليل مقارن للتغير الاجتماعي في العالم الاسلامي، مطبعة جامعة ميشيغان-أن آربر، 1992. ص.52.

مؤشرات اقتصادية لبعض الدول الاسلامية (1981-1983)

البلد	التصدير	الاستيراد	الدخل السنوي (بليون \$)
الدول المصدرة للنقط			
الجزائر (1983)	12.90	12.10	1951
البحرين (1982)	3.20	3.30	9284
الكويت (1982)	15.70	6.70	16500

6900	2.70	4.40	عمان (1982)
35000	1.90	4.50	قطر (1982)
18344	35.20	119.80	السعودية (1981)
23000	8.30	15.40	الإمارات (1983)
الدول غير المصدرة للنفط			
119	0.71	0.78	بنغلادش
350	6.00	2.60	باكستان
1000	9.20	5.70	تركيا
686	8.30	3.50	مصر
560	20.00	19.00	اندونيسيا

المصدر: حسن يحيى، تحليل مقارن للتغير الاجتماعي في العالم الإسلامي، مطبعة جامعة ميشيغان-أن آربر، 1992 ص.62.

2 حادثة الاستقلال السياسي: يعتبر العالم الإسلامي (ومن ضمنه العالم العربي) حديث عهد بالاستقلال السياسي عن الغرب ، فتاريخ معظم دوله القصير كان قد بدأ في الربع الأول من القرن العشرين حيث لم يزد عدد الدول المستقلة في عام 1950 عن اثنتي عشرة دولة مفصلة في الجدول التالي:

اسم الدولة	سنة الاستقلال
اندونيسيا	1949
باكستان	1947
الأردن	1946
سوريا ولبنان	1943
العراق	1932
السعودية	1925
مصر	1922
تركيا وإيران وأفغانستان	1775

أما الدول الحديثة العهد بالاستقلال فهي: بنغلادش 1971، اليمن الجنوبي 1967، الجزائر 1962، سيراليون والكويت 1961 والصومال والسنغال ونيجيريا وموريتانيا وتشاد والكاميرون 1960 وماليزيا 1957 وتونس والسودان 1956. ودولة بروناي (1984) .

3. معدلات الأمية: يمكن تعريف الأمية بأنها معرفة القراءة والكتابة وفهمها في لغة معينة وحسب معلومات اليونسكو فان الدول التي تعم فيها الامية حتى عام 1984 الى درجة تقرب من 70% بين الذكور فقط وممن هم فوق سن 15 سنة وهي: الصومال 97%، اليمن الشمالي 95%، جيبوتي 95%، غامبيا 91%، عمان والسنغال 90% ، أفغانستان 81%، تشاد وبينين 88%، باكستان والسودان ونيجيريا 75%، وبنغلادش والمغرب والعراق وليبيا 64-66%.

4. الحالة الصحية: تقاس الحالة الصحية أحيانا بعد الوفيات في بلد ما لمن هم دون السنة الأولى وقد يضاف لها نسبة الوفيات من الأمراض المعدية للكبار. ورغم أن كثيرا من

الوفيات في العالمين العربي والاسلامي تقع تحت بند (الله أعلم) أي غير مسجلة، الا أن عدد وفيات الاطفال تحت سن السنة الواحدة كبير . والرقم المعطى هو عدد وفيات الاطفال لاقبل من سنة لكل الف طفل مولود. وتقوم الفرضية على أنه كلما زاد عدد وفيات الاطفال ساعات الحالة الصحية في البلد المشار اليه. وبعبارة أخرى فان الحالة الصحية في بلد ما تعتمد على نسبة وفيات الأطفال فيها . ورغم ما يعترض هذا المؤشر كدليل على مستوى الصحة الا أنه اعتبر مقياسا عالميا لقياس التقدم الصحي الى جانب الامية. ويزيد عدد وفيات الاطفال في عدد من دول العالم الاسلامي عن مائة طفل لكل ألف مولود. فمثلا في الغابون 229 طفلا، النيجر 200 طفلا، موريتانيا 187 طفلا، افغانستان 187 طفلا، الصومال 177 طفلا، المغرب 150 طفلا، بنغلادش 139 طفلا، ليبيا 130 طفلا، باكستان وتونس واندونيسيا 125 طفلا ، السعودية 118 طفلا، وبنين وايران 108 طفلا.

وتوجد هناك مؤشرات اتفق عليها دوليا لقياس المستوى الصحي في الدول. وان كانت هناك اعتراضات على هذه القياسات الا أنه لا يوجد بديل لها حتى الآن . لذا فانها تعتبر كافية حاليا. ومن هذه المقاييس طول الحياة المتوقعة عند الولادة، وعدد وفيات الأطفال في السنة الأولى ، و النسبة بين عدد الأطباء وعدد السكان الذين يخدمونهم أو نسبة عدد السرير في المستشفيات وعد السكان في منطقة ما.

أ. فترة الحياة المتوقعة عند الولادة: وهذا مؤشر يعني أن توقعات الحياة لمن يولد حديثا بأنه سيعيش مدة معينة تبعا للتقدم في المستوى الصحي وتوفير الحاجات الأساسية للإنسان في بلد ما. وفي الوطن الإسلامي وصل معدل السن المتوقع الى 58 في عام 1985 بينما كان في عام 1965 48 سنة . ومن المتوقع أن يصل الى 64 سنة في عام 2000 نظرا للتقدم التكنولوجي للأجهزة الصحية وزيادة برامج الوقاية ورفع نسبة المتعلمين في هذه البلاد.

ب. معدل وفيات الأطفال: يعرف هذا المؤشر بأنه عدد الوفيات في كل ألف ولادة للأطفال أقل من سنة. وكلما زاد العدد في بلد ما ساعات الأحوال الصحية فيها والعكس بالعكس، أي اذا قل عدد وفيات الأطفال في بلد ما تحسنت فيها المستويات الصحية. وقد وصل معدل وفيات الأطفال في العالم الإسلامي الى 138 وفاة في الألف في عام 1965 ثم انخفض هذا العدد الى 96 وفاة في الألف في عام 1985. ومن المتوقع أن يصل الى 73 وفاة في عام 2000. وبمقارنة هذا المؤشر مع الدول الصناعية المتقدمة فان المعدل فيها يصل بين 15 و 8 وفيات في الألف.

ج. عدد الأطباء: هناك فرضية تقول كلما زاد عدد الأطباء في بلد دل ذلك على تحسن الشؤون الصحية في ذلك البلد. وما زال هذا المؤشر هو أضعف المقاييس للمستوى الصحي. خاصة في كثير من الدول التي تعتبر مراجعة الطبيب أمر غير مقبول اجتماعيا لأنه يتصور أن من يراجع الطبيب ينقص قدره اجتماعيا أو لعدم ثقة البعض بقدرة الطبيب أمام قدرة الخالق الذي يعطي ويأخذ. وقد كانت النسبة في عام 1985 كان المعدل السكاني لكل طبيب في العالم الإسلامي قد وصل الى 4100 من السكان بينما كان 11800 في عام 1965.

5. مستويات الدخل الفردي: وان كان للفقر عدة مؤشرات الا أننا نورد هنا نسبة الشعوب المثوية التي تقع تحت عنوان (الفقر المدقع) في عام 1985. حيث توجد أعلى نسبة فقر في سبع دول اسلامية وتصل النسبة ما بين 70-75% وهي: بنغلادش وبنين وتشاد ومالي والصومال وغينيا وفولتا العليا. كما تقع ثماني دول ما بين 36-68% . أما بالنسبة للدول العربية فهي أحسن حالا من شقيقاتها الاسلامية حيث سجلت أعلى نسبة فقر في الصومال

75% ، والسودان 43%، وموريتانيا 34%، والمغرب 21% ، والاردن 19% ، والجزائر 15%، وعمان 14%.

6. التفاوت في الملكيات الخاصة: وهذا المؤشر الاخير حيث تتحكم فئات قليلة العدد يطلق عليها الخاصة في الممتلكات والموارد الطبيعية دون العامة ، ويعتبر هذا المؤشر تقديريا الا أنه مناسب كمقياس الغنى والفقر وغياب العدل والمساواة الا ما ندر في هذه الدول. وان كان لا يخلو مجتمع غربي أو شرقي من وجود الفوارق في هذا المؤشر الا أنه ملاحظ في العالمين العربي والاسلامي وكأنه طبيعي مقدس لا يطاله عالم ولا جاهل. واتهم الواضع اصبعه عليه أو الداعي لدراسته بالخروج عن التقاليد وأحيانا بالاتهام بالكفر أو الحرمان من ريع هذه المصادر بتجريد الداعين للعدالة من وظائفهم أو ملاحظتهم في قوتهم واتهامهم بالباطل من أهل الباطل وأهل الحق على قدم سواء حتى يركعوا مع الراكعين . والجدول التالي يبين الفروق بين ما تملكه الخاصة وما تملكه العامة من موارد ومصادر الدولة في العالمين العربي والاسلامي.

البلد	نسبة الملكية الخاصة	نسبة ملكية العامة
العراق	54.7%	5.5%
تركيا	49.8%	6.5%
ماليزيا	39.6%	10.6%
تونس	37.3%	11.4%
مصر	31.1%	14.1%

جمعها المؤلف من مصادر مختلفة .

7. زيادة الهجرة من الريف الى المدن: ومما يزيد من المشكلة السكانية في أي دولة هو عدم التخطيط للهجرة من الريف الى المدينة وهو عنصر هام في التخطيط للخدمات التي تقدمها الدول لمواطنيها. بالاضافة الى أن الكفاءات المهاجرة من الريف الى المدينة قليلة التعليم والخبرة مما يزيد من عدد العاطلين عن العمل ومن ثم يزيد الفقر وما يؤدي من جرائم اجتماعية واقتصادية. وقد زادت الاعداد المهاجرة في البلد الواحد الى الضعف بين عامي 1965 و1985. وفيما يلي جدول يبين هذه الزيادة في أقطار العالم العربي وهي تتماثل مع عدد من الدول الاسلامية.

عناصر تخطيط التنمية في الدول النامية: في البدء ، لا يمكن فصل الماضي عن الحاضر في دراسة تطور الدول وتقدمها أو تأخرها. فالحاضر هو نتاج الماضي والمستقبل هو نتاج الحاضر وهكذا. بمعنى أن لكل تطور سبب يد عو اليه ويسيره. وقد اعتاد المخططون في الدول النامية ومن ضمنها العديد من الدول العربية والاسلامية أن يكونوا محددين بزمان ومكان معينين. فبالنسبة للزمان كانت خططهم أنية أو قصيرة الأمد أما بالنسبة للمكان فقد كانت خططهم محدودة جغرافيا بركة من الأرض سميت بالدولة المستقلة لتخدم أهلها وتستغل مصادرها.

مستوى التنسيق وأهميته: من الناحية النظرية فان الكثير من المعاهدات والاتفاقات والداستاتير في الدول العربية والاسلامية تنص على أهمية التنسيق والتعاون بين الدول ومؤسساتها في شتى المجالات. ولكن على أرض الواقع فان تطبيق ما تنص عليه هذه المعاهدات والاتفاقات والداستاتير تشوبه عدة نواقص منها: التنسيق بين هذه الدول ومؤسساتها الاقتصادية وتحديد أهداف هذه المؤسسات بحيث لا تتعارض أهدافها فتقع في الافلاس السياسي والاقتصادي.

فمثلا هناك المئات من المنظمات التي تتراوح مستويات نشاطاتها بين المنظمات الصغيرة على مستوى الدولة ، وبين المؤسسات والمنظمات الكبيرة على مستوى الدول في التجمعات والروابط والاتحادات. فهناك ما يسمى بجامعة الدول العربية ولها مؤسساتها الاقتصادية.

جدول معدلات النمو الحضري في العالم العربي
نسبة سكان الحضر الى مجموع السكان

القطر	1965	1985	2000
الاردن	47	64	70
تونس	40	57	66
الجزائر	-	43	76
السعودية	29	72	82
السودان	13	21	42
سوريا	40	50	64
العراق	50	71	83
لبنان	50	80	87
مصر	41	46	57
المغرب	22	45	55
موريتانيا	07	35	66
اليمن الشمالي	06	20	22
اليمن الجنوبي	30	40	51

حامد عمار، العوامل الاجتماعية في التنمية البشرية، الصدوق، عدد 12، يناير 1988، ص. 18.
والاعلامية والاجتماعية، وهناك ما يسمى برابطة العالم الاسلامي ومؤسساتها الاقتصادية والاعلامية والاجتماعية ، وهناك ما يطلق عليه الاتحادات الاقليمية كالتعاون الخليجي والعربي والمغربي ، وهناك منظمة الدول الأفريقية، وهناك منظمة دول عدم الانحياز، وهناك منظمات اليونسكو العربي واليونسكو الاسلامي واليونسكو الدولي التابع لهيئة الأمم. وهناك غرف التجارة العربية وغرف التجارة الاسلامية، وهناك منظمات المدن العربية والمدن الاسلامية ومثلها كثير مما يخلق تداخلات سياسية تؤدي الى نجاح أو فشل هذه المؤسسات وتضارب أهدافها. وان كانت لهذه المنظمات والهيئات والاتحادات أهداف واضحة الا أنها تتعارض فيما بينها في التطبيق للوصول الى الأهداف المحددة التي تسعى اليها. الا أن هناك حدود للمعرفة عند عامة البشر بشكل عام وعند العلماء بشكل خاص.

حدود المعرفة عند عامة البشر

Human Knowledge Limitation

إذا عرف العلماء حقيقة معرفتهم المحدودة والمعرفة الالهية غير المحدودة كانوا أقرب الى فهم الواقع الانساني وأقدر على دراسة المجتمع واصلاحه ليس كما يشتهون أو ينظرون وانما كما يجب أن يكون عليه الحال من تغير اجتماعي فرضته عوامل تستحق الدراسة والتمحيص من أجل السير بالمجتمع الى بر الأمان. والدين كما نعلم مؤيد للنظر العقلي في السماء وفي النفوس. ولا يلام الدين لانحراف البشر عن اتباعه ولكن يلام البشر لسوء استغلالهم للدين

لمنفعتهم الدنيوية التي لا تزول الا بزوال نوعهم ، حيث تزيدنا هذه المعلومة معرفة في معالجة الأمور وتسييرها.

حدود المعرفة عند العلماء: يقف العلماء موقف الحائر حين ينظرون الى الأحوال الاجتماعية والمشاكل التي تسود مجتمعاتهم. ويمكن تقسيمهم في هذه الحالة عقليا وعاطفيا بين أمرين أحدهما العمل لحل هذه المشاكل وبين التفرج عليها نظرا لعدم مقدرتهم على حلها أو لوجود عوائق تعيقهم عن حلها. ومع أن التفرج عليها وعدم المشاركة في حلها يخرج العلماء من دائرة العلماء الفاعلين فاننا نلقي الضوء على التقسيمين العقلي والعطفي . فمنهم فريق يريد النظر الشامل الى المشاكل بمسبباتها ثم وصفها واستخلاص قواعد لاصلاحها بطريقة علمية مدروسة. ويكون عادة هذا الفريق من العلماء حيادي النظرة والعمل من أجل اصلاح المجموع دون تدخل للعاطفة فيما يصلون اليه من نتائج. أما الفريق الآخر من العلماء فيفكر بعاطفته ، ويرى أن الأخلاق بشكل عام تحيد عن مثاليات المجتمع النابعة أساسا من الدين والأعراف السماوية. ورغم أن عاطفتهم تقودهم كثيرا نحو الاصلاح الاجتماعي ، الا أن العاطفة دون تحكيم المنطق في تفهم أمر من الأمور الحياتية على المستويين الفردي والاجتماعي تسيئ أكثر مما تفيد في حل المشاكل وان اعتقد أنها حلت جزئيا ووقتيا. فالمبدأ الأول يحتاج الى طويل وقت أما مبدأ العاطفة فسرير القرار وقصير النظر. ولعل خبرة العلماء في الغرب قد مرت في عدة مراحل سواء المراحل العاطفية أو العقلية في حل المشاكل الاجتماعية أو الاقتصادية الا أن كليهما يمكن أن ينبعا من مصدر واحد وأن يصبا في بوتقة واحدة واتجاه واحد. وهو اصلاح الأحوال الاجتماعية السائدة وتسييرها الى ما يمكن أن يطلق عليه الأحوال الاجتماعية المتوقعة في المجتمع السليم بشكل عام. وليس العلماء العرب أو العلماء المسلمون بمنأى عن طرق أو مناهج تفكير العلماء الآخرين في الغرب أو الشرق في احساسهم بمشاكل عصرهم ومجتمعهم. فهم وان تتلمذوا على المناهج الغربية سواء في جامعات الشرق أو الغرب فهم انما يمتثلون مجتمعاتهم وقيمها وعاداتها وتقاليدها. وليس نقد التقاليد السائدة أو الواقعية يخرجهم من دائرة الاصلاح المبتغى الوصول اليه أو من دائرة العمل من أجل اصلاحه. واذا كان العلماء الغربيون - كثير منهم - قد خرجوا من مشكلتهم الرئيسية في طرق ومناهج لتثبيت الواقع السيئ فان قليلا منهم من استطاع الغوص في أعماق الأشياء بطريقة علمية ليصل الى سرها وأسباب ظهورها. وواجب العلماء العرب المسلمين أن لا يقعوا في مثل ما وقع فيه العلماء الغربيون من التسليم بالواقع ودعوه والعمل على استمراره. وأن ينصب واجبه على أن يتقوا الله فيما يصنعون وأن لا يهادنوا الشر وان كان سائدا مقبولا. ففي تاريخهم المجيد ما يثبت أنهم بالاسلام سادوا العالم المعروف في زمانهم بين القرنين السادس والثاني عشر. ولذلك فان المثالية موجودة في الكتب السماوية وصلاح المجتمعات انما يقاس بمدى أخلاقيات المجتمع بشكل عام. وليست عند العلماء المسلمين مشكلة المثاليات كما كانت عند العلماء في الغرب. وعليهم في هذا المقام أن يواجهوا مسؤولياتهم أمام نبذ الأخلاق الدينية كما هو الحال في تقليد المظاهر من الغرب أو النظر في الواقع كانه انحراف عن الأصل الديني. وعليهم أن يفهموا الطبيعة البشرية الميالة الى الشر كما هي ميالة الى الخير ، وأن يعوا الظروف المعاشية للبشر التي توجه الكثير من تصرفات البشر نحو الشر وان قصد بها من وجهة نظر الموجهين أنها تصرفات نحو الخير. أما بالنسبة للمحنى العقلي والمنطقي في وصف الأشياء وفهمها وتفسيرها انما هو أمر من أصول الدين. فمثلا: وجدت حقيقة الأيمان بالله مع مبعث الرسالة المحمدية وقابلتها

وكانها حقيقة مضادة لفكرة الكفر بالله واتباع ما كان عليه الآباء من دين وهي فكرة معارضة لفكرة الايمان بالله وحده. وقد بدأ كل من الفريقين الداعي الى عبادة الله والداعي الى عبادة غير الله يتنافسان على الدنيا والآخرة. رغم أن الداعي الى الايمان كان يدعو للدنيا والآخرة والفريق الثاني كان يدعو الى الحياة الدنيا فقط الا أن الحقيقة التي أحرزت الفوز هي حقيقة الايمان. وبناء على انتصارها وتثبيت منهجها سادت العالم الوسيط وما زالت بقاياها الى الآن رغم تقهقرها في العصر الحاضر. ولعل نظرة عبر التاريخ في مسببات النهوض بالمجتمع الاسلامي ومسببات تدنية تعطينا بعض الملاحظات حول مسارات الشعوب نحو الخير أو نحو الشر. بمعنى آخر نحو الدين أو نحو الدنيا أو نحوهما معا. هذه الملاحظات قد تنير للعلماء المسلمين طريقهم في فهم المشاكل المعاصرة في مجتمعاتهم دون اللجوء الى نظريات غربية نابعة أساسا من منبع الانحراف عن الدين والأخلاق أو اللجوء الى نظريات اشتراكية أهملت الجانب العقيدي وأبدلته بالجانب الأيديولوجي وما يلحقه من اعطاء العامل الاقتصادي أهمية على العامل الاجتماعي مما رجح كفة المادية على الروحية في التعامل بين الناس في السياسة أو الاقتصاد في حياة الناس. ورغم أن في بعض النظريات الغربية عن الانسان بعض الثمار يجب أن لا ننسى أن مبادئها يتنافى مع المبدأ الاسلامي أساسا. ففيه قضية الشك في خلق الانسان من قبل اله واحد ، والايمان بأن عوامل الطبيعة قد خلقتة دون مساعدة من أحد ، واستمراره لأنه الأقوى جسميا وعضليا أو الأكثر مالا وقوة وعددا ، أو أنه تتاسل وتطور من أصل حيواني كما تدعي الداروينية . فكل هذه الفرضيات والنظريات ما يخرجها من حيز القبول من الناحية الأخلاقية أو الدينية التي هي أساس اعتماد العلماء المسلمين. وليس فهم هذه النظريات أو تطورها بما فيها من المنطق أو تطبيقها ينال من الأخلاق الدينية شيئا ولكنها تساعد على المنطق الجدلي لمعرفة الحقيقة التي هي في حدود الانسان وحدود معرفته وعقله. وهنا المقصود بالمنطق الجدلي للمعرفة المبني على التجربة والمشاهدة. حيث أن كثيرا من التخيلات الدينية البعيدة عن الواقع الملموس والتي يقع حولها الجدل كخلق الله ووجود الجنة والنار كلها أمور يقف العقل عاجزا عن مشاهدتها وتطبيق مبدأ المشاهدة والملاحظة عليها ، لذا فهي خارج دائرة البحث العلمي الواجب اتباعها وتطبيقها فيما يرى أو يشاهد حسب الطريقة العلمية في دراسة الأسباب والنتائج. وحقيقة المعارف الدينية ينبع من الايمان بها وتصديقها دون محاولة الشك فيها أو مناقشتها وهنا يجب الفصل بين حدود المعرفة الإنسانية والعلم الألهي فالأول محدود زما وحيزا والثاني لا حدود تحده ويدخل في حيز التنزيه للذات الالهية وصفات الله وجوده.

إذا طبقنا نظرية الاعتماد والاستقلال السياسي الحديث والحدود الزمانية والمكانية فان وصفنا للتفكير العربي يكون قريبا الى الصواب. بمعنى أن تفكير العرب في المنظمات العربية هو أضيق حدودا من ناحية جغرافية من التفكير الاسلامي في المنظمات الاسلامية. وكذلك يصح القول عن محدودية أهداف مجالس التعاون مقارنة بأهداف الاتحادات أو المنظمات الأوسع على المستويات العربية والاسلامية. وهذه المستويات أقل حدودا إذا ما قورنت بهيئات ومنظمات الأمم المتحدة الإقليمية والعالمية. وعلى الدارسين أن يكونوا على وعي ودراية بمستويات التحليل عند دراسة هذه المؤسسات والمنظمات والدول. ومن هنا يمكن القول أن التعارض الوظيفي والاعلامي والنفسي يقلل من فرص نجاح هذه المنظمات في تحقيق أهدافها المرسومة خاصة وأن الوسائل بين هذه المنظمات تختلف بالإضافة الى اختلاف فرص التعاون والتبادل والخبرات المتاحة لكل منها لتحقيق أهدافها. ولنضرب مثلا في

المجال الاقتصادي. فمن المعروف أن هناك دراسات جدوى اقتصادية للمشاريع تكون محدودة لبلد معين يتخطاه أحيانا واضعو المشاريع فمثلا يقام مصنع في بلد ما لها سوق صغير ومحدود. فاذا حاولت الدولة تخطي هذه الحدود بفتح أسواق جديدة فان نشاطات ذلك المصنع تقف عند حد استهلاكها لم يؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة الجدوى. وقد يعود ذلك الى وجود مصنع مشابه في البلد المجاور. فتصطدم المصالح مما يؤدي الى افلاس واغلاق أحدهما أو الاستمرار في محدودية الانتاج ومحدودية الرقعة الاستهلاكية. وهناك مثل آخر وهو ترجمة المسلسلات والأفلام الأجنبية في الدول العربية حيث لا يوجد تنسيق أو مؤسسة عامة تقوم بالترجمة وتوزيعها على الأعضاء وما زالت كل محطة تقوم بترجمة الحلقة الواحدة أو الفلم الواحد وحدها دون الاستفادة من ترجمة المحطات الأخرى وفي ذلك اهدار للوقت والمال. وحسب علمي لم تقم مؤسسات جامعة الدول العربية أو مؤسسات المؤتمر الاسلامي بتنسيق ذلك. واذا صح هذا فما على المنظمات الاقتصادية الا أن توسع مداركها فترسم حيزا جغرافيا أو ديموغرافيا لكل مشروع صناعي تقوم دراسة الجدوى بأخذه بعين الاعتبار. فمثلا تستطيع مجالس التعاون العربية في الخليج وبلاد النهرين والمغرب رسم ذلك الحيز دون حاجة الى المنافسة على الأسواق الاستهلاكية. ولكن وان وجد هذا التفكير على الورق الا أن فرصة تنفيذه بالفعل تلاقى صعوبات فنية وشكلية منها على سبيل المثال لا الحصر: عدم تواجد الكفاءات الضرورية للنهوض بالمشروع وهذ الكفاءات عادة ما تكون مبعثرة في داخل العالم العربي وخارجه. ومنها أيضا قلة فاعلية الإدارات المناط بها تنفيذ المشاريع على مستوى أشمل وأكثر فاعلية. ومنها شح المصادر الطبيعية أو سوء المواصلات البرية والبحرية والجوية، ومنها أيضا عدم التخطيط للمستقبل البعيد نظرا لعدم وجود مراكز ومعاهد أبحاث علمية لتخريج دفعات متخصصة لسد حاجة هذه المشاريع المتطورة والاسهام في انجاح هذا التطور. فلكل بلد منها اهتمامه الخاص بمواطنيه أولا قبل تخطي الحدود الاقليمية والزمانية والمكانية. لذا لن تقوم لهذه المشاريع المحدودة قائمة حتى يوسع المخططون لها مداركهم في استقطاب الرواد والمتخصصين في كل مجال لايجاد قاعدة تتسع مع الزمن لتشمل مجالس التعاون كلها أو أي مستوى آخر عربيا كان أم اسلاميا أم دوليا. ويمكن أن تكون الحال منناحية نظرية عند قيام المشاريع الاسلامية فتواجه المشاريع فيها نفس ما تواجهه الدول العربية أو الاتحادات الاقليمية.

هذا ما كان من ظهور العولمة ودراسة الظواهر الاجتماعية كالعولمة التي ارتبطت بالتصنيع والتراث الذي ارتبط بالتغريب الفكري والأخلاق التي ارتبطت بالسوق والتجارة في أوروبا والغرب ، والشرق العربي بحاجة إلى علم اجتماع عربي أو إسلامي يمكن أن يقوم بتحليل التغير الاجتماعي والفكري والحضاري الذي يعصف بالشرق العربي وعلاقة ذلك بالعولمة ، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، وتحولات عصر العولمة التي تسيطر على الإنسان أينما كان عقلا وجسدا وطموحات ، وهل هناك نهضة بحوث علمية تكون محايدة نظرية وتطبيقا من أجل وضع الحلول لأصحاب القرارات السياسية لخدمة أهداف المواطنين ؟ ربما !

ولكن لا بد من معرفة وإتقان النظريات الحديثة في الإدارة التي تعتمد على المنطق في التخطيط والتنفيذ والتأهيل الوظيفي وإعادة التخطيط السليم . وتغيير النظرة الأحادية تجاه الأشياء واحترام التعددية والإصغاء للطرف الآخر وأخيرا التعايش السلمي مع النفس والمجتمع والعالم .

إشكاليات الحرية وروح القانون Freedom and Spirit of Law

تعتبر أزمة الحرية في المجتمعات التقليدية من أهم المواضيع الجدلية في الحياة الثقافية العربية اليوم . والأهم من ذلك، أن الخلاف الكبير بين الشرق والغرب يدور جزء غير يسير منها حول إشكالية الحرية، ففي الغرب يعتبر الحل الإسلامي في جميع صورته وتنويعاته، معاد للحرية. مما يجعل الخلاف يأخذ أبعاداً مهمة بناء على ذلك التصور . خاصة عندما يصور البعض التغريب بوصفه سبيلاً يحتذى لممارسة الحرية، مما يشكل تهديدا للتراث العربي والإسلامي بوصفه عائقاً أمام ممارسة الحرية. وهذا التصور ، يفجر قضية الحرية مقابل ما يسمى بالقهر الذي يوصف به التراث العربي والإسلامي لتسهيل الحرية بقلب عربي.

وبالنظر في الأمر فإن للحضارة الغربية دلالات متعددة تؤثر سلباً أو إيجاباً في أي حضارة خارج وعبر الحدود ، بما فيها الحدود العربية ، فهي ممارسة الفرد لحيته بعيداً عن الجماعة حسب القوانين التي تسنها الدولة الفدرالية أو المحلية ، حيث إن لكل دولة الحق في وضع قوانينها بما يتناسب مع سكانها . بينما يرى الناس الحرية في العالم العربي ممارسة الجماعة للحرية بعيداً عن الفرد. ولكن الحرية في الغرب تمارس ضمن حدود مرسومة وليس حرية إباحية تقف ضد تلك الحدود أو القوانين . والناظر إلى العرب اليوم كحكومات وشعوب في الوقت الراهن ، لا يفقد الحكم على وصف العرب بأنهم منقسمون كأنظمة سياسية إلى فريقين متصادمين وكلاهما يبحث عن الحرية فلا يجدها ، وكلا الفريقين يقيس الحرية بمقاييس مفصلة لهذه الأنظمة . مما يصعب على المتنورين والعقلاء والناهين من أبناء هذه الأنظمة البت والفعالية في بسط الحرية دون عقاب من الفريقين . وهذين الفريقين هما :

فريق فيه الشعوب عالة على حكوماتها ، وفريق فيه الحكومات عالة على شعوبها.

وتضيق الحرية عند كل فريق منهما ، وتظهر إشكاليات لا بد من بيانها والخوض فيها ، لإصلاح ما فسد في كل منهما ، وهذا ينطبق على العالم العربي بكل نظمته السياسية . والمشكلة الرئيسية كما أراها لا تقبع في المقدس ولا في رفضه ، وإنما أصفها بشارع تم فتحه منذ القدم تعبّر الأمم فزادت فيه الحفر الواسعة والمتعددة حتى أصبح بلا لون ولا استقامة ولا صلاحية للسي فيه مشياً أو في عربة على عجلات ، ولم يقم أحد بإصلاحه ، ولا بتنويره ولا برقعته ، فزادت الإشكاليات التي لا بد من النظر فيها وفهمها من أجل الحيلولة دون النوم عليها أو التعذر بعدم جدوى حلها أو عدم مناسبتها لمجال الحرية . وهذه الإشكاليات هي :

الإشكالية الأولى في المجتمعات التقليدية . لذا فإن تعريف الحرية وفهم معناها يختلف في بلاد العرب عن معناها في بلاد الغرب. فالحرية المقدسة حسب المقدس من الأديان ليست مفهومة ولا مطبقة لا شرعاً ولا قانوناً في أكثر الأحيان، ويعتقد البعض أن الغرب وفهمه للحرية يريد إرغامنا على اتباعها ، ونحن (كعرب) لم نصل بعد إلى مستوى تطبيقها عبر القوانين لا الشرعية ولا الوضعية .

والإشكالية الثانية نابعة من الإشكالية الأولى وهي الظن بأن الحرية في الغرب حرية مطلقة ، وأنها إباحية حتى ضد القوانين التي تتغير كلما ثار عليها الناس فألغوها وجاؤا بتعديل لها أو تغييرها نهائيا ، وهذه الإشكالية لا تخلو من الغموض ، حيث إن الجزء الأول غير صحيح فالحرية مقيدة حسب القوانين المرعية في كل دولة ، أما الجزء الثاني من الإشكالية ، وهي حرية التعبير أو التعديل فهي حقيقة يمارسها المواطن في حدود القانون ، وتوضع المشكلة غير المرضي عنها فتقدم في مشروع قانون للموافقة على التعديل أو التغيير من قبل المواطنين . وهذا الشق من الإشكالية حق من حقوق المواطنين ووجه من وجوه الحرية الذي لم يفهم من العرب معنقدين أن الحرية في الغرب مطلقة ، وبناء عليه لا يجوز تعديل القوانين تمثيلا لحرية المواطنين.

أما الإشكالية الثالثة ، فهي المبدأ الذي تقوم عليه الحرية وهو مغاير للأسس التي تقوم عليها الحرية في الوطن العربي . فالمبدأ الغربي لأساس الحرية هو اختراق حدود المقدرات بينما عند العرب فالمبدأ هو الاعتماد على هذه المقدرات التي هي خارج نطاق الحرية وليست محلا للتغيير . ومع أن الجزء الأول من الإشكالية قد يكون مبررا عند العرب ، إلا أن فهم الجزء الثاني منها يسبب مشكلة للحرية الجماعية والفردية على حد سواء . فالناس يتبعون عادات وتقاليد عفى عليها الزمن واكتست شرعية عبر عصور الجهل والتخلف ، مما يستدعي النظر فيها وإعادة صياغتها لتناسب مع العصر الحديث ومصالح الناس . خذ مثلا الجهل في كثير من الأمور هو السيد المطاع أساسا وسلوكا والمثل على ذلك قتل المرأة الزانية وقطع الأوصال للمجرمين والسارقين ورجم الزناة . واعتبار الولد مفخرة للأباء تغطي على وضع البنت في الأسرة . وتصبح المسألة عند الجهلاء أنها تحد للقانون مع أنها تحترم القانون وتحاول تعديلا ما جاء به من جهل تصور التطبيق له . واعتبار المقدس نظرية وسلوكا لا يحتاجان تعديلا أو تغييرا . فالعقاب للخارجين عن القانون في الغرب هو العقاب للخارجين عن القانون في الشرق . ولكن التطبيق لمفاهيم بالية تأخذ صفة القانون بين الجاهلين يعتبر إشكالية كبرى في فهم الحرية . فالمقدرات أمر هام ولكن تصور الناس في تقديسها وتطبيق بعض أحكامها مما يتنافى مع الحقوق المشروعة للفرد يشكل خلافا كبيرا يدعو إلى التسائل.

الإشكالية الرابعة للحرية هي تطبيق القوانين السردية من سلطات لا تنسم بالعدل في تطبيقها ، وكان القانون شيء وتطبيقه شيء آخر ، والتفرقة في التطبيق بين الناس لا تجعل للقانون معنى ، مما يتسبب بما لا يتناسب مع المشكلات الحديثة التي تتصل بالفساد الحكومي والتقاوس عن تطبيق العدالة من خلال القوانين في الثورة على الفساد مثلا ضد من يجبر القوانين لمصالحهم الخاصة بدلا من العدالة في التطبيق والمساواة أمام القانون . فالطبقية والرشاوي والمعارف والعلاقات الظاهرة والخافية تغطي على القانون في كثير من البلاد العربية ، فيصبح القانون شماعة للملابس القذرة يعلق عليها الفاسدون والمنحرفون عن عدالة تطبيق القانون ملابسهم القذرة دون رادع أو ضمير حي . وهذه إشكالية تستدعي من الشعب ممثلا بالمتقنين المسلحين بالعلم والنباهة أن يعملوا على تغييرها ، فإذا فعلوا نظرا لأن القوانين تنسم مكانة قدسية عند الحكومات ، فإن تلك الحكومات تتصرف بأسلوب غير حضاري معهم عن طريق استعمال وسائل قمعية دون إعطائهم فرصة للدفاع وتبيان الحقائق حول القوانين المذبوحة وضياع عدالة وضعها ، فيستخدمون رجال البوليس وأزلام السلطة لمنعهم من التعبير عن سخطهم حول أخطاء يسببها عدم تطبيق القانون أساسا وروحا . كما

تقوم الحكومات بإغلاق منابرهم والزج برؤسائهم في السجون دون محاكمات أو محاكمات شكلية لإرضاء العوام وذر الرماد في العيون . وتبقى العدالة وروح القانون في غيبوبة ، حتى يكون مزاج القائمين على سن القوانين مرتاحا ، فيقومون بتغيير بعض الوجوه ، وليس بعض القوانين التي تعتمد في أصولها على العدالة العالمية . ويبقى الحال على ما هو عليه بل أسوأ حالا فتسود الفوضى ويتجه الشباب إلى العنف كوسيلة سهلة للشكوى التي لا تجد حولا عقلية لامتناسص غضبها وسماع أقوالها والعمل على تغيير عوامل أسبابها .

أما الإشكالية الخامسة في فهم الحرية فهي معنية بمشرعي القانون أساسا ، فعظم القوانين العربية أما لا توجد أساسا خارج نطاق القبيلة ، أو أنها مستوردة من الغرب . لذا فهي ليست مقدسة ولا تمثل دينا ولا شريعة ولا عقيدة ، في معظم البلاد العربية ، فطبقات الشعب ليست موحدة من حيث الأديان والمستوى التعليمي والإقتصادي والسياسي ، وإن استمدت بعض أحكامها من الشريعة في بعض البلدان فهي تتناسى ما للمواطنة من حقوق وواجبات ، فينتشر الظلم في التفرقة كنتيجة في تطبيق القوانين التي تجور أحيانا على بعض الأقليات فتخرجهم من الملة ومن المواطنة وتجعلهم غرباء في أوطانهم باسم القانون الذي وضع أساسا لإقامة العدل والمساواة في التطبيق . وهذه الإشكالية لها أهمية خاصة ، لأن تصور الخروج على عملية تطبيق القوانين إنما هي دعوة لتغليب القوانين الغربية على القوانين التراثية مع أن القوانين التراثية لم تعد صالحة للبت في قضايا الشعوب مع غياب العدالة والتطبيق لتلك القضايا . والمسألة حسب المثقفين والنابهين من أبناء البلد في كل بلد ليس القوانين التراثية المقدسة بل ما تنأثر منها فأصبح قاعدة للتطبيق للقوانين المستوردة . وهذا أمر لا يجب السكوت عليه . وخذ مثلا الفقر العام بين طبقات الشعب وتفاوت الطبقات والتمييز بين العائلات والمراكز القبلية والعسكرية وفقدان العدالة والمساواة كأساس لحفظ موارد الشعوب للشعوب ، وزيادة أعداد الأميين وقلة فرص العمل ، كلها عوامل تساهم في فهم الحرية عند العرب وغيرهم من البلدان المتخلفة .

وفي الختام ، أرى أن قهر الشعوب لا يدوم ، وإن الفهم لمسببات هذه الإشكاليات أمر ميسر ، وحلها أكثر يسرا ، وأن طرقا ومناهج إنسانية وعقلية لفهم أسباب الشكاوى وطرق حلها بما يتناسب مع حجمها في فئات الشعوب المتطلعة إلى العدالة لا يتعارض مع الحرية في شيء ولا ينال من المقدسات في شيء ، ولعل المجانين من أبناء الشعب أو الذين يتهمون بالجنون فيهم من يجد الحلول لحرية الشعب على مستوى الأفراد والمجموعات . وهذا أمر لا يدخل فيه الغرب طرفا ، لا أوروبا ولا الولايات المتحدة ، ولا غيرها له دخل في موضوع الحرية التي تذبح كل لحظة في بلاد العرب ، فدعوا الغرب في مشاكله التي تختلف اختلافا جوهريا عما عندكم يا عرب ، واهتموا بمشاكلكم وابتوا الحلول لتلك الحرية على أساس العدل والمساواة وهما الأكثر تقدسا من كل شريعة تنادي بها ولا تطبقها بين تابعيها . وسبقني الفريقان اللذان ذطرتهما في بداية المقال هو الحال لسنين قادمة ما لم تتح الفرصة للإصلاحيين العقلاء المؤمنين المنتورين بالحرية مبدأ وروحا . (1442 كلمة)

العرب بين اليوم والأمس

Arab Writers, Today and Yesterday

الكتابات الموجودة في الأسواق الأدبية والثقافية في بلاد الأعراب اليوم لا حصر لها ، ولكنها في معظمها ردود فعل على ما يحدث في العالم العولمي وأقصد به أوروبا وأمريكا ، وهي في مجملها لا تحسم أمرا ، ولا تساعد على اجتياز الهوية بين ما ينادي به المتفقون وبين واقعهم المرير المتقهقر في عالم حقوق الإنسان ، ولا تحقق هدفا حقيقيا يساعد على النهوض من غفوة التاريخ . فهناك صراعات قائمة حول الهوية ، وحول العلاقات الدولية ، وحول الحضارات وحول الدور الأمريكي في صقل العولمة وحول الماضي التليد للطامعين في احتضانه في أحلامهم وآخرها محاولات إصلاح أنظمة التربية والتعليم اقتداء باليابان والولايات المتحدة ، وفقدان ما يسمى بالديمقراطية وحقوق الإنسان.

وأنا أسأل المثقفين العرب حول الصراع على الهوية : هوية من ؟ هوية المواطنة أم هوية الدولة ؟ أم هوية الدين أو الوظيفة ؟ أم هوية الغني وهوية الفقير ؟ أم هوية العالم أو الجاهل ؟ أم هوية الرجل أو المرأة ؟

أما عن الحضارات فسؤالي للمثقفين العرب : حضارة الشرق أم الغرب؟ حضارة الماضي أم الحاضر ؟ حضارة الجهلاء أم العلماء ؟ حضارة المرأة أم الرجل؟ حضارة الليل أم حضارة النهار؟ حضارة الأغنياء أم الفقراء ؟ حضارة من يملك أم من لا يملك عناصر الحضارة؟ أما حول أمريكا والعولمة فيباني للمثقفين العرب: أننا لن نؤثر في أمريكا ، ولكن نستطيع مصادقتها والاستفادة من تقدمها العلمي والمعلوماتي على أسس جديدة ، ومن هذه الأسس عدم التشبث بالدين كأساس للتعامل معها ، فكل منا له دينه ومعتقده ، والتسامح في قضية التقاليد والعادات ، والتخلي عن الأنانية في الحكم والتحكم الرئاسي والتخلي عن العصبية الجاهلية والقبلية في الحكم على الآخرين .

أما حول أنظمة التربية والتعليم فالكلام فيها دون طائل لارتباط تلك المسألة بالمؤسسات المدنية الأخرى وتشمل النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ككل في سيرها نحو تحقيق العدالة للشعوب على أسس علمية منطقية . ولن تقوم للتربية والتعليم قائمة ما لم يحترم المعلم وتصرف على تدريبه ولو أجزاء ضئيلة من نسبة الناتج القومي لتحسين نوعية الإدارات والمدرسين وابتكار المناهج حسب خطط مدروسة بعناية وبعد أبحاث تؤدي إلى نهضة شاملة في كل المجالات ، وليس في النظام التربوي وحده ، وإني أعتبر النظام التربوي هو عنوان الحضارة في كل أمة ، ويجب أن يعتنى بالعاملين فيه مقارنة بالعاملين في الجيش أو التجارة ، أو الفنون.

أما حول الماضي التليد فلن يعود ناصعا كما كان أو قريبا منه ، فالدعوة للعودة إليه ما هي إلا إلهاء للعقل وخروج عن المنطق ، فالجهل السائد سبب يثبط العزائم في تحقيقه ، فلا حضارة لنا فتجمع بيننا ولا ثقافة لنا فتوحد مشاعرنا ولا دين لنا يهدينا بعقيدة سرمدية ، ولا وطنية تجمعنا حولها ولا تراث تلنح به علاقانا ، ولا عرق يسود في أراضينا ، وليس لدينا شيء من ذلك كله إلا فتات من كل لا يسمن من جوع ولا يحمي من خوف ، فلا هوية لنا ، ولا أيديولوجية ولا استراتيجية حتى تدعم مطالبنا وتطلعنا إلى الماضي التليد . وصورة الشرق العربي والمسلم عند معظم الشعوب في العالم وخاصة في الغرب أنه فاسد ، جاهل ، فاسق ، غير إنساني ، دوني ، ديني متعصب ، منحرف متوحش ، متأخر في الفكر والعقيدة والتراث وطريقة المعاش والمعارف الإنسانية وحقوق الإنسان وأنه أخيرا أو باختصار كائن عدواني للبشرية والحضارة العالمية . وهي الصورة النمطية الواجب الوقوف أمامها ومجادلتها بواقع

جديد وبراهين ساطعة ، وابتكار جديد في التعامل والحياة على أسس العدل والمساواة والحرية ، وهي من الشروط الواجب التسلح بها بالإضافة إلى ما يأتي: لا بد من التسليم بالهزيمة في عصر يملك المعرفة والتكنولوجيا ، فالركود وعدم التغيير أفتان في العالم المقدس ووسائل استبداده بالعقول ، وهما من أسباب التخلف ، وعدم التباهي بالجهل والتبادل الدبلوماسي الطامع في ثروات الشعوب واستعباد الحكومات ، ومحو ما سببه كتاب الأصفهاني من تصوير الماضي التراثي والسياسي والاجتماعي المعنون "ألف ليلة وليلة" عن هارون الرشيد ، في التصور الغربي ، والبحث عن وسائل الإنتاج الصناعي والزراعي والتكنولوجي وتطبيقها بناء على تحديد مصادر ثروات الشعوب والعدالة في توزيعها ، لأن الظلم في تحقيق العدالة في مسألة المال والثروة يهلك الممالك ويزيد الاضطراب ويفشل الوحدة بين الأفراد والجماعات والدول ، ونقد الذات بطرق منطقية لا عاطفية ، وعدم التباهي كثيرا بالتقدم الغربي والانعقاد من ربق الكنيسة ، لأن الأخلاق يجب أن تسود وأن تطبق دو خوف أو ندم ، والنظر إلى النفس الفردية والوطنية والعمل على تقويتها بالعلم والمعرفة والتحكم في الثروات والبعد عن الأنانية والتعصب فيهما ، وعدم النظر إلى الحرية وحقوق الإنسان وكأنهما زنديقين دخيلين على الشعوب يستحقان الإعدام والسحل والنفي من أرض العروبة والإسلام ، عندها نقول أننا في طريقنا إلى مستقبل يدعو للفخر والرضا نفسيا واجتماعيا وسياسيا وحضاريا .

أما حول كتابات العرب وكتابهم بالأمس ، ومعظمهم من المسلمين غير العرب ، فلنا أن نفتخر بما كتب العرب كالغزالي وابن رشد وابن سينا ، وما جاء به الجبرتي والحسن بن الهيثم ، وابن خلدون، وابن طفيل ، وأبو العلاء المعري وزهير بن أبي سلمى ، وامريء القيس، والجاحظ والخليل بن أحمد وأبو الأسود الدؤلي. أما من المولدين من غير العرب وهم من أجناس أخرى وأكثرها الفارسية فزرى البخاري ومسلم في الدين وجمع الأحاديث النبوية ، وابن الرومي ، وأبو الفرج الأصبهاني، وابن المقفع ،

بين قيام الدول وسقوطها Rise and Decline of States

يمكن تعريف الدولة سياسيا بأنها النظام السياسي لحيز مكاني تمثله حكومة وجيش وشعب. وتقاس الدول بمقومات وجودها الأساسية ومنها مقومات الكفاية لبقائها واستمرارها دون مساعدة مشروطة من الدول الأخرى ومنها استمرار هيبنتها وصلاح أمر المسؤولين فيها وثباتها على مبادئ العدل والحرية والمساواة والتواصل الروحي بين الحكام والمحكومين كما هي متعارف عليها في التراث الروحي لها ولتابعيها من الجماهير. وحسب هذا التعريف ينطبق الجزء الأول من التعريف على معظم الدول أما النصف الثاني من التعريف فان كثيرا من الدول (أو المسماة بالدول) في آسيا وأفريقيا بما فيها بعض الدول العربية فلا ينطبق عليها.

أما العوامل المساعدة على قيام أو سقوط الحضارات والدول فقد تم-بناء على بحث علمي طويل-تحديد خمسة عوامل تقوم عليها الدول أو تدول فنتهار وهي:

1. شرعية الدولة وهبتها: وهي العوامل التي كانت سببا في وجود الدولة ومنها حكومات قامت بالثورة على الحكم السابق (قهرا أو طوعا) أو حكومات جاءت بطريقة سلمية اختيارية (انتخبت بطريقة ديمقراطية). أو حديثة عهد بالحكم استولت عليه لوجود فراغ سياسي أو انتقلت من حياة بدو الى حياة مدن وحضارة. وهناك دول قامت كحليفة للاستعمار لتقوم بوظيفة تخدم مصالحها ومصالحه. ولكل نوع من هذه الأنواع طرقها في حفظ النظام والتعامل في الاقتصاد الوطني بطرق إيجابية أو طرق سلبية. وقد بقيت بين الدول التي كانت مستعمرة للدول الصناعية والمستعمرين علاقات في مجالات التعليم والتكنولوجيا وتزويد الأسلحة الجيش. ويختلف مستوى العلاقات بين الدول وتتراوح بين الاستشارات السياسية الى الدعم المادي والهيمنة العسكرية. وهذا ما يطلق عليه البعض اسم الاستعمار الجديد.
 2. والاقتصاد الوطني: فأما العصبية السياسية فهي التحام العصبية الحاكمة نظرا لشرف أو لحزب أو لتعددية أحزاب. ويدعم قوة العصبية الاقتصاد الوطني وهو ميزان الصادرات والواردات، وطرق معالجة المشاكل في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة من وجهة نظر رأسمالية أو اشتراكية أو مزيج منهما، والتصرف العادل أو الظالم في مجالات الانتاج والاستهلاك والتوزيع، بالإضافة إلى مدى القوة أو الضعف الذي تتصف به القوات الحارسة للحكم مقارنة بغيرها من الدول.
 3. مصادر وإدارة أموال الدولة: وهي عوامل تدور حول الصرف في مواضعه أو غير مواضعه (البذخ في مجالات خاصة دون العامة)، ونسبة عدد العاملين الى نسبة عدد العاطلين عن العمل، ومدى نجاح أو فشل مشاريع التنمية وظهور ضررها على الناس مما لا يمكن اخفاؤه كالتقص في ميزان المدفوعات والتوصل من تمويل المشاريع حسب الميزانية وكثرة الضرائب، أضف الى ذلك مدى عدالة الدولة في تعريف الممتلكات الخاصة والممتلكات العامة أو التحيز لأحدهما على حساب الآخر، وأخيرا نشاطات الدولة في عملية تنمية أو اهمال (أو تدمير) المصادر الطبيعية والبشرية.
 4. مقدرة الجيش وطرق اعداده: يعتبر الجيش في أي مؤسسة سياسية القوة التي تحمي تلك المؤسسة وقد قل في التاريخ أن يكون الجيش محايدا. وقد كثر تحيزه باتجاه السلطة الحاكمة التي تدفع رواتبه وتولييه عنايته من خلال التدريب المستمر للقادة والأفراد، وتزويد قطاعاته بالمعدات والآلات الحديثة.
 5. التراث الروحي: نقصد بالتراث الروحي هو الحبل الأخلاقي الذي يربط الشعب والحكومة معا في ما يعرف بالتراث (وهو ما تعارف عليه الناس من العادات والتقاليد واللغة والقيم الروحية التي تتمثل في العقيدة) وكيف يحدد التراث مفاهيم العدالة والمساواة والحرية والشرف وغيرها من القيم الروحية.
- فاذا تواجدت هذه العوامل الخمسة متوازنة في دولة ما نمت وازدهرت وإذا ساءت واضطربت هذه العوامل في أي دولة سقطت وانهارت وزال وجودها فاندثرت .
- سمات ومعالم انهيار هيبة الدولة:
- يعتبر بناء هيبة الدولة من أهم عوامل الثبات والاستمرارية. وهيبة الدولة تعني الثقة والتقدير لمؤسساتها الشرعية والقانونية والتنفيذية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. كما تعني احترام الدستور والقانون والعزة الوطنية للأفراد كبنات حضارة. فاذا فقدت الدولة هيبتها وبدأ بالتطاول عليها بعض أفرادها أو مؤسساتها فان ذلك بداية القلاقل لمواطنيها.

وعادة ما يمر انهيار هيبة الدولة في مراحل تتفاوت في الضعف والقوة في مؤسسات الجذب والدفع، وهذه المراحل هي:

1. المراحل الأولى لفقدان هيبة الدولة:

إذا اتسعت رقعة الدولة أو وصلت إلى الجيل الثالث أو الرابع من مراحل قيامها، ظهرت حقائق أو إشاعات حول الرشوة والمحسوبية، وتبذير الأموال، وحقائق أو إشاعات حول فضائح المسؤولين الأخلاقية، وحقائق أو إشاعات زيادة الظلم والغش التجاري والسكوت عليه مع الغش والخداع السياسي، وحقائق أو إشاعات حول زيادة التذمر الشعبي، وحقائق أو إشاعات حول زيادة التفاوت في امتلاك الثروة. وحقائق أو إشاعات حول التنصل من خدمة الشعب القريب والميل نحو المستعمر الثقافي المادي أو الروحي البعيد والقريب. إذا تراكمت هذه الإشاعات فإن هيبة الدولة تسقط عند تابعيها ورعاياها. ومن مظاهر فقدان هيبة الدولة مثلاً: إحراق علم الدولة وإحراق صور شخصيات الدولة والقيام بالمظاهرات والتجمعات العفوية أولاً ثم المنظمة ثانياً. وتبدأ المناطق في الأطراف بالدعوة إلى الانفصال والاستقلال عن المركز ولا يسع المركز إلا بالتسليم بالأمر الواقع لعدم استطاعته على إعادة الأطراف إلى المركز.

2. المرحلة الثانية لفقدان هيبة الدولة:

حقائق أو إشاعات إخماد الحريات عن طريق المخابرات وزيادة أفعال القمع العسكري للفتن. وهذه المرحلة يبدأ التحدي للدولة فينقسم الشعب بين مصدق ومكذب وبين مؤيد ومعارض.

3. المرحلة الثالثة لفقدان هيبة الدولة: استمرار القلاقل والاعتداءات وتأخذ الأساليب التالية وتندرج في قوتها أو ضعفها حسب إمكانيات ومصادر دعم الفئات المعارضة في الداخل أو الخارج. مثل:

أ. الحض على مقاومة الظلم بالكتابة والنشر عن طريق الفئات المعارضة للحكم أو عن طريق وسائل الاتصال السمعية والمرئية في الداخل والخارج .
ب. البدء في عمليات اغتيال ممثلي الدولة في الداخل (الوزراء والعمال المدنيين من عناصر السلطة) أو في الخارج (ممتلكات ومباني السفارات والسفراء والعاملون في السلك الدبلوماسي).

ج. الجراءة على تفجير مؤسسات الدولة كالوزارات والبنوك ومؤسسات السلطة .
د. نسف شرايين الاتصال بين أجزاء الدولة كالجسور ومرابط المياه والمصادر الطبيعية الفعالة.

فإذا وصلت تلك المجابهات إلى هذا المستوى من المجابهة (التحدي ومقاومة التحدي بالقوة) فإن الدول ترد عليها بمدى قوتها وسلطتها في مقاومة السقوط، فتزداد تصرفات ممثلي الحكومة في دوائر الأمن والجيش عنفا وظلماً ويفقدون أعصابهم وحكمتهم في حل الأمور، فيبدأون بتأمين مستقبلهم بزيادة سرقة الأموال العامة وتهجيرها إلى الخارج. كما تزداد قيمة المعارضين قوة لأنهم يدخلون مرحلة التحدي والوقوف موقف الند للند للحكومة ويبدأون الهجوم العلني لإسقاط النظام القائم يساعدهم في ذلك ما ينادون به من رموز العدل والحرية والعقيدة والمساواة . فيكثر الظلم ويعم الفساد وتقل الحريات وتكثر الإقالات، وأخيراً تسقط الدولة ما لم تتغير بعض الوجوه وهم يشكلون كبش الفداء للشملة وفرض الهدوء والأمن وهو أقل ما تفعله السلطة لامتناع النخبة الجماهيرية والتقليل من سرعة انهيار هيبة الدولة

أو توقيفها وإعادة بنائها من جديد باستعمال القواعد الشعبية من رجال الجاه والعلم والعدل. فإذا لم يكن بد من السقوط فإن التخلص من أذى النظام القديم والتطلع إلى ما يتوقع من عدالة النظام الجديد يزداد قاعدة بدعم قوة الفئة المعارضة التي يسندها أحيانا الجماهير التي تتعاطف معها كلما أحسنت دعايتها ومزجت إيجابيات كفاحها في حالة النصر مع سلبيات الحكم القائم وممثليه التي تتصل بالشعب مباشرة . ومدى قرب أو بعد كل من تصرفات ممثلي الدولة أو قادة الفئات المعارضة من التراث الروحي للجماهير خاصة فيما يتعلق بالعدالة وما يقابلها من الفساد، والحرية وما يقابلها من ازدواجية في التطبيق ، والمساواة بين الأسد والثعلب أو المساواة العادلة في اقتسام خيرات الأرض والنظام القائم على التراث الروحي للجماهير.

بين التعصب والتسامح Between Racism and Tolerance

التعصب هو الحكم على الآخرين من البشر دون برهان مناسب ، لذا فهو خطأ جسيم يرتكبه الناس شرقا وغربا ومتوسطا ، وإذا تحكّم التعصب في مجموعة من الناس كانت نتائجه خطيرة بقدر قوته ، ومن الشائع عند البشر أن التعصب ينشأ من الخبرات القليلة التي تملكها الأقليات عادة عن المجموعات الأخرى في مجتمع ما ، ومن هذه الخبرات حب المشابه وكرهية المخالف في الدين والتراث واللون والعرق وحتى السياسة . وهناك سؤال يطرح نفسه : هل تقل العصبية بين الناس مع الزمن أم تزيد؟ ويقال جوابا على السؤال أن العصبية لجهة معينة كوطن أو دين أو لون أو جنس من الصعب التخلص منها نهائيا ولكن هناك عناصر إذا توافرت ساهمت في تقليصها ، كالتعليم والسفر ومعرفة الآخرين والتعايش الحر في المجتمع . ومن الضروري أن نحدد العوامل والدوافع المحركة لبقاء التعصب ، حيا رغم الجهود المخلصة لتقييم الحقائق حول ما تعتقده الشعوب والمجموعات بأنه خاص بهم . فالتعصب للعروبة والإسلام مثلا أو تجاه السود واليهود من الصعب التخلص منه ولكن ليس من الصعب تقليده مع الزمن نظرا للبيئات المختلفة التي يعيش فيها الناس ، من الناحيتين البيولوجية والجغرافية ، أو من ناحية العقيدة والعادات ، رغم أن المتعلمين يحاولون أن يكونوا منفتحي العقل في الحكم على الآخرين كبشر حسب مميزاتهم وصفاتهم ، لأن الناس عادة ما يفحصون ما يعتقدونه بأساليب وطرق غير سليمة ، فتنتهي إلى نتائج سلبية متحاملة على الطرف الآخر .

وقد قام الباحثون من علماء النفس وعلماء الاجتماع بعدة تجارب لقياس مدى التعصب ومدى التغيير الإيجابي فيه مع الزمن . ومن هذه البحوث أنهم عرضوا على مجموعة من الشباب صورة امرأة جميلة وطلبوا منهم الاتصال هاتفيا بها وكانت توقعاتهم قبل أن يبدؤوا الحديث معها أن صاحبة الصورة ستكون فتاة اجتماعية وشخصيتها مرحة وأنها جذابة ، ثم عرضوا على مجموعة أخرى صورة امرأة ليست جذابة بل عادية أو أقل من العادية (أو قل قبيحة) على نفس المجموعة فكانت توقعاتهم أن صاحبة الصورة لها شخصية معقدة وأنها جديّة وليست اجتماعية ، وكان الباحثون يريدون أن يكتشفوا كيف تكون المكالمات الهاتفية مع هاتين السيدتين وما أثر الصورة على في طريقة الحديث بناء على ما اعتقدوا بعد مشاهدة الصور ، فكان المتحدثون مع " المرأة ذات الصورة الجميلة " يتكلمون بدفء وحرارة

وصداقة ، ويغلب على حديثهم الفكاهة وكأنهم يعرفون بعضهم من مدة طويلة وكانوا يحاولون زيادة الوقت في الحديث . أما المجموعة الثانية التي تكلمت مع " المرأة صاحبة الصورة القبيحة " فكان حديثهم بناء على توقعاتهم باردا وجافا وهم محافظون في حديثهم ويشعرون بحرج ، وقد احتاروا في اختيار الكلمات للحديث وكانت المكالمات قصيرة ، وق تم عكس الصور للمجموعتين فكانت النتائج متقاربة كما كان متوقعا ، وأضاف العلماء لمجموعتي الشباب مجموعتين من النساء ، وأجروا عليهن نفس التجربة وعرضوا عليهن صورتين لشباب حسن الطلعة باسم وصورة شاب عادي لا تبدو عليه السعادة فكانت النتائج قريبة من نتائج الشباب الرجال ، ولمعرفة مدى التعصب وأثره في المقابلات للوظائف أجرى العلماء أيضا بحثا على أشخاص بيض قاموا بمقابلة أشخاص بيض مثلهم مرة ثم قابلوا أشخاصا من لون مختلف عنهم فوجدوا أن البيض كانوا أقل حرارة وصداقة مع السود وكانت مقابلاتهم أقصر من مقابلات السود ، وعكسوا الصورة أمام أشخاص سود قابلوا أشخاصا بيضا وسودا ، وقد سجلت المقابلات بالفيديو لمراجعتها وفحصها فحصا دقيقا ، ولم تكن هناك فروقات بالنسبة لكل المجموعات إلا من حيث عنصر التعليم فكانت المجموعة الأكثر تعليما من الذين أجروا التجربة في كل المجموعات أكثر تسامحا مع الآخر وكانوا لطيفين في المكالمات أو الحديث ، بعكس المجموعات ذات المستوى الأقل في التعليم . ولكن التعصب كان موجودا بين الجميع انما اختلفت مستوياته ، فالتعصب للون أو دين أو جنس هو حقيقة واقعة ولكنه من الصعب التخلص منه نهائيا . لأن النمطية التي تتغلغل مع السنين في فكر الإنسان في بيئته الاجتماعية وتصرفاته تلعب دورا هاما في تقبل الآخرين أو رفضهم ، لذا لو قابل عربي يهودي أو العكس لوجدنا فروقا متقاربة في النتائج حول المجموعتين ، ولظهرت الكراهية المبطنة عند الفريقين عند الحكم على الآخر ، فالمعلومات والخبرات التراثية والعادات والتقاليد المعطاة أو المخزنة في العقل البشري عن الآخرين تؤثر تأثيرا مباشرا على عصبية البشر وحكمهم على الطرف الآخر .

ما الطريقة أو الطرق لتقليل التعصب في مجموعة من الناس سواء أكانوا ذكورا أم إناثا ، كبارا أم صغارا ، سودا أم بيضا عربا أو يهودا أو نصارى ؟ أعتقد أن التعليم أمر مهم ، والمعرفة وتعدد الخبرات الشخصية والسفر والتعايش مع الغير تدعو كلها إلى فهم الآخرين والتعايش معهم بأقل مستوى من العصبية والتعصب . فالفهم المتبادل بين أي فريقين (شعوبا ، منفردين ، أو مجموعات) يقلل من التعصب ويزيد من التفاهم والتعايش مع الغير والتقدير المتبادل لكل تراث مهما بدا غريبا أو مألوفا ، قريبا منا أو بعيدا عنا ، وهذا في اعتقادي يجب أن يكون من أهم أهداف التعليم في أي بلد شرقيا كان أم غربيا أو متوسطا في هذا العالم الصغير .

بين الغرب والشرق

Between East and West

السعادة كلمة جميلة ولكنها كلمة نسبية ، فتراتنا قصيرة ولكنها متكررة ، وهي محدودة غير دائمة ، ويمر الفرد بالسعادة في حياته مرات ومرات ، وقد ترحل عن الأفراد بلا عودة . السعادة تتنافى مع العقل ، فالغبي هو السعيد دوما ، فكل غبي سعيد ، أما أصحاب العقول النيرة فيبينهم وبين السعادة حواجز تعلق أو تقصر حسب عقولهم ، والغباء ينتفي مع السعادة

الحقيقية التي يشعر بها العقلاء ، والناس يفضلون أن يتهنوا بالعقل ولا يحبون أن يتهموا بالخبايا ، فإسعادة شعور نفسي يظهر من خلال الشفاة الباسمة من بني البشر . . . هل سمعت يوما شخصا يضحك بملء فيه أي بقوة وبصوت عال مؤخرا؟ نحن نعلم أن الحديث بين الأقران والأصدقاء تتخلله ضحكات وقفشات تتناوب في الظهور خاصة عند الشباب فهم يضحكون بمتعة فائقة وكان الحياة خلت من المنغصات السياسية والاجتماعية ، والشباب حين يلتقي أمثالهم يشعرون بسعادة اللقاء ، فمهما كان موضوع الحديث تافها إلا أنه يجلب الضحكات والبسمات .

عكس السعادة هو التعاسة ، وهي الخلو من الآلام لفترة محدودة أو فترات متكررة دائمة ، أو محدودة ، هي محصلة الحياة الانفعالية بين الناس ، فإذا زادت الآلام وقلت اللذات قلت معها السعادة ، وكذا الحال كلما زادت الأفراح على الأتراح كلما زادت السعادة ودامت مع دوام الأفراح ، وهناك آلام مادية جسدية وأخرى معنوية ، وقد ينجو الفرد من الآلام الجسدية مع الزمن ، وقلما ينجو الفرد من الآلام النفسية أو المعنوية ، أعرف أشخاصا لا يعرفون السعادة بعد أن فقدوا حبيبيا أو صديقا . وأعرف أشخاصا حاولوا التخلص من الشعور بالأسى والآلام التي تتراكم بفقد غال عليهم فكانت سعادتهم نسبية وقتية ومحدودة . ورجائي لكل إنسان رجل أم امرأة أن تتغلب اللذات في حياتهم كالنجاح وتحقيق الأهداف والحب على الآلام كفقد الحبيب أو الفشل في الحب والحياة حتى يعيشوا بسعادة دائمة ، ولكن الحال الواحد لا يدوم ، والتغير صفة من صفات الإنسان في العقل والجسد والتعامل مع الناس والخبرات ودرجات السعادة . فكيف تكون السعادة في الغرب مقارنة بالسعادة في الشرق؟

يبحث الغربيون عن السعادة من خلال الحركة والتفاعل وتقليل الآلام وزيادة اللذات ، فهم لا يكتفون بقليل اللذات وإنما يسعون إلى منتهائها ، ويبدلون الجهود للحصول عليها ، ويحاولون تقليل الآلام مدة ونوعية ، ففي كثرة المشقة والتعب من أجل اللذة عندهم سعادة زائدة ، وكلما زادت المشقة زادت السعادة مثل صعود الجبال ، والتزلج والمسابقات العنيفة ، وكلها تحتاج حركة وتموجا ، أما الشرقيون فيميلون إلى الدعة والاستقرار وتقليل الآلام بتقليل الحركة والتفاعل ، فهم إذا خرجوا للتنزه مثلا فإنهم يبحثون عن منطقة جميلة هادئة تظللها الأشجار ويأخذون معهم القهوة والأرجيلة والأبسطة للجلوس أو التمدد عليها ، وتلك هي اللذة عندهم . فإذا رأوا طفلا يسرع أو يحاول تسلق شجرة ليتفاعل مع بيئته تراهم ينهرونه خوفا عليه من الوقوع أو إيذاء نفسه ، فالنزهة عند الشرقيين جلوس وأكل وشرب واستلقاء وسكون واستمتاع ، أما عند الغربيين فالنزهة جد ونشاط وحركة ولعب وركض وقفز وقنص وإنشاد ورقص . وشتان ما بينهما في اقتناص اللذات والحصول على السعادة . وعند الشرقيين يعتبر الخروج عن العادات والتقاليد نوع من سوء الأدب وقلة الحياء والغباء والوقاحة بالخروج عن التقاليد ، هذه همسة للأبء الذين يستعملون وسائل الترهيب لضبط السلوك عند أطفالهم ، أما عند الغربيين فالخروج عن التراث والتقاليد يعتبر ابتكارا وإبداعا وذكاء وهم يشجعون أطفالهم عليه ويمدحونهم ويحثوهم على التجديد الدائم . فهل من يتعظ ، فالأطفال لهم عالمهم الذي يجب على الأبء والأمهات فهمه واحترامه وتشجيعه .

بين الحضارة والعدالة Between Civilization and Justice

هل مرت البشرية في الماضي بعصرها الذهبي وكان كل شيء يسير على ما يرام ؟ سؤال يحتاج للتفكير قبل الإجابة عليه ، والنظر من خلال نظارات معتمة قائمة لا يدعو إلى التقاؤل ، ولا يحل مشكلة السعادة البشرية ، فمنذ القديم والعصور التي كانت توصف بالذهبية كانت بعيدة كل البعد عن عما يعزى إليها من محاسن الأخلاق ، خذ مثلا الحضارة اليونانية في القديم وهي في أوج تقدمها وعظمتها كانت تستعبد الناس ، والشعب اليوناني الذي يعيش في الأرياف ، كان عبدا لأسياده الذين يعيشون في المدينة ، وكان الضمير اليوناني والنظام الأخلاقي لا يحرك ساكنا ، وحتى الفلاسفة لم يحاربوا النظام الاجتماعي وظلمه الفادح للأفراد مما يعد مخالفة صريحة لكرامة الإنسان . وفي القرون الوسطى كان شقاء الفلاحين وإحراق المفكرين جنبا إلى جنب سمة من سمات ذلك العصر . وكانت الشعوب تحمل أذى الحكومات المتعاقبة ، وكلما تقدمت الصناعة الحربية كلما زاد شقاء الناس وانتشرت بينهم الأوبئة الفتاكة كالطاعون والسل والتيفوئيد والملاريا ، جاءت الدبابات تلك الأحياء السكنية لتقع على رؤوس وأجسام ساكنيها ، والعلوم تزيد الأغنياء غنى وتزيد الفقراء فقرا ، وكلما تقدمت العلوم لخدمة الناس للأسف تأخرت الأخلاق في معظم الحضارات لتتنسف ما حققتة بعض الحضارات في السابق ، فما المطلوب إذن ؟

المطلوب زيادة الاعتناء بالأخلاق مع تقدم الصناعة والتكنولوجيا ، والعمل على إصلاح المجتمعات على أسس جديدة من العدل والمساواة والمشاركة في الثروات ، فالثروات للشعوب جميعا وليست للمهراجات ولا للشيوخ والأمراء كما أنها ليست للملوك ولا للأباطرة ولا للسلطين بل هي ملك للشعوب دون غيرها .

والمطلوب زيادة الإصلاح الاجتماعي وبحث أسس التقدم والنهوض بالمجتمعات .

حل مشاكل الحاجات الإنسانية البدنية والروحية التي تسببها الحضارات .

الإصلاح لا التدمير هو المطلوب ، وليس الاعتداءات على الشعوب ،

جعل الاكتشافات العلمية ملك لكل الشعوب في كل زمان ومكان ،

فالقدم العلمي يتناسب طرديا مع زيادة الفقر ، فكلما زادت الاكتشافات العلمية زاد الفقر والجهل والظلم عند البشرية في أنحاء المعمورة ، وهو لا يعد العلم من مكتسبات البشر إلا إذا أفاد البشرية في كل مكان ، وقد يستخدم العلم في فناء البشرية في جهة من الأرض ، ففي اليابان هوريشيما وفي أوروبا ملايين البشر فقدت أرواحها من جراء الحروب . ولا بد من إحياء الأخلاق بين البشر حتى يسود السلام ويعم الوئام بينهم . فالبشرية تتركب قاربا مطاطيا ، أو سفينة بخارية ، والبحر الهائج من سوء الأخلاق الحضاري قد يودي بالبشرية إلى أعماق المحيط .

1 / بين الكمية والنوعية في التعليم

حضارة الكمية وحضارة والنوعية

Education Quality and Quantity/1

ظاهرة الاحتفاء بالكلاب والقطط والقرود ومسابقاتها والصرف عليها بملايين الدولارات ، وظاهرة المزايدات للخيول واللوحات ومقتنيات المشاهير من الملابس والقلائد والهبئات ،

والتباهي بتملك الأطيان والأبراج والقلاع ، والتسابق في رفع البنيان وحياء الترف بين أصحاب الملايين والبيلايين ، ونشر الفساد والطمع في أقوات الفقراء بالمنافسة غير الشريفة ، والحض المباشر والمبطن على الابتعاد عن لب الدين ومكارم الأخلاق ، ومنح السيادة للفاسدين والفساد ، والاعتداء الصريح والمبطن على الأمم الصغيرة لغرض السيطرة على ثرواتها وطرق معاشها ، وتجسيد الاحتلال ، ونشر الدبلوماسية الخادعة بين الدول ، كل ذلك سمة من سمات الحضارة عند البعض ، ولكنه عند غيرهم ظلم بين العباد ، وهو أي الظلم من أهم الأسس في اندحار وأقول الحضارات التي يتعنى بها أصحابها ، فالظلم يورد الندم كما كان الأمر عند الروم والفرس وغيرهم من العجم . وكما هو الأمر في الحضارات المعاصرة في الشرق والغرب رغم تفاوت الظلم وأنواعه بينها .

وللظلم صور شتى : فمنه التملك التعسفي للغالب من المغلوب دون تعويض ، والتحكم في الأرض واستغلال العباد في وظائفهم ورزقهم ، ومنه منع الحقوق عن أصحابها ، وكل مانع لحقوق الناس ظالم كمغتصبي الثروة من القلة ومن دار في فلکهم . كل ذلك عائد على أصحاب الحضارات بخراب العمران عندهم ، فإذا استمر ذلك الظلم فإنه ينذر بانقطاع النوع البشري . ومن ذلك : تدهور الأديان والعقيدة والتراث ، وانزلاق النفوس في الفساد والضلال واختلال العقول عند البشر ، وانحراف الأنسال عن أهدافها ، وإضاعة المال على توافه الأمور ، وبما أن مقاصد الشرائع ترتكز على العدالة بين العباد فيما سبق فإنها تعتبر من مقومات الحضارة وأسس استمرارها في كل زمان ومكان . فإذا زاد الظلم نقص الدين ، وطغت النفس وتاه العقل وانحرف النسل وذهب المال ، وكل من وجد أو سيوجد على الأرض فإنه غير خالد وغير دائم . وإن في قصص الغابرين ما يؤكد ذلك ولا يخرج عن تأويله ، ففي قصة أوردها المسعودي عن الموبدان (فيلسوف عصره) في قصة طريفة عن حاكم الفرس وقصة اليوم . والقصة تقول أنه في أحد الأزمان كان ذكرا من اليوم التقى بأنثى اليوم عارضا عليها الزواج ، فطلبت أنثى اليوم مهرا لها وهو 20 قرية خربة في عهد الملك الهمام ، فوافق ذكر اليوم على الطلب بل زاد عدد القرى على ألف قرية خربة ، لأن الظلم قد بدأ ينتشر بين العباد في تلك المملكة . وكان له ما أراد فاندحرت حضارة تلك المملكة وتزوج ذكر اليوم من أنثى اليوم وعاشا في ثبات ونبات احتفاء بسقوط آلاف القرى التي كانت تتباهى بحضارتها . فظن الملك لحكمة القصة فبدأ بإقامة العدل وكبح جماح الظلم بين العباد ولكن الظلم كان كبيرا فاجتاح العباد مراكز السلطة وتغيرت معالم الحضارة وأقل بريقها .

فهل يحتاج أصحاب السلطان والقوة والجبروت لقصة كهذه حتى يغيروا مسارات بلادهم نحو إرساء قواعد العدل بناء ، وتطبيق المساواة في الثروة قانونا ، وتوكيد حقوق الإنسان مبدأ ، لا أعتقد ذلك ، فالجمال لا ترى عنقها الطويل .

مراهقات الثانوية

Adolescence A Short Story

لم يخطر على بالي سوى شيء واحد ، أن أدوق طعم الحب معه ، وأنسى نفسي بين ذراعيه ، نظير معا على جناحي طائر السعادة ، يأخذنا بعيدا بعيدا فقد غلبني على أمري ، وملاً أفكارى ، ومضت اللحظات بطيئة وها أنا أكتب اسمه عشرات المرات على محرمة اشتريتها

خصيصاً له ، وزينتها باسمه بألوان وأحجام مختلفة وأردد اسمه كلما كتبتّه ، بل أردد كل حرف من اسمه كلما خطته على المنديل وضعت بين كل حرف من حروف اسمه رسم قلب بجناحين مع كلمة حبيبي ومرة أرسم عصفورين صغيرين تلتقي مناقيرها في حب ووثام كنت في غاية الانشراح وأنا معه في تفكيري وها أنا معه أتصوره أمامي بابتسامته العريضة وكلامه العذب وصوته الرزين وهو يقول : ستجحين يا مريم أنا واثق من ذلك يقولها بثقة يشجعي في الفصل دون البنات الأخريات أنه ذكر اسمي أكثر من مرة وها أنا أكتب اسمه على محرمة أغرقتها بالعطّر وكتبت اسمه مئات المرات عليها وسأضعها في مغلف وردي وسأقدمها له في أول لقاء لي معه صباح اليوم التالي لا شك أنه يحبني فهو ينظر إلي في كل لحظة من لحظات محاضرتّه ويناديني بالاسم ويشجني على الإبداع والابتكار مريم ستحققين هدفك وستجحين أنا متأكد مما أقول هذه كلماته وهل تعني سوى شيء واحد لا يقبل الجدل ؟ إنه يحبني إنه يحبني لا شك في ذلك حبيبي حبيبي أستاذي

طويت المنديل برفق وعناية أربع طيات وتناولت المغلف الوردي من بين أوراقه وفتحته ووضعت فيه المحرمة الوردية بعناية ، وأنا أتخيل كيف سيرها ويشم عطرها الأخاذ شممت العطر الذي يفوح منها ، وقربت المغلف من صدري من نهدي وضغطت عليه براحة يدي أه ما أجمل الحب ... إنه يشعرنى بالفرح والسرور يأخذني عبر البساتين والحدائق الغناء يعبر المحيطات والبحار يأخذني على جناحيه طائراً بين الغيوم يطير بي إلى بلاد لا أرى فيها غيره وأنا معه على جناحي ذلك الطائر العجيب أنا وهو فقط فالدنيا لا تساوي شيئاً بدونّه حبيبي حبيبي حبيبي حبيبي حبيبي ولكن كيف أوصلها إليه ؟ كيف أعطيّه المغلف ؟ وماذا سيكون رد فعله بعد أن يرى المحرمة ويسم عطرها ؟ سيعرف أنني أبوح له بما في قلبي وسيكون في غاية السعادة ليس عندي شك في ذلك فهو لطيف لم أسمع منه إلا جميل الكلام وحسن المعشر وهو يقف بجانب مقعدي في الجامعة ويشاركني قراءة ما في دفتري صحيح أنه كان يقف عند فنيات أخريات ولكنه وقف عندي ينظر إلى ورقتي أكثر من غيري إنه يحبني وأنا وأنا أحبه فأني أرى الحب في عينيه وهو ينظر إلي إنه يحبني لا شك في ذلك وسيكون سعيداً بالمنديل سأضعها في كراسة الواجبات نعم لم تخاطر هذه الفكرة على بالي منذ البداية غدا سأسلمه كراسة الواجبات وسأدس المغلف بين ثنايا الكراسة وسيكتشف عند فتح الكراسة حبي له يفوح من المنديل ويقراً اسمه بين طياته وطيور الحب والقلوب المتناثرة في طيات المنديل الوردي سيكتشف مدى حبي له وولهي به وسيأتي إلي ببسمته المعهودة ليقول لي أحبك يا مريم أحبك يا مريم وفي صباح اليوم التالي في الحصة الثانية وصل حبيبي بابتسامته المعهودة ووجهه الصبوح دخل الفصل وبعد أن حيا البنات جميعاً نظر إلي وقال :

قومي يا مريم واجمعي كراسات الواجب وأرجو أن يكون الجميع قد أدى الواجبات المدرسية فهي ليست صعبة كما أعتقد .

فقلت من مكاني وبدأت أجمع الكراسات من البنات ، والكل يحسدني لأن الأستاذ اختارني من دونهن لجمع الكراسات وبعد أن جمعت الكراسات وضعت كراستي في وسطها . وذهبت إليه فمد يده قائلاً:

ضعيها على الطاولة يا مريم شكرا لك .
وعدت إلى مقعدي ، ولم يبق الأستاذ يفتح الكراسات ، بل بدأ بكتابة رؤوس أقلام لدرس اليوم ، وسبح فكري في الخيال يا لسعادتني وهو يفتح كرتستي ويسم عطري ويقرأ كلماتي ويرى صور العصافير والفلوب تملأ المنديل واسمه المكتوب بخط جميل متنوع الأشكال والألوان . وانتهى الدرس وحمل الأستاذ الكرايس ونوجه خارجا وطافت في رأسي أفكار بأني لن أبوح لأحد عما فعلت حتى يأتيني جواب حبيبي حتى أقرب صديقاتي يسرى ، التي شعرت أنني ولهانة في الحب ولكنها لم تعرف من هو حبيبي سأخبرها فيما بعد فيما بعد يا يسرى .

ومر اليوم ، وجاء الغد وهو ليس كأى يوم من الأيام ففيه سيكشف لي أستاذي عن حبه لي وعن سعادته بمنديلي وما احتواه من عطر وجميل الكلمات سيكون يوماً تاريخياً في حياتي لن أنساه يا لسعدي

ووصل الأستاذ ونظر إلى البنات دون أن ينطق بحرف ، ثم توجه إلى حيث أجلس ، ومعه كراستي وقال ووجهه متجهما يبدو عليه الوقار وقد فقد ابتسامته المعهودة :

مريم ، أرجو أن تأتي إلى مكتبي بعد الحصة الثالثة ، في فترة الفسحة .
وكدت أظير من الفرحة ، فقد وصلت رسالتي إليه ، وفهم مغزاها يا لسعدي هذا حبيبي سيبوح لي بحبه في فترة الفسحة ولكنه توجه إلى ثلاث بنات أخريات وقال نفس الجملة :

أرجو أن تأتي سهام وسماح ولينا أيضا فهناك ما سأبحته معكن بشكل خاص . (880 كلمة)

لغتي العربية سجنى الجميل

My Arabic Language, My Prison

إلى من يتذوقون الكلام

لغتي العربية سجنى فأنا في السجن أتعذب وفي استعمالي للغتي العربية أتقلب على نار الشعر والنثر في الأدب . فمن يقرأ كتاباتي ؟! ومن يناقش مقالاتي ؟! ومن يستسيغ شعري ؟! ومن يتمتع بنصائحي ؟! ومن يتعلم حروفي ؟! وهي تتراقص بالعربية الكريمة الأصل والفصل أبا وأما وجدا على صفحات الكتب . إذا لم يعرف العربية ! بها ... لغتي تغني الشعراء قديما وبها كتب الكتاب أروع إنتاجهم وبها وصفوا ومدحوا وشكروا وهجوا وتغزلوا ووعدوا وأصلحوا بين القبائل واليوم هي سجن ضيق الجدران ، منخفض السقف ، تتسابق الفئران في طرقاته وتخر الأمطار من سمائه ويغطي عاشق اللغة رأسه بصحف قديمة مهترئة تستعمل لغات أخرى غير لغته الحبيبة سجنى هو لغتي العربية .

فهي اليوم كالسجن بلا نوافذ ، تتسابق فيه الفئران ، وترتفع القمامة في زواياه الحقيرة ، ويخر المطر من سمائه ، وتكاد أبوابه تهتريء لعدم التصليح والعناية وأرضه تملأه التراب وأنا أجلس أعطي رأسي بقصاصات الصحف العتيقة . لغتي العربية سجنى

نوافذ السجن كثيرة دون زجاج يحمي من بداخله وواسعة وأبوابه مشرعة لأعجاج لخارجين من لغتي العربية والداخلين رغم قلتهم إليها والجميع يلومها على بنائها على جمودها على قلة احتوائها لعلوم العصر الحديث والتكنولوجيا والاختراعات الجديدة يلومها من لا يتقنها في كتابة أو قراءة أو يضارب بها شعرا أو يكتب بها مقالة أو له أذن تتمتع بالبديع والبالغ من جعلها وأساليبيها ، وينأ بنفسه أن يحل بها مشكلة حسابية أو جبرية أو هندسية .

لغتي العربية سجنى يتناول عليها الفارغون الراطنون بلغات تقصر عنها بهاء وتقل عنها حياء ، وتفوقها إهمالا وإباحية حتى من ناطقها أو المدعين بالمحافظة عليها هناك من يلومها ويقف حائلا دون نشرها والتمتع بجمالها ببلاغتها بجمال تصويرها ببديع استعمالها ، بل هم يتهمون بمستعملها واختصار كلماتها ويمجدون سفة استعمالها من حثالة الكلام في أغانيها

السجين في بلدي ليس له حقوق الدفاع عن النفس ولا اهتمام مؤسسات حقوق الإنسان به أو مد يد العون لمساعدته على تبرئة نفسه لغتي هي الإنسان العربي مظلومة لغتي سجنى

فالسجن في بلدي ليس لسكانيه احترام ولا حرية ولا حقوق يقترب الحارس مني فيشعر أنه ملزم لضربي على الرأس أو الكتف أو الوجه أو أنه ينقصه شيء لإثبات سيطرته وقوته . وكان اللغة عيب وهي كيانى الذي أحياه وهي الروح التي تمدني بالحياة وهي السحر الذي ينقذني من كل مناه فهي لغتي وإن كانت سجنى .

لغتي سجنى ، نعم فلها أغني ولها أشدو أجمل أغنياتي وبها أكتب أشجى عواظي وبها أصف تاريخي المجيد وبها أستعين في وصف المخترعات والاكتشافات الحديثة فهي سجن لي وفي السجن سادير الخلاص من الفئران السائبة وسأسد فتحات السقف حتى لا يتخلل المطر منها وسأقف حارس السجن لاحترامي وتقديم التحيات لي سأعلمه كيف ينطق بها دون حياء وأن يتباهى بها دون غيرها من اللغات أمام الناس القريب منهم والبعيد سأنظف زوايا السجن بيدي وبدموعي حتى تظهر النظافة في سجنى ويبدأ العالمون بزيارتي في سجنى والاحتراف بلغتي الجميلة سأجعل سجنى جنتي لا ناري وأجعل منها فخاري لا أسفي لغتي سأجعلها عروس عواظي ونجوم عقلي في تصوراتي في خيالاتي في حكاياتي في شعري في نثري لغتي العربية ناصعة البياض لماحة المعاني بليغة الوصف بديعة الكلمات غنية الجمل أليك يا لغتي العربية يا سجنى الكبير أهدي إليك أجمل القبل فأنت سجنى ومن سجنى سأحصل على الأمل . وأنادي

بأعلى صوتي : سجنى أصبح حديقتي المليئة بالجنان والمعلقات والقصائد والقصص التاريخية والعاطفية والشعبية ... فى سجنى يا لغتى العربية ... أن أسعد الناس بك وفيك وأسئد منك هويتي وشخصيتي و عنفواني لغتى العربية سجنى وبحري الجميل
رحم الله حافظ إبراهيم لقد كانت لغته العربية سجنه وسجنى.

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن أي به وعظات

اللغة العربية وسعت كتاب الله Arabic , the Language of Qur'an

هذه القصيدة قالها شاعر النيل " حافظ إبراهيم " مدافعا ومنا فحا عن اللغة العربية ، اللغة التي يفتخر بها العرب والمسلمون ويعتزون بها ، فهي تحفظ كتابهم وتشرعهم ، وتعبّر عن علومهم وآدابهم.. حين تعالى الهمس واللمز حولها في أوساط رسمية وأدبية، وعلى مسمع ومشهد من أبنائها واشتد الهمس وعلا، واستفحل الخلاف وطغى، فريق يؤهلها لاستيعاب الآداب والمعارف والعلوم الحديثة، وفريق جحد ، يتهمها بالقصور والبلى وبالضيق عن استيعاب العلوم الحديثة.. ولكن حافظاً الأمين على لغته الودود لها يصرخ بوجوه أولئك المتهاوسين والداعين لوأدها في ربيع حياتها بأن يعودوا إلى عقولهم ويدركوا خزائن لغتهم فنظم هذه القصيدة يخاطب بلسانها قومه ويستثير ولاءهم لها وإخلاصهم لعرائسها وأمجادها ، واليوم تجابه هذه اللغة الكريمة العظيمة نفس التهجم والنسيان والنأي من أبنائها ، فيقول:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي
وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني
عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت فلما لم أجد لعرائسي
رجالاً وأكفاءً وأدت بناتي

في هذه القصيدة قام الشاعر بتشخيص اللغة العربية فجعل منها شخصا حيا يدافع عن نفسه ، يتكلم بمنطق العقلاء عن نفسه ، وهي مرة أم جعلها تتعق أبنائها لها ، وتعلن دهشتها من أبنائها الذين يخوضون في هذا الحديث الظالم ضدها فتقول :بعدها سمعت الضجة الكبرى والحملة الجائرة ضدها فرجعت لنفسها وشكت في أمر نفسها فاتهمت عقلها ولكن من يتهموها بالعقم ليسوا صادقين ، وظهر كذب ما يقولون ، فعلمت أنهم يريدون وأدها والقضاء عليها ودفنها ، فنادت من أعماق صممتها تنادي قومها ، وبدأت في احتساب حياتها عند الله فيما يدخر لها من طرامة الدوام والاستمرار ، فالعقم ليس من صفاتها ولا من طبيعتها ، مهما اتهمت اللغة بالعقم والحدود ولكنه اضطهاد الشباب بنوعهم المرأة والرجل ففي شبابها لم تعقم يوما وليتها عقمت فهي لن تجزع إذا كان ذلك واقعا أو حقيقة ، ولكنها بعيد عن الحقيقة ، فاللغة لم تجزع يوما لقول الأعداء ، فهي الودود الولود قافزة الحدود تتجدد في كل عصر

وزمان. وكانت للأدب عنوان ، فقد ولدت الكلمات والعبارات كالعرائس الجميلة في ليلة زفافهن ، ولكنها بسوء الحظ لم أجد لها الرجال الأكفاء من بني عمها وقومها ، ومات الجديرون بحمل الرابية ، من ناطقيها والمدافعين عنها ، والحريصين على إظهار مكنوناتها فبان عليها الهزال فوأدت نفسها حياء من عشاقها وأبنائها .

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن أي به وعضات
فكيف أضيقت اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدقاتي..؟!

وما زالت اللغة تتحدث عن نفسها وتتعجب ممن اتهمها فتقول أنا التي وسعت كتاب الله (لفظاً وغاية)، فكيف لي اليوم أن أضيقت عما دونه كالتعبير عن وصف لآلة أو تنسيق أسماء لمخترعات التي لاتساوي شيئاً أمام ما جاء به القرآن من معان وألفاظ . فأنا البحر الذي كُمن في جوفه الدر كامن فهل سألوا أهل اللغة العالمين بها عن صدقاتي ..

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني
ومنكم وإن عز الدواء أساتي
أيطربكم من جانب الغرب ناعب
ينادي بوادي في ربيع حياتي؟ !
أرى كل يوم في الجرائد مزلقاً
من القبر يدنيني بغير أناة !!
وأسمع للكاتب في مصر ضجة
فأعلم أن الصائحين نعاتي!!

في هذه الأبيات توبخ اللغة العربية أبناءها بقولها ويحكم أفنى وتفنى محاسني ومنكم وإن قلّ الدواء أطبائي ! ، ثم تستنهم مستنكرة أيهزكم ويفرحكم من جانب الغرب صوت الغراب الذي ينادي بدفني حية وأنا في ربيع حياتي ؟ ، فأنا أرى في كل يوم في الجرائد زلة وخطأ يدنيني للقبر بغير حلم ولا رفق ، وأسمع للكاتب في مصر ضجة " وتقصد الحملة الجائرة التي قامت في مصر وهي الدعوة إلى العامية فأعلم أن هؤلاء الصائحين والمنادين هم الذين ينقلون خبر وفاتي.

أيهجرتني قومي عفا الله عنهم
إلى لغة لم تتصل برواة؟ !
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى
لعاب الافاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة
مشكلة الالوان مختلفات

ثم عادت إلى عتاب أبنائها باستفهام استنكاري يحرك القلوب فتقول أيهجرتني قومي - عفا الله عنهم - إلى لغة غريبة لاتمت ولم تتصل برواة . هذه اللغة التي سرت فيها لوثة الافرنج أي ما

داخلها من أفاظ أجنبية كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل الماء الشديد العذوبة ، وهنا تشبيهه
ضمني حيث شبه سريان ودبيب لوثة الأفرنج " الأفاظ الأجنبية " في اللغة وتلويثها لها
كسريان ودبيب سم الأفاعي في مجرى الماء الشديد العذوبة فجاءت هذه اللغة التي يريدونها
مثل الثوب الذي ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفة .

الى معشر الكتاب والجمع حافل
بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
فإما حياة تبعث الميت في البلى
وتبنت في تلك الرموس رفاتي
وإما ممات لا قيامة بعده
ممات لعمري لم يقس بممات .

وفي نهاية القصيدة ، وبعد أن بسطت شكواها هاهي تبسط رجاءها وتقول : إلى معاشر
الكتاب والعالمين بها ، عليهم أن يؤمنوا بلغتهم العربية، وأن يلجوا أبوابها الواسعة المفتوحة؛
ليجدوا فيها السعة والرحابة بكل جديد وتعيد، ويعودوا إليها فيبعثوا حياتها وإما ممات لاقيامة
بعده وتقسّم أن هذا الممات لم يقس بممات، فموت اللغة العربية ليس كموت أي لغة ، فموتها
هو موت للأمة الإسلامية والمسلم يعرف ذلك . ونظرا لأهمية الموضوع ، فسأقدم القصيدة
كاملة . في الصفحة التالية .

القصيدة كاملة للتفكر

The Complete Hafiz Poem

نعيش في عصر بدأ ينخر في عظام اللغات الحية القديمة ومنها اللغة العربية ، فيدعون أن
قضية تعريب العلوم الطبية والهندسية ، ومخترعات العصر الحديث ، غريبة عن اللغة ، وما
تحتاجه اللغة من أبنائها هو المبادرة وشحذ الهمم وزيادة الجهد من المتحدثين بها، لأنهم
يغطون في سبات عميق، وقد بهرتهم لغات الغرب فأصابتهم لوثة الأفرنج القوي، ولم ينتبهوا
لدواعي هدم اللغة عند أبنائها على يد الغربيين والمستغربين ، كان ذلك أيام حافظ في بداية
القرن العشرين ، مما أحبط حافظ إبراهيم (رحمه الله) وأحيطني أيضا في بداية القرن
الحادي والعشرين ، حيث نعجب معا للغة التي إتسعت لذكر كتاب الله وعظاته وسنة نبيه ،
أن أهلها والناطقين به تكاسلوا في القيام بواجباتها ، وادعوا قصورها عن استيعاب وصف آلة
أو تنسيق أسماء لمخترعاتٍ ، ويتحدث على لسان اللغة فيحذر من أن تترك اللغة للزمان
فتبلى أو تموت موتاً لا قيامة بعده. وهنا أقدم لكم القصيدة كاملة للتذكر والتفكر للنهوض بها
والتغني ببديع جمالها وبلاغة ألفاظها لتكون تاجا على الرؤوس وعلى كل لسان ، في كل
مكان وزمان.

قال حافظ إبراهيم: يرثي اللغة العربية
 رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي
 رموني بعقم في الشباب وليتني
 ولدت ولما لم أجد لعرائسي
 وسعت كتاب الله لفظا وغاية
 وكيف أضيقت اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات
 أنا البحر في أحشائه الدر كامن
 فها ويحكم أبلى وتبلى محاسني
 فلا تكلوني للزمان فإنني
 أرى لرجال الغرب عزا ومنعة
 أتوا أهلها بالمعجزات تفننا
 أيطربكم من جانب الغرب ناعب
 ولو تزجون الطير يوما علمتم
 سقى الله في بطن الجزيرة أعظما يعز عليها أن تلين قناتي
 حفظن ودادي في البلى وحفظته
 وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق
 أرى كل يوم في الجرائد مزلقا
 وأسمع للكتاب في مصر ضجة
 أيهجرنى قومي عفا الله عنهم إلى لغة لم تتصل برواة
 سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات
 فجاءت كثوب ضمن سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات
 إلى معشر الكتاب والجمع حافل
 فإما حياة تبعث الميت في البلى
 وإما ممات لا قيامة بعده
 وناديت قومي فاحتسبت حياتي
 عقت فلم أجزع لقول عداتي
 رجلا وأكفاء وأدت بناتي
 وما ضقت عن آي به وعظات
 فهل سألوا الغواص عن صدقاتي
 ومنكم وإن عز الدواء أساتي
 أخاف عليكم أن تحين وفاتي
 وكم عز أقوام بعز لغات
 فيا ليتكم تأتون بالكلمات
 ينادي بؤدي في ربيع حياتي
 بما تحته من عثرة وشتات
 لهن بقلب دائم الحسرات
 حياء بتلك الأعظم النخرات
 من القبر يدنيني بغير أناة
 فأعلم أن الصانحين نعاتي
 بسطت وُجائي بعد بسط شكاتي
 وتنبين في تلك الرموس رفاتي
 ممات لعمرى لم يقس بممات

تعريفات

العزيمة والتصميم

Determination and strength

حصل في القرن التاسع عشر وفي عام 1883 بالتحديد أن عاش مهندس مبدع اسمه جون ريبلينج (John Roebling)، وقد كان مهوسا بفكرة طرأت على باله واستولت على تفكيره ، وهي أن يصل بين جزيرة تمتد مقابل ساحل المدينة التي اشتهرت مبانيتها بناطحات السحاب ، وهي في البحر وبين اليابسة وهي مدينة كبيرة ، والجزيرة كان اسمها الجزيرة الطويلة (Long Island) أما المدينة فهي نيويورك (New York). ولكن مهندسي الجسور في العالم استهجنوا الفكرة ووصفوها بأنا مستحيلة التطبيق . واتصلوا بالمهندس المبدع وأبلغوه بنسيان

تلك الفكرة الصعبة والمستحيلة لسبب بسيط وهي أنها فكرة لا يمكن تنفيذها عمليا فالمسافة طويلة والتكاليف باهظة ، والحاجة إلى الجسر ليست ضرورة ملحة وليست عملية ، طالما أن القوارب تقوم بالمهمة الاتصالية بين الجزيرة والمدينة وطالما أنه لم يفكر أحد في مثل هذا من قبل.

ولكن المهندس الشاب لم يغفل لحظة واحدة عن التفكير في الفكرة الإبداعية ، وهي تصميم وبناء الجسر بين الجزيرة ومدينة نيويورك . ولم يئن يوما فيبتعد عن الفكرة فهي في خياله وفي واقعه ، وبدأ بليصال الفكرة وترويجها للآخرين ، ووجد ضالته أخيرا في ولده واسمه واشنطن (Washington) الذي كان يدرس الهندسة ، فقد اقتنع الإبن بالفكرة بعد إقناع الوالد له وشرح الفكرة من جميع جوانبها ، وآمن بأنها ليست مستحيلة وبدأ يعمل من أجل تنفيذها .

وقام الأب وابنه لأول مرة ، وهما مهندسان تطوير مفاهيم وآليات حول كيفية تطبيق الفكرة وهي بناء الجسر . والتحقق في الصعوبات التي تقف أمامها لتذليلها والانتصار عليها . وبمزيد من الحماس والطموح بدأوا بالبحث عن طاقم عمل فوظفوا فريقا يقوم بالمهمة ، وبدأ العمل .

كان المشروع قد بدأ بداية حسنة وموفقة ، ولكنهد فترة وجيزة انقلب إلى فاجعة حين تعرض الأب لحادثة أودت بحياته ، وتمت إصابة الإبن بجروح طفيفة أدت فيما بعد إلى إصابته بارتجاج دماغي ، سبب له شللا عضويا ، حتى أنه لا يستطيع التحرك ولا التتطق ولا المشي . وبدأ الناس يثرثرون ، فقال بعضهم أنهم حذروهم من مغبة خطورة العمل في إنشاء البرج ، وقال آخرون ، هؤلاء مجانين ، لقد قلنا لهم أن الفكرة مستحيلة ، وقال فريق ثالث : أحلام مجانين ، وأن من الخطورة بمكان أن تتبع أحلاما لا يمكن تحقيقها .

وقد كانت النظرة من جميع الناس نظرة سلبية وتشاؤمية نحو المشروع المجنون في نظرهم. وطالب الناس بنسيان الفكرة نهائيا فأصحاب الفكرة الوحيدون الذين يعرفون التصميم ويعرفون كيفية بنائه قد غابوا عن الوجود ، ورغم تلك السلبية في النظر إلى المشروع لم يدخل اليأس قلب واشنطن الإبن الذي مازال عقله رزينا وحكيما ومصمما على تحقيق حلمه وحلم أبيه في بناء الجسر . فحاول تسويق الفكرة بين أصدقائه ، ولكنهم لم يسايروه فيها بل وحاولوا الضغط عليه لنسيانها ودفنها إلى الأبد ، وفي نهاية حياته كان يرقد في غرفته في المستشفى بلا حراك ، ينظر عبر النافذة المغطاه بالبرادي ، فدخل النسيم منها وتحرك طرف البرداية الأبيض الخفيف الذي يغطي النافذة ، من أثر ذلك ، فرأى السماء الزرقاء ورؤوس الأشجار التي تحيط بالمستشفى للحظة قصيرة ، فاعتقد أن تلك الحركة ما هي إلا تذكرة له بالاستمرار في أحلامه ، واعتبرها رسالة تشجعه على المضي في تنفيذ فكرة الجسر الأعجوبة . وفجأة خطرت على باله فكرة فلو استطاع تحريك إصبع واحد لاستعماله ، وبدأ يحاول ذلك ، وفعلا استطاع ذلك وأوجد طريقة اتصال جديدة بزوجته ، وحين قامت بزيارته حرك إصبعه وفهمت منه أنه يطلب لقاء المهندسين الذي كانوا يعملون في بناء الجسر ، وبدأ باستعمال حركات إصبعه يخبرهم بطريقة العمل وبالفعل عاد العمل في بناء البرج من جديد . واستمر البناء ثلاثة عشر عاما وهو يطلع على ما حققه يوما بعد يوم ، ويعطي تعليماته بإصبعه الوحيد بلمس ذراع زوجته ، وأخيرا انتهى بناء الجسر . وهو اليوم يعتبر معلما من معالم مدينة نيويورك المعروف بجسر بروكلين . وحقق المهندسون فكرة راودت الأب والإبن طيلة السنين حتى أصبح الحلم حقيقة من قبل فريق المهندسين الذي وثقوا وآمنوا في

الرجل المشلول الذي لا يستطيع الحركة ولا الكلام . وهو شاهد على إخلاص الزوجة ووقوفها بجانب زوجها طيلة الثلاث عشرة عاما وهو في سريره في المستشفى ، فقد كان تصميم الزوج ومساعدة من وثقوا به وأمنوا بفكرته أكبر الأثر في تحقيق الحلم .
ولعل القصة تعتبر التصميم والعزيمة منفذا يتسم بالقوة والتمكن مهما كانت حالة الشخص الميئوس منها ، فإن قليلا من التصميم والعزيمة رغم عدم القدرة الجسدية كفيل بتحقيق المعجزات . والناس عموما يقابلون صعوبات ومشاكل نفسية وجسدية ، ويعتقدون أنهم لا يستطيعون فعل شيء ، ويقعوا فريسة للفشل والخسارة في الآمال وتحقيقها ، ولم يؤمنوا بأن التصميم والاستمرارية يحققان ما يصبون إليه مهما كان يبدو مستحيلا ومهما كانت الصعوبات والعوائق .

المجتمع المدني العربي Arab Civil Society

معظم أنظمة الحكم في الدول العربية تقليدية ملكية أو قبائلية أسرية ، وعد سكانها يزيد على 290 مليوناً من البشر، يعيشون في مساحة تقدر بأكثر من 13 مليون كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد الدول التي تتبع النظام الجمهوري ثمانى دول هي : الجزائر وجزر القمر وجيبوتي ومصر ولبنان وموريتانيا وتونس واليمن . أما باقي الدول فهي تتبع النظم الملكية في السعودية والأردن والمغرب والبحرين والإمارات العربية والكويت وعمان ، وليبيا ، أو العسكرية (السودان وسوريا) أما العراق والصومال وفلسطين فهي في طور التكوين .
من أهم وظائف مؤسسات المجتمع المدني أنها تفضح فشل الحكومات في تلبية وتحقيق حاجات الشعوب ، ونظرا لهذا القصور من الحكومات ومؤسساتها فإن مؤسسات المجتمع المدني تقوم بدور فعال لتحسين العلاقات بين الحكومات والشعوب . وتقوم بوظيفة تنظيمية داخل المجتمع . وعادة ما تكون القوى العقلانية في المجتمع على غير وفاق مع الحكومات ، فتقوم مؤسسات المجتمع المدني بدور تقريب وجهات النظر بين الفريقين . وعادة ما تكون الدولة أو الحكومة محايدة بالنسبة للمجتمع ، فهي القادرة على تطبيق القوانين والقيام بالإجراءات حسب دورها وتعبر عن رعبات الشعوب وتحافظ على منجزاته بالنسبة لحرية الأفراد وتطلعاتهم . وعادة ما تستخدم الحكومات هذه المؤسسات المدنية في تطبيق إجراءات الديمقراطية بالتعاون مع المؤسسات السياسية وغيرها من المنظمات الفاعلة في المجتمع كالأحزاب السياسية والاتحادات العمالية والمهنية ومؤسسات ذات النفع العام .
وبما أن مؤسسات النفع العام تبحث عن بدائل لخلق ناعادل بين السلطات الحكومية والشعوب وتحاول أيضا كبح المعارضة من خلال التشاور مع الحكومات حول حلول وقتية لاستتباب الأمن ودوام الاستقرار قبل أن يفلت ومام الأحوال فتقوم الحكومات بتطبيق القوانين العسكرية أو استعمال الإجراءات التقليدية في ضبط المعارضة .
وتظنرا لأن مؤسسات النفع العام والمنظمات السياسية في العديد من الدول المتقدمة ديمقراطيا يقع على عاتقها عبء التعادلية والمساعدة على نشر الأمن ودوام الاستقرار فإنها تلعب دورا أساسيا في تقليل ضبط الحكومة للشعوب . وبما أن الحفاظ على الأمن والاستقرار شاغل كل

حكومة فإنها تسعى لكبح جماح المعارضة من أي جهة شعبية أو سياسية . ولا يتسنى لها ذلك إلا عن طريق القمع البوليسي واستخدام أساليب تقليدية وقد تحول إلى دكتاتوريات لضبط نشاطات الجماعات التي تعارضها كما حصل في مصر وفرض قانون الطوارئ لسنتين عديدة بعد كثرة الاعتصامات الشعبية والمظاهرات من الجماعات المناهضة للحكومة وسوء الحال الاقتصادي وتفشي البطالة بنسب عالية قياسا للمستوى العالمي .

من المؤسسات التي يسمح لها في عديد من الدول النامية الاتحادات المهنية كالطب والمحاماة والكتاب والعمال والتخصصات الأخرى بالإضافة إلى المؤسسات الخيرية والنوادي الرياضية والثقافية والتقنية والدينية ونوادي الأقليات الجمعيات النسائية وجمعيات القطاع الخاص التجاري والاقتصادي والإعلامي ، حيث لكل من هذه المؤسسات من يطالب بحقوقها ويدافع عن هذه الحقوق أمام ممثلي الحكومات دون المساس بحقوقها أو مهاجمتها أو التدخل في شؤونها من قبل القوات الحكومية أو أجهزتها الضاربة .

فإذا أخذنا مثلا الدول المتقدمة في أوروبا والولايات المتحدة ودرسنا دور مؤسسات النفع العام أو مؤسسات المجتمع المدني ، نجد أن لها تاريخا طويلا حتى تبلورت أسس الديمقراطية وتم تطبيق القانون بصورة عادلة حيث تحاسب كل السلطات أمام الجماهير وتساءل عن أخطائها سواء السلطة التشريعية أو القضائية أو التنفيذية ، ورغم أن الكفاح المتواصل من قبل مؤسسات المجتمع المدني أخذ قرونا متعددة وبالتحديد منذ القرن الثامن عشر وحصول الثورتين الفرنسية والأمريكية ، حتى وصلت إلى الوضع المتقدم الحالي إلا أنها مازالت في بعض الدول تقف الحكومات أمام شعوبها حين يصل الأمر إلى التظاهرات والمعارضات التي ترى فيها الحكومات خطأ فادحا للتعبير عن الرأي ، فتقوم بلعب الدور التقليدي في كبح جماح المظاهرات والمعارضة باستعمال خراطيم المياه والمجابهة بين أفراد الشرطة والجماهير .

وما رأيناه في الستينات من القرن الماضي في الولايات المتحدة حول حقوق الإنسان ومحاولات ضبط الحكومة لنشاطات الشباب في الاتحادات والجماعات لدليل على تطور ممارسات الدول مع مؤسسات المجتمع المدني الذي كان يدعو إلى المساواة بين السود والبيض وتحسين أحوال الأقليات وإرضاء من كانوا ضد حرب فيتنام . وما زالت الدول تسيء التصرف في معالجة قضايا الشعوب خاصة إذا ساءت الأحوال الاقتصادية أو زادت الفصائح السياسية كما حصل في عدد من الدول الأوروبية آخرها ما حصل في اليونان ضد إجراءات الحكومة الصارمة لإصلاح النظام الاقتصادي في البلاد قبل أعوام قليلة .

إذا سألت مواطنا كيف يتصرف إذا كان في مركز حكومي وكان أبوه محل شبهه فهل يبسم أباه للمخافر لينال جزاءه ؟ بالطبع معظم الدول العربية العلاقات الإنسانية الخاصة بالأسرة والقبيلة والتبعية الدينية لها تأثير أقوى على الأفراد من علاقة المواطن بالحكومة . فالجانب القبلي يعطي الصحة والمعرفة والقرابة وأبناء القبيلة مركزا هاما فوق واجب للحكومة .

مؤسسات المجتمع المدني يغلب عليها طابع الخير وتقديم المساعدات للمحتاجين ، ولا تقدم شيئا آخر سوى المساعدة عند الحاجة ، وهذا يختلف عن الجمعيات الأخرى التي تساهم في عمليات التنمية الاجتماعية ، حيث إنها تختلف في طرق التوزيع وطرق جمع المصادر التمويلية .

وكلها تعتبر واحدة من حيث شروط التسجيل سواء مؤسسات النفع العام أو المؤسسات المالية أو الخيرية ، ولا يوجد تفريق من حيث الوظائف أو الخدمات التي تقدمها كل نوع من

المؤسسات ، وهذا ما يجعل هذه المؤسسات عاجزة عن توظيف أموالها في الاتجاهات الصحيحة .

العلم ومظاهر الحضارة Science and Civilization

هل يضر العلم بالشيء أو بالأشياء التي لم يسبق لنا معرفتها ، لا بد أن القراءة ممتعة إذا كانت تزيد من معارفنا وتفتح عقولنا وتجعلنا نبحر في خضم المعارف والتصورات أو التخيلات ، اعتبر ما تقرأه من أجل الحس بالكرامة الإنسانية ، والرغبة في العيش كإنسان والتمتع بالوقت والاستفادة من المقروء . لأن مخاوف الإنسان من العلم والمعرفة قديمة قدم الحضارة والآلات . وفي هذا الكتاب فكر إن شئت أن تطلق عليه صفة الفكر الإبداع والإبتكار والتجديد في مجتمع مدني يعتمد المؤسسات والمنظمات لخدمة أهداف المجموعات البشرية في كل مجتمع فأنت حر في تسميته ، كما أنك حر في تكملة جوانب المعرفة فيه . واليوم يستغل الإنسان الجشع العلم حيث بدأ يحكم العالم ويريد من العالم أن يقلده ويتبعه نهما في جشعه وماديته ، وبدأ التظاهر والادعاء الحضاري يكلف البشرية ثمنا باهظا على حساب الجوهر والمحتوى للحياة . وأصبح العلم شريرا من شؤون الآخرين وتبعهم تابعون يرددون ما يقولون .

إن الحافز الملح والممتع معا هو الإحساس بالاكتشاف الشخصي للقدرات والإمكانات للتغيير . فالرتابة كالنظريات مملة ، والعلم التطبيقي يجعل للحياة معنى ، أسألو كتبة المصارف والبنوك ، أسألو سائقي التاكسي ، أسألو الرسامين والكتاب عن أعمالهم ، أسألو الزوجات ، أسألو المدرسين ، أسألو الموظفين الحكوميين . هل يتمتعون في أعمالهم الرتيبة ؟ لقد مهدت نظرية الأعداد للعالم هاردي أو تكهنات علم الفلك الفيزيائي إلى مقولة أن العلم التجريدي ليس له علاقة بالممارسات اليومية . أسألو الناس وستعرفون أن النظرية بلا تطبيق ، هي حياة رتيبة مملة تقود إلى الجنون أو الانعزالية أو الفراق . أسألو الأدباء عن رأيهم في العلماء النظريين ، سيقولون أنهم جامدون يذهبون لعلمهم صباحا في عالم حيادي مغلق ، فهم " يعرضون أنفسهم للضوء كلوحة التصوير الفوتوغرافي في غرفة التحميض المظلمة أو المختبر يحمضون الصورة" ، ثم على نحو مباغت تظهر الصورة المكتشفة بأحرف بارزة كمعادلة رياضية للطاقة النووية . ولو سألت قراء الأدب الرفيع ، فهل يصدقون إذا قيل لهم أن ما يقرأون هو ما سجلته كاميرا الكاتب وما اخترنته في جوفها من صور ؟ لن يصدقوا لسبب بسيط وهو أنهم يعرفون أن العلماء كأناس يثبتون الحقائق الطبيعية بوسائل ميكانيكية أو عملية .

والعلم بشقيه التجريدي والبحث والتطبيقي هو العلم الذي يتم بحثه لاكتشاف الحقائق ، والقدرة على الاكتشاف وصنع الاكتشاف ظاهرتان توأمان ، ولا يمكن لأحد أن يفصلهما عن بعض ، فالمجتمعات مهما كانت نظرياتها متقدمة أو متأخرة فإنه يتم تطبيقها في الحياة اليومية واحترامها والدفاع عنها مهما بلغ بعدها عن النظرية المعرفية التقليدية . فالمظاهر الجديدة قد خلقت معارف يصدقها البشر بحكم نموهم ، فالطفل يقدس السن ، والمرأة تقدس المرء وتعتمد عليه ، والبنات في عنق أبيها حتى يموت هو وليس هي . ذلك هو العلم النظري وهذه تطبيقاته . فهل يستطيع الإنسان رفض العلم النظري والتطبيق في مجتمعه بحجة التغيير ؟ لسبب بسيط هو أن الناس تعارفوا عليه ، وخبروه ، واستفادوا من ممارسته . لا أعتقد أن عاقلا يرمي نفسه إلى التهلكة من أجل تغيير ما يتصور الناس أنه حقيقة مقدسة ، وقد قام العديد من الحضارات على هذا الأساس الاجتماعي التقليدي بشقيه النظري والتطبيقي .

البصيرة والإبصار

البصيرة والإبصار ، البصيرة إبداع والإبصار تطبيق للإبداع ، فرسم اللوحة ينم عن بصيرة الفنان ، والتمتع بتلك الصورة وتنسيق ألوانها وما تحتويه من معان هو إبصار . ومن البصيرة ما فكر فيه كوبرنيكس الذي وجد أنه إذا نظر إلى الأفلاك الكواكب من ناحية الشمس وليس من ناحية الأرض فإن حساب أبعادها يبدو أسهل . ومن البصيرة ما نادى به كبلر في بداية القرن السابع عشر فهو يقول بأننا إذا ربعنا سنة كوكب ما ، فإننا نحصل على رقم يتناسب مع مكعب بعده عن الشمس . ومن البصيرة أيضا ما افترضه كوبرنيكس في كتاب له عام 1533 وهو أن "الأرض تدور حول الشمس" وتبعه بعد ذلك غاليليو غاليلي الذي دفع حياته ثمنا لاستعمال بصيرته بعد أن سجن وعذب ولكنهم لم يستطيعوا أن يثبتوه عن رأيه دفاعا عن الحقيقة العلمية . وقل أن نجد هذه الأيام من يدافع عن الحقائق العلمية في عصر عم فيه جهل السياسيين ممن استغنوا من حكم الشعوب حيث اتسعت دائرة الجهل حولهم من المترلفين وأصحاب المصالح من الاستخبارات والقبائل والعشائر التي لا تؤمن بسيطرة العلم ونبوغ العلماء .

مراحل التطور العلمي البشري

إن علوم الكون والفلك والفيزياء المجردة قد مهدت الطريق واسعا أمام التطبيق في الحياة الإنسانية ، وهذا ما أطلق عليه أوجست كومت مرحلة العقلانية من مراحل الإنسانية الثلاث الدينية التقليدية وماوراء الطبيعة والعقلانية المجردة . ومما وصفه بالمرحلة الدينية كان من صفات القرن التاسع عشر في فرنسا حين بدأت النهضة وأصبح مركز الإنسان في المجتمع حسب بناء المجتمع محاط بمعوقات لا تدعه يبتعد عن الخالق في تفكيره ، أي ربط التفكير بمعتقدات الأديان ، وفي هذه الفترة تعلم الإنسان دون تبصر ما ورثه عن الآباء واعتقد بقوة الخوارق الإلهية ، وهي الإيمان بقيمة الموروث أو الإيمان بقوة خارفة ، تفوق قوة البشر عائدة إلى الاعتقاد بأنه يتحكم في الكون ويسيطر عليه. وكانت فرنسا تتبع الطريقة التقليدية في التفكير. أما المرحلة الثانية فكانت مرحلة ما وراء الطبيعة (Metaphysical phase) وتختلف عما عرفت عن أرسطو وغيره من الفلاسفة ، لأن جذورها تبدأ من مشاكل المجتمع الفرنسي التي جاءت نتيجة الثورة الفرنسية سنة 1789. وهذه المرحلة من تاريخ البشرية اعتبرت الحقوق الإنسانية العالمية للبشر في مرتبة أعلى من من سلطة أي حاكم . وهه المرحلة اعتبرت مرحلة تحري للحقائق لأن الناس بدأوا بإعمال العقل والتفكير ومساءلة تلك القوى الخارفة ، ولكنها لم تكن ناجحة وإن وضعت الأسس للمرحلة الثالثة في نموذج كومت وهي المرحلة العقلية الموضوعية (positivism) التي اتسمت بمساءلة الدين والسلطات ، وجعلت أساسا لها قواعد علمية لاستعمالها للوصول إلى الحقائق عن طريق اتباع مناهج علمية وقواعد عقلية ، وهي مرحلة تبعت فشل الثورة وتسلم نابليون للسلطات وأصبح الناس يجدون حولا لمشاكل المجتمع الفرنسي وجعلت هذه الحلول أساسا بدلا من الثقة العمياء بالآلهة ومعجزاتهم. وبدأ العلم يفتح آفاقا جديدة للإنسان مبنية على الفرضيات وفحصها حسب مناهج علمية لا حكمية كما كان سابقا. وأصبح فيما بعد نموذج كومت لتطور البشرية في المراحل الثلاث أساس للنظرية الاجتماعية الداروينية ، وقد سماها كومت بالفيزياء التقليدية واعتبر عمله في المجتمع ليس كعلم اجتماعا وإنما سماه بفيزياء المجتمع (Social Physic) أو هندسة المجتمع (Social Engineering) .

ولم يكن ماركس شادا عن تلك المراحل فاعتبر العمل وطرق الإنتاج أساسا لتقوية لمراحل التاريخ كما اعتبر تقسيم العمل أساس للتطور البشري ، حيث قسم المراحل إلى خمسة مراحل تبدأ بالمرحلة البدائية القبلية الذي تنعدم فيه الطبقات حيث تكون صلة القرابة هي المتحكم في الناس ، ويكون الرئيس هو القاضي والحاكم والموزع للمؤن وأسباب الحياة ، وتتسم المرحلة بالجمع والقطف للثمار من النساء والصيد والتجارة من الرجال ، وتوزيع المحصول من قبل الرئيس. ويعتبر ماركس وأنجل هذه المرحلة مرحلة قبلية بدائية يعود فيها تقسيم العمل إلى أفراد الأسرة أو القبيلة . وفي هذا المرحلة تأسست العبودية للأحرار خاصة الفقراء الذين لا ينتمون إلى القبيلة بعد أن بدأ تزايد السكان مع زيادة مطالبهم وحاجاتهم بشكل عاملا هاما في التغيير . وبعد أن بدأ الناس يتصلون بالحضارات الأخرى حولهم. وجاءت المرحلة الثانية بعد الاتصال بين الحضارات حيث قسمتهم إلى غالب ومغلوب وبدأ عصر العبودية الذي أنشأ الطبقات الاجتماعية ، وبدأ إنشاء المدن كرها بالغلبة والقوة أو طوعا بالصلح والاستسلام ، وبدأ في هذه المرحلة ما يعرف بالتملك أو الملكية الخاصة بشكل مبدئي في البداية ولكنه أكثر تعقيدا في المراحل التالية ، حيث كان تمركز الثروة في أيدي القلائل من أصحاب القوة يجعل الملكية تنشيء طبقات تدور في فلك أصحاب القوة والثروة . ومع تزايد الناس المستعبدين

نشأت طبقة عمالية ممن كانوا يفلحون الأرض أو يعملون في المصانع لها مميزات تختلف عن الطبقة الأرستقراطية الغنية صاحبة القوة ، حيث سماها ماركس بالبوليتاريا . أما المرحلة الثالثة حسب ماركس فكانت مرحلة الإقطاع وهي كالأنظمة السابقة من حيث ملكية الأرض ولكنها أكبر اتساعا ، فتحول الناس من خدم للإقطاعي لعمال يعملون في خدمة الأرض كفلاحين أو أجراء يعتاشون من خدماتهم لصاحب الأملاك من الإقطاعيين . وفي المدينة أصبح الفلاحون عمال مصانع مع تقدم المخترعات والصناعات المختلفة ، وأوجد المجتمع الديد نظام التبادل التجاري حسب قوانين الإقطاع . وأصبحت المدن والمجتمعات تتبع المجال الإنتاجي ، وأصبحت شروط الإنتاج تتحكم في بعلاقات الطبقات في المجتمع ، سواء في الزراعة أو الصناعة ، وبدأ استغلال الأيدي العاملة من المزارعين وعمال المصانع لصالح الأغنياء وأصحاب الثروات من العائلات الحاكمة ، وكان تقسيم العمل بسيطا فهناك مالك للثروة وهناك طبقة عاملة تخدم صاحب الأملاك في المصنع أو الأرض. وظهرت مرحلة جديدة عرفت بالرأسمالية ، وقد ترعرعت الرأسمالية من زيادة التجارة والتبادل التجاري بين الشعوب حيث زادت ثروات أصحاب الثروة وزاد تحكمهم بالعاملين لديهم ، وزاد تملل الطبقات العاملة في بريطانيا فقاموا بثورتهم سنة 1640 ، كما قامت الثروة الفرنسية سنة 1789، وكلاهما أسس مجتمعا يعتمد على البضائع والأرباح ، وهي من أسس المجتمع الرأسمالي الجديد ، واعتقدت البروليتاريا أو الطبقات العاملة أنها ربحت بعد الثورة ولكن استغلالها زاد عما قبل وبطرق مبتدعة جديدة مما خلق هوة واسعة بين من يملكون ومن لا يملكون . وبدأت ثورة الطبقات العمالية بالمطالبة بتحسين أوضاعهم ولو أدى ذلك إلى الثورة المسلحة لتغيير الحكومات لنيل مطالبهم ، وبـ*اوا* بالمرحلة الجديدة بعد الرأسمالية بما سماه ماركس بمرحلة الاشتراكية أو الشيوعية وهي تساوي الناس في العمل وفي الإنتاج واعتبر ماركس هذه المرحلة بأنها النهائية في التطور البشري.ولكن الرأسمالية عادت من جديد تتحكم في مصائر الدول والشعوب بعد سقوط المد الشيوعي المتمثل في الإتحاد السوفييتي مما زاد من سطوة الرأسمالية العالمية وكان من نتائجها العولمية احتلال أفغانستان والعراق ومحاربة المسلمين .

نيوتن وقصة التفاحة Newton and His Apple

ليس ما أدهش الشاب نيوتن وكان في الثانية والعشرين من العمر (1665م) التفكير في أن التفاحة ينبغي أن تتجذب إلى الأرض بتأثير الجاذبية ، فهذا المفهوم كان معروفا من قبل نيوتن ، وما أدهشه هو تخمينه بأن نفس قوة الجاذبية التي تصل إلى أعلى الشجرة ، قد تمتد إلى ما بعد الأرض وهوائها وإلى ما لا نهاية في الكون . ففكرته كانت بالتحديد: إن قوة الجاذبية قد تصل إلى القمر ، وأن ما يحفظ القمر في مداره هي قوة الجاذبية . وقد حاول نيوتن حسلب قوة الجاذبية المطلوبة لسقوط التفاحة والقوة المطلوبة لحفظ القمر في مداره ، وقد اتفق الحسابان ، فالطفل يشب كأبيه ، وهناك تشابه بينهما ، غير أن التشابه والتقارب لا يكونان تامين فهما متفقان وحسب ، ولا وجود لتشابه مضبوط وتام ، وهذه الجملة بحد ذاتها تشير إلى البداية الحقيقية للعلم الحديث .

الجمال والقبح Beauty and Ugliness

الجمال فهو "الانسجام في التنوع" كما عرفه كولردج والعلم هو البحث الدائب في سبيل اكتشاف الانسجام في عالم التنوع في الطبيعة ، أو هو اكتشاف الانسجام في تنوع خبراتنا . هو اكتشاف خريطة الجينات البيولوجية هو اكتشاف أعراض الأمراض الخبيثة وطرق علاجها هو التعاون في حل الخلافات هو وسائل الاتصال عبر الإنترنت لمنفعة الإنسان وتيسير زيادة معرفته بالكون حوله . وجمال العلم في الخير وإن كان أحيانا يفقد ذلك الجمال في الشر

خذ مثلا من فقدان الجمال الذي يسببه العلم أحيانا : أربعون ألفا قتلوا في ومضة دامت ثوان معدودة (وقعت القنبلة فوق الحي الذي كانت تسكنه الأقلية المسيحية في ناكازاكي) الأرض تفقد شعرها ويزيد صلعتها مع الأيام والبيئة تصرخ هل من مجيب .

المصادر الطبيعية تكاد تنفذ ، وتتسابق السيارات والطائرات في إخراج ثاني أكسيد الكربون وتزيد مساحة الأوزون يوماً بعد يوم ، والناس يفرحون ويطلبون ويزمرون لميلاد السنة الجديدة .
وسائل الاتصال عبر الإنترنت وما تحتويه من خروج على الحد الأدنى من الأخلاق .
كل هذه العلم وتقدم العلم عن طريق الاختراعات الجديدة والاكتشافات العلمية أمثلة من نتائج العلم الجميل والقيح .

من يحكم هذا العالم؟
Who Rules This World?

من يحكم هذا العالم ؟ ومن يسيطر عليه؟ وما أخلاقياته ؟ أهو العالم (بكسر اللام) ، أم التاجر؟ أم الجاهل؟ أم الطماع ؟ أم الغبي؟ أم كل أولئك مهما كانت خلفياتهم العلمية أو حجم ملكياتهم أو مدى طمعهم ، أو مدى غبائهم ؟ فمنذ التسعينات والحديث يدور حول مستقبل هذا العالم ، ومن سيتولى السيطرة على مقدراته الفكرية والاقتصادية ، أو بصيغة أخرى من سيقود هذا العالم وما مواصفات ذلك القائد ؟ وما شكل التفاعلات التي ستحكم علاقاته ؟ خاصة بعد ازدياد عدد المهاجرين من الدول المحتاجة إلى المال إلى الدول المحتاجة إلى

الكفاءات والأيدي العاملة ، وما أثر تغير التركيب السكاني وتفاوت النسب العمرية واشتراك المرأة في ميادين العمل سواء في البلاد المضيفة أو بلاد المنشأ ؟ ونظرا لما للعامل الاجتماعي من أهمية في تلوين الثقافات والعقائد في عملية التجاذب والانسجام أو في عملية التأقلم والبحث عن الهوية ، كان الدين أو العقيدة هما أساس التفكير عند الأقليات في كل بلد ، وكان السؤال الذي شغل وما زال يشغل علماء الاجتماع وعلماء النفس هو: ما نوع التفاعلات المحتملة بين أبناء الحضارات العريقة عقائديا والحضارات العريقة صناعيا ؟ وهل ستكون علاقة تعاون وانسجام أم علاقة صراع وتصادم . وبميل هانتنتغتون إلى علاقة السيد بالسود ، بمعنى أنها علاقة صراع من أجل البقاء ، صراع يستخدم الأديان للسيطرة على العالم والتفرد في حكمه وإرغامه على أحادية التفكير والمنهج والتطبيق . (هانتنتغتون 1994) . أما جوابا على سؤال من سيقود هذا العالم مستقبلا فقد أجاب فوكوياما وهو من مشايخي هانتنتغتون ، بأن الرجل العصري هو الرجل الذي يمثل ما وصلت إليه الحضارة وهو خاتم التاريخ ، ومن صفاته أنه ديمقراطي ، والديمقراطية حسب فوكوياما هي أفضل ما توصل إليه البشر من أنظمة سياسية . وأكثر مواصفات ذلك الرجل تنطبق على الرجل الغربي ، وتنطبق الديمقراطية على العالم الغربي بشكل عام ، وقد رشح فوكوياما النموذج الديمقراطي الغربي للسيطرة على العالم وقيادته . ومواصفات الرجل العصري أو خاتم التاريخ هو المتعلم المتسامح الذي يحترم الآخرين ، ويمنح الفرص وينمي المهارات عند الغير ، وباختصار هو مواطن المجتمع المدني بأخلاقه وتصرفاته وحياته التي تعتمد على مبادئ الحرية والمساواة والسعي لتحقيق السعادة الدنيوية . وتنطبق هذه الصفات على الرجل الرأسمالي الذي يعيش فترة ما بعد النهضة الصناعية فيما يعرف بفترة عصر المعلومات . ويعيش في مجتمع مدني له ما على المواطنين من حرية تعبير وعليه ما عليهم من دفع الضرائب واختيار ممثليه وعدم محاكمته إلا بقوانين مرعية لا تفرق بين الأفراد أو بين الجماعات ، وباختصار مجتمع مدني يعيش الفرد فيه بكل حرية ويتفاعل مع مؤسساته وأفراده بالحسنى والتفاوض والإقناع ويدعو إلى التغيير في حالة وجود أي خلل في ذلك المجتمع . وقد نهض علماء الاجتماع النفسي وعلم الاجتماع المقارن وعلماء النفس على دراسة من يشذ أو يشدون عن تقاليد المجتمع المدني وهدفهم في ذلك مؤشرات التغيير سلبا أو إيجابا . فكانت الحصيولة دراسات الأقليات وتفكيرها ومدى انسجامها مع تقاليد المجتمع الجديد ، وكانت دراسات المحتوى لمناهج التدريس في كل المراحل الدراسية ، وكانت دراسات التأثير الاجتماعي والسياسي والعقائدي على عملية التغيير ، وهدفهم في ذلك هو التغيير الإيجابي الذي يبني المجتمع ولا يهدمه ، ويزيد من تماسك الأفراد والجماعات في المجتمع المدني .

وباختصار فإن المجتمع المدني هو المجتمع الذي تحكمه القواعد والقوانين الوضعية التي تحدد ما للمواطن (مهاجرا كان أم أصيلا) من حقوق وما عليه من واجبات في ظل ثلاثة مبادئ رئيسية هي الحرية والمساواة والسعي لتحقيق السعادة . وهي لا تركز على الفكر الديني رغم أهميته في حياة الأفراد سواء أكانوا من الأقلية أو من الأكثرية . ويندرج تحت المجتمع المدني الدول الغربية وأمريكا الشمالية واليابان ومن يشاركها فكرا وتطبيقا في العالم المتقدم تكنولوجيا ، وفي المجتمع المدني للمواطن الحق في حرية القول والتعبير وحرية الانتخاب والترشيح ، وحرية العمل والتعليم كل حسب مستواه الاجتماعي أو السياسي أو

الاقتصادي . كما أن المجتمع المدني هو مجتمع عقلائي يعطي الفكر والبحث عن الحقيقة قسطا من الاهتمام لزيادة الإنتاج والإدارة الحديثة واستغلال الوقت . وفي المقابل هناك المجتمع التقليدي بمميزاته التقليدية في الحكم والتعامل إداريا واقتصاديا وسياسيا. المجتمع الذي لا يريد التغيير ليماشي أو يتعايش مع روح العصر ، بل ويقاوم ذلك التغيير بكل الوسائل . وإن حصل التغيير فإنه يكون بطيئا مملا دون تشجيع من أفراد المجتمع ، لأن الولاء في الحكم للفرد المتحكم في القرار السياسي وكذلك القرار الاقتصادي . ومن مميزات المجتمع التقليدي العقيدة التي تعتمد على مبدأ الحكمة وتسليم الأمور لقوة مجهولة ، تتحكم في مصائر البشر ومصائر الأمم دون تساؤل أو إعادة تفكير فيما اعتور العقيدة من ضيق أفق في الولاء والاستعلاء على الغير واعتبار الأحادية في الفكر أو العقيدة أو التعصب الأيديولوجي عاملا يتيما من عوامل الصراع والسيطرة على الغير .

أنواع العنف ضد النساء

Violence Against Women

يعتبر العنف ضد المرأة ظاهرة سلبية تظهر في الدول النامية والدول المتنامية على حد سواء ، مع أن حوادث العنف في الأسر تعتبر حالات خاصة تمر بالكتمان في أغلب الأحيان ، حتى أنها لا تنتشر للجيران أو السلطات الرسمية عبر مراكز البوليس أو الصحافة ، ولكن استمرار

تلك الحوادث وحجمها قد أخرجها من الخصوصية إلى الرأي العام . وفي هذا المقال يعرض الكاتب ثلاثة من مظاهر العنف ضد النساء في العالم .

أولها العنف الأسري: ففي الولايات المتحدة تقع حوادث اعتداء بالضرب على المرأة كل 18 دقيقة . تعتبر الاعتداءات سببا رئيسيا للجروح والكدمات التي تظهر على وجه النساء ، خاصة النساء بين الخامسة عشرة والخمسين في العمر . ومن خلال ملفات غرف الطوارئ في المستشفيات فإن نسبة 22 إلى 35 % في المائة من حالات حوادث النساء تكون نتيجة لذلك العنف المدني ضد النساء .

وفي البيرو فإن هناك 70% في المائة ، من مجموع الجرائم التي تصل مراكز البوليس تكون لها علاقة متصلة بالاعتداء بالضرب على النساء من قبل أزواجهن، ولا تخل دولة من دول العالم من تخلو من حادث الاعتداء الجسدي واستعمال العنف مع النساء ، حتى أن جمعيات حقوق الإنسان ومؤسسات النفع العام قد شاركت في فضح هذه الأعمال البربرية ضد النساء ، حيث أعلنت أن النساء في باكستان تتعرض للعنف الجسدي وأن هناك تقرير بأن 400 حالة في عام 1993 في مقاطعة واحدة غرب باكستان يقال لها البنجاب . وقد أفادت التقارير أن أكثر من نصف هذه الحوادث انتهى بوفاة الزوجة .

ولم يكن الاهتمام العالمي للمعاملات القاسية للنساء إلا بعد أن نجا لاعب الكرة أو. جي. سامبسون من تهمة قتل زوجته وصديقها في كاليفورنيا بالولايات المتحدة قبل عقدين من الزمان ، حيث كان للخبر أصداءه في الصحافة العالمية التي بدأت تهتم بقضية شائكة تهم العنف ضد المرأة وتدافع عنها ،

وفي العالمين العربي والإسلامي ما زالت النساء لأسباب تتصل بشرف العائلة تتحمل العقاب بما يسمى جريمة الشرف ، نظرا لأن شرف الأسرة في الدين مرتبط بشرف المرأة ، وقد تقتل المرأة لمجرد الشك في أمرها بعد إشاعة مغرضة ، فتفقد المرأة حياتها دون دفاع عن نفسها . مما يساهم في زيادة العنف في تربية البنات على مستوى الأقاليم ، رغم أن كثيرا من الدول بدأت بوضع قوانين صارمة لتقليل تلك العادة وهي قتل المرأة من قبل مقرب لها يكون أخاها أو أباه . وبدأ الاهتمام أيضا بتبيان أهمية التربية بالحوار والمعاملات الإنسانية للبنات والبيبي على حد سواء ، ووضعت قوات خاصة من الأمن العام لمتابعة هذه القضايا وطلبت من المستشفيات أن تقدم المشورة والتوجيه للجمهور حتى يزيد من التوعية في هذا المجال . وحتى أن بعض الدول أدخلت مسابقات في مدارسها الثانوية تحض على حل المشاكل وعدم استعمال العنف في حلها ، أما في الدول المتقدمة فقد فتحت المنشآت المجانية ومراكز الاستشارة لاستقبال تساؤلات النساء وتقاريرهن حول العنف ضدهن .

والنقطة الثانية في العنف الأسري تتعلق بالطهور ، الذي يتعدى الذكور إلى الإناث في بعض الدول والتقاليد ، ومع أن طهور الفتيات ليس من الدين في شيء فهو مرتبط بتقاليد متوارثة في جنوب مصر والسودان ومعظم دول أفريقيا الوسطى وجنوب شرق آسيا ، وقل أن نجد عادة تطهير الإناث في دولة غالبيتها مسلمون كما يعتقد البعض ، ولكن بعض الحاقدين ممن يكرهون العرب والمسلمين يتهمونهم بهذه العادة رغم أنها منتشرة في نواحي أقاليم من المسلمين يمارسون عادة قبلية لا يوافق الإسلام عليها . ويدعي من يقوم بعمليات تطهير الإناث أن العملية تقلل من لذة الفتيات ومن شغفهن في المتعة الجنسية ، وهو حق من حقوقهن عدا عن أن الذين يمارسون التطهير للفتيات الصغيرات ليسوا مهرة بل هم مبتدؤون في أعمالهم وغالبيتهم من الحلاقين في تلك البقاع مما يتسبب في وفاة العديد من الفتيات نظرا

للالتهابات والمضاعفات التي تتبع عملية التطهير. وهناك في العالم ما يقرب من 85 إلى 115 مليون فتاة وامرأة تتعرض لهذه العمليات وتقاسي نتائجها النفسية والجسدية ، مما يستدعي اهتماما دوليا على مستوى هيئة الأمم ، وفي كل عام هناك تقديرات تتراوح بين مليونين وثلاثة ملايين فتاة في العالم تتعرض لمثل تلك العمليات الشنيعة ، معظمها في دول أفريقيا وآسيا ، كما أن عددا منها قد حصل في أوروبا وأمريكا الشمالية بين المهاجرين القدامى والجدد من الدول الأفريقية والآسيوية الذين اعتادوا ذلك في تقاليدهم . ففي فرنسا مثلا ، أدين رجل لقيامه بتلك العملية لفتاة فقدت حياتها بعد عملية تطهيرها ، وفي كندا أضافت سببا جديدا لقبول المهاجرين كلاجئين سياسيين إذا تعرضوا لعمليات التطهير وهربوا من ممارستها أو القيام بها .

وقد بدت الكثير من المؤسسات والمنظمات الحكومية والشعبية بنشر معلومات تساعد على منع عمليات تطهير الفتيات ، لما لها من مضاعفات جسدية ونفسية وأخلاقية على الفتيات ومستقبلهن . ويكاد يكون هناك إجماع عالمي على نيل هذه العادات التي تقلل من قيمة المرأة على أنها إنسان قادر على التفكير وحماية نفسه في المجال الجنسي .

أما النقطة الثالثة فهي الاهتمام بالذكر أكثر من البنت فكم من النساء من تعاني من هذه المسألة ففي الهند تقام عمليات الإجهاض لحوامل الإناث في مئات العيادات ، وتموت المئات من النساء أثناء تلك العمليات أو بعدها نظرا لالتهابات والتطورات الصحية السلبية . ولا يسمى عند العرب أو المسلمين الشخص بأنه أبا لفتاة بل يقال له أبو ذكر ، أي اسم الولد الذكر ، ويتمنى الكثيرون من الأزواج بناء على تلك التقاليد أن تكون المرأة حاملا بمولود ذكر أكثر من تمنياتهم للمولود الأنثى . حتى أن الرجال يطلقون زوجاتهم لحملهن بالإناث ، أو يتزوجون على نساتهم من أجل الولد . وهذه عادات سيئة تقلل من احترام الأنثى في المجتمع ويدعو إلى عدم تعليم النساء وسرعة تطبيبهن في حالة المرض والتقليل من أهمية تربيتهن كما يفعلوا مع أبنائهم الذكور .

وفي الصين والهند مثلا تقرر كثير من النساء يحاولن عمليات الإجهاض للتخلص من الجنين إذا كان أنثى بينما يبقين حملهن في حالة الحمل بذكر ، لدرجة أن إعلانا صريحا ورد في الصحف لزيادة عمليات الإجهاض ، يقول : من الأفضل أن تدفع مبلغ \$40 دولارا بدلا من دفع \$3000 دولار مهرا لابنتك ، كما وجدت دراسة قام بها أحد المشتشفيات في الهند بين النساء اللواتي يقدمن على عملية الإجهاض فكانت النتائج مروعة تدعو إلى التساؤل . حيث إن أكثر من 95% في المائة من حالات الإجهاض كانت لنساء حوامل بجنين مؤنث . ويعني ذلك أن 4% في المائة فقط يقام الإجهاض لحالات تكون الأم حاملا بالذكور . حتى أن الدول المتقدمة أحيانا تؤكد تلك النظرة الدونية للمرأة ، وقد عرفت نكتة عن محمد علي بطل الملاكمة العالمي حين سئل عن أولاده فقال : ولد واحد وسبع غلطات . وكان ذلك للدعابة وليس مقصودا بالطبع .

النقطة الرابعة في هذا المجال هي المهور وكيفية دفعها ، والمهور هي مبالغ من المال أو الأشياء المنقولة ، فإذا لم تدفع أو قصر أحد الفريقين في دفعها فإن قتالا بين الأسرتين يبدأ ولا ينتهي إلا بعمليات عنف لتحصيلها . بالإضافة إلى أن كثيرا من الزيجات تحصل دون موافقة الفتاة على عريسها الذي تختاره الأسرة دون علمها ، وقد جاءت الأخبار بأن هناك أكثر من خمس نساء في اليوم الواحد يفقدن حياتهن بالحرق أحياء للخلاف حول المهور وعدم دفعها .

فيما سبق بينا أربعة ظواهر تساهم في التأثير على مركز المرأة في المجتمع ، وعلى المجتمعات أن تعدل في النظرية والتطبيق في معاملة أبنائها القتي والفتاة بعدالة في التربية وتقديم الخدمات والتقدير الجماعي ، وهذه أساسيات تنبئ بالتقدم الحضاري الذي تحاول الشعوب أن تصل إليه ، فإذا حصل التقدم في هذه المجال قل العنف تجاه النساء وذلك مقياس للتقدم الأخلاقي لكل أمة واتباع الأديان في هذه القضايا وليس العادات والتقاليد للحفاظ على البنين والبنات على حد سواء . (1194 كلمة)

مقال حول الدكتور حسن يحيى في مقابلات صحفية بالعربية

1

لقاء صحفي

مع المفكر وعالم الاجتماع العربي الأمريكي
الدكتور حسن عبد القادر يحيى *

INTERVIEW WITH
DR. HASAN YAHYA

س. ما هي حصيلة مشوارك الإبداعي ؟

ج. حصلت على ما يمكن أن يقال عنه بأنه أعلى الشهادات في سلم التحصيل العلمي وهي شهادة الدكتوراة العالمية. وعادة تأتي الدكتوراة بعد الماجستير والبيكالوريوس والمدرسة بمراحلها الثلاث الثانوية والإعدادية والابتدائية . على مستوى الإبداع الأسري فلي ثلاثة أبناء وبنات واحدة .

س. ما هي أعمالك التي تعزز بها ، في مجال التدريس أو الكتابة الإبداعية ؟

ج. الأعمال كالأبناء كلها عزيمة على النفس ، وإن كنت أفضل النظرية التي توصلت إليها خلال أبحاثي عن التعايش السلمي في الأسرة والمجتمع ، وهي النظرية الهلالية نظرية سي أو جيم التي تحولت إلى علم جديد تحت عنوان الهلالية (Crescentology) وهي فكرة جديدة وقد تم تطبيقها في المجالات التربوية عند الشعوب ومن المتوقع أن يفود تطبيق النظرية البشرية إلى تعايش دائم وتفاهم معرفي خال من المشاكل فيما بينهم . والنظرية تتطلع إلى عالم قريب الشبه بفكرة المدينة الفاضلة للفارابي وفكرة الجمهورية لأفلاطون ، وفكرة أتلانيس الجديدة ليكون ومدينة الشمس لكامبانيا ، ولكن الفرق بين عالم النظرية الهلالية وبين غيرها أنها ممكنة التطبيق في الواقع .

س. ماذا تعني بأنها ممكنة التطبيق ؟

ج. أعني أن الأعمال الأخرى التي ذكرتها كانت خيالية مثالية في خيال كتابها ، أما النظرية الهلالية فإنها ستساهم في فض الخلافات بين الناس عند تغيير مناهج التدريس شكلا ومحتوى ، مثلا سنقل من الطلاق في المجتمعات ، وسنقل المنازعات والانحرافات الاجتماعية كما أنها ستكون مبنية على فرضيات التفاهم واحترام الرأي الآخر من خلال المعرفة الصحيحة المتبادلة بين الناس التي ستؤدي إلى تقدير الآخرين ومن ثم قبولهم باختلاف أدواقهم وأفكارهم ، فلا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ، والله خلق الخلق وهم مختلفون ليتعارفوا ويعيشوا حياتهم القصيرة فيها بسلام وعمل جدي . كما أن النظرية تعتمد على عدم التعصب للجنس أو العرق أو الأصل أو التراث أو الدين . والنظرية تبقى نظرية ما لم يتم تطبيقها والسير بموجب فرضياتها وتغيير ما في النفوس حتى يغير الله ما بالأقوام من كراهية وتعصب وبغضاء .

س. د. حسن ! أنت تعلم أن الإنسان لا يخلو من المتاعب إذا أراد الوصول إلى القمة في الإبداع ، فهل هناك من صعوبات اعترضت طريقك أو واجهتك في مشاركتك الإبداعي ؟

ج. أوافتك الرأي ، فالإبداع لا يأتي من فراغ كما أنه لا يأتي على صحن من ذهب ، ولكنه يحتاج إلى عمل مستمر ومعاناة من أجل تحقيق الأهداف ، وأصدقك القول بأن زيادة المشاكل في حياة الإنسان تجعله خبيرا في حلها . فإذا كانت الأهداف محددة فإن العمل على حلها والحاجة إلى التخلص منها تدفع الإنسان إلى الإبداع ، وقديما قالوا: إن الحاجة هي أم الاختراع . وفي حياتي الكثير من المصاعب والمشاكل التي اعترضت سبيلي ولكن الهدف لم يغب عن ناظري مهما كانت الصعوبات . وفلسفتي في الحياة أنه لا توجد مشكلة إلا ولها أكثر من حل واحد . وعادة ما يكون التذرع بالصبر أحدها ، فالصبر يحل مشاكل كثيرة ، فلو صبر الزوج على زوجته لما طلقها ، ولو صبرت الزوجة على الزوج قبل أن تسأله أين قضى يومه ، لقال لها الزوج ذلك بعد دقيقة . فالصبر بحد ذاته حل لكثير من المشاكل الأسرية والاجتماعية .

س. هل ترى تعارضا بين عملك وبين حياتك الزوجية ؟

ج. لا بالطبع ، فكل من العمل والحياة الزوجية له نكهته وله واجباته ، وله مسؤولياته ، ولا تعارض بينهما إذا أحسن التخطيط لهما ، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر . وكانت زوجتي عوناً لي في دراستي وفي عملي ، وهي تقدر عملي وتناقشني فيه وكثيراً ما نتحدث في أمور المنزل أو أمور العمل ، ولا أرى غصاصة في تبادل الأفكار بين الزوج والزوجة ، أو بين الزوجة والأبناء .

س. ما موقف أبنائك حين يرون ما حققته من إبداعات في الكتابة والتأليف ؟ أي هل كنت لهم نموذجاً للتحصيل العلمي مثلاً؟

ج. هناك ما يسمى في علم الاجتماع "الاختلاف بين الأجيال" وفي حالتي كان والدي أميين تعلموا القراءة والكتابة من خلال ما حفظا من القرآن الكريم . وبالنسبة لي فقد حصلت على أعلى درجات العلم ، أما بالنسبة لأولادي فقد كان الحال مختلفاً إذ لم يحاول أحد منهم أن

يُحصل على الدكتوراة مثلا . ولكنهم يشعرون بالفخر والاعتزاز بما حصلته وهم يعتبرون نجاحي نجاحا لهم . فهم يعاملونني كصديق ولا ينسون احترامي كأب .

س. كما نعلم تمر الكتابة عادة بمراحل فهل هناك شروط تراها للكتابة الإبداعية ؟
الإبداع يحتاج تفاعلا مع قضية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ، كما يحتاج إلى معلومات تتصل بالموضوع مما يستدعي البحث والتقصي ، بالإضافة إلى توخي الصدق في نقل المعلومات ، وذلك يستدعي وقتا ، والإبداع يحتاج وقتا وتخطيطا لتحقيقه . والكتابة تحتاج جدلا وصبرا ومثابرة وكلها صفات إتقانها ينمو مع الأيام .

س. د. حسن ! ما أهم إبداعاتك ونشاطاتك الكتابية ؟
اهتمامي ينصب في قضايا الإنسان في كل مكان وخاصة في العالمين العربي والإسلامي ، ومركز الإنسان العربي في الحضارة العالمية وتداخلاته مع الحضارة العالمية والعولمة ، لذا فإن مقالاتي وكتاباتي عادة ما تكون حول العولمة والثقافة والأخلاق والتراث والتربية والإدارة والحضارات ، وأثار ذلك على الإنسان العربي والمرأة العربية وسلوكهما وأدوارهما المتغيرة في المجتمع الحديث .

س. كيف تستطيع الموازنة بين عملك الرسمي كأستاذ في الجامعة وبين نشاطاتك الأخرى مثل كتابة المقالات والظهور في المحاضرات أو المقابلات التلفزيونية ؟
ج. التخطيط ثم التخطيط ثم التخطيط ، والتقيد بالنظام الذي أرسمه . فلكل نشاط متسع في برنامجي ، وكل شيء يسير على ما يرام . وأستطيع القول أن لكل شيء نظام يجب أن يحترم.

س. هل تعتقد أن الإبداع موهبة تولد مع الإنسان أم تكتسب من خلال البيئة الاجتماعية والخبرة العملية ؟
ج. أعتقد أن الفطرة تتكامل مع الخبرة العملية من خلال بيئة الفرد الاجتماعية . لذا أعتقد بل أؤيد أن لكل جانب نصيب ولكني لا أعرف بالضبط مدى تأثير كل منهما على الإنسان ، وإن كنت أعتقد أن تأثير التجربة الإنسانية بعد الولادة أكبر من التأثير البيولوجي على السلوك الإنساني .

س. ما أحب الألوان إليك ؟ ولماذا ؟
ج. في الحقيقة أحب أكثر من لون ، فأنا أحب اللون الأزرق لأنه لون السماء التي لا حدود لها وانعكاسها على البحر الواسع . وأحب اللون الأخضر لأنه يدل على الحياة المتجددة والعتاء الوافر والخير للبشر . وأحب اللون الأسود لأنه يدل على الهدوء والحزن والليل والموت .

س. هل من نصيحة تقولها لأفراد الأسرة في المجتمع العربي بخصوص الإبداع والتفكير الإبداعي ؟
التواصل والحديث بين أفراد الأسرة من أهم القنوات التي توثق عرى المحبة بينهم فليحرصوا عليها . وعلى الآباء والأمهات أن يجدوا الوقت الكافي للإصغاء لأبنائهم وبناتهم ، وأن

يتواصلوا معهم وأن يفهموا التغيرات العصرية التي يجهلها الوالدين ولا يهتمون بها وتكون ذات اهتمام عند الأبناء والبنات من الأجيال الجديدة . وأن يحملوهم المسؤولية ويساعدوهم على اتخاذ القرارات التي تهتم حياتهم بحرية ودون قهر ودكتاتورية . وعليهم عدم الركون إلى الإشاعات والتأكد من صحة المعلومات قبل أن يحكموا على تصرفات وسلوكيات الأبناء والبنات .

بالنسبة للأبناء والبنات أقول: ليس كل ما يلمع ذهباً ، فليستعملوا عقولهم أكثر من عواطفهم . وليعلموا أن والديهم يكونون لهم حبا كبيرا وإن لم يظهروا ، وللأمهات أقول: تعلمي من ابنتك أو ابنك ، مهما كانت أفكارهم سخيفة من وجهة نظرك ، وناقشيهما فيما يقولون دون أن تفرضي رأيك عليهم . وللآباء أقول: اقتطعوا وقتا لقضائه مع الأسرة والأبناء والبنات فاعمل لا ينتهي ، وكونوا مصغيين جيدين لما يقوله الأبناء فمن أفكارهم نتعلم كيف نعاملهم . وكن صديقا لأبنائك .

س. هل هناك بيت شعر أو مقولة تؤمن بها وتدفعك للإبداع ؟

ج. أما بيت الشعر فهو الحقيقة التاريخية التي تتعاقب سواء كنا سعداء أو أشقياء وهو : ثلاثة أيام هي الدهر كله وما هن إلا الأمس واليوم والغد ، وقول المتنبي وما من شدة إلا سيأتي من بعد شدتها رخاء ، وأما المقولة فهي عن النبي صلى الله عليه وسلم : اطلبوا العلم ولو في الصين .

س. إذا خيرت بالعيش في جزيرة معزولة فماذا تحب أن تأخذ معك من الكتب؟ سم كتابا أو كتابين .

ج. القرآن الكريم أفضل رفيق ، فهو خير رفيق لكل عاقل . فإذا خيرت بكتاب آخر فهو كتاب مقدمة ابن خلدون في التاريخ أو كتاب حي بن يقطان لابن طفيل . فالكتاب الأول يبني الأخلاق وكل من الثاني والثالث يبني التأمل في خلق الله من الأمم والبشر . واليوم نظرا لما يحتويه الكمبيوتر من معلومات حول الكتب الثلاثة . لذا فإني سأختار الكمبيوتر لبناء العلاقات والتواصل مع البشر عن طريق الإيميل
س. ما انطباعاتك عن المرأة القطرية؟

ج. المرأة القطرية ذكية ولها عزيمة الرجال في سعيها الحثيث لتحقيق الهدف . وأكثر ما شد انتباهي وما أعجبنى في الحقيقة هو تصميم المرأة القطرية على النجاح والإبداع فيما تسعى إليه . فهي مؤدبة وخلوقة ودؤوبة على العمل لتحقيق ما تصبو إليه . وتهتم بالتراث وتعتر به وتحترم الآخرين .

س. ما أثر الكمبيوتر وعصر المعلومات على الأسرة حسب رأيك؟

ج. أعتقد أن له أثارا كثيرة ، ولكن الآثار الإيجابية ستكون أكثر من الآثار السلبية ، حيث سيفتح الكمبيوتر أفقا جديدة لأفراد الأسرة لتبادل المعلومات والتواصل فيما بينهم . وأعتقد أن الآباء سيقضون وقتا أكثر مع أفراد الأسرة خاصة وأنهم سيتمكنون من التواصل مع الآخرين عبر الكمبيوتر والإنترنت ، وهذا عامل إيجابي لزيادة التفاهم بين أفراد الأسرة .

الجنس والمساواة بين الرجل والمرأة

Gender Equality

عندما يتشكل الغضب أو تنمو مشكلة أو مجموعة مشاكل تدعو إليه وتوجهه فإن فروقا بين الرجل والمرأة في مجالات الجنس والمساواة بين الرجل والمرأة تبدأ في الظهور . وهي حالات نفسية وفسولوجية يختلف فيها الرجل عن المرأة باختلاف تكوينه خلقا وخلقاً. وتعتبر موجة إباحة الجنس قبل نصف قرن أو تزيد ، محاولة يائسة وغير سوية علميا لمساواة الرجل بالمرأة في الغرب ، وتحاول كثير من الأقوام والشعوب في التسابق في هذا المجال الذي ينحرف عما عهد في الأسرة الصغيرة والكبيرة على مر التاريخ ، وهم على غير علم بما وراء طبيعة الخلق للذكر والأنثى أساسا ، أو لما كتب لكل منهما من قدرات جسدية أو عقلية أو عاطفية تكتسي بالمشاعر والأحاسيس. ورغم التقدم المشاهد في هذا المضمار ، إلا أن وضع المرأة ما زال بعيدا أميالا طويلة يستحيل الوصول إليه عمليا وواقعا ، لسبب بسيط هو ما يعرف بالهدف الرئيسي بين الرجل والمرأة للوصول إلى ما يسمى بالمساواة بين الجنسين. والمعروف علميا في دراسة علوم الإنسان ، أن الرجل في كل زمان ومكان كان وما زال يتصدر المكان الأول في الدين والسياسة والتربية والاقتصاد والطب والمحاماة والهندسة إلى جانب العديد من الحرف والمهن والوظائف الروحية والنفسية والجسدية . ومع بعض الاستثناءات ، نجد أن الرجال منهم القادة والمدراء وأصحاب الحل والعقد في الأسر والحكومات ، ومنهم صناع الصناعة لما فيه من خدمات للبشر ومنهم من يقف خلف الأمور الفنية في مجالات الصحة والأدوية وما يستعمله الناس في حياتهم مما يبني أجسادهم وعقولهم ونفوسهم وطموحاتهم . ومنهم محرروا القطاعات العامة في كل المجالات العلمية والصناعية والمالية مما يتبع علوم الطبيعة في الأرض أو في السماء.

وبناء على ما سبق يرى الناس (رجالا ونساء على حد سواء) أن المركز الاجتماعي للرجل والمرأة يمثل التابع والمتبوع إلا ما ندر في بعض الحقب التاريخية قبل التاريخ ، واليوم نرى ونلاحظ أن لكل من الرجل والمرأة وجهة نظره وعقيدته أو تصوره نحو نفسه ونحو غيره ، وينطبق هذا على عملية الجماع والمعاشرة الجنسية حيث ما زالت النظرة العلوية لعلاقة الرجل والمرأة كطبق فوق طبق لا طبق مقابل طبق. فالرجل هو المبتدئ بالعلاقات الإنسانية عاطفية كانت أم اجتماعية ، فهو الذي يعرض على الفتاة فيما يعرف بالخطبة وهو المتقدم لطلب يدها للزواج ، وهو الذي يتحمل العناء والمسؤولية ويتكفل بالصراف عليها خلال فترة الزواج أو خارج الزواج ، بما يعرف بالحلال والحرام في الأديان . ففي حالة ما قبل التاريخ كانت المرأة تعمل جنبا إلى جنب مع الرجل ، حيث لم يكن يعرف الإنسان الفروق بين مهمات الرجل وما يقوم به ومهمات المرأة وما تقوم به . حيث إن أعمالهم كانت محدودة للحفاظ على بقاء النوع دون معرفة أو فلسفات حول الدور الأول والثاني في المجموعات البشرية القديمة . فكانت في تلك الأوقات تملك حرية الاختيار في المعاشرة الجنسية دون تحديد لمركز اجتماعي فهي مساوية له ، حيث إن فكرة التمييز بينها وبين الرجل لم تكن واضحة أو غير هامة في نظرهما . لذا فالمرأة كانت مساوية للرجل وكانت تعرض نفسها عليه أو على غيره ممن تحب وتشتهي ، بمثل ما كان يعرض نفسه عليها أو على غيرها ممن يحب ويشتهي. وكانت المعاشرة الجنسية تحقيق لرغبات جسدية لا يستطيع المرء كتمانها فيسعى لتحقيقها عن طريق إرضاء تلك الرغبة خاصة في فترة المراهقة وما بعدها التي قد تطول وقد تقصر عند كل من الرجل والمرأة . وعلى عكس ما هو معروف

اليوم من عرض الرجل نفسه على المرأة فهي تستقبل عرضا يقدم إليها ، فتنظر فيه وتقبله من عدة جوانب إنسانية وجسدية وعاطفية ، وإن كانت ترضى أو لا ترضى ، فإن رضاها أعلى احتمالا من عدم رضاها ، لأنها تشعر بمركزها الحرج في مجتمها الصغير كعضو في الأسرة أو مجتمعها الكبير كعضو في مؤسسة أو مصنع أو وزارة أو مجال .

قبل نصف قرن أو تزيد قليلا أو كثيرا حاولت النساء أن تغير من مركزها الاجتماعي فيما يعرف بحركة النساء ، بعد أن تقدمت علما ومعرفة حتى تساوت مع الرجال ، وحاولت العودة بالتاريخ إلى فترة ما قبل التاريخ حيث إن تقسيم العمل والمسؤوليات والواجبات لم يأخذ اهتماما كبيرا . وكانت ظاهر تلك الحركة الجانب الجنسي وليس الجوانب الإنسانية الأخرى كالعدالة في المعاملة والمساواة في الحقوق والواجبات وعدم التفرقة في القدرات إذا أتاحت للقادرين والقدرات ، وكان محور رسالة النساء في تلك الحركة المناداة بأنها تملك جسدها ، وأنها حرة في إباحة استعمال ذلك الجسد أو منع استعماله . مطالبة من الرجال الذين كانوا سعداء لذلك القرار فقضوا على الموجة ينادون بتلك الرغبة الجامحة لممارسة الجنس دون حدود ورقابة من الأهل والحكومات . وهل يريد الرجال غير ذلك من النساء حتى وإن لم يعلنوا عما يبطنوا ، فذلك أمر يزيد من عبودية المرأة كعضو دوني في المجتمع ، فاحترفت المرأة عن الطريق الواجب عليها اتباعه لتحقيق المركز الذي تسعى إليه من مساواة بالرجل في الأعمال والجوائز من الرواتب والتقدير كعضو لا يقل أهمية عما يقدمه الرجل للمجتمع .

وفي البداية حاول الرجال المحافظون التقليديون أسريا وثقافيا ممن تعدوا البلوغ بسنوات عديدة، حسب العادات والتقاليد ، حاولوا الوقوف أمام تلك المطالب النسوية وقادوا مقاومة شرسة ضد تلك المطالب التي نادى بها ثورة الحريم في أمريكا الشمالية ودول أوروبا : فرنسا، ألمانيا، إيطاليا ، وبريطانيا . وقبلها بأربعين عاما أي في عام 1920 كانت هناك ثورة نسائية أيضا غي الولايات المتحدة الأمريكية ، وكانت لها مطالب مخالفة لثورة الستينات من القرن الماضي ، فقد كانت تهدف إلى مشاركة المرأة في قانون الانتخابات وفتح مجال الانتخاب في وجهها لتشارك في وضع السياسات التي تهم الرجل والمرأة على حد سواء وهو أكثر حكمة من الثورة الجنسية من النواحي الاجتماعية والأخلاقية.

ولم تأت ثورة الجنس في أوروبا وأمريكا الشمالية من فراغ ، فهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالسر والسحرة ، حيث ظهرت بعض الكتابات الداعية إلى إباحة الجنس بين الشباب البالغين في قصص خيالية سارحة بعيدا في مآهات السحر والخيال ، مما أعطى الرجل والمرأة القوة والعزيمة للمناداة بحرية الجنس ليس بحسب القواعد التي كانت متبعة قبلا مما يعرف من تقاليد حسب الأصول الأخلاقية الأسرية المرعية ، بل إباحة الجنس خارج نطاق الأخلاق الذي تحكمه مؤسسة الزواج . وتبع تلك الثورة من تبعها لأغراض متنوعة وركب الموجة من أراد فأشعلها نارا وابتعد في وصف مميزاتها عن حدود المعروف من المعقول ، فأصبحت الأفكار خيالية لدرجة الذهول ممن يقولوها أو يسمعونها بها ، فكانت من نتائج تلك الثورة ، نبضات تدعو إلى الجنس مع المثل ، وتعدد الاختيارات مع الشريك الواحد أو الشركاء في العملية الجنسية ، وأصبح العري والعهر وتعذيب النفس البشرية من خلال عبادة الجسد تفوق ما توقعه المنادون من رواد تلك الثورة حيث كان من نتائجها زيادة تحقير المرأة وليس زيادة مواساتها ، وسمي الانحراف فنا محترما وعملا تختاره النساء وخاصة صغيرات السن منهن كدافع للانحراف والشهرة وجمع الأموال ، وجلبت ما لم يكن متوقعا من استبعاد

جديد للمرأة بطرق جديدة مبتكرة من خلال الإعلام الموجه ووسائل الأخبار . وتعرضت الصحة البشرية للخطر بما يسمى مرض الأيدز الخطير الذي يهدد الرجل كما يهدد المرأة والأطفال . وفي نظرة سريعة على مدى حجم الوباء الذي يحمله الأيدز فإن هناك 25 مليون من البشر ماتوا من المرض منذ أن اكتشف لأول مرة عام 1981 ، أي عشرين عاما مما عرف بثورة الجنس حيث كانت العذرية وصمة عار في أوروبا وأمريكا الشمالية . ونظرا للعلاقات الجنسية خارج نطاق مؤسسة الزواج فقد وجد 11.6 مليون يتيم في أفريقيا ، ومع نهاية عام 2007 حققت النساء أخيرا إحدى مطالب ثورتها الجنسية في المساواة مع الرجل فكانت نسبة النساء المصابات بمرض الأيدز مساوية للرجال 50/50% ، حتى أنها فاقت نسبة الرجال في بعض أجزاء من أفريقيا حتى وصلت 59% في عدد الإصابات بمرض الأيدز . أما الشباب الذين تقل أعمارهم عن 25 سنة فيمثلون نصف المصابين بذلك المرض . ولم تستطع المصانع ولا الأبحاث في صناعات الأدوية أكثر من تقديم الخدمات الطبية والوقائية والدوائية إلى أقل من ثلث المصابين منهم (31%).

فالثورة الإباحية للمعايشة الجنسية لم تصل إلى مبتغاها فبعد أن كانت الفتاة تشعر بالإحراج للحفاظ على عذريتها ، خرجت ثورة مضادة من المحافظين والمحافظات على التقاليد والأخلاق يعززها ما حققه مرض الأيدز من نتائج مبهرة وانتشار معايشة المثل بين مجموعات النساء ومجموعات الرجال وكثرة جرائم الأقارب من أنصاف الآباء والأمهات تجاه أطفالهم بالتبني أو من خارج عقود الزواج ، والمتاجرة بأجسادهم في أسواق الدعارة عبر الحدود . وعاد الناس والمرأة خاصة بالعودة إلى قواعد الصحة والتسك بالأسرة ، ولكن الثورة حققت بعض أهدافها ، حيث تغيرت النظرة الدونية للمرأة وتحس وضعها الاجتماعي وزاد عدد النساء المشاركات في تولي المراكز الحساسة كالرجل تماما ولكن بنسب مختلفة ليست كما يجب ، وتتراوح بين 1 إلى 20 في بعض المجتمعات المتخلفة التي وقفت ضد الثورة الجنسية وقاومتها بالأديان والعقائد والتقاليد ، وبين 1 إلى 10 في الدول المتقدمة التي احتضنت الثورات الجنسية وشجعت عليها.

فهل تريد المرأة في بلاد العرب والمسلمين تقليد الغرب فيما سعت النساء إليه من إباحة الجنس وتقليل قيمة الزواج والأسرة فيما يسمى بالحرية والمساواة للمرأة أم يريدون التمسك بأخلاقيات العقائد الدينية وما يقره الذوق السليم من احترام المرأة في المعايشة الجنسية والصحة النفسية ؟ أعتقد أن الأمر كله في يد المرأة العربية المسلمة وهي حرة في اختيارها ، واعتقد أن ذلك من العدل أن يقال في نهاية هذا المقال .

فكر القاعدة
والإسلام والمسلمون

Al-Qa'idah, Islamic Legacy & Muslims

هل يختلف فكر العلماء المسلمين عن فكر مؤسسي القاعدة والأصوليين في اتباع آيات القرآن وتفسيرها ، لا أعتقد ذلك . خذ مثلا الآيات الكريمة الواردة في سورة 60 آية 1- 5 ما يلي: قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ومن يتولهم منكم فإنه منهم يا أيها الذين آمنوا من يردت منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم

ويحبونه ، أدلة على المؤمنين أعزة على الكفار ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في سبيل الله لومة لائم " . أعتقد أن مفكري تأسيس القاعدة من الأصوليين يفهمون معنى الآيات وينفذون ما فيها فهل يمكن إنكار هذه الآيات التي تبين أن من يتخذ من المؤمنين (المسلمين) أحدا من اليهود أو النصارى وليا له أي حاميا له وموجها لسياساته وظروف حياته فإنه منهم أي تبع دينهم وملتهم ، كما تؤكد الآيات على هذا ارتداد عن الدين فمن يرتد عن الدين باتباع اليهود والنصارى باتخاذهم أولياء فإن العقاب سيأتي من الله حيث يستبدل المرتدين بقوم حسب مشيئته ، فهم يحبون الله والله يحبهم ، ومن صفات هؤلاء الناس أنهم لا يتخذون من اليهود والنصارى أولياء من دون الله ، فهم يعاملون المؤمنين أمثالهم بالحسنى ويقفون من الذين كفروا (المرتدون الموالون للنصارى واليهود) موقفا حازما بالاعتزاز بدينهم ، لذا فهم اعتبروا أنفسهم من هؤلاء القوم الجدد الذين استبدلهم الله بالموالين للنصارى واليهود ، وعليه فإنهم حين يقفون أمامهم إنما يجاهدون في سبيل الله وأنهم لا يخافون من لوم اللانثمين لهم. ألا يؤمن كل المسلمين بتلك الآيات ؟ وسؤالي لعلماء المسلمين الذين يتدافعون لإظهار أنفسهم بأنهم يحترمون الأديان الأخرى هو: كيف تفسر هذه الآيات بغير ما ورد في تفسيرها عبر القرون . فهل يستطيع العلماء المسلمون إقناع العالم بأنهم يحترمون الأديان الأخرى وهم يؤمنون إيمانا عميقا بأن القرآن هو كلام الله الذي نزله على عبده . لست أدري . لعلم يأتون بالآية الكريمة التي تقول في سورة الحجرات - آية 13 " ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم" . لكي يبعدوا عن أنفسهم أثر الآيات السابقة عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء . أم أنهم سيأتون بالآية الكريمة في سورة البقرة - آية 256 والتي تقول "لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي" . والآيات السابقة تحض على قتالهم والجهاد في سبيل الله ضدهم. أم يأتون بالآية الكريمة التي وردت في سورة البقرة - آية 285 والتي تقول: "أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله" . كاعتراف باليهود والنصارى من خلال الاعتراف برسلمهم . لست أدري. بل لعل العلماء المسلمين سيأتون بالآية الكريمة التي وردت في القرآن الكريم في سورة البقرة أيضا - آية 136-137 تخاطب اليهود والنصارى " قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا .." . وهي تصور اليهود والنصارى بأنهم لن يصبحوا مسلمين وأنهم لن يهتدوا بهدي الإسلام ، والدليل أنهم ما زالوا يعتقدون بما لا يعتقد به المسلمون من الإيمان بما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ، بل هم ينكرون على الإسلام أنه دين كاديانهم . لست أدري كيف سيكون موقف العلماء المسلمين من هذه الآيات التي لم ولن تتغير في وصف اليهود والنصارى .

وفي اليهود يقول الله تعالى في سورة الجمعة - آية 5 "مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ، بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله" . فكيف يغير العلماء المسلمون فكرتهم عن اليهود الذين شبهوا بالحمير تحمل كتبنا قيمة ولا تدري مدى قيمتها ، وهم من حملوا التوراة ولم يؤمنوا بها؟ وكيف يدافع العلماء المسلمون عن أنفسهم وهم يأخذون بما جاء في القرآن الكريم من كلام الله تعالى ؟ لست أدري!

وفي النصارى يقول الله سبحانه في سورة آل عمران - آية رقم 70-71 : " يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ، يا أهل الكتاب لم تلبسوا الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون". وقال تعالى في نفس السورة - آية 73 : " ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ". فكيف يرد علماء المسلمين على هذه الآية ، واليهود والنصارى لا يتبعون دين الإسلام ؟ وما رأي علماء الإسلام في تفسير الآية الكريمة في سورة آل عمران - آية 85 التي تقول: " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ". فإله لن يقبل من العباد إلا دين واحد هو الإسلام ، أما الأديان الأخرى فليست منه في شيء إلا إذا اعتبرنا الإسلام لله عند كل رسوله يعني تسليم النفس والروح لأمر الله تعالى والانقياد لمشيئته وهذا التعريف قد يدخل بعض تابعي الأديان الأخرى في الإسلام وإلا فغير المسلمين يعتبرون خارج دائرة الإسلام. إضافة إلى ذلك تقول الآيات القرآنية في النصارى في سورة المائدة - آية رقم 72-73 " لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد ". والنصارى اليوم في أوروبا والأمريكيتين وفي أنحاء العالم بين داع للمسيح بأنه الله ، أو داع للمسيح بأنه ثالث ثلاثة . فكيف يفسر العلماء المسلمون هذه الآيات حول النصارى . وكيف يكون الإخاء بين النصارى واليهود والمسلمين؟ إنها مهمة شاقة ليس إلى حلها من سبيل . فالأديان المتبعة حالياً يناقض أحدها الآخر . ففي الدين اليهودي ورد في التوراة سفر (أشعيا 52) : استيقظي استيقظي ، إبسي عزك يا صهيون ، إبسي ثياب جمالك يا أورشليم لأنه لا يعود يدخلك في ما بعد أغلف ولا نجس " والأغلف هو النصراني والنجس هو المسلم . فكيف يوفق اليهود بين الأديان في المؤتمرات التي تجمع الأديان الثلاثة ؟ كما يقول التوراة " للأجنبي تقرض بربا ، ولكن لأخيك لا تقرض بربا " (تثنية 23) ، "أبناء المستوطنين النازلين عندكم تستعبدونهم مدى الدهر وتتخذون منهم عبيدا وإماء أما إخوتكم من بني إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف " (لاويين 25). فهل هذا كلام الله يدعو للعنصرية والربا واستعباد البشر ؟

وفي النصارى واليهود يقول الله تعالى في سورة المؤمن آية 23-35: " يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة " . ويقول في سورة البقرة - آية 113 " وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب فإله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه مختلفون" . فهل يستطيع علماء المسلمين دفع هذه التهمة عن النصارى واليهود ، فكلام الله سبحانه لا يتبدل ، وهو واضح وضوح الشمس في سماء صافية . فهل تأتون بالآية الكريمة التي وردت في سورة آل عمران مثلا - آية 64 والتي تقول: " يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون" حتى ترفعوا عن أنفسكم ما تعرفونه عن اليهود والنصارى من أن قادة دينهم من الأحبار والرهبان يأكلون أموال الناس ويكنزون الذهب والفضة ؟ لست أدري . فهذه الآية تكرر المعنى السابق وهي الاختلاف الواضح بين أهل الكتاب الذين رفضوا الامتثال لأمر الله وهم لم يأتوا إلى كلمة سواء ، وهي الإيمان بالله وعدم الشرك به . كان الله في عون العلماء المسلمين ، فهم في حرج كبير . لعلمهم يأتون بالآية الكريمة من القرآن التي وردت في سورة لقمان - آية 27 والتي تقول: " ما خلقكم ولا بعثكم

إلا كنفس واحدة ". حتى يثبتوا أن أصل المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم من خلق الله وقد خلقهم من نفس واحدة ، لذا فالمسلمون لا يفرقون بين المسلمين وأصحاب الأديان الأخرى. أو يأتون بالآية الكريمة في سورة النساء – آية 85 التي تبين الأخلاق الإسلامية في التعامل " إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها " .

وخذ الإيمان بالقضاء والقدر عند المسلمين حيث ينبع من الآية الكريمة الواردة في سورة آل عمران – آية رقم 26 والتي تقول: " اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير " . فالله سبحانه حسب الآية الكريمة هو الذي يعطي وهو الذي يأخذ وهو الذي يرفع وهو الذي يخفض مقامات الناس وهو الذي يعز وهو الذي يذل ، فبيده الأمر قادر على كل شيء . فكيف نفس تقدم الغرب في هذه الأيام وتأخر الشرق حسب الآية الكريمة ؟ فهل تقدم الغرب بمشيئة الله ؟ وهل تأخر الشرق (ومعهم المسلمون) بمشيئة الله أيضا ؟ وعليه يجب التسليم بما جاء في الآية الكريمة. وأن القول "وتلك الأيام نداولها بين الناس " .

عيسى عليه السلام في القرآن الكريم:

قال الله تعالى في سورة المائدة – آية 110 " إذ قال الله : يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس في المهد ، وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني ، وتبريء الأكمه والأبرص بإذني ، وإذ تخرج الموتى بإذني ، وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جنتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين " .

وفي نفس السورة - آية 112" إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علام الغيوب " . ثم يتابع عيسى كلامه في نفس الآية "ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ، أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيذا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد ، إن تعذبهم فإني عبدك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم " .

حول الأنبياء وعددهم في الآيات 18 رسولا : الأنعام 83-87

ملك حجبتنا آتيناها إبراهيم على قومه ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل وذريته ، داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ، وإسماعيل وإليسا ويونس ولوطا كلا فضلنا على العالمين "

المائدة – آية رقم 44 "إننا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ، "

المائدة آية رقم 46 " وقفنا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ".
المائدة -48: " وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا شريعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم ".
المائدة 64 : " وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ... ".

العقائد والحياة

Beliefs and Life

هذا المقال ضرورة للفصل بين العقيدة الفاسدة والعقيدة الصحيحة ، ونختم به هذا الكتاب ، حيث إنه لكل شيء في هذه الحياة حدود زمانية أو مكانية لا يمكن تحديدها ، بل يجب الاعتراف بها والتسليم لها ، فعمر الإنسان قصير إذا قورن بال مخلوقات الطبيعية الأخرى كالقمر والشمس والنجوم والأشجار والجبال والسهول والبحار . وباختصار فإن الإنسان يمثل جزءا يسيرا في هذا الكون الخالد فهو ليس مطلق الوجود ولا مطلق الخلود . إذ لا يوصف بالخلود شيء غير خالق الأكوان ، ومن نعم الله تعالى على البشر أن جعلهم قادرين على استغلال باقي المخلوقات لخدمته ، من خلال ما وضعه الله تعالى في الإنسان من عقل يعقل به حيث إن باقي المخلوقات لا تستطيع تغيير مسارها الحياتي أو تتدخل في تغيير الطبيعة والبيئة ، فبواسطة العقل يستطيع الإنسان من خلال الدراسات التطبيقية والاستنباطية والاستدلالية والتفكير النقدي والتمحيص واتباع مناهج علمية لتذليل الصعاب التي تقف أمامه أو تعترض سبيله ، كل ذلك لا يتأتى إلا عن طريق استعمال العقل والعيش بسلام مع نفسه ، مع أسرته ، ومع مجتمعه ومع العالم الفسيح شرقا وغربا شمالا وجنوبا ، ولا يكون الإنسان إنسانا ما لم يكن في سلام مع عقيدته ، مع خالقه المتصف وحده لا غيره بالخلود السرمدى.

العقيدة والعقل البشري

كما يستطيع الإنسان بواسطة عقله الذي وضعه الله فيه وخلق به ، أن يقارن بين المحدود المؤقت وبين اللامحدود ، الدائم ، الخالد بسهولة ويسر إذا استعمل ذلك العقل ، فيصل إلى حقيقة دامغة وبرهان ثابت أنه كبشر ليس خالدا وأنه محدود نظريا وتطبيقيا ، فنظريا لا خلود للبشر على هذه الدنيا ، والمسلمون يؤمنون بالآيات الكريمة التي تقول: "كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةٌ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُؤَقِّونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (آل عمران: 185) ، و"كل نفس ذائقة الموت " (آل عمران: 18) و (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ" (الجمعة: 8) و قوله : " كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ " (سورة الرحمن 26 ، 27) و "إنك ميت وإنهم ميتون" و "أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة" فهذه حقيقة دامغة

لكل من يتحداها ، أو يريد أن يثبت عكسها. وهي واقع ملموس يوميا يثبت ضعف الإنسان وحقارته في تحدي الخالد الذي خلقة وجعله خليفة على هذه الأرض أو ما يسمى بالحياة الدنيا التي نعيشها ، ومهما طالت تلك الحياة فإنها آيلة إلى نهاية . حيث إن لكل بداية نهاية، ولكل قوة ضعفاً ، ولكل حياة موتاً.

وقد قال الشاعر المعري على لسان آدم أبو البشر ، قبل قرون :

نحن بنو الأرض وسكانها منها خلقنا وإليها نعود

أما تطبيقها فهي إثبات لوضوح عدم قدرة الإنسان وعجزه عن التحكم بعمره والإطالة به ليحمله خالداً ، وهذه بعينها تعتبر حقيقة ساطعة نختبرها يوميا من صفحات الوفيات للأغنياء والفقراء ، وللمؤمنين والملحدين ، على حد سواء . وهذه الحقيقة تستدعي من الإنسان التفكير فيما هو خالد ، أبدي سرمدي ، لا يأتية الوهن ولا الضعف والموت . وهذا التفكير كفيلاً بأن يصل بالإنسان إلى حقيقة الله الخالق الخالد السرمدي ، خالق الأكوان ، ولنا في القرآن الكريم موعظة حسنة حيث يقول الله تعالى : " قل سيروا في الأرض ، فانظروا كيف بدأ الخلق " (العنكبوت: 20) ، والنظر هنا ليس بالبصر فقط ولكن بالبصيرة وهي أساس التفكير الواعي بواسطة العقل . ورغم اعتقادي بأن العقل قد لا يتفق مع العقيدة أحيانا إذا انفلت في التفكير فيما وراء الطبيعة ، إلا أنه غاب عن الساحة في كثير من المجتمعات الإسلامية والعربية لمثل تلك المحاولات وعن استخدام لإصلاح البشر وحل مشاكلهم عن طريق البحث والتجربة وعن طريق التحليل والمقارنة واستخدام الزمان والمكان ، والبحث عن الحلول الواقعية ، وأكتفي بما هو معروف تقليدياً بأن العقيدة هي تعبد واستغفار وسكينة ، بينما أهمية العقل البشري تقبع في استعماله والنظر في الطبيعة وأسباب تغيرها وفي المجتمعات والمؤثرات التي تغير من سلوكياتها . فالأديان لم تأت لخلق الصراع بين البشر ، وإنما لتقليلها وتهذيب أخلاق الناس للتفكير في الغير وحل المشاكل الدنيوية عن طريق العقل ، وما الاجتهاد إلا طريقة ومنهال للبحث عن الأسباب لصنع القرار ، ولا تكون الحلول بالطلب من الله تعالى أن ينزل المطر إذا شح وجوده ويبيست الأرض ، وزادت حرارة الشمس ، فللطبيعة قوانينها ، ولا يغير الله من هذه القوانين إلا إذا شاء ، ولكن البشر قادرين على التفكير بجلب الماء من مصادر قريبة بالتعاون بين الدول ، وتبادل المنافع من حيث التشجير وفتح القنوات بين مصادر المياه ، وفي كثير من الأحيان بنيت السدود في الماضي وتبنى في الحاضر لحفظ المياه التي حسب العقيدة لا يرسلها إلا الله كما يشاء وليس كما يشاء البشر . ولكن ضيق العقل الانساني في بعض العقائد تلجم العقل وخلاياه عن التفكير العملي في حل مشكلات الحياة للأفراد والشعوب والحكومات . فالله لم يحدد الأجور للعمال ولم يعط الأغنياء ما حصلوا عليه من أموال ، ولم يعط ملكاً لأحد ، إذ ليس الأغنياء في كثير من الأحيان بأصحاب عقيدة ولا الحكام كذلك ، ولكنهم أعطوا عقلاً للمساعدة على حل المشكلات الفردية والجماعية في المجتمعات . وألهموا بعد تقدم العمر أنهم بشر كالبشر ، يحتاجونهم ، فوجود الأسواق والتبادل التجاري بين الدول ما هو إلا تحقيق عملي لإشغال العقل لتطوير التعاون والتبادل بينها ، وبما أن العقيدة وحدها لا تفيد دون العمل ، وأن العمل يحتاج تخطيطاً باستعمال العقل إلى جانب العقيدة فإن الاكتفاء بالعقيدة يقلل من قيمتها عند النظر إلى أهداف الأفراد والمجتمعات والدول التي تتشارك فيها عقائد كثيرة فتدعو إلى التناحر والصراع على الأرض والثروة ومنابع المياه ومصادر التغذية.

فبدون العقل لا يستطيع الإنسان القراءة ولا الكتابة ولا التفكير ، وقد بدأ الإسلام بالحث على القراءة في أول آية نزلت على رسول الله محمد (ص) في بداية سورة العلق التي تقول: "إقرأ باسم ربك الذي خلق". (العلق: 1) وهي دعوة لاستخدام العقل في الفصل بين ما هو خالد بلا حدود وما هو فان بحدود زمنية ومكانية . وكلما نما الإنسان وانتقل من مرحلة إلى أخرى زادت قدراته العقلية على التعلم واكتساب مهارات عقلية وجسدية ، بعكس مخلوقات الله الأخرى ... فالجبال والوديان والبحار والشمس والقمر ليست محظوظة كحظ الإنسان الذي اختصه الله بالعقل فلم يحظ به غيره من الخلق . فالإنسان بعقله شق الجبال وحفر الأنفاق ، واستعمل الطاقة الشمسية للدفع والحرارة ، واهترع آلاف الابتكارات من أجل راحة الإنسان في الدنيا ، وعلى الناس في كل مكان النظر إلى خارج الحدود المنظورة ليروا فرص التعاون للبقاء لا لاحتمار الموارد لفئات قليلة تتسم بالغباء أو العرقية أو القومية .

العقيدة والروحانية

كانت وظيفة الأديان والعقائد وتأثيرها على البشر روحيا ومعنويا لزيادة قدرة الإنسان على الاستفادة من قواه الروحانية خلال نموه العقلي والجسماني ، وهذه القوة النامية في تطور الإنسان من مرحلة إلى أخرى ، تنتقل الإنسان من مرحلة ضعف إلى مرحلة قوة ، وكلما تقدمت به العمر ازداد قوة في الحكمة واستعمال العقل ، فكل مرحلة من مراحل النمو الإنساني وانتقاله من عام إلى عام آخر تعتبر نعمة من الله خالق البشر وخالق السموات والأرض ، خالق كل شيء .

وبما أن الإنسان غير دائم في هذه الدنيا التي نعرفها ونتعايش معها ، فقد قدم الله له بديلا ليكون خالدا يوم القيامة ، وذلك باتباع الطريق المستقيم والاختيار الأقوى نحو الخلود ، فالإنسان يستطيع الوقوف ضد الأعمال السيئة سواء من قبل الأفراد أو الجماعات حتى تصل أو تتضمن الحكومات ، ويقف ضد ما تجلبه الثروات على النفس ورجباتها ، أو ضد الأسلحة الفتاكة التي تستعملها الدول والحكومات للفكك بغيرها ظلما وعدوانا ، وكل هذه التأثيرات يستطيع الإنسان مهما قل شأنه صاحب العقيدة بأنه لا خالد إلا وجهه ، وما نحن إلا مسافرون من محطة مؤقتة إلى محطة دائمة ليس لها نهاية ، ففي مواجهة كل هذه التأثيرات يستطيع الإنسان المؤمن التغلب عليها ووقفها عند حدها ، لأن قوة الإيمان مستمدة من قوة الله الخالدة بخلوده ، وهو المتحكم في مصائر البشر والأمم قديما وحاضرا ، وهو صاحب القوة الوحيد الذي لا يستطيع أحد آخر أن يشاركه فيها ،

العقيدة وصاحب العقيدة

إن أهمية العقيدة الدينية في ترسيخ قدرة القلوب على الثبات وتمكين الإنسان المؤمن من خلال اتصاله مع الله القوي الخالد ، إنما تجعل المؤمن قويا أمام إغراء الثروات ، وأمام المظالم وأمام النكسات ، فالمؤمن لا يعرف الهزيمة أمام كل من أو ما هو زائل ، فالأفراد زائلون ، والحكومات زائلة ، والثروات زائلة ، ولا خلود إلا للمؤمنين أصحاب العقيدة بوحدانية الله الذين يستمدون قوتهم من رب العبيد خاقهم الخالد الواحد الأحد ، فلا تهتز لهم شوكة ، ولا ينال منهم تعذيب جسدي أو نفسي أو روحي إذا كان إيمانهم قويا حتى الموت نفسه في سبيل

العقيدة أو التهديد به لا يخيفهم فهم مع الله الأقوى وهو الله الخالد ، لذا تكون التضحية من غير الخالدين وسيلة للوصول إلى عالم الخلود ، إلى الجنة "اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون " أو نقيضهم الخالدون أيضا في قوله تعالى: " قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها" (الزمر: 72) ، وشتان ما بين خلود في الجنة وخلود في جهنم .

العقيدة والصبر

لذا فإن صفة الصبر على المكاره عند الأفراد والجماعات خاصة بين أصحاب العقائد تظهر في حياتهم ، لأنهم يصبرون على مجابهة العديد من المشاكل التي تعترضهم في حياتهم ، ويكون الصبر حينئذ قوة بشرية هائلة نابعة من قوة العقيدة ، وهي وسيلة ناجحة لا يجب الاستهانة بها ، أو إنكارها ، مهما علت وزادت موجات الظلم في المجتمع ، فإن قوة الصبر عند أصحاب العقيدة تزيد وتتصلب في وجه التصرفات المضادة للعقيدة وأصحابها ، وقد يزداد الصراع حدة مع تزايد الظلم وانفلات عقد العدالة في الأسرة والمجتمع والحاكمين من حكومات وحكام ، في مجالات سياسية أو اقتصادية أو تجارية ، فالعقيدة تمد صاحبها بالمعرفة والقوة الضرورية لتحقيق العدالة التي يتمادى البعض في نكرانها وتجاهلها .

ومع التقدم الزمني ، واعتبار أن الإنسان ديني بالطبع ، يجد بعض الحلول لمشاكل أسرته ومشاكل مجتمعه ومشاكل عصره عن طريق العقل والتعلقل، حيث قد تتصف الحلول بعدم كفايتها لحل المشاكل من جذورها ، لذا على أصحاب العقيدة أن يكونوا في عقيدتهم أقوى لا يتزحزون عنها مهما زاد الظلم أو تغيرت الظروف أو الأحوال السياسية أو الاجتماعية أو التجارية ، فكثير من المشاكل الحياتية ليس لها حلول جذرية ، وقد تأخذ وقتا طويلا لأيجاد حلول لها ، لذا تجب دراسة كل مشكلة لوحدها ثم ربط الحلول للمشاكل المدروسة ، وطالما أن الأهداف هي التي تيسر الأفعال نحو إيجاد الحلول للمشاكل في الأسرة والمجتمع والعالم من حولنا ، فإن الصبر أمر متوقع في حال وجود الظروف المعاكسة لتحقيقها أو الوصول إليها . فالصبر من أسس الإيمان، حيث وردت العديد من الآيات التي تحث على الصبر وقت الشدائد ، وفي سيرة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، الكثير من الأوقات العصبية التي مر بها هو نفسه ومن تبعه من أصحابه الذين هاجروا إلى الحبشة في هجرتهم الأولى والثانية إلى المدينة المنورة ، فقد صبر الرسول وأصحابه على أذى المشركين من قريش وتعذيبهم لهم ، ولعل ما كابته أسرة عمار بن ياسر مثال على الصبر من أجل العقيدة ، حتى أن الرسول الكريم قال: "صبرا آل ياسر ... إن موعدكم الجنة" . حيث الخلود الأبدي بدلا من الدنيا الفانية ، فقوة العزيمة والصبر على الشدائد هما صفتان لأصحاب العقيدة القوية التي لا شك فيها ، وبما أن فناء الإنسان غير مشكوك فيه ، فإن الخلود يكون هو الحقيقة التي تنتظر الصابرين ، لأن الإنسان روجي بالطبع ، فيضحى صاحب العقيدة بروحه في دنيا وقتية محدودة لينال الحياة الخالدة مع الصابرين من أصحاب العقائد والصدّيقين والنبیین ، وهذا الاعتقاد بحد ذاته يعتبر سلاحا قويا ، بل أقوى من كل سلاح مادي يخترعه الإنسان . حيث لا توجد قوة في العالم تستطيع أن تنتهي صاحب العقيدة عن إيمانه ، مهما تعددت أساليب التعذيب ونظرياته في السياسة والاقتصاد والسيطرة ، لأن الإيمان متجذر في روح الإنسان وعقله ، خاصة بعد التوصل إليه بالمنطق والبرهان والنظريات الثابتة التي لا يداخلها شك أو ريب ،

حول الخلود أو عدمه ، وهنا تصبح العقيدة حاجة أساسية كالطعام والشراب ، فلا تؤثر فيها نظريات وضعية مشكوك في أمرها وباطل ادعاؤها ، حول الخلود وصلته بالحياة اليومية والعلاقات البشرية بين البشر والأمم .

وفي الإسلام ، فإن العقيدة جدار صامد يتسلح به الإنسان لإصلاح المجتمع والوصول إلى العدالة في هذا الكون. حيث لا تستطيع العوامل النفسية أن تقف حاجزا للعقيدة أو مانعا لها إذا نمت في العقول ، وإذا حصل تشكيك في العقيدة فإن ذلك ليس مستحيلا ولكنه يكون وقتيا أو ظرفيا نظرا لحالات الأشخاص أو المجموعات النفسية أو اختلاف مستويات الإيمان بينهم.

إن المعجزات في حياة الإنسان والمجتمعات ليست أسطورية أو تصورية كنسج من الخيال ، أو أنها مبالغ في تفسيراتها بعد حصولها ، إذا عادة ما تظهر المعجزات في حياة الإنسان طبقا للمنطق وقوانين الطبيعة ، ودور العقيدة عند الفرد أو الأفراد يخلق لديهم القوة على فعل المعجزات أو تصديقها ، فما لا يعرفه الإنسان عن العالم المتسع يجعله محدود المعرفة ، ولكن المعجزات تجعله أكثر تفهما للعالم الذي يعيش فيه ، لأنها تزيد من اعتقاده بالله ، وهو المفتاح في الإيمان لكل مصيبة تصيب الإنسان في حياته، وفي القرآن الكريم مفاتيح شتى لسكون النفس والتبصر بالمعاني والأحداث الحياتية التي تخففها الآيات عن حقائق الكون المعبرة عنها مثل قوله تعالى : "لا حول ولا قوة إلا بالله" و "إنا لله وإنا إليه راجعون" والحقائق التي أوردناها عن الحياة والموت والخلود مثل "كل نفس ذائقة الموت" . و"ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي عبادي ، وادخلي جنتي"

العقيدة والشخصية المؤمنة

إن نفسية صاحب العقيدة تتبع من العقيدة نفسها وتقيه شرور الظروف فتدخل بصبر عليها ، وتزيد قوتها بازدياد الإيمان بها فهي عامل على تحقيق الأهداف الفردية والجماعية في المجتمعات.

وعليه فإن للشخصية الإنسانية أثر فعال في إيجاد المؤمن القوي المتسلح بالعقيدة . لأن شخصية المؤمن من أصحاب العقائد شخصية قوية صبورة عنيدة وإن سهل تصديقها للأكاذيب النابعة من ممارسي العقيدة أحيانا عن غير قصد سوى للتقريب إلى العقيدة ، ومساهمتها في طرح الأكاذيب أحيانا عن جهالة ، لذا فإن قدرات النفس المؤمنة تدل على شخصية قوية ، لها مهاراتها في سبيل تحقيق أهدافها مهما كانت الصعوبات المخفية والظاهرة للعيان. كما أن النفس المؤمنة لا تضطرب ولا تقلق إذا ساءت ظروف المعاش وتمردت طرق الحياة ، ولا يدخلها الشك مهما زادت المفريات ولا تشارك في عمل الفساد أو المشاركة في الظلم فالشخصية المتماسكة قوية بالإيمان لا يترزع مسارها ولا تستكين في حياتها إلا عن طريق الصبر والتفكير بالأمر المستعصية وإيجاد الحلول لها حسب الظروف السياسية والاجتماعية .

إن نقاء شخصية صاحب العقيدة عنصر فعال من عناصر تماسكها وحسن تدبيرها والعمل على التنام جرحها ، وإن قلت مواردها ، فالظروف لا تبقى على حال ، ودوام الحال محال

كما يقال، والأمل يبقى ظاهرا مهما بدا خافيا ، وستصل نفس صاحب العقيدة إلى أهدافها الخاصة والعامه أي في الأسرة والمجتمع ..

ومما يزيد من نقاء الشخصية عند صاحب العقيدة وتماسكها بالعمل إلى جانب القول ، ونعني بالعمل هنا كل نشاطات الفرد اليومية كونها مرآة للعقيدة ، وكلما كانت الأفعال مطابقة للأقوال فهي ترجمة قوية للإيمان . لذا فإن الشخصية تكتسب احتراماً للنفس ، وتضمن احترام الآخرين في الأسرة ومكان العمل وفي المجتمع ككل .

إن العقيدة القوية تبعث على صمود الروحية في التعامل والسلوك البشري ، سواء أكان ذلك السلوك فردياً أو من خلال منظمات العمل أو الحكومات ، ولا تستوي في الأعراف ولا القوانين في المجتمع إذا لم تأخذ في اعتبارها النواحي الروحية من العقيدة . إذ لا بد أن تكون هناك قوانين فيها روح القانون ز فالتصرفات والأخلاق يجب أن تكون حسب روح القانون أو ما يسمى بالشفافية في معالجة مشاكل المجتمع وأخلاقياته وسلوكياته ، وعادة لا تقي القوانين الوضعية بمتطلبات العقيدة ، مما يوجب التنسيق في موادها وإعادة صياغتها لتكون موازية لروحية العقيدة لا تقف ضدها أو على نقيضها ، لأن الفرد كما المجتمع كلاهما بحاجة إلى توحيد الأهداف التي يكرسها توحيد العقيدة ، لذا فإن نشاطهما يصب في خانة واحدة هي خانة البناء والنمو والتطور الاقتصادي والسياسي والتجاري لخدمة العامة وتسهيل أمور حياتها عن طريق تأمين متطلباتها الضرورية كالماء والهواء والطعام والكهرباء والملبس والمسكن . فإذا كانت الأفعال تتناسب مع الأقوال عند أصحاب العقائد فإنهم أقوى يستمدون قوتهم من قوة عقيدتهم التي تستند على الإيمان بالله الواحد السرمدي .

وختاماً فإن العقيدة للمجتمع في بناء مؤسساته الأسرية والاجتماعية والاقتصادية إنما تشكل العصب الذي يمد الجسم بالدم ليحيا ويعيش ، ولا يجوز، بل لا يمكن انفصال المجتمع عن العقيدة ، فهما متكاملان في خدمة الشعوب .

وما الانكفاء الكلي تجاه العلمانية بإبعاد العقيدة نهائياً عن المجتمع السياسي والاجتماعي والاقتصادي إلا انحراف عن الوضع السليم الذي يمزج العقيدة بسلوكيات البشر ومؤسساته المختلفة ، من أجل حياة أفضل تنظر إلى الخلود كهدف سام للبشرية . وأرى أن العقيدة كقيلة بأن تساعد على حل المشكلات الفردية والأسرية والاجتماعية ، وفقدانها في المجتمعات يؤدي إلى التوتر والقلق والخوف وعدم الرضا والارتياح فيما نقول وفيما نفعل ، حيث يفقد الناس التوازن الطبيعي الذي به وعليه تعتمد الشخصية البشرية ، في حل المشكلات الخاصة والعامه .

وكعالم اجتماع درس النظريات الحديثة لمعالجة مشاكل المجتمعات الصغيرة والكبيرة ، فإنني أستطيع القول بثقة كبيرة أن العقيدة الإسلامية تحتوي على الكثير من الحلول لمشاكل المجتمعات المعاصرة ، بل إن حلولها أفضل بكثير من حلول العلماء حسب نظرياتهم الوضعية ، وخذ مثلاً مؤسسة الزكاة والصدقات وبيوت المال وبناء النفوس الرحيمة تساهم في إنماء العواطف بين الناس وتقربهم من بعضهم البعض ، وتساهم في حل مشاكلهم بشكل فعال ، إذا أحسن استعمال واستخدام جمع الزكاة وتوزيعها حسب العقيدة والخوف من الله، والطمع في الخلود مع الله في الجنة .

خطورة العقائد :

وقبل ختام الموضوع لا بد من التذكير ببعض المخاطر التي تنتج عن العقائد ، فمن أخطار العقائد هي التسليم بكل ما يأتي به المحللون لقواعدها وقوانينها ، خاصة من أتباعها لأنهم أكثر الأفراد في التعصب لها ، وخاصة التسليم والوثوق بمن يدعو لها . فالعقائد عند العلماء ليست كالعقائد عند الجهلاء ، ولكن تأثيرها والوثوق فيها وفيمن يدعو لها يكون دمارا إذا لم يستعمل العقل في فهم العلاقات بين العقيدة وبين تطبيقها بين البشر . لأن العقائد كالمشاريع التجارية تحتاج دعابة ، ومن الدعاية التشويق للبضاعة ، ومن ضمن التشويق إخفاء الحقائق عن الزبائن والمستهلكين وإظهار بل والتركيير على أجزاء إيجابية مفيدة قليلة ، فإذا اتصفت العقيدة بالسلعة التجارية وهذا ما يحصل عادة بين الجهلاء ، فكما يزيد الدجل والكذب والتصنع بالجمال عند أصحاب السلع فإن العقيدة أيضا تستخدم عناصر التشويق في الدعوة لها مما قد يخلق الأكاذيب لزيادة لمعانها ، وإخفاء سلبياتها ، من أجل استقطاب أتباعها والدفاع عنها . لذا فإن الدعوة لاستعمال العقل في التفكير فيما يختص بأمور الدنيا لا يتنافى مع العقيدة ، وإنما يتنافى مع تطبيقها إذا رفضت استخدام العقل البشري في الأمور الدنيوية . وف بالقرآن ما يفصح عن إعمال العقل والتروي والبحث والتمحيص في كل ما نرى ونسمع . فالآية الكريمة من سورة الحجرات، تقول:

"يا أيها الذين آمنوا ، إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . " (الحجرات: 3)

وتفسير الآية الكريمة يوضح لنا مدى استخدام العقل والمنطق والتأني والصبر لإيجاد الحقائق عن طريق العقل والتقصي للخبر المنقول ، حيث يقول التفسير:

"أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة مصدقا إلى بني المصطلق ، فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم ، ورجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم ارتدوا عن الإسلام . (أي كذب في اختراع الجواب وهو صحابي) . فلو أخذ الرسول المعلومة دون تعقل ودون تفكير لكان القرار خاطئا ، فماذا عمل الرسول الكريم؟ تكمل تفسير الآية الكريمة:

فبعث (الرسول عليه الصلاة والسلام) خالد بن الوليد ، وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلا ، فبعث عيونه ، فلما جاءوا أخبروا خالدا أنهم متمسكون بالإسلام ، وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أتاهم خالد ، ورأى صحة ما ذكره ، عاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، ونزلت هذه الآية .

(وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: (العجلة من الشيطان والتأني من الله .) ففي العجلة جهل وتسرع ، وفي التأني في إصدار القرار والتأكد من الخبر هو هداية من الله . وقول الرسول لخالد: أن (يتثبت ولا يعجل) إنما هو منهج للبحث والتقصي مهما بلغ الأمر من صعوبة ومهما طال الوقت ، لأن الأثر خطير ، والقرار يحتاج إلى معلومات ثابتة وأكيدة . فرجع خالد وقد رأى بعينه وسمع بأذنيه ، فاستعمل قياسات الاختبار الضرورية لتوكيد أو نفي الخبر . ولا ندري ما حصل للوليد بن عقبة فهو فاسق جاء بنبأ لم يصدقه الرسول فأرسل خالدا للتأكد من المعلومة قبل اتخاذ قرار .

وحبذا لو تبع المسلمون اليوم هذه الآية الكريمة في إعمال العقل والتدبر قبل إصدار القوانين والقرارات دون تعقل ودون تحقيق وتروي وبحث. فإذا فعلوا فإنهم يتبعون مناهج التجربة والبحث العلمي في تقصي الحقائق حول الظواهر الاجتماعية ، وكثير من هذه المظاهر خداع أو كاذب أو مبالغ فيه ، لذا فاستعمال العقل للتأكد من الحقائق يشد أزر العقيدة ولا ينقص منها قيد أنملة . لأن عقيدة الرسول صلى الله عليه وسلم ثابتة بأن التأني في اتخاذ

القرار هو من الله ، واتخاذ القرار يحتاج معلومات صحيحة ثابتة ، لأنه شك في جواب الوليد بن عقبة . والشك منهج اتبعه الأوروبيون في التوصل إلى حقائق الكون مما نعرفه عن الشك الديكارتي والبحث عن الحقائق في العصور الوسطى . وهو ما قامت عليه النهضة الأوروبية ، وهو ما تحتاجه أمة العرب والمسلمين . والله أعلم وهو خير شاهد ، فاللهم أشهد!

لقاء مع الدكتور حسن يحيى بعنوان:

الباحث والشاعروالأعلامي حسن يحيى في ضيافة النور



عبد الواحد محمد

22/06/2011

قراءات: 389

حوار صحفي مع الباحث والشاعروالأعلامي حسن يحيى بنهكة بوعزيزي وميدان التحرير! أجراه : عبدالواحد محمد: مدير مؤسسة النور الإعلامية بجمهورية مصر العربية



هو أقرب للباحث الفيلسوف والشاعر الذي يضعك علي قارعة الطرق بكل يسر لفهمه العميق للحظة الراهنة والتاريخية والمستقبلية كما أنه ناتج خبرات تراكمية كرحالة وإعلامي يتمتع بحس نفسي وأمني ومعرفي قائم علي منهجية التعامل مع الآخر مهما كان لونه جنسه ديانته وهذا تجده كشاهد حقيقي من خلال شخصه الفاعل في عالم مفتوح ومن سطور كتبه العلمية والأدبية والفكرية وتلفزيونه الخاص الذي أرسى فيه ملامح لخطاب تجديدي كما فعل في منتصف القرن التاسع عشر الأمام محمد عبدة وغيره من رفاق الدرب بل هو المترجم لكثير من إبداعات شابة في مجال القصة القصيرة والرواية العربية ودواوين الشعر وسائر الأبحاث العلمية أنه الدكتور حسن يحيى عربي الهوية فلسطيني الجنسية والمغترب في أمريكا منذ أكثر من ثلاثة عقود من الزمان لم تبدله فتننتها وبريقها بل زادته أصرارا علي عروبه وأهتمامه بتقديم كل عون للشباب العربي يعيش بينهم ويتكلم العربية رغم أجداته للعديد من اللغات كما بهرته ثورتي تونس ومصر بكل تفاعلاتهما السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية تمردا علي النظم الديكتاتورية وغياب العدالة والديمقراطية فهو الليبرالي الأقرب للصوفي في الميدان يكتب تاريخ وطن بلغة الأحرار ..

س: البداية من أي طريق مضيتم بالشعر عبر رحلة طويلة من الجهد والعمل المصني في بلاد المهجر؟

ج: اسمح لي بتقديم نفسي بأبيات من الشعر حيث أقول:
ملحوظة: من شعر الأديب العربي في بلاد المهجر الدكتور حسن يحيى (الملقب بغريب الديار)

أنا لست بشاعر جاد القوافي الحب أنطقني أليس الحب بكاف
فالشك بأيد الحب أمر جليل كالشك في - لا يخفى على الله خاف-
وحب مكة أبقى من كل حب رغم كل قريش وأنف عبد مناف
وأنا أمير اللسان همتي عالية عالم فيلسوف هائم في عالم تافه
أنا من أمة يشهد التاريخ لها شرفا متوجة وأخلاقا رغم الخلاف
وفلسفتي في الحياة أن أعيش حرا دون ظلم أو تهديد من العراف
ولن يؤثر في مركزي أو مقامي جاه السلاطين فأنا من الأشراف
فقد زادني العلم وما حصلته شرفا وسلطانا ، فهو حارسي بالأسياف
فليركع الراعون وليسجد الساجدون لغير الله ، خالق العباد وسورة قاف
ومهما طال في الدنيا عذابي فأنا بالعلم لا بالمال ، سوف يكون اسرافي
فلسطيني موطني رغم كل الناكرين تاج على مفرقي ، ولو ظل الزمن جافي
أنا باختصار شديد إن سألت ، إنسان عربي رماه الدهر في أقصى الفيافي



س. في سطور عرفنا بنفسك، من هو الدكتور حسن عبدالقادر يحيى؟

ج. أنا لست بشاعر جاد القوافي الحب أنطقني أليس الحب بكافي
أنا باختصار شديد إن سألت ، إنسان عربي رماه الدهر في أقصى الفياضي
. فأنا إنسان عربي مفكر ليس أكثر ولا أقل. عاش في أكثر من تراث شرقي وغربي وما
بينهما ، وما يجعلني مميزا هو التفكير العقلي المنطقي الذي أتخذة دون أن يتأثر بالعاطفة التي
يتسم بها السياسيون والتقليديون من أولي الأمر في العديد من البلاد العربية والإسلامية . فأنا
أفكر بعقلي إذن أفكار أخلاقيا بمنطق عقلائي ومعظم كتاباتي حول العدالة والمساواة
وإتاحة الفرص المتساوية في التوظيف والحياة الاجتماعية .

س. لكم سلسلة من المقالات التي نشرت في صحف عربية وغير عربية وأحدثت ردود أفعال
لدي الجمهور فما هي تلك المقالات وهل يستطيع الكاتب في عصر التكنولوجيا أن يكون
متفردا كما كان في السابق؟

ج. ليس للعقل البشري حدود في مجالات التفكير ، فالإنسان يفكر وهو يأكل وهو يشرب وهو
يعاشر طرفا ثان ، ولا ينتهي التفكير إلا بانقضاء العمر ، والتفرد صفة شخصية لها مهارات
وصفات يختلف فيها الفرد عن غيره من البشر . ومقالاتي كلها تدعو إلى التبصر بعادات
الناس ودور العلم والحصافة العقلية فيما يقرأون ، وقد أفادت مقالاتي العديد من القراء في
أوطان كثيرة فاقت رعدة العالمين العربي والإسلامي ، وبعض ما كتبت تراه مترجما إلى عدة
لغات أخرى ، لذا فإن المنفعة لا يقصد بها لون أو عرق أو دين أو سن. من هنا ساعدت
وسائل الاتصال قراء من عدة شعوب على التعرف والاستفادة مما أكتب. وهناك اتصالات
بيني وبين عدد من القراء للاستزادة أو الاستفسار عما كتبت .

س. للإبداع العربي فلسفة خاصة في الشرق فهل له مثل هذه الكينونة في الغرب وخاصة
أمريكا عقب الهجرات العربية المتتالية منذ أوائل القرن العشرين وفي ظل العديد من
التساؤلات حول الموقف الأمريكي العربي بعد الحادي عشر من سبتمبر؟

ج. أعتقد أن الشرق شرق والغرب غرب ، أعني أن لكل منهما فلسفة وتاريخ مختلفان ، ومن
ناحية الإبداع فإن صورته أيضا مختلفة ، فكما تعلم أن الإبداع كالأشجار الباسقة تترعرع
بوجود الماء والشمس حتى تعطي أكلها ، والإبداع يحتاج أيضا إلى غرس علمي بحيث
يترعرع في بيئة تتمتع بالحرية والعدالة الاجتماعية وإتاحة الفرص ، والفرق بين الشرق
والغرب في هذا المجال لا يمكن تجاهله أو غض الطرف عنه ، فغياب الحرية والعدالة
الاجتماعية في عالمنا المشرقي يؤثر طرديا مع قلة الإبداع والابتكار .

أما المهاجرون من البلاد المشرقية في أمريكا فإن التأقلم لتراث الولايات المتحدة الذي تغلفه
الحرية وسيادة القانون، يأخذ وقتا يطول أو يقصر بناء على شخصية المهاجرين ، فالشباب
عموما أسرع تأقلمًا من آبائهم وأجدادهم ، والأجيال الجديدة أكثر انخراطا في المجتمع
الأمريكي وأكثر ثقافة وأكثر مهارات في التواصل خاصة وأنهم تخرجوا من المعاهد
الأمريكية ، وقد كان الشباب العربي بعد الحادي عشر من سبتمبر دور حيوي في نبذ صورة
الإرهابي النمطية التي التصقت به ظلما وعدوانا يدلان على قلة المعرفة بالتراث المشرقي
من قبل الأمريكيين سياسيين ومدنيين . ومن آثار 11/9 الإيجابية ، ومن عادة الأمريكيان حب
الاستطلاع والاطلاع على التراث للشعوب الأخرى فقد نشط الشباب في تقديم صورة العربي
الجديد ، وفي الوقت الحاضر كان لثورة 25 يناير في مصر الحرة أثر إيجابي في مساعدة
المبدعين من العرب أن يلقوا أذان صاغية لما يقولون ويقدمون من دفاعات عن الصور

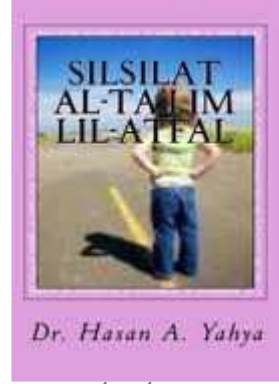
النمطية التي لحقت بهم من 9:11. حيث إن الكرامة العربية بدأت تتبلور بعد الفشل المتكرر والانسحاق السياسي خلا الخمسين سنة الماضية .

س. علاقة المثقف العربي بالسلطة هل هي نفس علاقة المثقف الأمريكي بالسلطة ؟
ج. الإنسان المثقف محيط بنفسه ، فهو يستزيد عن طريق المعرفة والاتصال بالآخرين عن طريق السمع والبصر . ولكن السمعة عن العرب أنهم لا يقرأون وهذه واقع محزن ، وفي أنظمة كثير من الدول المتقدمة ينخرط طلاب المدرسة الابتدائية في مناهج دراساتهم التحضير لقراءة الكتب والمسرحيات ونقد الفيديو والأفلام . حيث يقوم الكالب أو الطالبة بقراءة كتاب كل أسبوع أو عمل بحث أو وصف شخص أو الكتابة لسياسي وهي نشاطات تشجع على البحث والتحميص بطرق علمية تصبح عادة عند المواطنين عند الكبر . وفي أيامنا وإن طغى الإنترنت على كل ذلك إلا أنه أضاف سرعة في البحث ودروب القراءة . وأهم ما ينتفع به طلاب المدارس القراءة والكتابة ، وفنون الحساب ومعرفة اللغات ، حتى يصبحوا مثقفين وعاملين في المجتمع من خلال تخصصاتهم فهم يؤثروا ويتأثروا بأحداث مجتمعهم . لذا تختلف علاقة المثقف في الغرب مع السلطة عن علاقة المثقف العربي مع السلطة التي لا تدع له مكانا في المشاركة السياسية أو حتى المشاركة المدنية إلا عن طريق القبلية أو الشللية أو المحسوبية .

س. لماذا نرى الصراع الفلسطيني داخليا بين منظمة فتح وحماس ولمصلحة من يستمر هذا النزاع الوطني؟

ج. كتبت مؤخرا مقال أحل نوع الدولة المحتملة أو المتوقعة في فلسطين . وكتبت مثلا آخر عن مقارنة ما جرى من ثورات التغيير في إسبانيا وفرنسا وأمريكا ، فلم يكن هناك شبه مع ما يحصل في فلسطين ، لأن تلك الثورات لم تصلح فيها المجتمعات إلا بعد ثورات عارمة وقتال عنيف دموي حتى انتصرت وسارت في طريق الحضارة ، وفي فلسطين إقترحت مثل ذلك القتال فلا يجوز أن يبقى الإنقسام بين حماس من جهة وفتح من جهة أخرى ، وعليهم الصراع من أجل وحدة الصف ، وقد لا يكون المنتصر على حق ، ولكن وحدة الكلمة قد تأتي بالإصلاح والتحرير أفضل من التشرذم دون سقف فوق الرؤوس، وعلينا أن نقول أن الفلسطينيين ليسوا كلهم فتح أو منتسبين لحماس فكلاهما مهترئ بأفكار تقليدية وعادات عفى عليها الزمن ، وليس عند أحدهما هدف يخدم عام الفلسطينيين ولا يحل مآسي اللاجئين ، ولا يدعم وحدة العرب من أجل الحرية والعدالة الاجتماعية والمساواة ، وفي رأي المتواضع ، أن حماس وفتح بعد ثلاثين عاما ليسوا بأفضل حالا من النظم العربية في مصر أو تونس أو غيرها قبل ثورة الياسمين و ثورة ميدان التحرير. وعليه فإنني أقترح إقصاءهما عن الحكم وتسليم مقاليد الحكم للشباب لا للمحسوبيات ولا لأصحاب اللحى ، فالمستقبل يريد صفاء فكر والفكر يحتاج عقولا لإدارة المستقبل ، دون النظر إلى أن المكتوب مكتوب عند حماس ، أو أن الحاصل أفضل من المستحيل عند فتح . وكلاهما من تقاليد الحكم البالية مع تقدم وسائل التواصل والاختراعات في مجالات العلوم المختلفة فاستخدام ما ميز الخالق به الإنسان عن الحيوان أمر لا مفر منه للحياة بسلام مع النفس ومع الآخرين ، حيث إن الجميع قصيروا الأعمار .

ولي كتابان حول القضية الفلسطينية أحدهما دراسة مقارنة عن اليهود والعرب وهجرتهم من وإلى فلسطين وهي دراسة اجتماعية تحليلية والكتاب الثاني وضعت فيه كتاب برنوتوكولات حكماء صهيون باللغات العربية والإنجليزي والإسبانية . وهما على أمازون.



س. من هم أهم أبرز الكتاب العرب اليوم في أمريكا وهل الكتاب الشباب لهم قاعدة بين الجمهور الأمريكي؟

ج. أمريكا بلاد مفتوحة ، والفرص لا حصر لها ولا قيود ، والقانون سيد الأحكام ، والأموال لها دروب للصرف يشمل جميع الأفراد حتى لو استغني عنهم في وظائفهم. ومشافيتهم مفتوحة لكل العروق والألوان والأعمار من البشر ، والقضاء حي وشريف إلا ما ندر ، لذا فإن الكتاب العرب رجالا ونساء متساون في العمل من أجل مستقبلهم ، دون أن يتدخل أحد من حولهم ، والجامعات مفتوحة على مصراعها إما مجانا للمبدعين وإما مدعومة من الدولة للجميع عن طريق القروض أو تقديم فرص العمل والتدريبات المدفوعة لتساعد على الشعور بالمسؤولية التي يتأخر الشباب العربي في تحملها ، فيبقى أكثرهم عالية على أبويه حتى يتخرج من الجامعة ويصبح عاطلا عن العمل لا يستطيع أن يتحمل مسؤولية نفسه ولا القدرة على تحمل المسؤولية في إنشاء أسرة . والكتاب العرب كثيرون ولكنهم غير متحدين ، ومازالت العادات والتقاليد تتحكم في كثير من العرب المهاجرين في طريقة لباسهم ومعاشهم وطعامهم .

أما قاعدة الكتاب العرب فهي أفكارهم ومن يقبلون بها . وليس هناك مؤسسات تساعد على إيجاد قاعدة بين الجماهير ، وكل كاتب مبدع يكون اتساع شهرته باتساع قاعدة معارفه الشخصية وتسير معه في فترات حياته تبدأ بالمعاهد التربوية ثم أماكن العمل والاحتراف . أما البارزون من الكتاب العرب فكثر ، وهم غارقون في تحمل مسؤولية العيش بكرامة . ونشاطات معظمهم لها ارتباط ديني أو سياسي أو عقائدي ، ففي أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة وكندا) العديد من الكتاب ولكن قلة المؤسسات التي تجمعهم وتستثمر ابداعاتهم بمنع من انتشارهم وشهرتهم. وقد قامت مؤخرا اتحادات تأخذ بيدهم وإن كانت متأخرة ، إلا أنها حريصة على سد الفراغ في هذا المجال. ومنها احاد الكتاب العرب والمسلمين واتحاد العلماء المسلمين ، واتحاد الأطباء المسلمين ، واتحادات الطلبة التي كان لها أثر في ترسيخ المعرفة والتواصل بين العرب والمسلمين من جهة وبين المجتمع الأمريكي .



س. من يكتب تاريخ أمريكا المعاصر السياسي أم المثقف وخاصة بعدما سادت الأقلية الثالثة العديد من الصراعات الفكرية وكان من بين هؤلاء المفكرين صامويل هنتجتون صاحب الكتابان مثيران الجدل وهما صدام الحضارات عام 1986 والثاني من نحن ؟ عام 2004 ميلادي ؟ والشق الثاني : صراع الحضارات بين الشرق والغرب كيف تطل عليه مع بدء الأقلية الثالثة وهل يستطيع العرب العودة لسابق حضارتهم ؟

ج. من ينظر إلى العرب اليوم ومكانتهم في التاريخ المعاصر فقد يجهد بالبكاء على ما هم فيه من جهل وفقير وتأخر ، فإن وضعهم في ذيل الأمم حضارة من النواحي العلمية والتقنية والاستثمارية . وما نراه من صراع بين الشرق والغرب لا يمكن تسميته صراع وإنما يمكن أن نطلق عليه التلقين الأعمى للأفكار الدخيلة ، والابتكار والإبداع كما تعلم ممنوع في بلاد العرب والمسلمين إلا في مجال مدح أولي الأمر والسياسيين وأنماط رجال الدين وتحقير المرأة ، أما الإبداع الفكري الذي يميظ اللثام عن الجهل والعدالة والحقوق الإنسانية فهو مطموس ومحارب على كافة المستويات ، فمثلا يبقى الشاب والشابة حتى سن الثلاثين وهم معتمدون على أولياء أمورهم ، يعطون الفرصة للمجازفة بالإعتماد على أنفسهم ، وخاصة الإناث . فهي لا تستطيع الإفلات من العادات والتقاليد والبراقع والحجاب دون هجوم من الذين يقدسون التراث المتخلف ، فيمنعون تقدمها ويستهنون أفكارها ويستغربون أفعالها وتصرفاتها حسب عصرها . وتقوم المؤسسات بتسيير أعمال ومصالح الشعب بطرق تقليدية دون احترام للإنسان ، ولا فعصور الظلام ولت في بلاد الغرب ولكنها ما زالت تعشش في زوايا العالمين العربي والإسلامي. فأبناء العائلات هم المتحكمون في السياسة والمجتمع ، أما أبناء الفقراء فهم مشغولون بالتفكير في تهيئة لقمة العيش والبحث عن وظيفة أفضل . حيث لا يوجد من يأخذ بيدهم لانتشار المحسوبة وتفضيل التفاضلية حسب الجاه والسلطان والثروة دون اعتبار للعقل المفكر الذي يدعو للإصلاح . فأنت تعلم أن الفلاحين في مصر لم يكونوا يقبلون حيث كان التعليم حكرا على أبناء الأغنياء في مدارس الدولة حتى جاء المفكر المصري المرحوم الدكتور طه حسين ، حيث أصبح التعليم إلزاميا لكل أبناء الشعب في صعيده ومدنه من بعده . ومع هذا بقيت نسبة الجهل بين أفراد الشعوب عالية مقارنة مع المجتمع الشيوعي والأوروبي والأمريكي الذي قاربت نسبة المتعلمين فيه إلى المائة لمن هم دون الخامسة عشرة . بينما نجد في العالمين العربي والإسلامي نسبة لا يمكن إغفالها من الأميين وخاصة بين النساء . فليس هناك صراع إلا على الأنانية المفرطة والمصالح التجارية بين أفراد ومؤسسات وليس بين حضارات .

وما يتمتع به الغرب من حضارة ليس نظاما عادلا أو كاملا يمكن تطبيقه بجهل وعدم دراية أو نصارعة حتى لا يطغى على تراثنا ، فأنت تعلم أن الرأسمالية تساوي بين تزايد أعداد الأغنياء كما الفقراء ، ولكن هناك مؤسسات حسب القوانين تحاول تطبيق العدالة وتنادي بحقوق الإنسان ، ومهما أخفقت وانحرفت فالقانون ما زال يسري على الجميع ، أما في حضارتنا العربية والإسلامية فما زلنا نجتز بعض الأخلاقيات السماوية الرفيعة وحين ترتطم

بأرض الواقع عمليا تجد الناس في بلادنا يلهثون وراء لقمة العيش ، فالعدالة الاجتماعية والمساواة والحرية كلها أقوال بدون أفعال. وليس هناك قانون يطبق في حالة الرأي الآخر . وما تعارف عليه الناس من عادات وتقاليد تهدم كل تفكير في العدالة والحرية والمساواة . فأنت ترى مثلا في العديد من الدول في شرقنا العربي والإسلامي كثيرا من الناس في كل مجال يعتبرون أنفسهم آلهة معصومة عن الخطأ وهذا سبب البلاء في أي حضارة ، فليس عندنا ما نصارع به الحضارات الأخرى فالعقول مسجونة ، والتفكير ممنوع ، والعدالة من السماء ، والحرية للمجموع ، والتجديد أو الإبداع في التفكير بدعة ، والبدعة كما تعلم يرسمها الشيوخ بأنها توصل إلى النار إلا ما كان منهم . ومن أجلها كمت الأفواه ، وسجنت العقول ، ومنعت الأقلام من الكتابة ، وزادت الأمراض النفسية والعضوية . وبعد أن رأينا ثورة مصر الحرة وشبابها وفي تونس وهضابها وفي ليبيا مع قذافها ، يمكن أن نقول أننا بدأنا في صريق الصراع مع الغرب وحضارته حيث يشترط في الصراع عوامل مشتركة ، ولعل في نبت مصر الثرية بشبابها التي أعادت للعرب كرامتهم ، أن تفقد الصراع مع الغرب على أسس علمية في طريق العلم والبحث باتجاه الوحدة والمساواة والعدالة الاجتماعية . حيث لا يمكن الدخول في صراع دون كرامة ودون عدالة ودون عمل .



س: شعراء عرب لكنهم سياسيين في خطابهم الشعري وكان لهما كثير مما نشاهده اليوم في عالمنا العربي من ثورات أسقطت نظم عنيقة وجبارة من خلال المتلقي الفاعل ؟
ج: إذا دخلت إلى اليوتيوب ستجد مئات الشعراء على الفيديو تسمعهم وترى ما يتحدثون عنه . وتجد من كل بلد عدد منهم ، فهم نبض مشاعر الشعوب والمتحدثين عن أحلامها والرافعين لأخلاقياتها في الحب والحياة من مساواة وعدل واحترام متبادل بين البشر ، والمهاجمين للفساد والانسيابية في التفكير وهم الداعون إلى عودة الكرامة والتغني بها حين تعود كما حصل في ثورة ميدان التحرير وما قام به شباب مصر الحرة من إعادتها بما فعلوا. فقد أعادوا الكرامة التي فقدت لسنين طويلة ، فعادت بالعمل الوطني الفعال ليس إلى مصر وحدها بل للعالمين العربي والإسلامي فس وقت قصير. وفي مصر عشرات الشعراء ممن كان لهم السبق في الإسهام في الثورات والشعب يعرفهم فهم كثر . ولي عن مصر بعض الفيديوهات عن الرياضة : فيديو بحبك يا مصر ، وعن الشاعر المصري المحبوب : عبدالرحمن الأبنودي وعمر الشريف . وعن ثورة الشباب حيث كان الجيش يبدو أنه سينحاز للنظام ، لأن المدرعة كانت تقف بالعرض في الشارع لتقليل المرور للسيارات على الجسر .
س: ما هي مشاريعكم الثقافية الحالية والمستقبلية ؟

ج: ليس عندي مشاريع مستقبلية لسبب مقتنع على ما أعتقد ، حيث إن مشاريعي يومية تبدأ بفكرة وتنتهي بمقال أو كتاب أو محاضرة ، أو ندوة أو مقابلة ، فالأحداث سريعة ومعقدة مع ازدياد عدد سكان العالم عامة والعالمين العربي والإسلامي بصفة خاصة . أما مشاركاتي في المؤتمرات الدولية ففي سبتمبر يوجد مؤتمر في كوالالامبور -ماليزيا ، ومن المشاريع البحثية ما يستحق تخطيطا وبحثا دقيقا في مجالي مستقبل العرب والمسلمين ومستقبل طرق استغلال التبادل التجاري والاقتصادي بين الدول بما يعرف باستثمار رؤوس الأموال والمشاريع

المشركة مما يطلق عليه (Venture Capital) وهو من المواضيع التي لا يوجد منها إلا قليل من المؤسسات في الدول العربية ، ففي كل من مصر مثلاً والسعودية وباكستان مؤسسة واحدة تقوم بالاستثمار بينما عدد هذه المؤسسات الاستثمارية يفوق المئات في أمريكا وكندا وبريطانيا وفرنسا . لذا فإن المفكرين العرب من مهندسين وأطباء وفلاسفة لا يمكن أن ينهضوا أو يوجدوا حضارة عالمية إلا عن طريق البحث العلمي الذي تدعمه هذه المؤسسات الاستثمارية ، فالاختراعات تحتاج بحثاً طويلاً وأوقات أطول كما حصل في الغرب في مجالات الإلكترونيات والمواصلات والتواصل والصحة والسلامة وإنتاج الغذاء . والشعوب العربية كما تعلم تعيش في بلاد لا تلبس مما تصنع ولا تأكل مما تزرع ولا تدافع عن نفسها بما تملك ، فهي في أمس الحاجة إلى توزيع الثروات على مستحقيها ومشاريعها العلمية في مجالات التصنيع والزراعة واكتشاف الأدوية لأمراض العصر بطرق تقنية خاصة في مجال الغذاء والمحافظة على البيئة والسياحة

س. الإنترنت فجر ثورة علمية وثقافية وسياسية كالتى شهدتها تونس ومصر فما هي القيود التي يمكن أن تحد مستقبلاً من دوره أم سيواصل طريقه بلا انقطاع ؟

ج. ليس المهم الفيس بوك أو تويتر، بل المهم من يستخدمه لصالح البشر، وكان الشباب العربي في مصر الأبية أول من استخدم المهارات الإلكترونية لإحراز النجاح وكتابة تاريخ جديد في الثورات يختلف عن الثورات التقليدية في التاريخ. شباب تسلح بالعلم والتحميص والتدقيق وحب الغير حتى قفز الحدود فينظرته العالمية نحو حقوق الإنسان والعدالة التي كان الحديث عنهما يودع المحدثين غياهب السجون في كثير من الدول. وباختصار فإن دور المخترعات التقنية ووسائل سرعة التواصل ستبقى لها أهميتها ، وكما قلت لك أن المستخدم ومهارته في استعمالها أهم من وجودها. بالإضافة إلى الحس العالمي يمكن لهذه التقنيات قيادة العالم وليس بلداً واحداً فقط داخل حدود وهمية صدقها الناس فتحدوا في داخلها وفقدوا الأساس العلمي في تعارف البشر ، وهو التعارف والتبادل للمعلومات وحتى الأرزاق والمصادر.

س. ماهي روافدكم الثقافية الذي نهلتكم منها الزاد في تجربتكم الإعلامية الثرية ؟

ج. يا أخي... أنا إنتاج حضارتين عظيمتين. الحضارة العربية وما يغلفها من عقيدة جمعت كل الأخلاق في أديانها ، وحضار الغرب التي تستند على التفكير العلمي والبحث الدقيق في كل ما أكتب. ولكن الفلاسفة من الفقراء قل أن يستمع إليهم أحد من الأغنياء والسياسيين. فروافدي علمية وحضارية تضم العالم وأساليبه العلمية في تحسين صورة الإنسان واستغلال أفكاره ومهاراته فيما ينفع المجموع الإنساني وليس الفرد فقط. ولعل المعرفة هي ما أتطلع إليه عند كتابة مقال أو بحث أو تحليل، المعرفة التي تعتمد مناهج البحث والتدقيق والقياس.

س. كيف يكتب العرب تاريخاً جديداً لهم بعيداً عن الأيديولوجيات العقيمة والطائفية وغير ذلك من العطل التي تعوق نهضتهم ؟

ج. خلال الخمسين عاماً أو تزيد كان العرب كأمة مرض مزمن لكل المفكرين والكتاب العرب. لأن المشكلة رسخها المستعمرون الأوائل ، وظن العرب وأنظمتهم أنهم لا يستطيعون التغيير نحو الأحسن ، فالإقليمية تكرست، والأنانية انتشرت في مناهج التربية والتعليم ، والأنانية كما تعلم تدفع إلى حب الذات وكرهية الآخر ، وهي من أمراض الأنظمة السياسية ، بما يتنافى مع حقوق الإنسان ، مثلاً كل بلد بدأت تقول بلدي أولاً من ناحية الحقوق والواجبات متناسين البلدان المجاورة ، واللغة والتاريخ المشترك . فأصبح لكل دويلة تاريخ وشعب ولغة

ومصادر متفاوت فقرا وغنى ، فماذا نتوقع من كتاب التاريخ وفكر المثقفين إذا ارتكزوا على سياسة الأنانية وتمجيد الذات في كل بلد ، دون أن يكون هناك شمول في نظرة المؤرخين والكتاب. فكتبهم تعتمد على المحسوبة وتمجيد السلطان ومن يدور في فلكه ، وليست البلد المحدد بحدود جغرافية إلا تقليل من فعالية الأنظمة وتحديد نظرتها التي يجب أن تشمل العرب جميعا . عندها يكون لكتاب التاريخ والمفكرين احترامهم ومكانتهم في المجتمع العربي كلة وليس في بلد واحد محدود النظرة . أما مناهج اكتابة التاريخ فلا يختلف عليها إثنان وقد أثبتتها قبل مئات السنين راند علم الاجتماع وعلوم التاريخ ، العلامة ابن خلدون في كتبه. حيث يصر على الشك فيما يقال وإعمال الفكر فيما يسمع وتحليل المعلومات ووزنها ومقارنتها بما يعرفه العقل دون خيال واسع تائه في التصور في التعظيم للأشخاص دون تبصر وتمحيص وتدقيق.

س. تلفزيون الدكتور يحيى الذي تملكونه في أمريكا يعد نافذة مضيئة لعالمنا العربي في ظل عولمة إعلامية عالمية فما هو رسالته التي تحرصون علي تقديمها للمشاهد العربي بصفة خاصة وللأجنبي بصفة عامة ؟

ج. إذا اطلعت على الرسالة والرؤية والهدف من إقامة محطة التلفزيون في أمريكا وتوجيهها للعرب ستعرف أنها تتضمن ما يلي :فمن ناحية الرؤية والرسالة: فهي إعلامية تربية للتواصل مع الناطقين بالعربية في بلاد الغربية ومنها أوروبا والأمريكتين ، ومن حيث الأهداف فإنها استقلالية من حيث توصيل المعرفة بقالب تروحي وهي مملوكة بالكامل للدكتور حسن يحيى .

س. تأملاتكم في الصحافة الأمريكية هل نراه عنوان لمقال تحليلي قادم ؟

ج. لي عدة مقالات حول الصحافة الأمريكية ، وهي تنتقد الوضع العام للصحافة الأمريكية خاصة فيما يختص بالسياسة والمواقف متعددة الوجوه من قضايا العالم ، خاصة ما يخص العرب عموما وعلاقتهم السياسية مع الولايات المتحدة . ولي مقال بالإنجليزية بعنوان :أحرف وسائل الإعلام والأخلاق: نقد توم جروس

ومقال من أربعة أجزاء حول انحرف وسائل الإعلام في الولايات المتحدة تجده منشورا على أميزينز : ولي مقالات سياسية في نقد السياسة الخارجية وموقف الولايات المتحدة من القضايا المشرقية خاصة ما يتعلق بالقرارات التي تخص قضية فلسطين في الأمم المتحدة . ومنها مقال نقدي تجده هنا :

س. المنتديات الأدبية والصالونات الثقافية في أمريكا إلي أين ؟

ج. النشاطات في أمريكا والمنتديات الأدبية والتخصصية تابعة لمؤسسات ثقافية ، وتكون نشاطاتها حسب العضوية . وهذه المؤسسات تتبع التخصصات المختلفة في العلوم والثقافة والتاريخ والجغرافية ، وعلوم الاجتماع والطب والهندسة . وفي وصف يمكن أن يكون حيايدا فإن هذه المنتديات تنقصها الإدارة أحيانا وضيق الأفق وتقليص فعاليتها وإسهاماتها . فكما تعلم أن معظم هذه المؤسسات مدعومة من أشخاص لأنها لا تتلقى دعما من الحكومة الأمريكية لأن العرب ليسوا محسوبين كمجموعة أقلية كاليهود والسود والمكسيكيين وغيرهم . ومن مشاكل هذه المؤسسات عدم اندماجها مع المجتمع الأمريكي الواسع إلا ما ندر ، خاصة بعد أحداث 11/9.

ويتبع الصالونات الاجتماعية الصحف ومحطات التلفاز والراديو ، وإقامة الحفلات العامة ومشاركة المجتمع الأمريكي في احتفالات الأقليات . وعيب الصحف أنها محدودة الهدف

والمصادر المالية والعرقية ، لأن أكثرها لا ينطق باسم العرب ولا يمثل العرب جميعا في الولايات المتحدة . وأكثر الصحف نشاطا هي الصحف الشيوعية لأنها مدعومة ماليا وروحيا من مصادر خارجية ، أما صحف أهل السنة ففي معظمها لا تلتق بالا إلى الأوضاع السياسية نظرا لنوعية تمويلها . وقلة من الصحف العربية الناطقة بصدق عن أحوال العرب في أمريكا ومعظمها مدعومة شخصا من مؤسسيها .

س. المرأة العربية المبدعة في المهجر هل حققت ما كانت تعجز عن تحقيقه في الشرق ؟
ج. المرأة في كل مكان ما زالت قاصرة عن مجازاة الرجل في الحقوق والواجبات ليس في العالم العربي وحسب ، ولكن في كل أنحاء العالم . وما زالت الشعوب والتراث بشكل عام يبدو مترددا في إعطاء المرأة حقوقها الاجتماعية في تقرير مصيرها وحقوقها السياسية لتشارك في صنع القرار السياسي. أما المرأة العربية في المهجر فقد وجدت بيئة ديمقراطية تتيح لها التفرد والتميز بحرية وتتيح لها الفرص للإبداع دون قيود تقليدية كما نرى في كثير من دول العالم بما فيها العالمين العربي والإسلامي.

س. ما هو دوركم في نشر الثقافة العربية وهل توجد صعوبات تحد من دوركم الثقافي الكبير ؟
ج. كل عمل فني أو ابتكاري أو نشاط تراثي يحتاج إلى إدارة وتخطيط ، والتخطيط فيه أهداف ، وتحقيق الأهداف يحتاج عملا متواصلا ، وفي أمريكا أنت مالك أمرك بعد الله ، ولديك كل الوسائل متاحة للإبداع والابتكار وليس هناك من موانع كما نشاهدها في عالما العربي... فالمجال مفتوح لكل أنواع الإنتاجات الفنية والترويجية والفكرية والثقافية . ودورنا مكمل لأدوار من سبقونا في هذا المجال .

س. الثورات العربية التي شاهدها العالم في تونس ومصر هل هما الضمانة الحقيقية للديمقراطية الغائبة وما هي السبل نحو تحقيق مكاسب استراتيجية تنعكس علي الوطن العربي وخاصة ثورة 25 يناير في مصر التي فجرت كثيرا من إبداعات شابة كان لها دوي عالمي ؟
ج. ثورة 25 يناير ثورة شباب والشباب هم مدراء وقادة المستقبل ، وقد شاركت في كتابة عدد من المقالات قارنتها بثورة الفرنسية والأمريكية ، وقد أشاد بفعاليتها ومناهجها في الإقناع بطريقة سلمية عدد من المفكرين والسياسيين . ولأول مرة يشعر العربي من الخليج إلى المحيط بأن الكرامة العربية التي غابت لسنين طويلة قد عادت بثورة الشباب في مصر وتونس . وقد احتفلنا في الولايات المتحدة بهذا الإنجاز العظيم في مصر الحبيبة ، فمصر لها وزنها الإقليمي والعالمي بين الدول . والثورات عموما تحقق أهدافا كثيرة ومن هذه الأهداف بالطبع مما لا يخفى عليكم العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية دون تعصب عرقي أو ديني أو جنسي .

س. سؤال متروك لشخصكم الكريم لم يأتي ضمن أسئلتني المتواضعة ؟
ج. سأختار سؤال حول النظرية القمرية والإعلام العربي ورسائل الدكتوراه الخاصة بي في مجال التخصص.

أما النظرية القمرية : فقد نشرتها في كتابين عامي 1994 و2008 و عام 2009 وهي نظرية جديدة لحل الخلافات بين الدول على أسس أربعة أولا: أن يكون هناك معلومات صحيحة متبادلة عن الأطراف المتنازعة ، ثانيا أن يكون هناك تفاهم متبادل بين الفريقين ، مما يؤدي إلى تقدير واحترام أيضا متبادلين وحقيقتين ، حتى نصل في النهاية إلى هدنة عن طريق التعاون لحل المشكلات في المستقبل. فالعالم اليوم متشابك المصالح لذا فإن تبادل المعلومات الصحيحة دون ارتباط بأيدولوجية معينة ودون تسييس بعطفة دينية تعصبية يفضي إلى الفهم

والاحترام المتبادلين بين الفرق المتنازعة للوصول إلى حل يفيد الطرفين رغم عداوتهما أو خلافتهما . ويمكن تطبيق النظرية على مستويين : النفسي الذي يغطي خلافات الأفراد في الأسرة الصغيرة كالزوج والزوجة و أو المستوى الاجتماعي الأشمل على مستوى المؤسسات والدول والأقاليم وقد تتسع لتصل إلى مستوى حل خلافات الشرق والغرب أو اختلاف الأديان والحضارات قديما وحديثا مما يفيد كتاب التاريخ ومن يقرأون التاريخ على أسس علمية سليمة .

أما حول الإعلام العربي ، فالإعلام في بلاد المشرق ما زال يوجب على أربع ، فهو معتمد كلياً على المعارف والمحاسب والفوضى في اختيار المواضيع وسرقة إبداعات المؤلفين والعلماء واستغلال أسمائهم في الصحافة دون مردود مالي وكأنهم بلا حقوق مشروعة ، وقل أن ترى بعض المحايدين المبدعين الذين يتبعون العلمية في أبحاثهم عن الحقيقة ، وقد ظهرت بوادر في عدد من الدول مثل الكويت ومصر العربية تنبئ بتقدير الكتاب والمختصين ، إلا أن معظم ما نرى في الصحف والمجلات ودور السينما والمسارح ومحطات التلفاز في الأغلب ما هو إلا نتيجة إفلاس فكري ، واستغلال عواطف ليس وراءها إلا الانحلال الغير مباشر ، خاصة ما يعرض فيها من دعايات انحرافية واستهلاكية لفئات معينة من المجتمعات ناسية أن ثلاثة أرباع المشاهدين ما زالوا يكافحون من أجل لقمة العيش. ومن أهم مشاكل الإعلام والتوجيه في العالم العربي عدم وجود المؤسسات المدنية التي ترعى الكتاب الصغار أو الكتاب الكبار فالأسماء القديمة لا تتغير وتأخذ نصيب المبدعين من الشباب بل وتمنعهم من الانتشار حيث إن معظم الكتاب العرب هم دون حد الفقر في الأغلب، بالإضافة إلى عدم دعم الكتاب والشعراء والفنانين في الدول العربية من قبل الحكومات العربية . فالطباعة أمر شاق والنشر أكثر صعوبة ، ولا بد من وجود مؤسسات ترعى المبدعين منذ الصغر وتحضن المبتكرين من الكتاب والفنانين بحيث يكونون مطمئنين على معاشهم وتعطيهم الفرص المتساوية للتنافس الشريف في مجال الإبداع والابتكار والاختراعات والاكتشافات العلمية .

أما حول رسائل الدكتوراه التي حصلت عليها فالرسالة الأولى علم نفس بعنوان السعادة بين الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة ، وأما الثانية فهي ماكرو سوبولوجي بعنوان: التغيير الاجتماعي في العالمين العربي والإسلامي حيث كان البحث يتضمن خمسة وثلاثين دولة عربية وإسلامية ، وكانت المجالات التي تغطيها الدراسة للحصول على الدكتوراه: مؤسسات البناء والماء والأمية والصحة ، بالإضافة إلى علاقة وفيات الأطفال مع عدد من المتغيرات كمستوى الأم الدراسي ومساهمة المرأة في الشؤون السياسية . وحتى الآن تم طبع الرسالة الثانية من قبل مطبعة جامعة ميشيغان ونشرت ووزعت على نطاق محدود . أما الرسالة الأولى فلم تنشر بعد.

حوار أجراه : عبدالواحد محمد

ردود بعض القراء على المقال

ابن النيل الاستاذ عبد الواحد محمد الحترم

السلام عليكم وعلى من شاركك الحديث

انهالفسحة ممتعة مع رحاب هذا الاديب العملاق الاستاذ حسن يحيى مزيدا

مع هكذا لقاءات و كثيرا من التائق

الف شكر لك ايها الإعلامي القدير الاستاذ عبد الواحد محمد على ما
أحضرت هنا من جمال...وقد وجهت الشمس نحو من يناقسها النور والبريق
الاستاذ حسن يحيى....أي غريب ديار...وحرفه قريب يستوطن مسالك
القلب والعقل...؟
ليت كل الغرباء مثله....
حوار رائع وموضوعي ينم عن مهنية تليق بمن يخوضها
تحياتي وتقديري لشخصيكما

Article One

هموم المدرسين في عصر متغير

د. حسن عبد القادر يحيى

جامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

TEACHERS' CONCERNS IN A CHANGING AGE

HASAN YAHYA, PH.D

أثبتت الدراسات مؤخرًا أن من أهم الصفات التي يتصف بها المدرسون والمدرسات هي أنهم أطول عمرا ممن يعملون في أي مهنة أخرى . جاء ذلك في مجلة "السكان" الصادرة في الولايات المتحدة . وقد استمرت تلك الدراسة أكثر من خمسين عاما ، حيث بدأ الإعداد لها في عام 1940 وشملت 16 دولة غربية صناعية بالإضافة إلى اليابان . فهل تعتبر هذه ظاهرة إيجابية أم سلبية للمدرسين والمدرسات؟ ولا أعتقد أن نفس النتائج ستظهر ، لو نفذت الدراسة في العالم العربي حول طول عمر المدرسين ، أو حول الأسباب التي تطيل أعمارهم. ولكن طول عمر المدرسين لا يقدم أو يؤخر في العملية العلمية ، لأن عملية التربية والتعليم عملية متشعبة يشارك فيها المدرس والمدير والموجه والمنهاج والبيئة المدرسية وأولياء التلاميذ وإدارات الدولة . وتشابك نوعية هؤلاء مع المدرس قد تقصر أو تطيل عمره . فمن هو المسؤول عن فشل العملية التربوية ؟ هل هو المدرس أم المدير؟ هل هو الموجه التربوي أم الوزير ؟ هل هي الوزارة أم المجتمع ؟ هل هو المنهاج أم الطالبة والطالب؟ وهل وهل

قال لي مدرس : إن المدير يعيش في عالم بعيد جدا عن عالم المدرسين ، فهو يأمر ويراقب وينتقد ويفصل ويتحكم في المدرسة كما يشاء ، وأهمها أنه لا يعامل المدرسين كبشر لهم عقول أو ضمائر . وقال لي مدير: المدرسون لا يفقهون شيئا من أعمالنا وهم كسالي يحتاجون مراقبة أنية للحفاظ على سير العملية التربوية . وهم قليلو حيلة لا يعملون إلا ما يطلب منهم ، وهم تابعون غير مجددين في طرق تدريسهم البالية . وقال لي موجه تربوي: المدرسون مسحوقون بالعمل اليومي في التدريس وهم

موظفون ينتظرون معاشهم في نهاية الشهر ، وهم لا يهتمون بنفسية الطلاب ولا بأوامر المدير أو الموجه ، فهم يعتقدون أن المدير والموجه أعداءهم أو أنهم قادمون من كوكب آخر.

وبعد استماعي إلى العديد من هذه التصريحات ، وجدت أن الجميع مغرق في خطأ التعميم على الجميع في الطرف الآخر (هم) ، دون وزن لمشاعر الآخرين أو وزن للمدرسين المتفانين في وظيفتهم أو للمديرين بفعالية لمدارسهم أو للموجهين الخبراء في توجيههم الفني أو التربوي . وليست المسألة من هو على حق منهم ، ولكن المسألة هي فهم وظيفتهم ومستوى طلابهم وطالبتهم . فهم في مرحلة من مراحل العمر الذي هو تعلم مستمر قبل المدرسة وبعدها أي من الميلاد حتى الممات .

إن الأدوار التي يقوم بها المدرس أو المدير أو الموجه إنما هي أدوار تحتاج إلى إقتان ، كالممثلين على المسرح ، ففيهم الفنان الذي يعرف دوره فيتقيد به ، ومنهم الفنان الذي يبتكر في النص أو الإخراج إذا ما صادفته مشكلة في البيئة المسرحية كالضوء أو الصوت أو النسيان لكلمات الدور . فالمدرس فنان ، والمدير فنان ، والموجه فنان ، وشتان ما بين الفنان الجدير بفنه والفنان الذي لا يكون جديرا بذلك الفن . ومن أخطاء المديرين سواء كانت أخطاء تعيين أو أخطاء كفاءة أو أخطاء تخصص ، أو أخطاء نفسية ، فإنها تنعكس كلها على المدرسين . فكم من مدرس كفؤ انطفأ سراجة من كثرة اندفاع هواء كلام المدير ، وذابت شعلته من عدم تقدير جهده وكفاءته .

وإن كان من الصعب توجيه اللوم إلى أحد ، فإن التربية والتعليم اليوم تختلف اختلافًا جذريًا عن التربية والتعليم قبل خمسين عامًا مثلًا . خاصة في مجالات التخصص وتنوعها وطرق التدريس الحديثة ونوعية المدرسين والمدراء والموجهين . بالإضافة إلى ما تتمتع به المدارس من مباني وفضول حديثة وخدمات مواصلات وتغذية ، لم تكن موجودة في السابق . فالعملية ليست من صنع جانب واحد وإنما عملية مشتركة يشارك فيها المجتمع بكل فئاته . والتراث عادة له أهمية خاصة في الحض على محبة تناول العلم من المهدي إلى اللحد .

فليسأل كل مشارك في العملية التربوية قبل اتهام الآخرين المشاركين فيها نفسه هذا السؤال: هل قام بدوره كاملاً كمدرس (كمدرسة) أو كمدير (كمديرة) أو كموجه (كموجهة) أو كموظف (كموظفة) أو كعامل (كعاملة) في مدرسة أو إدارة أو وزارة ؟ هل حاول الاستفادة من التقدم التكنولوجي والعلمي في مجال التربية والتعليم ، أم أنهم ظنوا خطأ أنهم ملكو العلم في مجال وظيفتهم ولا يحتاجون مهارات جديدة ؟ هل غيروا ما بأنفسهم وتقبلوا الأجيال الجديدة بصدر رحب كما هم لا كما يتصورونهم أو يتخيلونهم مثاليين محبين للعلم ؟ هل طبقوا النظريات أم استمروا بعملية تخزين المعلومات من طرف واحد ؟ هل بدأوا يفهمون نفسية الأجيال الجديدة من الطالبات والطلاب ؟ هل غيروا من طرق

التدريس البالية التي تركز على المدرس أو المنهج واتبعوا الطرق الحديثة التي تركز على المتعلم والمتعلمة؟ وهل زادوا من معلوماتهم العلمية التي تيسر عملهم كمدرسين ومدرسات أو مديرين ومديرات أو موجهين وموجهات؟

لم نذكر حتى الآن هموم المدرسين التي تتصل بعدد الحصص اليومية والأسبوعية ، ولا بحجم ونوعية المنهاج الواجب إنهاؤه ، ولا بمستوى العائد المادي الشهري على جهودهم ، ولا بمشاكل التقويم (التقييم) أو مشاكل المواصلات ، ولا بمشاكلهم الأسرية ، ولا بمشاكلهم النفسية، وكلها لها أثر في العملية التربوية . فاتقوا الله يا من تشاركون في العملية التربوية في المدرسين وابحثوا عن دوافع تدفعهم للامتياز والكمال في عملهم . فهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : من علمني حرفا كنت (أو صرت) له عبدا . أو كما قال.

Article Two

ضرورة التعليم مدى الحياة

د. حسن عبد القادر يحيى

جامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

EDUCATION FOR LIFE

HASAN YAHYA, PH.D

لا يكتمل تعلم الإنسان في أي فترة من فترات حياته بل يحتاجه طيلة حياته ، فهو في سن ما قبل الروضة ، يحتاج أسرة حنونة تتمثل في الأم والأب تأخذ بيد الطفل أو الطفلة حتى يشعروا بالانتماء الطبيعي ، وينتقل الأطفال إلى الروضة ولها نوعية خاصة في تربية الأطفال ، وينتقلون إلى المدرسة الابتدائية ومنها إلى المتوسطة والثانوية ، وبعدها ينتقلون إلى الدراسة الجامعية التي تزيد من معرفتهم لأنفسهم أولاً ومن ثم فهم دورهم في الحياة وفهم غيرهم في المجتمع الكبير. وفي كل فترة من هذه الفترات يحتاجون إلى من يأخذ بيدهم ليقودهم إلى مرحلة أخرى تزيد من معارفهم ، وتبني شخصياتهم ، وتساعدهم على اكتساب مهارات للعيش بسعادة في المجتمع الكبير . ولا يتوقف التعليم عند هذه المرحلة ، حيث يحتاج كل إنسان بعد الزواج أن يتعلم أسس استمرار الحياة الزوجية بسعادة ، فإذا انتهت ووصلت إلى طريق مسدود ، احتاج كل منهما - الزوج والزوجة - إلى فهم تلك المرحلة من الناحيتين النفسية والاجتماعية ، وإذا مات أحدهما احتاج الآخر إلى التأقلم للعيش بدون صاحبه في عالم يزيد اعتماد الناس فيه على أنفسهم لا على الجماعة ، فلكل منهم شأن يغنيه . وينطبق ما قلناه هنا على موضوع البحث عن وظيفة أو طريقة لتسويق النفس والمؤهلات ، وهي علوم مستقلة بذاتها ، فالتأقلم إلى البيئة الجديدة سواء كانت وظيفة أو أسرة أو بقاء بعد فقدان حبيب ، يحتاج إلى تعلم مستمر يأخذ من الإنسان عمره . وقدما قالوا: العلم يعطيك جزءاً منه مقابل عمرك كله ، فإذا أعطيت عمرك ، كنت في خطر . بمعنى أن الإنسان يفني عمره ولا يستطيع أن يحوز من العلم إلا على قسط يسير منه فهو

يحتاج أعماراً لمعرفة وإتقانه ، فاستغلوا أعماركم فيما يجلب السعادة لكم
لا التعاسة . هل أنتم مهتدون ؟

Article Three

التكنولوجيا والدنيا آخر وقت

د. حسن عبد القادر يحيى
جامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

TECHNOLOGY CHANGE OVER TIME HASAN YAHYA, PH.D

قال لي صديق هذه الحكاية: قبل أيام كان والدي في زيارة دولة قطر ،
وما أن نزل من الطائرة وأصبح خارج المطار توجهنا إلى السيارة ،
فتناولت التلفون النقال واتصلت بأخي لأبلغه بوصول الوالد إلى دولة قطر
سالما ثم ناولت التلفون لوالدي . فنظر إلي الجهاز النقال الذي لم يتعد

حجمه نصف كف اليد غير مصدق ، وبدأ يتمم مبهورا ، ويقول :
"سبحان الله ، الدنيا يا ولدي آخر وقت" . ثم قال لي نفس الصديق : إن
الوالد كلما رأى شيئا جديدا من التكنولوجيا ردد جملة المشهورة أيضا
مبهورا غير مصدق "سبحان الله ، الدنيا يا ولدي آخر وقت" .

ومنذ فجر التاريخ والتكنولوجيا تبهر الناس ، فقد أدى استعمال المحراث
إلى تغيير معالم الإنتاج الزراعي ، واكتشاف الآلة البخارية غير معالم
الإنتاج الصناعي ، واكتشاف التلفون والتلفاز والإذاعة غيرت معالم
التاريخ المعاصر ، وأدى اختراع الحاسوب (الكمبيوتر) إلى تغيير وجه
العالم حيث نسج عالما جديدا في الاتصالات السريعة ، ومن يملك قوة
صنعه يملك القوة في قيادة هذا العالم الذي نعيش فيه . إذ لم تعد الحروب
في الوقت الحاضر تعتمد على عدد أفراد الجيش وإنما على التكنولوجيا
الذي يمتلكها . فالتكنولوجيا اليوم تستعمل للهجوم وللدفاع عن بعد .

وتعتبر التكنولوجيا سببا ونتيجة معا تؤثر في المجتمع ويؤثر فيها المجتمع
لحاجته إلى تكنولوجيا جديدة . فمثلا خدمة عدد قليل تحتاج كتابة لإنهاء
أعمالهم ، فإذا زاد عدد السكان فإن الحاسوب والإدارة الحديثة ستحل
بعض المشاكل الإدارية ، ولذا يرى الناس جديدا من التكنولوجيا الحديثة
يأخذ مكان التكنولوجيا القديمة كنتيجة حتمية لحل المشاكل ، فقبل عشرين
عاما كان حجم الكمبيوتر كبيرا حتى أن غرفة كبيرة تضيق به ، أما اليوم
فنراه بحجم ساعة اليد ، وفيه الفاكس والتلفون ، والكاميرا ، والآلة
الحاسبة الدقيقة .

فأما اعتبار التكنولوجيا سببا في التغيير الاجتماعي فهي اختراع يؤثر في
العلاقات الاجتماعية فيقربها أو يبعدها كاختراع وسائل المواصلات
الناقلة كالسيارة والطائرة والقطار والسفينة والصاروخ . فمثلا كان
اختراع السيارة يقرب المسافات بين الناس فيقومون بزيارة بعضهم
ويلتقون وجها لوجه ، ولكن اختراع التلفون أبعد بين الناس من ناحية
اجتماعية حيث بدأ الناس يتصلون ببعضهم عبر الهاتف بدلا من الزيارة

من أجل اللقاء وجها لوجه . وأما اعتبار التكنولوجيا نتيجة فإن زيادة عدد السكان يستدعي البحث عن اختراع جديد . خذ مثلا مصلحة البريد حيث كان رجل واحد يوزع البريد بنفسه للقريبة ، أما الآن فالبريد الآلي يخدم ملايين البشر في وقت قصير أحيانا يصل إلى ثوان معدودات . فهل سنصل يوما إلى أن نقول ما قاله والد صديقي : "سبحان الله ، الدنيا يا ولدي آخر وقت." أعتقد أننا سنفعل ذلك ، خاصة وأن التكنولوجيا تتجدد كل يوم ونحن نقف نتفرج عليها وننبهر بها وبعجائبها. فعلا ، لا نحتاج إلى طول وقت ، فقد صدق والد صديقي حين قال: الدنيا آخر وقت .

Article Four

الكمبيوتر والأخلاق

د. حسن عبد القادر يحيى
جامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

ETHICS AND THE COMPUTER

HASAN YAHYA, PH.D

هل تعلمون أن الحاسوب (الكمبيوتر) ومع الإنترنت وهو من التكنولوجيا التي تدخل أكثر البيوت في هذا العالم فيراها الكبير والصغير) ، هو جهاز ليس له عقل ويفهم أكثر من شعب كامل؟ وهل تعلمون أنه ليس له حول ولا حيلة ولكنه مخادع قوي كبير؟ وهل تعلمون أنه صغير ولكن فعله كبير؟ وهل تعلمون أنه يفرج الهموم عن مستعمليه ويخدمهم أو يستخدمهم فيما يشاؤون ويحبون ويطلب الهم لمن لا يريد أحيانا؟ وأخيرا هل تعلمون أن الكمبيوتر سيفصلت على الأسرة وخاصة الأطفال؟ لسبب بسيط وهو أنه إذا أسيء استعماله يهدم ما بينه الآباء والأمهات ، ويفصل بين الأزواج والزوجات ، ويفرق بين الإخوة والأحبة . فكم من بيت انهدم وكان السبب فيه هذا الكمبيوتر الغبي ، الذكي ، القوي ، الضعيف في آن واحد .

كيف نستغل ذكاهه لصالح الأسرة ؟ وكيف نجعله يساهم في تربية النشء وتربية الشعوب بدلا من المساهمة في هدم الأسر وهدم الشعوب ؟ كيف نجعله بناء للأخلاق لا هداما له ؟ هذه الأسئلة وغيرها كثير ، ترددت أخيرا بين الذين يغارون على أخلاق النشء الجديد وأخلاق الشعوب العريقة . ولكن المد كبير وشديد ، لا يقف أمامه إلا كل ذي حظ عظيم . قال لي صديقي يوما : " عدت من العمل يوما إلى البيت ففوجئت بوجود ولدي ابن العشر سنوات ومعه خمسة من رفقائه وهم في مثل سنه ، استغلوا فرصة غياب الأم والأب عن البيت ، فجلسوا يتفرجون على الانترنت . ولم يفتن أحد لوصولي ، فوقفت خلفهم أنظر إلى ما كانوا ينظرون إليه ، فاتفقد لساني ، وطار صوابي ، وغلا الدم في عروقي ، ولم يرغب عن ذهني من قبل ولو للحظة واحدة ، أن طفلي والأطفال الآخرين هم في سن بريئة لا يطالها الشك من قريب أو بعيد . وكم كانت دهشتي حين دهشوا لوجودي ، فلم تكن المناظر التي سمرتهم أمام الكمبيوتر بريئة ، فما أن رأوني واقفا أمامهم ، حتى أصبحوا للحظة وكأنهم خشب مسندة ، لم يحيروا جوابا لسؤالي الذي توقف على لساني فلم أسأله . ماذا تفعلون ؟ وانتشر الأطفال في كل زاوية من البيت هاربين ، وكل منهم يشير إلى الآخر على أنه المذنب الباديء بالأمر كله ، فقد انكشف سرهم ، وذاع أمرهم ، وطار صوابهم ، وأصبحوا وكأن على رؤوسهم الطير ، ولم يجبني عن السؤال إلا ولدي البالغ من العمر أربع سنوات حين أفاق من نومه ، وهو يبكي وينظر إلى الكمبيوتر ويقول : "أبويا ، أبويا ، الكمبيوتر ما يستحي" . فلا يقولن أحكمم غدا ، إن الكمبيوتر عنده أخلاق . فهل يتعظ الآباء والأمهات والمدرسون والمدرسات فيفتحوا أعينهم واسعات . فهم مسؤولون عن انحراف الأطفال سواء أرضوا أم لم يرضوا .

Article Five

صراع النفس ونظرية المؤامرة

د. حسن عبد القادر يحيى

جامعة ميشيغان - الولايات المتحدة

SELF CONFLICT AND CONSPERACY THEORY HASAN YAHYA, PH.D

يعتقد البعض من النساء والرجال أن هناك مؤامرة تحاك ضدهم من طرف لا يستطيعون وصفه تحديدا ولا شكلا ، كلما وقعوا في ورطة عائلية أو أصيبوا بانتكاس نفسي أو خسروا مالا وأرواحا في حرب أو مالا وأسواقا في تجارة . أو انصدموا في قصة حب اعتقدوا أنها مؤمنة وغير قابلة للصد م فكتب لها الفشل ، أو فشلوا في تحقيق هدف اعتقدوا أنهم أحسنوا التخطيط له ففوجئوا بالوسائل السلبية التي لم يحسبوا لها حسابا فساهمت في إفشال أهدافهم ، أو أو إلى آخر هذه الأمثلة ، فإن هذا أمر طبيعي يمكن معالجته علميا . فقد أثبتت الدراسات أن سبب البلاء في معظم الأحيان هو الإنسان نفسه لا المحيطين به أو بها كما يعتقد المرء أو المرأة - وعليه وباختصار شديد - فإن الإنسان على فرض أنه إنسان متراكم الخبرات والتعلم ينشأ في أسرة تحنو عليه وتقدم له كل أسباب البقاء والنمو والتطور ، فإنه يمكن إصلاحه من حالة لوم الغير إلى حالة لوم النفس . والفرضية تقول أن الإنسان مسؤول عن تصرفاته ، سواء أكانت هذه التصرفات مقبولة من المجتمع أم كانت مرفوضة . أو إن كانت مقبولة جزئيا أم مرفوضة جزئيا . وإن كانت نتائج تصرفات الإنسان المرفوضة قد تجلب له مشاكل لا يحدها شمال أو جنوب ، كما لا يحدها غرب أو شرق . فإن تصرفات الإنسان المقبولة من البيئة الاجتماعية من حوله قد تكون أيضا بلا حدود .

ونعود لفكرة تعليق اللوم الإنساني على الغير الموصوف بالمؤامرة التي يحيك خيوطها الناس للناس أو التي تحيك خيوطها الدول للدول أو

الشعوب للشعوب أو الجار للجار أو الغني للفقير أو الشمال على الجنوب أو الأبيض للأسود أو الزوجة للزوج أو الزوج للزوجة أو (الحماة للكنة) أو الصديق للصديق أو كثير المصادر لقليلها ، أو الرأسمالية العالمية للاشتراكية العالمية ، أو مؤامرة التكنولوجيا (أو صانعيها غربا أو شرقا) ضد الإنسان والقيم والتقاليد . فكلها مصادر للوم بعض الناس البعض الآخر من الناس . خذي مثلا : إذا وقفت سيارة فجأة أمامك وأنت تقودين سيارتك ، تقولين (في الغالب) بسرعة ودون تفكير: من هذا الغبي الذي لا يعرف القيادة ؟ فتلومينه على سوء قيادته ، وتنسين أن تلومي نفسك إذا حصل حادث والتحمت مقدمة سيارتك بمؤخرة سيارته . ولا تشكري ما أنت فيه من وعي وإدراك وحسن قيادة إن تفاديت ذلك الحادث . فالذي يقود سيارته أمامك ، ليس له حول ولا قوة خاصة إذا مر من أمامه فجأة ، إنسان أو حيوان .

خذ مثلا آخر ، تعطي موعدا لبعض الناس فلا تصل في الوقت المحدد ، فتلوم الشارع المكتظ بالناس والسيارات ، ولا تلوم نفسك لسوء تخطيطك . بل ولا تعتذر عن ذلك التأخير أو لم تتصل لتخبر صاحب العلاقة بأن الظروف لم تسمح لك بالحضور حسب الوقت المحدد لذا فإنك تعتذر عن التأخير . فدقيقة التأخير هي تأخير بحد ذاتها على كل حال . ووصولك خمس دقائق أو أقل أو أكثر عن موعدك هو الأساس ولكنك لا تفي بالوعد وتكابر بأن السبب في التأخير هو المرور أو أي شيء آخر عدا نفسك . وهذا مرض عصري بحد ذاته يصاب به العربي في الشرق أو غيره في الغرب أو من تخلقوا بأخلاقه في هذه النقطة . إلا أن الفرق واضح بينهما فالأول يلوم المرور وحركة السير ولا يعتذر ويعتبرها قاعدة لا من الشواذ ، بينما الآخر يلوم نفسه ويعطل تأخره بالاعتذار بالاتصال أو بالتعبير عن شعوره المولم بتأخره عن الموعد ولو دقيقة واحدة .

فأين المؤامرة إذن ؟ في المثاليين السابقين . هل تأمر من يقود سيارته أمامك وهو لا يعرفك ؟ أم تأمرت حركة المرور عليك فأخرت وصولك إلى موعدك ؟ الجواب واضح عند كل عاقل، ولا يحتاج إلى تعليق أكثر . أما المؤامرة أو ما يطلق عليه "نظرية" المؤامرة ، فهي ماركسية اشتراكية في أصولها ، ومفادها أن الأغنياء أصحاب رؤوس الأموال وأصحاب الأراضي أصحاب المصانع قد تأمروا مسبقا على العمال الفقراء في كل مجتمع أو قل في العالم أجمع ، ومنها مؤامرة الشمال على الجنوب ، أو مؤامرة الصهيونية العالمية على العالم ماليا وفكريا أو مؤامرة أو مؤامرة الرأسمالية العالمية ضد الأسرة لزيادة استهلاك صادراتها التكنولوجية ، فهي تفرق بين الرجل والمرأة وتدق الأسافين بين الآباء وأبنائهم ، وبين الأسرة والعاجزين فيها من الأطفال والمسنين .

وبصورة أخرى فإن كل ما لا يرى بالعين المجردة أي لا يمكن تحديده زمانا أو مكانا هو السبب في المؤامرة . فهو الرأسمالية أحيانا ، وهو

الاختراعات التي تساهم في ضعف عرى التواصل بين أفراد الأسرة أحيانا أخرى ، وهو أحيانا التنافس أو التنافس بين القرية والبادية من جهة وبين المدينة وتعقيداتها من جهة أخرى . فكيف نضع إصبعنا على المؤامرة أو الإشارة إلى المتأمرين في هذا الحال؟ إذا سلمنا جدلا بأن هناك تأمر ضد النفس أو النفوس الإنسانية فردا كانت أو على شكل أسرة ، أو على شكل مجتمع نام أو مجتمع نائم؟ ذلك ما نريد أن نلفت النظر إليه وأن ندعو إلى التفكير حوله في هذا المقال . فهل وصلت الفكرة؟

Article Six

هل أنت مثقف؟ مثقفة؟

د. حسن عبد القادر يحيى

جامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

ARE YOU LEARNED PERSON?

HASAN YAHYA, PH.D

هذا المقال للمتقنين والمتقفات من أبناء وبنات الأمة العربية ، فإذا قرأته أو قرأته قراءة متأنية وحاولتم فهم ما فيه من أفكار ، فاعتبر نفسك في عداد المثقفين الذين يفهمون ما يقرأون ، أو اعتبري نفسك في عداد المثقفات اللواتي يفهمن ما يقرأن . وهذا يعني أن هناك بعض المثقفين لا يفهمون ما يقرأون أحيانا ، أو أن بعض المثقفات لا يفهمن ما يقرأن أحيانا ، أو لا يفهمون ما يكتبون أو لا يفهمن ما يكتبن أحيانا أخرى ، فمهما كان عمركم ، ومهما كان جنسكم (ذكر أو أنثى) ، ومهما كانت مستويات دراستكم ، ومهما كانت جنسيتكم ، ومهما كان اتجاهكم السياسي ، ومهما

كانت ديانتكم ، ومهما كانت وظيفتكم ، فأنتم في فهم هذا المقال مثقفون أو مثقفات يفهمون ما يقرأون ، أو يفهمن ما يقرأن ، سواء بقبول ما جاء فيه أو عدم قبول بعض ما جاء فيه أو كله . وأنا على استعداد بأن أشهد - كتابة - أنكم من القراء المثقفين أو من القارئات المثقفات الذين يستحقون التقدير والإعجاب والتشجيع إذا فهمتم ما تقرأونه . وهذا ليس اختبار مهارة للفهم ، ولا قياسا للتفعل والتفكر ، ولا امتحان للذكاء ، فكل إنسان - ذكرًا كان أم أنثى - مهما بلغ أو بلغت من البلاهة أو الذكاء ، أو حاز أو حازت من قلة العقل أو زيادته ، وسواء أكان مرغما أو مختارا أو كانت مرغمة أو مختارة فإنه يفهم بقدر ، أو تفهم بقدر ، وعليه فإن العالم أو العالمة وغير العالم وغير العالمة يتساوون في فهم ما يقرأون إذا أرادوا الفهم أو المحاولة للفهم ، خاصة إذا طرح أمر - مهما كان صعبا - بصورة سهلة ميسرة واستطاع الفرد أن يقول رأيه أو تقول رأيها فيما فهم . ولنا في التاريخ خير معلم ، فكم من الحكماء من لا يقرأ ولا يكتب ، ولكنه سديد الرأي ، شديد الفهم ، حاد الإدراك . فإذا قرر شيئا كان قراره حكيمًا مؤثرا يستدعي التقدير والإعجاب . وكم من النساء الحكيمات من لا تقرأ ولا تكتب ، ولكنها سديدة الرأي ، شديدة الفهم ، حادة الإدراك ، فإذا قررت شيئا كان قرارها حكيمًا مؤثرا يستدعي التقدير والإعجاب . أما زلت معي أيها القاريء ، أيتها القارئة ، إن لم تستطيعوا فهم ما قرأتموه حتى الآن ، فأعيدوا القراءة من جديد ، ولن تخسروا شيئا ، فإن فهمتموه ، وستفهموه ، إذ ليس عندي شك في ذلك إن ركزتم في القراءة لما سبق ، ورتبتم الأفكار التي وردت فيه حتى الآن ، فإنكم من المثقفين الذين يفهمون ما يقرأون أو المثقفات اللواتي يفهمن ما يقرأن . فهل أنت مثقف ؟ يا مثقف . وهل أنت مثقفة ؟ يا مثقفة .

Article Seven

السعادة

د. حسن عبد القادر يحيى
جامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

HAPPINESS

HASAN YAHYA, PH.D

السعادة هي شعور يفرح النفس والروح معا ويريجهما ، فمثلا نلاحظ الشعور الذي يحسه الإنسان بعد تحقيق شيء له أهمية خاصة عاطفية في حياته كالنجاح بعد الدراسة المرهقة أو الشفاء من مرض عضال ميؤوس من التخلص منه ، أو عودة حبيب أو أخ أو ابن بعد طول غياب. أو بعد تحقيق ربح لجائزة تفوق التوقع الإنساني ، مثل ربح جائزة المليون دولار أو كيلو من الذهب (كما الحال في مهرجان التسوق الذي جرى في دبي (أو ربح سيارة من الجرائد التي تعلن عن مثل تلك المسابقات . كل هذه

الأمر تدعو إلى السعادة في العصر الحاضر ، فهل كانت هذه الأسباب من مقومات السعادة في العصور القديمة؟ ربما ، وقد قرأنا أن تلك المقومات لا تزيد عن ثلاثة في العهد اليوناني أو الهليني القديم وهي: امتلاك بيت والحصول على زوجة ، وامتلاك ثور . وهذه مقومات السعادة عند الكثيرين في العصور القديمة ، لأن البيت يعطي الأمان والطمأنينة ويحمي من عوامل الطبيعة ونكباتها في البرد والشرد ، وكذلك الزوجة فهي من مكملات السعادة لأنها تعطي الراحة النفسية والجسدية وتقوم بخدمة مهمات البيت كما يجب ، وأما الثور فهو العنصر الثالث للسعادة في العصور القديمة وهو يساعد في نقل الأتقال والقيام بالحرث والأعمال الزراعية بالإضافة إلى فائدته كطعام ولباس وحاجات ضرورية كالقرون والحوافر . والبيت سابق على الدولة عند أرسطو وهو الأساس لجلب السلامة والأمن والطمأنينة . أما الأسرة فهي أساس مكونات الدولة، والحياة الأسرية هي التي تجعل المجتمع يستمر والبيت هو الذي يقدم الحاجات الضرورية لسكانيه. ووظيفة الدولة ليس لحماية الملكية (البيت والأرض) فقط ، وإنما لحفظ الأمن والمساعدة على جعل الحياة للناس أفضل وأكثر سعادة. وليست السعادة في الحرية ولا في الأوقات السعيدة وهي ليست هدية من الجنة. ولكنها رهن بتحقيق الإنسان لها على الأرض. والسعادة في رأي أرسطو هي: السلوك الإنساني حسب الفضيلة. (فسعادة الإنسان تكمن في فعل الخير - وهذه الفكرة قريبة الشبه بالإسلام) **فالفضيلة إذن عند أرسطو هي أساس السعادة.** وهي فوق القوة والقدرة على عمل شيء وتتضمن التقدير الاجتماعي والاحترام. والسعادة وصف لقيمة مالِكها. وتعني القوة التي هي خاصة بالفرد وتجعل منه إنسانا كاملا. ومما يميز الإنسان عن الحيوان في نظر أرسطو ، قدرته العقلية وهو يعتبرها أعلى ما يحوزه المرء من فضائل. وأما وسيلة الإنسان لتنشيط تلك الفضيلة فهي استعمال العقل ، وف رأيه أن البشر ليسوا قادرين على الكمال والشعور بالسعادة المطلقة. ولا يستطيع المرء الحصول على

السعادة الحقيقية (المطلقة) لأنها صعبة التحقيق وأبعد من متناوله في الحياة الدنيا . ويرى أرسطو في الرجل الطيب أنه قيثاره تصدح بالموسيقى التي تشغل الروح بالفضيلة. فإذا كانت هناك أكثر من فضيلة فإن نشاط الروح يكون من أفضل الفضائل. والسعادة ليست حالة أخلاقية لأن النائم لا يشعر بالسعادة وهو نائم. وليست هي حالة الثراء المادي ، والقول أن البضائع والمستهلكات تجلب السعادة كقول أن القيثاره تعزف الموسيقى. وليست السعادة الحصول على القوة أو الحصول على الشرف. والبحث عنهما يكون لاستعمالهما من أجل التوصل إلى السعادة، وليست السعادة شهوة جسدية أو مجانبة الألم وإلا كان الحيوان أكثر سعادة من باقي المخلوقات عند صيده فريسته. وحسب اعتقاد أرسطو فإن السعادة ليست صفة للحياة لأن النبات يشارك الإنسان فيها ولكن النبات ليست عنده قابلية للسعادة . وليس من المبالغ فيه القول أن السعادة تعتبر أعلى ما في الإنسان من طيبة وخير كقياس لتحقيق الذات. وليست السعادة شيئاً بجانب الأشياء الأخرى وإنما هي الشيء المرغوب أكثر من غيره من الأشياء. ورغم أن هذا أمراً معروفاً بين الناس إلا أنهم يختلفون في معناها ووسائل تحقيقها.

طبيعة السعادة: لا بد من تحليل وظيفة الإنسان للحكم على سعاده ، فما وظيفته؟ إن وظيفة الإنسان في رأي أرسطو ليست الحياة الإنسانية فقط أو القدرة على البقاء ، لأن المخلوقات الأخرى تشاركه فيها كالنبات والحيوان. كما أن السعادة ليست مظهراً لزيادة الحاجات وامتلاك الصحة. وأما الشيء الثاني فوظيفة الإنسان ليست الاحساس والمشاعر بالحياة ، لأن الحيوانات من الخيول والماشية والجمال والغزلان تشاركه في ذلك. فلم يبق من وظيفة للإنسان إلا الحياة العملية المنطقية التي لا توجد إلا بوجود الإنسان. ولكن الجزء المنطقي له جانبان: أولهما انقياده للعقل. والثاني هو امتلاك العقل والذكاء. ومن الصعوبة بمكان أن يكون الناس منقادين بعقولهم التي تدعوهم لعمل الخير وفي نفس الوقت يجدون

صعوبة في التحكم بتلك العقول التي تنحرف بهم أحيانا إلى عمل الشر. والحل عند أرسطو أن الحياة العملية يمكن تفسيرها بطريقتين: حالة أخلاقية ندعو وحالة نشاطية تأتمر بالعقل الخير ، والنشاط الروحي في الحياة أكثر واقعية من التصور. وسعادة الإنسان تكمن في وظيفته اذن وهي النشاط الروحي الذي يأتى الإنسان بفعله عن طريق العقل وليس مستقلا عنه.

هل تعتبر السعادة سببا أم نتيجة لسبب آخر؟ إن كانت سببا فهي فردية وقد تكون جماعية ، فالسعادة قد يسببها الفرد بشخصيته ، ويترجمها بسلوكه ، ويطبعاها بتصرفاته ، وقد يسببها الآخرون ممن حولنا خاصة ممن نحبهم ويبادلونا الحب والاحترام والتقدير. وإن كانت نتيجة فهي جماعية وقد تكون فردية أيضا . فالسعادة تظهر على الآخرين كما تظهر على الأفراد من حولنا .

أما عن العوامل التي تخلق السعادة أو التعاسة فهناك عوامل داخلية تسبب السعادة أو التعاسة، وهناك أيضا عوامل خارجية تعتبر سببا أو أسبابا للسعادة أو التعاسة ، فالسعادة تكمن في وصف النفس كما هي لا كما يجب أن يراها الناس ، إذ أن القناعة كنز لا يفنى كما يقال . ومعرفة حدود القدرة الإنسانية تبعث على السعادة بلا شك .

وهناك حواجز تمنع حصول السعادة : مثل الأفتنة والتظاهر بما ليس حقيقيا في حياة البشر، ومنها حواجز الأسرار ، وقلة العقل ، والشعور بالجوع والعطش ، وحواجز ضعف الشخصية . والشعور بالندم والأسف ، والنظر إلى ما في أيدي الناس مما يسمى بالحسد ، ومقارنة النفس بالآخرين ، بالإضافة إلى الحواجز المانعة للسعادة السابقة، هناك حواجز الفشل أو الصعوبة في تحقيق الأهداف المرسومة لقلّة أو ضعف الوسائل ، والنظر إلى النصف الفارغ من الكأس لا النصف الملىء منه ، وبناء على ما سبق ذكره فإن هناك من هو سعيد بعقله ، ومن هو سعيد ببطنه ، ومن هو سعيد بمظهره ، وكذلك من هو سعيد بنفسه ، أو بغيره .

والبساطة أحيانا تجلب السعادة: ألا نذكر قصة زوربا اليوناني ، ذلك الرجل البسيط ، الذي يرقص كلما تأزمت الحياة في وجهه وتعقدت ، وفي الصراحة راحة أحيانا ، خاصة مع النفس ومع الآخرين ، وفي القرار بأن

يكون سعاداء (متفائلين) تكمن السعادة ، وليس في التعاسة (أو التشاؤم) .
وتعتبر السعادة حقا مشروعا لكل إنسان ولكنها تختلف باختلاف الدور
الذي تلعبه كأم ، أو كآب ، أو كمعلم ، أو كطالبة ، أو كتاجر ، أو كسفير
. وتختلف معايير السعادة باختلاف العمر : فالصغير يختلف في سعادته
عن سعادة مقتبل العمر . كما تختلف معايير السعادة باعتبار الاختلاف في
المستوى التعليمي : فالسعادة عند الجاهل الذي لا يقرأ ولا يكتب تختلف
عن السعادة عند قليل التعليم أو متوسط التعليم أو عند خريج الجامعة .
وقد تكون الوظيفة عاملا من عوامل السعادة : وقد تكون الوظيفة مناسبة
فتجلب السعادة ، وقد لا تكون مناسبة فتجلب التعاسة ، والقناعة عنصر
فعال في السعادة لأن القناعة كنز لا يفنى فهي تمنع الحسد والنظر إلى ما
في أيدي الناس ، وقد تؤثر عوامل أخرى مثل الميول والرغبات في
السعادة وفيما إذا كانت هذه الميول بريئة أو غير بريئة أو هي خير أو
شر . وفيما يلي إجمال لبعض النصائح للحصول على السعادة والتمتع بها
: أن تكون السعادة أولا الهدف للحياة وليس الوسيلة لشيء آخر ، والحلم
بالسعادة يجلب السعادة ، والشعور بالسعادة يجلب السعادة ، والصدق في
التعامل مع الناس ، والانفتاح والتمتع بعدم تكديس الأسرار يجلب السعادة
، والإصغاء للغير والمشاركة في نشاطاتهم يجلب السعادة ، والتعني
والإتصاف بالقناعة يجلب السعادة ، وأخيرا فإن الثقة بالنفس مهما
صغرت أو حقرت تجلب السعادة ، وحب الناس للناس وللآخرين يجلب
السعادة ، ويمنع الكراهية . فالنفس كتاب مفتوح تفتح قلوب الناس ،
والتعبير عن النفس بصدق ودون أقنعة يؤدي إلى السعادة ، والسعادة
سلام مع النفس ، ومشاركة للآخرين ، وتؤدي إلى تعاون ومحبة واحترام
بين الناس .

Article Eight

مقدمة في حضارات الأمم

د. حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

INTRODUCTION TO WORLD CIVILIZATION

HASAN YAHYA, PH.D

نظرا لأن لكل حضارة من الحضارات عبر التاريخ أعمدة فكرية بقيت ساطعة عبر الزمان والمكان، فإن أعمدة الحضارة الهلينية سقراط وأفلاطون وأرسطو طاليس. وأعمدة حضارات الهند بوذا ومانو، وأعمدة حضارة الصين زارادشت وكونفوشيوس. وأعمدة الحضارة الأوروبية

روسو وبيكون ومونتسكيو وديسكارت وباريتو وفيكو وغاليلىو وكومت وماركس. أما أعمدة الحضارة الإسلامية فهم فلاسفتها وعلماؤها في الفقه والتفسير والحديث والعلوم الطبيعية والاجتماعية والفلسفة والطب والفضاء والمنطق . وقد بدأت حضارة الدولة الإسلامية في القرن السابع الميلادي. وما أن انتهى القرن الثامن الميلادي حتى استقرت مؤسسات الدولة في دمشق ثم في بغداد . وبدأ التعريب في هذا القرن كما قامت الدولة العباسية بتشجيع العلم والعلماء الذين ترجموا وألفوا في شتى الميادين العلمية والأدبية. وقد اهتم خلفاؤها باحتضان أهل الدين وأهل الفلسفة الاغريقية ، وفي القرن التاسع الميلادي قام النصارى السريان بعملية ترجمة الفلسفة الفلاطونية والفكر اليوناني. كما تمت تراجم من الفارسية والهندية في الرياضيات والفلك وعلم التنجيم. ونقسم الفلاسفة العرب المسلمين حسب ظهورهم مكانيا في الشرق الاسلامي والغرب الاسلامي (فيما يعرف ببلاد الأندلس وشمال أفريقية). فقد أفرزت الحضارة الإسلامية عددا من الأئمة والفلاسفة والعلماء في شتى العلوم كالأئمة الأربعة وابن تيمية والغزالي وابن رشد وابن خلدون ، والخوارزمي ، والكندي والرازي ، والفارابي ، وابن سينا وغيرهم . وفيما يلي وصف قصير لبعض المفكرين ممن توصل اليهم علمنا ونبدأ بالحضارة الهلينية التي تعتبر بحق أساسا لحضارتي الشرق والغرب معا فطوعها الشرق الاسلامي للعقيدة واتخذها الغرب كعماد لحضارته.

الحضارة الهلينية: (776 ق.م-338 ق.م) بدأت الفترة الهلينية عام 776 ق.م. وفيها وجدت الألعاب الأولمبية التي وحدت بين الهلينيين كشعب واحد متحد. وانتهت الفترة الهلينية في عام 338 ق.م. حيث انتهت على يد فيليب المقدوني. وفقدت اليونان استقلالها الحقيقي وأدخلت ضمن امبراطورية الاسكندر المقدوني. وقد أنجبت هذه الفترة كلا من سقراط وتلميذه أفلاطون وتلميذه أرسطو طاليس وفيما يلي نبذة عن كل منهم.

قدم **سقراط** (399-469 ق.م) الى المحاكمة أمام 500 من المحلفين واتهم بالزندقة لأنه قال أن هناك **اله واحد**. وليس كما هو واقع عدة الهة. واتهم بأنه دنس عقول الشباب وأخلاقهم لأنه طلب منهم التفكير في **الفضائل**. وقد كان قادرا على حقن دمه الا أنه رفض. وحكمت عليه المحكمة بالموت. وأرسل الى السجن فعرض عليه أتباعه تهريبه الا أنه رفض أيضا. فسقراط وعمره سبعون عاما لا يجب أن يتخلى عن مبادئه التي عاش من أجلها. وقد قال قولته المشهورة: هؤلاء الذين دفنوا سقراط لم يدفنوا سوى جسده.

أفلاطون (427-347 ق.م) لا شيء باق تحت الشمس ، كل شيء له بداية يجب أن يكون له نهاية. ان الجهل الأكثر اذاء للدولة والأفراد ليس الجهل في حقل التكنولوجيا أو في حقول التخصص ولكن الجهل هو الجهل الروحي. وما التعليم الا تدريب للروح والقيم والأخلاق. والمعرفة ليس من أجلها وإنما من أجل استعمالها في الحياة اليومية. وليست المعرفة معلومات بل حكمة فالمعرفة هي **الفضيلة** والجهل عكسها. وليس هناك من فاصل بين المعرفة والعمل. والعقل أعلى منزلة من الشهوة. والناس ليسوا متساوين فهم كالمعادن منهم الذهب ولهم القوة والشرف ومنهم الفضة للمساعدة ومنهم الصناعات وأصحاب الحرف. وقف ضد التقسيمات الاجتماعية حسب العوامل الوراثية بالولادة. فقد يكون الأب من فريق الذهب ويكون له ابنا من فريق الفضة. وقد يكون العكس فيكون الولد من فريق الذهب ويكون الأب من فريق الفضة. ومن كتبه "**الجمهورية**" و"**القوانين**". وقد ناقش طبيعة الحياة الفاضلة في المجتمع.

أرسطو طاليس (384-322 ق.م) كان تلميذا لأفلاطون، تزوج بثياس ، وكان معلما لالاسكندر المقدوني حين كان عمره 13 سنة. وقبل مماته عن عمر بلغ 62 عاما، أطلق لعبيده الحرية وأوصى بدفن زوجته بجانبه. كان أرسطو عالما سياسيا وشاعرا. وقد قيل عنه أنه أفضل رجل متعلم مشى على وجه الأرض. وقد أطلق عليه لقب المعلم الأول. وحسب رأيه فان

الانسان هو مركز الاهتمام والمقياس كبرياؤه وقيمه. والانسان الفاني ليس قادرا على الكمال. والعالم خلو من الأخلاق الفاضلة. ومن كتابيه ، الأخلاق والسياسة نتعرف على أفكاره الاجتماعية.

مناهج علم أرسطو: منهج الاستنتاج عنده يتكون من الخبرة ومن استطاع ذلك فهو من العلماء. **والسلوغسم Syllogism** لا يكتشف الحقيقة وانما يوضح ويوسع مدارك ويحدد الأفكار المقبولة كحقيقة. والسلوغسم هي: عملية عقلية حيث ان هناك حقائق معينة تفرض شيئا مختلفا عن هذه الحقائق وتنتج ما فيها من فضائل. والأمثلة: سقراط رجل خالد (قاعدة أساسية)، سقراط رجل (قاعدة ثانوية-فرعية)، اذن سقراط خالد (النتيجة) وهنا تقوم عملية السيلوغسم على حذف المفهوم العام وهو الرجل. والسلوغسم يقدم فحص الثبات على المبدأ وليس الحقيقة. وبما أن النهاية أو النتيجة ستكون صحيحة فانها صحيحة كنتيجة لفرضياتها المقبولة . وبما أنه لم يشرح كيف أن السلوغسم ما يمكن قبوله كحقيقة الا أنه يرينا الطريقة للوصول الى النتائج المعينة التي نضع لها فرضيات معينة. ولكن اذا كان الفكر وحده لا يوصلنا الى الحقيقة فكيف نصل اليها؟ حسب أرسطو يمكننا التوصل الى الحقيقة عن طريقين: الاحساس والفكر. فالفكر يحتاج خبرة والاحساس يحتاج الغور (insight) في أسباب الظواهر ولا يمكن فهم الأسباب عن طريق الحواس فقط ولكن عن طريق العقل. وعادة تبدأ المعرفة بالخبرة وتكون كاملة بواسطة منهج الاستنتاج. وهي خاصية للانسان وحده فهو القادر عليها. ولم يعرف أرسطو أن غور الأشياء للتأكد منها يسمى في العصر الحديث فرضية تحتاج لفحص حتى يتم قبولها. وقد وثق في العقل وبالغ في تقديره لقوة العقل الانساني لفهم العلميات مباشرة وحالا ومع يقين. أما السيلوغسم فيفترض جمهورا يقبل فرضياته.

مبدأ السببية عند أرسطو: العلم الحديث يبحث عن سبب واحد أو عن علاقات سببية بين الأشياء. أما أرسطو فقد سأل أكثر من ذلك. وأعطى

مثلا لجسر سقط فجأة فما هي أسباب سقوطه؟ العلم يعطيك تفسيراً معيناً وهو أن سبب تداعي الجسر هو تلف في جزء من بنائه. ولكن كيف نفسر فقدان أرواح بعض الناس الذين كانوا ضحية لسقوط الجسر؟ لعننا نريد معرفة الظروف التي أدت بشخص معين ليتواجد في لحظة سقوط الجسر ليموت. لذا فإن البحث والتساؤل هنا ينتقل بنا من مستوى تحليل سببي إلى مستوى تحليلي أعلى. فإذا بلغ شخص ذلك المستوى فإنه يصل إلى جو غريب لا يستطيع العالم أن يلج فيه. فهو من الأمور الغامضة التي لا يستطيع الإنسان العالم تفسيرها. وبناء على ما شرحه أرسطو عن أسباب سقوط الجسر يقول أن هناك أربعة أسباب أو أسس موجودة أصلاً في أي موجود حقيقي أو تصوري: 1) المادة: مثل وعاء الفخار وهو من مادة الفخار، 2) الشكل الذي يتخذه الشيء، 3) الفاعلية (بواسطة صانع قام بعمل الوعاء) وأخيراً، 4) النتيجة أو الهدف (الذي من أجله تم صنع الوعاء الفخاري). والعلوم الحديثة تهتم بالمادة والفاعلية أكثر من سببي الشكل والهدف اللذين يركز عليهما أرسطو كأسباب أكثر أهمية من المادة والفاعلية. ففي سقوط الجسر كان أرسطو يرغب في النظر إلى التصميم والهدف من وراء التصميم. وعند التطبيق فهو يعيد نفسه إلى أسهل أشكال التحليل السببي ولكنه يعتبر التساؤل عن النهايات والأهداف كأهم جزء في التحليل العلمي. فقبول التصميم والهدف في مجال العلم لا يمهد فقط الطريق إلى الإيمان بقوة خارقة غامضة وهي أساس العقيدة. وإنما من أجل التوصل إلى المعرفة الإيجابية لوجود الخالق. وهذا ما جعل الكنيسة في القرون الوسطى إلى اعتبار أرسطو قديساً.

Article Nine

الحضارات والدول-1

STATES AND CIVILIZATIONS/1

HASAN YAHYA, PH.D

كُتبت العبارة التالية: "لو دامت لغيرك ما اتصلت إليك" على بوابة أحد القصور. والعبارة حكمة تاريخية تصف أحوال الحكم وتشير إلى مبدأ مهم في قيام وسقوط الدول وهو مبدأ عدم دوامها. فلو دامت السلطة لأحد في الماضي لما اتصلت إلى حكام اليوم. ومثلها عبارة "دوام الحال محال". إن التاريخ الذي نعرفه من خلال السجلات والكتب والمراجع إنما هو تاريخ المنتصر المتمتع بالحياة من أصحاب القوة والسطوة والمال.

ورغم ذلك فإن التاريخ يعتبر خير معلم للناس العامة منهم والمتخصصين. وقبل الولوج في موضوع هذا الكتاب وهو عوامل قيام وسقوط الدول نسأل ونجيب على السؤال التالي:

هل الحصول على المعرفة في مجال التاريخ مقيد بشروط اجتماعية أو سياسية؟ والجواب عن السؤال يكون إيجابيا أو سلبيا. فإذا كانت الإجابة بالإيجاب فانه لا موضوعية في العلوم الاجتماعية الخاصة بتاريخ الشعوب ، وأن كل معرفة تم الحصول عليها ضمن الشروط المحددة إنما هي نسبية لمن يسمعها أو يقولها وهذا ما يطلق عليه بالمعرفة المثالية الأيديولوجية التي تمجد ما لا يستحق التمجيد أحيانا أو تتهم زورا من لا يستحق الاتهام أحيانا أخرى . وإذا كانت الاجابة بالنفي فان إمكانية وجود العلم المنطقي الموضوعي يمكن أن تحصل وهذا ما يطلق عليه المعرفة الموضوعية العلمية ، وهي التي نسعى إليها ونحاول تطبيقها في هذه المقالة. وبناء على هذا المنهج العلمي فإن هناك أسئلة لا بد من الإجابة عنها ومنها: هل يعد تعاقب الحضارات والدول أمر طبيعي أم أمر تحتتمه الصراعات بين الناس حول الملكية الروحية أو المادية؟ وما هي السلطة التي تسجل التاريخ؟ وما هو السهل وما هو الصعب وما هو المستحيل في بناء المعلومات والمعرفة في العلوم الاجتماعية؟ وكيف نفهم نوايا الأفراد أو الحكومات من ظواهر تصرفاتهم ومشاركتهم في البناء الحضاري العام لمجتمعاتهم؟ أو كيف نربط بين النيات (الأيديولوجيات) والنشاطات الانسانية؟ وكيف نحكم على حضارة أو دولة ما بأنها بدأت أو زالت أو أنها مازالت مستمرة؟ من خلال ما تطرحه هذه الأسئلة ومع الأخذ في الاعتبار اختلاف عاملي الزمان والمكان عند الإجابة عليها يتبين القارئ والباحث معا مدى صعوبة دراسة العلوم الاجتماعية والسياسية في مجال قيام وسقوط الدول. وستحاول هذه الدراسة الإجابة على هذه الأسئلة بصورة مختصرة تساعد القارئ العادي والمبتدئ أو حتى المتخصص في فهم دراسة التاريخ الاجتماعي ومقارنة حضارات

الشرق بحضارات الغرب من حيث أيديولوجياتها وتراثها ومساهماتها في الحضارة الإنسانية بشكل عام. فالعالم الحديث حسب رأينا هو استمرار للعالم القديم . وليس لحدائثة العالم الذي نعيش فيه اليوم أي أهمية إذا انقطع اتصاله بما مضى من الحقب التاريخية المتعاقبة .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف ولماذا تتغير المجتمعات؟ لقد أخذ هذان السؤالان من علماء الاجتماع الوقت والجهد الزائدين للإجابة عليهما. فمنذ أوغست كومت وماركس وفيكو وكوندرست في نظرتهم الشاملة لتطور المجتمعات البشرية لم ينظر إلى تغير النظم الاجتماعية ولا السياسية بمنظار شامل وعام إلا عددا قليلا من الدارسين. ونظرا لفرصيات كل مجموعة منهم كانت هناك اختلافات في اجابات من تبعهم من دارسي الشعوب ونظم معيشتهم . فمنذ ما يقارب الخمسة قرون ذكر ابن خلدون أن أعمار الدول كأعمار الأشخاص تنمو من ضعف إلى قوة ومن قوة إلى ضعف حتى تزول. وقد عمم نظريته تلك على أعمار الدول وحددها بثلاثة أجيال كل جيل منها مدته أربعون سنة. وعليه فإن أعمار الدول لا تتعدى في رأيه المائة والعشرين عاما. أما الشواذ من الأمم التي تدوم أكثر من ذلك فإن استمرارها يعتمد على قوة الحاكم ومدى بسطه لسلطته وتوسعه في إصلاحاته التي يعيش في كنفها الحكام من بعده زمنا يقل أو يقصر تبعا لهذه الإصلاحات. وتتطور المجتمعات عند ابن خلدون من مرحلة البداوة إلى مرحلة الحضارة أو العيش في المدن حيث يكثر عدد السكان وتفرع احتياجاتهم التي يعتمدون في توفيرها على الآخرين. وبناء على ذلك فإن تقسيم العمل وتعدد الحرف والصناعات وزيادة الخدمات ما هي إلا نتائج لتجمع السكان في المدن. ومن المفكرين المعاصرين مثلا **جيرهارد لينسكي** الذي يعتقد أن التغير الاجتماعي إنما هو مسألة تختص بالتقدم التكنولوجي والمخترعات الحديثة حيث يتغير المجتمع بمدى تقدم هذه الوسائل العلمية والتكنولوجية وتغير المجتمع يحتاج تكنولوجيا جديدة وهكذا. بعكس **ماركس** الذي رأى أن المجتمع

يتغير من جراء تضارب مصالح الطبقات العاملة مع الطبقات المالكة لوسائل الإنتاج والتوزيع وجعل الأساس في التغيير عدم العدالة في توزيع الثروة بين العمال وأصحاب العمل. وكان فيبر يقف موقفا مضادا أيضا من ماركس، حيث أنه ينظر الى عامل المثالية في عملية التغيير الاجتماعي. وقد أوضح أن الفكر في حالاته المتعددة إنما يجب أن يؤخذ كعامل تغيير أكثر من العامل المادي الذي يراه ماركس. ويعتقد فيبر أن تغيير المجتمع يتبع قواعد وأصول بيروقراطية تختص بعلاقة العامل مع صاحب العمل حسب نظم وقواعد تملئها مصلحة الطرفين. أما تالكوت بارسونز الذي اهتم بمدى استقرار المجتمع فإنه يرى أن التغيير الاجتماعي هو نتيجة تداخل الاختلافات الموجودة في المجتمع ويتغير المجتمع بمدى تعقيد هذه الاختلافات حيث تحتاج الى ديناميكية خاصة لحلها أو السيطرة عليها. وعليه يمكن القول أن المجتمعات تتغير اما بعوامل داخلية أو عوامل خارجية. وما سبق ذكره اعلاه انما يصف العوامل الداخلية فقط. وتتوسع قليلا فيما يراه كل من أصحاب النظريات اعلاه. أما لينسكي فيعتقد أن التغيير الاجتماعي انما يعتمد على تطور التكنولوجيا وان العلاقة بينهما مضطربة بمعنى أن كلا منهما يؤثر في الآخر. فالتكنولوجيا تغير المجتمع والتغيير في المجتمع يزيد من تقدم التكنولوجيا الحديثة. كما يربط لينسكي بين تغيير المجتمع وبين تغيير وظائف العائلة. فيما اذا كانت تلك الوظائف لجمع الغذاء أو لصيده أو لصنعه. ولم تعد العائلة اليوم تعتمد على نفسها في صنع غذائها وملابسها ووسائل دفاعها. وقد فصل لينسكي المجتمعات إلى مجتمعات بدائية، وتستعمل أدوات غير متقدمة في حياتها اليومية، ومجتمعات زراعية: تستعمل الحيوانات لخدمتها، ومجتمعات صناعية وهي التي ظهرت قبل 250 عاما في أوروبا واستغلت الطاقة لخدمتها وزيادة صناعاتها. وفي هذه المجتمعات زاد عدد المدن وهجر الناس الأرياف واستعملوا العلم ليزيد من الإنتاج الآلي بدلا من الأيدي العاملة. وأخيرا مجتمعات

تكنولوجيا متقدمة ، وفي هذه المجتمعات يزداد عدم المساواة بين الطبقات وتصبح البيئة مهددة لسببين أحدا من العلماء أبحاثا مستمرة وقد أعادوها إلى التقدم في صنع الأسلحة الفتاكة وإلى زيادة عوامل إفساد البيئة الطبيعية بالدخان والغازات السامة.

أما **ماركس**: فقد فهم المجتمع والتغير الاجتماعي من خلال مفهوم عدم المساواة والتفاوت الطبقي في المجتمع. وتظهر هذه الطبقات من خلال تداخلها مع وسائل الإنتاج وتملكها. ومن هنا ظهر تحليله لنظرية التصادم القائم على المادة دون النظر إلى السلوك والعقل الإنساني. وبعد أن درس ماركس المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ وجد أن التغير في المجتمعات القديمة البدائية إنما يقوم على علاقة العبد بسيده. أما المجتمعات الزراعية فتقوم على الإقطاعيين أصحاب الأرض والفلاحين العاملين فيها. وفي المجتمعات الصناعية يرى أن العلاقة إنما تحولت إلى علاقة البرجوازيين (أصحاب المال) والبروليتاريا (العمال والمستخدمين) ومن خلال البحث عن طرق جديدة لزيادة الإنتاج أصبح العامل كالألة فزادت انطواءه وانزواءه عن غيره من العمال. وقد اعتبر ماركس هذا الانزواء هو الحس الذي ربط العمال معا . وبدلا من أن يكون هذا الحس زانفا من خلال العمل اعتبره حسا طبقيًا يجمع العمال حوله فيثورون لهدم الرأسمالية وبناء الاشتراكية والشيوعية.

أما **هربرت سبنسر** فقد اعتقد بالتنظير الأحادي للمجتمعات من مجتمعات بسيطة إلى مجتمعات معقدة وهو يتبع في ذلك نظرية النشوء والارتقاء لداروين. أما **أوغست كومت** فقد قسم التطور البشري إلى أطوار ثلاث هي: والرجعية والتقليدية والعلمية .

أما **تالكوت بارسونز** فيعتبر المجتمع كنسق له أجزاء تتداخل فيما بينها ، ومهما تضاربت هذه الأجزاء فإنها دائما تصل إلى حالة تعادل لاستقرار المجتمع. وبناء على ما قدمه بارسونز من أمثلة نظرية فهو يعتقد أن للمجتمعات عدة وظائف تساهم في استمرارية المجتمع بهدوء ومن هذه

الوظائف: التبني البيئي ، وتحقيق الاهداف ، وانسجام الأجزاء واصلاح الأخطاء (أي حل الخلافات) . وفي رأيه أن في المجتمعات الحديثة مؤسسات متعددة تقوم بوظيفة أو أكثر من هذه الوظائف. وتعمل المؤسسات جميعها على استمرارية المجتمع بدون قلاقل. كما يرى بارسونز أن مؤسسات المجتمع تعمل على عدة مستويات هي: المستوى السلوكي (Behavioral) والمستوى الفردي (Individual))، والمستوى الاجتماعي (Social) والمستوى الثقافي (Cultural). ولكل من هذه المستويات قوته ومقدرته للمساهمة في بناء المجتمع كوحدة متجانسة متكاملة. وقد قسم بارسونز المجتمعات الى: مجتمعات بدائية (Primitive)، ومجتمعات مرحلية (Transitional) ، ومجتمعات حديثة (Modern) . ففي المجتمع البدائي تكون العائلة هي المؤسسة الوحيدة التي تهتم بجمع الغذاء وصنعه وتوزيعه ، أما في المجتمعات المتحضرة فتوجد مؤسسات كثيرة بالاضافة الى الأسرة مثل: المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية والتعليمية.

وبالنسبة لماكس فيبر: فقد اعتبر أن المنهج المثالي من خلال الفكر الإنساني المنطقي هو العامل القوي في تغير المجتمع. ويرى أن المجتمعات السابقة قد اعتمدت على الاقطاع وعدم العدل. الا أن المجتمع الصناعي الرأسمالي اعتمد العقل والمنطق في تغيير المجتمع عن طريق العمل وزيادة التصنيع. وقد برهن على نظريته هذه بأن التقدم الحاصل حاليا في الغرب انما ينبع من الفكرة التي نادى بها كالفن ورسم مسار التصنيع الرأسمالي. والمنطق والعقل الراجح هما أساس البيروقراطية التي تنشئ المنظمات والمؤسسات على قواعد وقوانين مرعية يتبعها جميع الأفراد، فتضمن لهم الحرية والعدالة ، وذلك من خلال القيادة الحكيمة المتخصصة. ومن خلال التدرج الوظيفي حسب الخبرة والتعلم. فإذا طبقت القوانين على جميع الأفراد بنفس القياس المثالي فان المجتمع سيتغير بمنطق وعقل وليس بناء على مادية بحت.

أما سوروكين Pitirim Sorokin 1968-1889 وهو عالم اجتماع أمريكي من أصل روسي فيعتبر مثل بارسونز من أصحاب النظريات العامة في دراسة المجتمعات. وقد اشتهر بنظرية التطور الدائري للمجتمعات واعتقد بان المجتمعات قد انتقلت عبر التاريخ خلال دائرة مكونة من ثلاثة مراحل في فهم الواقع هي: المرحلة الحسية المادية ، والمرحلة الروحية الدينية، والمرحلة العقلانية والمنطقية . ولكل مرحلة ميزاتها الخاصة بالشعوب وتغير سلوكياتها وبناء حضارتها.

Article Ten

الحضارات والدول - 2

د. حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

STATES AND CIVILIZATIONS/2

HASAN YAHYA, PH.D

أصل مفهوم التحضر من الحضرة (السكن في المدينة) وهو عكس البداوة أو الريف (السكن في الأرياف والبادية). وقد اتخذ المفهوم في السنوات الخمسين الماضية بعدا جديدا فأصبح يعني السكن في المدينة واستعمال الوسائل الآلية والتكنولوجية المصنوعة لتسهيل المعيشة كالمباني والمصاعد والسيارات والطائرات والأجهزة الإلكترونية والتكنولوجية الحديثة. وقد اختلفت وجهات النظر بين علماء الاجتماع في تحديد ماهية التحضر أو التمدن أو التحديث MODERNIZATION وأسباب حصوله في مجتمعات دون غيرها. وقد اعتبر فريق منهم التصنيع واستخدام التكنولوجيا الحديثة عاملا مهما واداة فعالة في التقدم الحضاري وزيادة الانتاج القومي لاي مجتمع. ويدعم هذا الفريق رأيه باعطاء المثل التالي: إن العامل في مصنع له راتب يمكنه من شراء ما يحتاج اليه من ملابس ومشرب ومأكّل بل ويضيف الى حياة عائلته وسائل ترفيه اخترعتها التكنولوجيا الحديثة مثل التلفاز والمذياع والمسجلات

والسيارات وأجهزة الكمبيوتر وهي وسائل تنقل معلومات ومعارف عن حضارات أمم قريية أو بعيدة آلاف الاميال فتزيد من معلوماته وتقربه واسرته من العالم الذي يحيط به , وتساعده على انتشار التحضر والتمدن. ويضيف هذا الفريقان حاجة الناس الى التصنيع تدعوهم لتحسين وضعهم ووضع أولادهم من خلال تحسين درجة تعليمهم وتوجههم الى دراسة حقول جديدة خاصة تحتاجها مجالات التصنيع والصناعة .

ويرى فريق آخر أن الحضارة أو التمدن إنما تكمن في التنمية الريفية. حيث ان تحسين حياة الناس إنما يأتي من زيادة الطعام المستغل عن طريق استصلاح الأراضي الزراعية وتوثيق روابط الأسرة . ويدعم هذا الفريق رأيه بقوله أن التنمية الزراعية هي خطوة سابقة وهامة تنقل أي مجتمع الى حقل التصنيع الزراعي مما يستدعي خلق فرص جديدة وعديدة لوظائف يحتاجها المجتمع المتحضر .

أما الفريق الثالث فيذهب الى أن التمدن يحتاج إلى تنمية وطنية شاملة اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وتهتم هذه النظرية بتطوير النوعية البشرية بالتدريب والتعليم. ولا يحصل تمدن عند هذا الفريق إلا إذا اجتمعت هذه المجالات الثلاث, فمن رفع المستويات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للأفراد تترعرع الحضارة حيث يشارك الأفراد مشاركة فعالة في توجيه حياتهم الخاصة كأفراد وتوجيه مصادر الدولة أو البيئة كجماعات لتخدم الأعداد السكانية المتزايدة .

وقد يوجد فريق رابع فيتخذ وجهة نظر مخالفة جزئيا حيث تربط بين وجهات النظر الأخرى أو بعضها كأن يخطط التصنيع كسبب للتحضر مع الزراعة, أو يخطط السياسة بالاجتماع , وقد ينفرد عالم آخر بتحديد اكثر لمفهوم التمدن والتحضر فينظر إليها من منظار وطني فيدعو إلى إعادة تشكيل محتوى الثقافة قي الكتب المدرسية وطرق نقل المعرفة عبر أجهزة الإعلام السمعية والبصرية. أو يدعو إلى الاهتمام بالحاجات اليومية للشعوب وتوفيرها لأنها المفتاح للتحضر والتمدن. وقد يدعو آخر إلى الاهتمام بالتخطيط على المدى الطويل مما يخدم أهدافا مرحلية لوطن أو جزء من الوطن.

وتلخيصا لما سبق حسب رأي العلماء فان نظرياتهم حول أسباب التمدن أو التحضر أو التجديد أو التحديث وزيادة الإنتاج القومي تعود إلى التصنيع والتكنولوجيا اللذين يوجدان في المدينة أو إلى التنمية الزراعية التي توجد في الريف أو إلى مجموعة عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية تغطي جوانب المجتمع كله.

ولعل لكل فريق مبرراته النابعة لأيديولوجيته الاجتماعية حيث ان تحسين التنمية الزراعية كسبب للتحضر إنما هو مبدأ النظرية الاشتراكية

(حيث يمنع الأفراد من الحركة أو الهجرة من الريف إلى المدينة) أما جعل التصنيع سببا للتحضر فانه مبدأ النظرية الرأسمالية لأن ساكن الريف لا يستعمل التكنولوجيا كساكن المدينة لذا فان النظرية الرأسمالية تعطي الحرية للأفراد للتنقل من مكان الى اخر. أما النظرية الثالثة فتمزج النظريتين معا حيث ان التحضر هو نتاج عدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية. وسواء كانت هذه العوامل في الريف أو المدينة فإنها تساهم في التحضر والتمدن لأي مجتمع لأن تطوير القدرات الفردية والمؤسسات الاجتماعية حسب هذه النظرية تؤدي إلى التحضر والتمدن. وتتضافر الجهود الإنسانية في مجتمع ما في استغلال الموارد الطبيعية في المدينة أو الريف تنشأ الحضارة ويزيد التمدن في ذلك المجتمع .

وبنظرة فاحصة لتاريخ الحضارات القديمة والمدة الزمنية لتلك الحضارات نجد أن الحضارة المصرية قد دامت من سنة 4000 الى سنة 300 قبل الميلاد وهي من أطول الحضارات عمرا في التاريخ وكانت مدتها 3700 سنة تعاقبت عليها عدة أسر وحكم فيها مئات الحكام من الفرعنة. وحضارة البحر الأبيض المتوسط من 3000 الى 1500 قبل الميلاد ومدتها 1500 سنة. أما الحضارة الصينية فقد بدأت في سنة 2000 قبل الميلاد وما زالت شاهدة حتى اليوم ومن فلاسفتها المشهورين كونفوشيوس الذي عاش بين (551- 497 ق.م) وزارادشت الذي ولد في سنة (628 ق.م)، أما الحضارة الهندية فقد بدأت منذ سنة 2500 قبل الميلاد الى الوقت الحاضر. ومن فلاسفتهم بودا (563-483 ق.م)، أما الحضارة الهلينية ومن أشهر قادتها الاسكندر المقدوني الذي احتل (بين 336 و323 ق.م) خلال 13 عاما كل ما تملكه مملكة الفرس. وكان معلمه أرسطو. وقامت حضارة النوبه بين 750 و661 ق.م وقد احتلت مصر. أما حضارة المايا في أمريكا الوسطى فقد حصلت بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن السادس عشر ميلادي. وفي عام 1492 تم اكتشاف العالم الجديد-أمريكا وفي 1494 حصل تغير كبير باكتشاف رأس الرجاء الصالح وهما حدثان غيرا مجرى التاريخ. فقد قلت أهمية البحر المتوسط كوسيلة للتجارة مع أوروبا وأصبحت الطريق الى الهند وجنوب شرق آسيا مفتوحة للأوروبيين. وانتقلت الحضارة من الشرق الى الغرب. وبعد أن كانت الأهمية لأصحاب الأرض انتقلت الى أصحاب المال والبنوك والتجارة، وذلك لانتقال وسائل الانتاج ومصادرة من الثروة الزراعية الى الثورة الصناعية، حيث كانت أوروبا في الألف سنة الأولى تعتمد الزراعة فيما عرف بعصر الاقطاع ثم انتقلت الى عصر الصناعة والاعتماد على المال في زيادة المصانع واستغلال المصادر.

مدة بقاء الدول والأمم والحضارات:

تتراوح أعمار الدول القديمة السالفة والحضارات الماضية بين 90 و 300 عاما. فاننا نرى أن دولة **الأشوريين** 860-626 ق.م دامت 230

سنة، وأن الحضارة الهلنسية 330-100 ق.م دامت 230 سنة، وحضارة
الفرس 538-330 ق.م دامت 208 سنوات، والحضارة الاسلامية 624-
861 م (236 سنة). وقد دامت دولة الخلفاء الراشدين 29 سنة ودولة أمية
90 سنة ودولة العباسيين 101 سنة. أما دولة الاسبان 1556-1800م
دامت 224 سنة، ودولة العثمانيين من 1359 - 1566 ميلادية. ودامت
207 سنوات وهي الفترة من مراد الى سليمان القانوني. والامبراطورية
البريطانية 1700-1930 دامت 230 سنة. آل بويه 945-1055م دامت
كلها 110 سنوات. أما دول الأقليات في الشرق والغرب الاسلامي
كالسلاجقة 1055-1156م فدامت كلها 101 سنة. والدولة الأيوبية
1169-1220 دامت 81 سنة. ودولة المرابطين (442-530
هجريه 1050-1140م وقد دامت 90 سنة)، ودولة الموحدين (1125-
1269م) دامت 85 سنة. ودولة الفاطميين بالقيروان ومصر (910-
1171م) - 261 سنة، والدولة الروسية الحديثة 1917-1992م دامت 75
سنة. أما الولايات المتحدة فتزيد عن القرنين من الزمان حتى الآن وان
بدت بوادر العجز والسقوط تظهر عليها.

Article Eleven

الحضارات والدول - 3

د. حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة
STATES AND CIVILIZATIONS/3

HASAN YAHYA, PH.D

يمكن تعريف الدولة سياسيا بأنها النظام السياسي لحيز مكاني تمثله حكومة وجيش وشعب. وتقاس الدول بمقومات وجودها الأساسية ومنها مقومات الكفاية لبقائها واستمرارها دون مساعدة مشروطة من الدول الأخرى ومنها استمرار هيبته وصلاح أمر المسؤولين فيها وثباتها على مبادئ العدل والحرية والمساواة والتواصل الروحي بين الحكام والمحكومين كما هي متعارف عليها في التراث الروحي لها ولتابعيها من الجماهير. وحسب هذا التعريف ينطبق الجزء الأول من التعريف على معظم الدول أما النصف الثاني من التعريف فان كثيرا من الدول (أو المسماة بالدول) في آسيا وأفريقيا بما فيها بعض الدول العربية فلا ينطبق عليها.

أما العوامل المساعدة على قيام أو سقوط الحضارات والدول فقد تم-بناء على بحث علمي طويل-تحديد خمسة عوامل تقوم عليها الدول أو تدول فتنهار وهي:

1. شرعية الدولة وهيبته: وهي العوامل التي كانت سببا في وجود الدولة ومنها حكومات قامت بالثورة على الحكم السابق (قهرا أو طوعا) أو حكومات جاءت بطريقة سلمية اختيارية (انتخبت بطريقة ديمقراطية). أو حديثة عهد بالحكم استولت عليه لوجود فراغ سياسي أو انتقلت من حياة بدو الى حياة مدن وحضارة. وهناك دول قامت كحليفة للاستعمار لتقوم بوظيفة تخدم مصالحها ومصالحه. ولكل نوع من هذه الأنواع طرقها في حفظ النظام والتعامل في الاقتصاد الوطني بطرق إيجابية أو طرق سلبية. وقد بقيت بين الدول التي كانت مستعمرة للدول الصناعية والمستعمرين علاقات في مجالات التعليم والتكنولوجيا وتزويد الأسلحة الجيش. ويختلف مستوى العلاقات بين الدول وتتراوح بين الاستشارات

السياسية الى الدعم المادي والهيمنة العسكرية. وهذا ما يطلق عليه البعض اسم الاستعمار الجديد.

2. العصبية السياسية والاقتصاد الوطني: فأما العصبية السياسية فهي التحام العصبية الحاكمة نظرا لشرف أو لحزب أو لتعددية أحزاب. ويدعم قوة العصبية الاقتصاد الوطني وهو ميزان الصادرات والواردات، وطرق معالجة المشاكل في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة من وجهة نظر رأسمالية أو اشتراكية أو مزيج منهما، والتصرف العادل أو الظالم في مجالات الانتاج والاستهلاك والتوزيع، بالإضافة إلى مدى القوة أو الضعف الذي تتصف به القوات الحارسة للحكم مقارنة بغيرها من الدول.

3. مصادر وإدارة أموال الدولة: وهي عوامل تدور حول الصرف في مواضعه أو غير مواضعه (البذخ في مجالات خاصة دون العامة)، ونسبة عدد العاملين الى نسبة عدد العاطلين عن العمل، ومدى نجاح أو فشل مشاريع التنمية وظهور ضررها على الناس مما لا يمكن اخفاؤه كالنقص في ميزان المدفوعات والتتنصل من تمويل المشاريع حسب الميزانية وكثرة الضرائب، أضف الى ذلك مدى عدالة الدولة في تعريف الممتلكات الخاصة والممتلكات العامة أو التحيز لأحدهما على حساب الآخر، وأخيرا نشاطات الدولة في عملية تنمية أو اهمال (أو تدمير) المصادر الطبيعية والبشرية.

4. مقدرة الجيش وطرق اعداده: يعتبر الجيش في أي مؤسسة سياسية القوة التي تحمي تلك المؤسسة وقد قل في التاريخ أن يكون الجيش محايدا. وقد كثر تحيزه باتجاه السلطة الحاكمة التي تدفع رواتبه وتوليه عنايتها من خلال التدريب المستمر للقادة والأفراد، وتزويد قطاعاته بالمعدات والآلات الحديثة .

5. التراث الروحي: نقصد بالتراث الروحي هو الحبل الأخلاقي الذي يربط الشعب والحكومة معا في ما يعرف بالتراث (وهو ما تعارف عليه

الناس من العادات والتقاليد واللغة والقيم الروحية التي تتمثل في العقيدة) وكيف يحدد التراث مفاهيم العدالة والمساواة والحرية والشرف وغيرها من القيم الروحية .

فاذا تواجدت هذه العوامل الخمسة متوازنة في دولة ما نمت وازدهرت وإذا ساءت واضطربت هذه العوامل في أي دولة سقطت وانهارت وزال وجودها فاندثرت .

سمات ومعالم انهيار هيبة الدولة:

يعتبر بناء هيبة الدولة من أهم عوامل الثبات والاستمرارية. وهيبة الدولة تعني الثقة والتقدير لمؤسساتها الشرعية والقانونية والتنفيذية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. كما تعني احترام الدستور والقانون والعزة الوطنية للأفراد كبنية حضارة. فاذا فقدت الدولة هيبتها وبدأ بالتطاول عليها بعض أفرادها أو مؤسساتها فان ذلك بداية القلاقل لمواطنيها. وعادة ما يمر انهيار هيبة الدولة في مراحل تتفاوت في الضعف والقوة في مؤسسات الجذب والدفع، وهذه المراحل هي:

1. المراحل الأولى لفقدان هيبة الدولة:

إذا اتسعت رقعة الدولة أو وصلت إلى الجيل الثالث أو الرابع من مراحل قيامها ، ظهرت حقائق أو إشاعات حول الرشوة والمحسوبية، وتبذير الأموال، وحقائق أو إشاعات حول فضائح المسؤولين الأخلاقية، وحقائق أو اشاعات زيادة الظلم والغش التجاري والسكوت عليه مع الغش والخداع السياسي، وحقائق أو إشاعات حول زيادة التذمر الشعبي، وحقائق أو إشاعات حول زيادة التفاوت في امتلاك الثروة. وحقائق أو إشاعات حول التنصل من خدمة الشعب القريب والميل نحو المستعمر الثقافي المادي أو الروحي البعيد والقريب. إذا تراكمت هذه الإشاعات فإن هيبة الدولة تسقط عند تابعيها ورعاياها. ومن مظاهر فقدان هيبة الدولة مثلاً: إحراق علم الدولة وإحراق صور شخصيات الدولة والقيام بالمظاهرات والتجمعات العفوية أو لا ثم المنظمة ثانياً. وتبدأ المناطق في

الأطراف بالدعوة إلى الانفصال والاستقلال عن المركز ولا يسع المركز إلا بالتسليم بالأمر الواقع لعدم استطاعته على إعادة الأطراف إلى المركز.

2. المرحلة الثانية لفقدان هيبة الدولة:

حقائق أو إشاعات إخماد الحريات عن طريق المخبرات وزيادة أفعال القمع العسكري للفتن. وهذه المرحلة يبدأ التحدي للدولة فينقسم الشعب بين مصدق ومكذب وبين مؤيد ومعارض.

3. المرحلة الثالثة لفقدان هيبة الدولة: استمرار القلاقل والاعتداءات وتأخذ الأساليب التالية وتندرج في قوتها أو ضعفها حسب إمكانيات ومصادر دعم الفئات المعارضة في الداخل أو الخارج. مثل:

أ. الحض على مقاومة الظلم بالكتابة والنشر عن طريق الفئات المعارضة للحكم أو عن طريق وسائل الاتصال السمعية والمرئية في الداخل والخارج .

ب. البدء في عمليات اغتيال ممثلي الدولة في الداخل (الوزراء والعمال المدنيين من عناصر السلطة) أو في الخارج (ممتلكات ومباني السفارات والسفراء والعاملون في السلك الدبلوماسي).

ج. الجرأة على تفجير مؤسسات الدولة كالوزارات والبنوك ومؤسسات السلطة .

د. نسف شرايين الاتصال بين أجزاء الدولة كالجسور ومرابط المياه والمصادر الطبيعية الفعالة.

فإذا وصلت تلك المجاهبات إلى هذا المستوى من المجابهة (التحدي ومقاومة التحدي بالقوة) فإن الدول ترد عليها بمدى قوتها وسلطتها في مقاومة السقوط، فتزداد تصرفات ممثلي الحكومة في دوائر الأمن والجيش عنفا وظلما ويفقدون أعصابهم وحكمتهم في حل الأمور، فيبدأون بتأمين مستقبلهم بزيادة سرقة الأموال العامة وتهجيرها إلى الخارج. كما

تزداد قيمة المعارضين قوة لأنهم يدخلون مرحلة التحدي والوقوف موقف الند للند للحكومة ويبدأون الهجوم العلني لإسقاط النظام القائم يساعدهم في ذلك ما ينادون به من رموز العدل والحرية والعقيدة والمساواة . فيكثر الظلم ويعم الفساد وتقل الحريات وتكثر الإقالات، وأخيرا تسقط الدولة ما لم تتغير بعض الوجوه وهم يشكلون كبش الفداء للشمس وفرض الهدوء والأمن وهو أقل ما تفعله السلطة لامتناسص النعمة الجماهيرية والتقليل من سرعة انهيار هيبة الدولة أو توقيفها وإعادة بنائها من جديد باستعمال القواعد الشعبية من رجال الجاه والعلم والعدل. فإذا لم يكن بد من السقوط فإن التخلص من أذى النظام القديم والتطلع إلى ما يتوقع من عدالة النظام الجديد يزداد قاعدة بدعم قوة الفئة المعارضة التي يسندها أحيانا الجماهير التي تتعاطف معها كلما أحسنت دعايتها ومزجت إيجابيات كفاحها في حالة النصر مع سلبيات الحكم القائم وممثليه التي تتصل بالشعب مباشرة . ومدى قرب أو بعد كل من تصرفات ممثلي الدولة أو قادة الفئات المعارضة من التراث الروحي للجماهير خاصة فيما يتعلق بالعدالة وما يقابلها من الفساد، والحرية وما يقابلها من ازدواجية في التطبيق ، والمساواة بين الأسد والثعلب أو المساواة العادلة في اقتسام خيرات الأرض والنظام القائم على التراث الروحي للجماهير.

Article Twelve

شخصية الفرد والتنمية الإجتماعية

د. حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

Personal Growth and Social Development

HASAN YAHYA, PH.D

إن دراسة وفهم نظريات التنمية الاقتصادية في المجتمعات وأسباب تلك التنمية قد أخذت من العلماء قسطا وافرا من البحث والتدقيق والتمحيص. فقد تناولها منظرو "التحديث" أو "الحداثة" في العصر الحديث مثل: هاجن وماكلياند وروستو وأليكس سميث وليرنر وروجرز وهاربيسون ومايرز ، وفيما يلي ملخص أبحاثهم التي اعتمدت أساسا على نظريات علم النفس أو علم الاجتماع النفسي وقد ظهرت هذه النظريات بعد الخمسينات وقد اتسمت بنظرة ضيقة ومن جانب واحد وهو قياس تقدم الأمم أو الدول التي استقلت حديثا عن بعد وبمقاييس الدول المتطورة اقتصاديا وتكنولوجيا. وقد كانت نتائج أبحاثهم محدودة وتحتاج الى ثبات لقصر مناهجهم عن الكمال لعوامل اختلاف مقومات التراث بين الباحثين الغربيين وبين العينات المدروسة مثل اللغة والعادات والتقاليد والعقيدة. ومما يسهم في عامل ثبات تلك النظريات عوامل الفارق اللغوي والتراثي والمكاني (الايكولوجي البيئي).

يفريت هاجن Hagen بحث عن اجابة السؤال: لماذا دخلت بعض المجتمعات في التقدم التكنولوجي أو كانت أكثر فعالية من غيرها؟ وكان الجواب حسب طرحه: يكمن في عملية تطوير الشخصية من خلال التربية الاجتماعية النفسية في المجتمع حيث يتم تعلم القيم الاجتماعية وقيمة التحصيل والاعتماد على النفس. كما أكد على أن دور تغيرات القيم كسبب للتنمية الاقتصادية واقترح أن هناك قيمتان اجتماعيتان وهما "التحصيل Achievement والاستقلالية Autonomy" أكثر القيم التي تتوسط عملية التنمية الاقتصادية الوطنية. وقد رأى هاجن أن هذه القيم تظهر تاريخيا حين تقوم الصفوة في المجتمع التقليدي بمعاناة الانسحاب من مركز الاحترام حين يهزمون أو يخسرون قوتهم السياسية. وبعد فترة من التقوق والانعزالية فان أبناء هذه الصفوة تظهر على درجة عليه من التحصيل والاستقلالية كنتيجة لنشأتهم اللاسلطوية في طفولتهم. وتظهر هذه الفئات من الاقليات المحرومة اهتمامها ومقدرتها كصناع نشيطين في النمو الاقتصادي.

روستو Rostow يمثل وجهات نظر كثير من علماء الاجتماع الذين اعتبروا التنمية الاقتصادية عملية تطويرية خلال مراحل: (1) المرحلة التقليدية (2) مرحلة ما قبل الانطلاق (3) مرحلة الانطلاق (4) مرحلة بلوغ الهدف (5) مرحلة الاستهلاك الجماهيري. وقد أعطى أهمية خاصة للمرحلة الثالثة: وهي مرحلة الانطلاق Take-off stage لأنها تعكس الرغبة الشديدة للمجتمع في التنمية الاقتصادية. وقد ميز روستو أن نوعا جديدا من رجال الأعمال سيظهر فقد أثبت أن عملية الانطلاق تعتمد على هذه المجموعة التي تقوم بنشاطات ناجحة وهي القدرة على قبول المبتكرات والتجديدات. فاذا وجدت هذه الفئة فان البلد ستكون في الطريق الصحيح للانطلاق حيث تبدأ عملية التنمية الاقتصادية. ولكنه لم يحدد القيم الاجتماعية التي يتصف بها أبناء الصفوة أو التي يجب أن يتحلوا بها.

ماكلياند McClelland حاول أن يبين المقومات الأساسية للفئة التي تنصدر وتفقد عملية التنمية الاقتصادية فسامها دوافع التحصيل الانساني (Achievement Motivation) ومقارنة مع النظريات السابقة فان ماكلياند قد كان أكثر تحديدا وأقل حيزا في دراسته من ناحية نفسية واجتماعية. ولذا فان نظريته أفضل في التطبيق والمنهج البحثي. رغم أنه لم يعرف مفهوم "دوافع التحصيل" الذي يعتبر أساسا للتغير الاقتصادي وانما ربطه بالشعور الداخلي للتحصيل من خلال أهمية التصرفات والنشاطات الناجحة للفرد لينافس غيره في مقياس لمستوى الامتياز التحصيلي. ولعل وجوه الشبه بين مفهوم ماكلياند لدوافع التحصيل ومفهوم فيبر في المثل البروتستانتيية تظهر في أن الصفات الشخصية للفرد حسب فيبر تنتج شخصية قريبة من الشخصية التي ينادي بها ماكلياند خاصة في أعلى مستوياتها.

ولكن نظرية ماكلياند لم تخل من العيوب ومنها:

1. عدم ملاءمة المقياس المستعمل في التنمية الاقتصادية ودوافع التحصيل.

2. صعوبة التطبيق لعلاقة السببية بين مفهوم "دوافع التحصيل" و "التنمية الاقتصادية".

3. خطأ استعمال الدولة كوحدة للتحليل. فالدولة تتكون من عدة فئات منها العاملون في الزراعة والعاملون في الصناعة وفئة أخرى تعمل في التجارة. عدا عن التفاوت الطبقي والعلمي وتفاوت الملكية والثروة بين هذه الفئات.

"دوافع التحصيل" تمثل قيمة اجتماعية تؤكد على الرغبة في الامتياز من أجل تحقيق تحصيل شخصي للفرد دون الأسرة. أما هاربيسون ومايرز Harbison and Myers فقد أكدوا أهمية تنمية المصادر البشرية كأهم عنصر صالح ومؤشر واقعي للتنمية الاقتصادية. وحسب رأيهما فان الحاجة ماسة الى زيادة التعليم العالي في مجال الادارة الحديثة والتدريب

على التخصصات التي من شأنها تدير عجلة القيادة التخصصية لمنشآت الدولة. وعلى هؤلاء تقع مسؤولية قيادة الجماهير نحو التنمية الاقتصادية حيث يتبع ذلك التعليم العام للجماهير. وهما هنا يتبعان ماكلياندا في التوكيد على الصفوة من أبناء المجتمع كعنصر فعال وقائد لمسيرة التقدم الحضاري من خلال انجاح مشاريع التنمية الاقتصادية في البلاد. كما أكدنا على أن السبب خلف عدم نجاح الدول الغير نامية في التنمية انما يعود الى عدم الكفاءة عند الشعب أو قياداته. وعليه فانهما يدعوان الى اعطاء الفرصة لأبناء الشعب ليقودوا المسيرة نحو التقدم والازدهار.

وخلاصة لموضوع التنمية الاقتصادية فأن أسباب تأخر وفشل التنمية الاقتصادية تعود الى أسباب داخلية في المجتمع. أي في مؤسساته، وفي مكونات الفرد النفسية والاجتماعية، ولمعارضة الاقتصاديين يؤكد علماء الاجتماع على أهمية المؤسسات الاجتماعية مثل المدارس والمصانع (حسب انكلز وسميث 1974)، وقد ابتكرا قياسا للتحديث عند الأفراد سموه مقياس أوام (Overall Modernity (OM) وقد طورا المقياس بحيث تتميز شخصية الفرد المشارك والفرد البناء. كما ميزا بين شخصية المبتكرين من أبناء المجتمع والمتبنين الأوائل لأفكار العرب. وأهمية تكوين المدن وتأثيرها على الناس بما فيها من اتصالات ومعلومات كما يقول ليرنر (Lerner, 1958) وبناء على ما تقدم فان من أعمدة فكرة التحديث التي تعتمد عليها التنمية الاقتصادية إنما تقوم على المؤسسات الاجتماعية عند انكلز وسميث، أو تقوم على الحزب أو البيروقراطية والقوانين عند ألموند وباي، أو على الإعلام ووسائل الاتصالات عند ليرنر وروجرز، أو تقوم على العامل الديني كما هي الحال عند فيبر وبلا. أما عن أهم أسباب التغيير الاجتماعي التي تقود الى التنمية الاقتصادية فهي النية وقبول الجديد عند ليرنر وروح الابتكار عند روجرز، والحاجة الى روح التحصيل الفردي عند ماكلياندا وهاجن،

والعقلانية وروح الالتزام عند هولسيتز وتدريب الصفوة عند هاربيسون ومايرز .

تعليق: من آثار نظريات التحديث على المجتمع: تفتيت الأسرة وتشجيع الانفلات باسم الاستقلالية والاعتماد على النفس. وقد أكد جود مثلا على أن الأسرة التقليدية تقف عائقا في وجة تحقيق للتطور الاقتصادي في الدول. فالأسرة قد تشتري غسالة واحدة وتلفزيون واحد وسيارة واحدة وجهاز كمبيوتر واحد . أما اذا تفرقت الأسرة إلى عدة أسر صغيرة فان عدد الغسالات المباع سيكون أكثر. وعدد التلفزيونات المباع سيكون أكثر وكذلك عدد السيارات وعدد أجهزة الكمبيوتر فالنظرة الرأسمالية واضحة ولكنها غير معلنة . بل هي مبطنة تحت شعار الاستقلالية والتحصيل الفردي اذا أخذنا في الاعتبار أن الدول الصناعية هي المستفيدة من هذا التغير في القيم الاجتماعية لأنها هي التي تصنع الغسالة وأجهزة التلفزيون والكمبيوتر والسيارة. وعند شرائها من قبل الناس فان أثمانها ستعود الى الدول الصانعة وليس الى الدول المستهلكة. ومتعود المنح المعطاة الى الدول عن طريق البنك الدولي (الممثل للمصانع الغربية) على شكل أثمان الصناعات التي تدفع من خلال رواتب الموظفين.

أما الشعور مع الأسرة والقيام بمسؤولياتها فانه يقل تدريجيا حتى يتلاشى . ويبدأ الشباب بتبرير تقصيرهم تجاه أسرهم. فالرواتب لا تكفي دفع الكمبيالات كأجرة للسكن وأقساط السيارة أو أقساط التلفزيون أو ملابس العمل والفخخة والتقصم بفئة معينة اجتماعية أو تخصصية. ويبدأ التذمر من الوالدين والاخوة والأخوات. لأن الشخصية الجديدة التي ينادي بها الغربيون هي شخصية الفرد وحرية في التنصل من قيم الأسرة والمؤاخاة والتكافل الاجتماعي. ونظرا لأن معظم نظريات التحديث ركزت على القيم الحديثة وخاصة الغربية فقد رفضت وتمت مقاومتها من

قبل المحافظين ورجال الدين في الميلاد النامية نظرا لتعارضها مع القيم
السائدة والتقاليد المتوارثة بالإضافة إلى بطء عملية التغيير ذاتها.

Article Thirteen

المستقبل والتغيير

د. حسن عبد القادر يحيى
أستاذ بجامعة ميشيغان - الولايات المتحدة

Future and Change

Hasan Yahya, Ph.D

يقول الشاعر العربي: ثلاثة أيام هي الدهر كله - وما هن إلا أمس واليوم
والغد ، والعصر كله كالزمن لا يتعدى هذه الأيام الثلاثة . وقد كثر
العلماء الذين درسوا وألّفوا في الحضارات القديمة والحديثة خلال
التاريخ نذكر منهم ابن خلدون ، وديورانت وسيرنغر ، وتوينبي ، وبرنار
لويس ، وفي العصر الحالي اهتم فوكوياما وهانتنغتون في مؤلفاتهما حول
صراع الحضارات . واتهما أحيانا بالعنصرية وأحيانا بعدم العلمية في
كتابتهما ، أما من الكتاب العرب الاجتماعيين فنذكر منهم حسين مروة
ومحمود العالم وطيب تيزيني ومحمد أركون وحسن حنفي وعبد الله
العروي ومحمد جابر الأنصاري وساطع الحصري وكاتب هذه السطور
وأخرين.

وقد اتبع كل من هؤلاء الكتاب منهجية خاصة في دراسة الماضي
والحاضر لاستشفاف تاريخ المستقبل أو ما يمكن النكهن به من تغيير

عالمي أو إقليمي حسب عاملي الموالييد والوفيات والتقدم التكنولوجي وعامل الهجرة من وإلى البلاد . وقد تخصص عدد من علماء الاجتماع الغربيين والشرقيين في سبر غور الماضي من أجل التكهّن بمستقبل هذا العالم إقليميًا وعالميًا .

ومن مجالات التغيير التي طرّقتها وتنبأوا بها في المجتمعات الحديثة زيادة الصرف على التربية والتعليم ، واستمرار التقدم التقني (التكنولوجي) ، وزيادة الصرف على الجانب الصحي ، وعلى زيادة عدد مراكز العناية للأطفال في الشركات الخاصة والعامة كنتيجة لعمل الوالدين (خاصة عمل النساء) ، إذ أنه من المتوقع زيادة أعداد النساء في تولي مناصب ومراكز تنفيذية قيادية إدارية وزيادة عدد العملات في المؤسسات العامة والخاصة ، كما أن برامج التفاضل ستصبح أفضل نظراً للمنافسة العالمية لاستقطاب المشاهدين والمشاهدات للعديد من القنوات التلفزيونية ، كما أنهم درسوا الاتجاه نحو أثر الدين على الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، خاصة ظاهرة البعد عن التدين والأخلاق في الدول ذات الكثافة السكانية العالية وخاصة الصناعية منها ، والابتعاد عن السلوك الديني (من المحافظة إلى العقلانية) والاتجاه نحو المادية الوقتية، كما ركز علماء الاجتماع على قلة نسبة الموالييد في الغرب وزيادتها في الشرق ، وعلى الجرائم وقتلها ، وازدياد حالات الانتحار .

أما في الاقتصاد فقد درس علماء الاقتصاد والاجتماع والعلوم السياسية ارتفاع الأجور ، والتغير في عدد ساعات العمل ، وعدد العاطلين عن العمل الذي سيقبل مستقبلاً ، وأفادوا بأن راس المال سيتزايد سواء من الأفراد أو الدول . أما حجم المصانع وفعاليتها في التصنيع فستزيد ، ويصبح التخصص أكثر عما قبل . أما في مجال التأمين فالعقلانية ستحكم قواعده وقوانينه . وستزداد الاستقلالية بالنسبة للبنوك ، أما البنوك التجارية فستندثر .

وعند دراسة المستقبل ، لا بد من فهم أسباب التغيير ومؤشراته واتجاهاته ، وممن درسوا هذه القضايا عالمان أمريكيان هما جون نياسبت وزوجته في كتابهما (ميغاترنند) MEGATRENDS وألفن توفلر في كتابه الموجة الثالثة THE THIRD WAVE .

وقد كان لكاتب هذه السطور خبرة خاصة في تدريس هذين الكتبيين في الثمانينات لطالب الدراسات العليا في عدد من الجامعات الأمريكية . وذلك في مادة تغير السلوك الإنساني الحديث في المجتمع المعاصر .

أما أسباب التغيير بعد سنة 2000 فلن تتغير كثيراً عن مؤشرات السبعينات والثمانينات ، حيث تكمن في ثلاثة محاور هي: التغير السكاني وما يتبعه من زيادة أو نقصان عدد السكان وحركة البشر من بلد الأصل إلى بلد الوجهة . والمحور الثاني المصادر البشرية والطبيعية . أما

المحور الثالث فهو التقدم التقني في عالم الاتصال بين البشر سواء بين أعضاء الأسرة الواحدة أو بين الدول على مستوى عالمي. وبالنسبة لمؤشرات التغيير فإنها تتعدد حسب ما في المجتمع من محاور تغطي المجالات الاقتصادية والسياسية والتبادل التجاري بين الدول أو بين التحالفات الدولية كاتحاد الدول الأوروبية واتحاد أسيك ASIAN PACIFIC ECONOMIC COOPERATION (APEC) الذي يضم تشيلي والاكوادور وبروناي والصين وكندا وماليزيا والمكسيك وتايلاند ، ومجموعة الدول السبع الصناعية THE GREAT SEVEN (G-7) التي تضم الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وأستراليا واليابان أو التحالفات العسكرية مثل حلف الناتو NORTH ATLANTIC TREATY ORGANIZATION (NATO)

وحلف وارسو WARSO الذي لم يبق منه إلا اسمه ، وتحالف نافتا NAFTA الذي يجمع دول أمريكا الشمالية الثلاث (كندا والمكسيك والولايات المتحدة). أما بالنسبة لاتجاهات التغيير فهناك أربعة محاور هي: التقدم الأحادي نحو المستقبل Unidirectional progress ، وهو التقدم الكلي للشعوب دون تحديد لمجالات التقدم أو التأخر لبعض المحاور الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو التجارية أو الصحية . والتقدم المتعدد الاتجاهات Multidirectional الذي يمكن ملاحظته في تقدم عدة مجالات كالمجال الصحي والتربوي والتعليمي والاقتصادي والسياسي ، والتقدم المنكسر Broken Progress المتغير الاتجاه كلما استدعى التغيير ذلك عن طريق القوة أو الاختيار ويتمثل في القلاقل والنكسات التي تصاب بها الشعوب مما يستدعي القضاء على ما وصلت إليه الشعوب من تقدم على أمل إيجاد اتجاه جديد يبدأ من الصفر لبناء المستقبل وهو تقدم محفوف بالخطر لأنه يتطلب وقتا طويلا حتى يثبت فعاليته . وأخيرا الاتجاه الدائري Cyclical Progress الذي ينتهي عند نقطة معينة لا يستطيع المجتمع تجاوزها فينهار ويبدأ بالتقاط أنفاسه ليتقدم من نقطة جديدة .

وستتشابك هذه المحاور حتى لا يستطاع تمييزها بسهولة ، فمن أسباب التغيير إن حجم السكان وكثافة عددهم قياسا لرقعة الأرض التي يعيشون عليها أثر كبير في التغيير الاجتماعي السريع ، وسيؤثر عدد المهاجرين بين البلدان على سياسات الدول بالنسبة للصادرات والواردات واستعمال المصادر الطبيعية . ونظرا لأن حاجات الشعوب الأساسية والخدمات التي يحتاجونها فإنها تستدعي سرعة في اتخاذ السياسات التي من شأنها خدمتهم بفعالية وسرعة فضائية . وبناء عليه فإن زيادة عدد السكان في المدن (التي سيصل عالميا إلى 90% من سكان العالم) تستدعي التخطيط المستقبلي العلمي وتوفير الكفاءات الفعالة لتزويد الشعوب لهذه الحاجات والخدمات ومنها الخدمات الغذائية والخدمات الصحية والخدمات السياحية والبيئية .

وبناء على زيادة عدد السكان وكثافتهم يتعين على الدول حصر الكفاءات البشرية الموجودة حاليا في البلد والتخطيط العلمي لسد حاجة البلاد في المستقبل . وهذا ما يغطي المحور الثاني من أسباب التغيير الاجتماعي وهو المصادر الطبيعية والبشرية . أما المحور الثالث الذي سيؤثر في سرعة التغيير الاجتماعي فهو التقدم التكنولوجي في عالم الاتصال . ونظرا لكثرة المخترعات الحديثة وصغر حجمها فإنها ستزيد من مهارة الشعوب في استعمالها والاستفادة منها ، كما سيؤدي ذلك إلى مخترعات جديدة لزيادة فاعلية الموجود منها أو لاستبداله ، ولن يكون إصلاحها مهما لأن ثمن تصليحها عند فشلها في العمل سيكون أكثر من شراء المخترعات الجديدة . ففي مجال السيارات والحاسوب والوسائل السماعية والمرئية سيزيد تصنيعها بكلفة أقل لذا ستكون في متناول العامة كما هي الآن في متناول متوسطي الدخل . ومن المتوقع أن يؤثر ذلك على العلاقات الأسرية وعلاقات العمل وعلاقات السفر والسياحة .

وستتمتج مؤشرات التغيير الاجتماعي الاقتصادية والسياسية والتجارية لدرجة أنها تتداخل فيما بينها ، ومن المؤشرات الاقتصادية فإن دخل الفرد سيزداد تباعا لزيادة الإنتاج أما المؤشرات السياسية فسيتمجه العالم نحو ديمقراطية عملية أكثر مما قبل ، وأخيرا بالنسبة للمؤشرات التجارية والتبادل التجاري فإن زيادة التبادل التجاري الدولي سيخضع لقوانين تدل على تفاهم أكثر بين الدول المصدرة للمواد الخام أو الصناعات الخفيفة والثقيلة ، والدول المستهلكة لهذه الصناعات . وتعم الفائدة الدول الفقيرة التي سترتاح من عبء ديونها الخارجية .

أما التغيير الذي لم يأخذ حظه من الدراسات المستقبلية في - اعتقادي - فهو التغيير السلبي في البيئة الطبيعية وأقصد به التلوث الذي سيكون نتيجة لزيادة التصنيع وزيادة الأرباح التي تجنيها الشركات العالمية العابرة القارات والدول . وخاصة فتحة طبقة الأوزون التي تتسع كل يوم بمعدل مخيف . وزيادة تلوث الماء والهواء نظرا للتساهل في التخلص من النفايات التوكسية

الذرية وزيادة نسبة الكربون أكسايد في الهواء . وشح المياه في بعض المناطق . ولنا في العقل الإنساني إن استعمل بوسطية لا بد منها للتوصل إلى خير عام يصيب البشرية كلها من خلال احترام حقوق "هم" كما نحترم حقوق "نحن" على قدم المساواة من المعرفة والتفاهم والتفاوض حسب النظرية القمرية (نظرية سي) . سواء كان الفريقان دول غنية ودول فقيرة أو دول مصدرة أو دول مستوردة على المستوى العام . أو بين حاكم ومحكوم ، أو بين زوج وزوجة على المستوى الخاص .

Article Fourteen

أهداف الأمم التربوية

د. حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

NATIONAL EDUCATIONAL GOALS Hasan Yahya, Ph.D

تقرر الأمم الحديثة والنامية مئات الأهداف يوميا من خلال مؤسساتها السياسية وألياتها الاقتصادية وبنيتها الاجتماعية في المجال التربوي والثقافي. وعادة ما تكون الأهداف في كل مكان وزمان هي المنزلة المرئية أو المتخيلة يضعها شخص معين أو مجموعة من الأشخاص ويتم التخطيط من قبلهم للوصول إليها ، كما تكون الأهداف عادة محدودة بزمان ومكان و مؤهلات . فأما المحدودية بزمان (فهي بدقة واحدة ، أو بساعة واحدة ، أو بيوم واحد ، أو بسنة واحدة ، أو مشروع تنمية محدود بثلاث سنوات أو خطة خمسية محددة بخمس سنوات أو أكثر) وأما محدودية المكان (فهي في وزارة ، أو في مكان إقامة لأسرة ، أو في مجرى نهر ، أو في مجال تربوي كمرحلة دراسية) ، وأما المحدودية بالمؤهلات (فهي المصادر والكفاءات البشرية والطبيعية المساعدة مع الزمان والمكان للوصول إلى الهدف أو الأهداف) . وعليه فإن هدفا مثل : حصولي على الشهادة الجامعية في أربع سنوات داخل أو خارج بلدي ، يعتبر هدفا مكملا لشروط الهدف . فالزمان قد حدد بأربع سنوات ، والمكان لم يكن مشكلة في الخارج أو الداخل ، والمؤهلات البشرية : كالتصميم والعمل الدائب والإصرار على الوصول إلى الهدف متوفرة . وهنا نستطيع القول ؛ إن الهدف تكاملت شروطه بتحديد الوقت وتحديد المكان وتحديد المؤهلات . ويختل الهدف إذا زاد الوقت عن أربع سنوات ، أو حالت ظروف للوصول إلى المكان في الداخل أو الخارج ، أو أصيب المرء أو المرأة بظواهر جسمية أو نفسية عارضة منعه أو منعتها من التأهيل للوصول إلى الهدف . ونظرا لاختلال شروط الهدف فإن الهدف نفسه يختل ويهتز فلا يتحقق . أنظر إلى هذا المثل الآخر : أريد أن أبنى برجا سكنيا في شارع زايد بمدينة دبي مثلا خلال ستة أشهر . فشروط الهدف مكتملة ، فالمكان محدد والزمان محدد والمصادر أو المؤهلات لن تشكل عقبة في الوصول إلى الهدف . وعليه فإن التخطيط للوصول لذلك الهدف يكون مكتملا إذا اكتملت شروطه . فالزمان محدد في ستة أشهر والمكان محدد في شارع زايد ، والمؤهلات (من مصادر مالية وفنية وهندسية وطبيعية) محددة . إذ لا يعقل أن يتم البناء بدون خبرة وكفاءة هندسية بشرية (تخطط للفكرة على الورق) وكفاءة تكنولوجية (خرائط ورافعات ومواد مصنعة ومدراء ومديرات وعمال ، وحاسوب وقياسات) . ويبقى التقييم أو التقويم للإنتاج الذي هدف إليه وهو أيضا يقع تحت المؤهلات والكفاءات العليا والخبرات الفنية والمتخصصة ، التي تحكم على نجاح الهدف أو عدم نجاحه .

وكل مشروع مهما صغر أو كبير حجما أو كيفية ، فإنه يحتاج تخطيطا يحتوي على الشروط الرئيسية للهدف التي سبقت وهي عناصر الزمان

والمكان والمؤهلات . فإتشاء جامعة جديدة ، أو استحضار عمال من الخارج ، أو تسويق سلعة عالمية ، أو بناء أجيال المستقبل ، أو حتى بناء جيش ، فإن الأهداف وإن اختلفت معانيها إلا أنها مقيدة بزمان ومكان ومؤهلات . ولعل المثال هنا يمكن أن يعطى لهدف نبيل تسعى إليه كل أمة من الأمم ويسعى إليه كل شعب من الشعوب مهما كان تاريخه ، كالتربية في بناء الأجيال من بنين وبنات ليكونوا مواطنين صالحين ومواطنات صالحات ، وليعيشوا في سعادة غامرة في بلدهم ، ويتمتعون بخيرات بلدهم . وهو هدف تعكسه كل فلسفات التعليم في كل بلد . فالهدف واضح وله استمرارية زمنية وإن تحدد بجيل واحد مرئي حتى يصل إلى سن العمل في المجتمع كمدراء ومديرات أو خبيرات وخبراء أو مهندسين ومهندسات أو معلمات ومعلمين أو عضوات في الجيش والشرطة أو أعضاء ، أو عضوات في السلك الدبلوماسي أو أعضاء ، أو وزراء ووزيرات في الأجهزة التنفيذية للدولة ، أو في أجهزتها التشريعية والقانونية ، وكذلك بناء الأجيال المتعاقبة الذين يأتون بعدهم وهي غير مرئية الآن ، إلا أنها ستكون محور السياسات ومحط اهتمام السياسيين في كل مخطط لبناء الأمة أو الشعب على أسس سليمة ومتينة .

فهدف التربية يكون عادة محددًا بزمان قصير أو طويل حسب الحاجة والعدد المشارك والطاقت من المؤهلات المطلوب تحضيرها من الكفاءات المواطنة والوافدة الموجودة حاليا في سوق العمل من المديرين والمديرات والمستشارين والمستشارات ، والمدرسين والمدرسات، أو التحضير لها من الأجيال القادمة من المواطنين لتسد حاجة ملحة في سوق العمل لبناء المستقبل وتنويع الدخل القومي واستقطاب الكفاءات لبناء الوطن من داخله وخارجه.

والدليل على نجاح أهداف التربية هو تحقيق قيمة المردود التعليمي على الوطن والمواطن. ونظرا لأنه لا يظهر ذلك عادة بين يوم وليلة ، ولا بين غمضة عين وانتباهتها كما يقال ، إلا أن أهداف التربية لا تتغير في مجملها لأنها تخطيط لما يتوقع الوصول إليه من عزة وسودد لأفراد البلد المعين ليعيشوا سعادة مشاركين في بناء بلدهم الحديث مع الحفاظ على أصالة الأصل في العادات والتقاليد ومساهمين مستقبليين في رسم الأهداف المستقبلية التي يرونها قريبة منهم مع تطورات المجتمع الحديث وزيادة التنمية في عالم سريع التغير في مجالات الاتصال والتواصل الحضاري ومجالات التعامل مع البيئة الطبيعية والبشرية ، وفي ظل تقديرهم لخيرات بلادهم والمحافظة على مصادر هذه الخيرات والتمتع بها في عالم صحي هاديء معافى خال من الحروب والنكسات والنكبات والويلات بفضل التخطيط الصائب والفعال لمستقبل الشعب الزاهر وأجياله المتعاقبة ، ولن يتأتى ذلك في أي بلد إلا ببعد النظر في التخطيط المستقبلي بعناصره الثلاث الزمن والمكان والبشر المؤهل للقيادة والنجاح.

Article Fifteen العلم بين النظرية والتطبيق

د. [حسن عبد القادر يحيى](#)

أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

SCIENCE BETWEEN THEORY AND PRACTICE

HASAN YAHYA, PH.D

من أهم الأهداف التي تخدمها عملية تحصيل العلوم بصفة عامة هو هدف إمكانية تطبيق هذه العلوم ليستفيد منها الإنسان في أي مستوى اجتماعي سواء أكان فردا في أسرة أم في مدرسة أو عضوا في وزارة أو في حكومة ، وهكذا . وكما يقال: لا سباحة بدون ماء، يمكن القول انه لا فائدة من العلم اذا لم يلزمه التطبيق . فاذا حصل وانفصلت عملية التطبيق عن النظرية فان النتائج ستكون سلبية أو تكون أقل فاعلية مما لو

اكتمل العلم بعملية التطبيق. ولا شك أن الحكومات في كثير من الدول المتقدمة والدول النامية تعطي اهتماما خاصا للعلوم بنوعها النظري والتطبيقي. ويمكن الاستدلال على ذلك بالنظر في اهتمام الدول بفتح المعاهد الخاصة والعامة التدريبية والتطبيقية وذلك ضمن سياسات هذه الدول لدفع عجلة التقدم والتنمية نحو الأفضل ومن أجل خلق جيل من القيادات الواعية المسلحة بالعلم وخبرة التطبيق. كما أن فروع التعليم ازدادت وتفرعت حتى شملت تقريبا كل نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية. وخير شاهد على ذلك ما للناحية التطبيقية من نصيب متزايد في ميزات هذه الدول ومن تزايد أعداد المتخصصين في مجالات تطبيقية تغطي كافة مجالات الحياة الحديثة في المدن والقرى على حد سواء.

وظيفة العلم ووظيفة التطبيق: **FUNCTIONS OF SCIENCE**

AND APPLICATION يتحدد المفهوم الأول بالجانب النظري ، كما يتحدد المفهوم الثاني بما يطلق عليه الجانب التطبيقي. ووظيفة العلم أن يصف ويشرح الظواهر قيد البحث وذلك من أجل التوصل الى فهم حقيقة الظاهرة للتنبؤ بها أو بمثلها واقتراح الحلول الممكنة لها أو لأجزائها وتقديم نتائجها الى المسؤولين عن القرار السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي . ولقطة العلم تعني المنهج العلمي في دراسة الأشياء أو الظواهر وتتحد المناهج العلمية عادة في الأساسيات المطلوبة للبحث إلا أنها تختلف باختلاف العلوم.

والفرق بين تطبيق العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية واضح حيث تحاول العلوم الاجتماعية (كالعلوم السياسية وعلم الاقتصاد وعلم النفس وغيرها) دراسة ووصف وتفسير وفهم التنظيم المجتمعي في مجال حياتي (اقتصادي أو سياسي، أو اجتماعي) من خلال دراسة التفكير والسلوك الإنساني وعلاقات التداخل بين المجموعات البشرية فيما يعرف بالتقاليد والعادات والأعراف الاجتماعية والتي عادة ما تظهر

غريبة أو إباحية لدى الناظرين اليها. ومنها دراسات علاقات المدراء بموظفيهم أو علاقة الإنتاج بالسلوك أو بالرواتب والأجور، ودراسة الطلاق والانتحار والثأر وتزايد الجرائم والغش المدني أو التجاري أو السياسي وعلاقتها بالبيئات والمميزات الفردية والاجتماعية. وتحاول العلوم الطبيعية (كالفيزياء والكيمياء والأحياء والفلك) اكتشاف القوانين التي تسير عليها الظواهر الطبيعية. كدراسة المسافات المكانية والزمانية وقوانين علم الأحياء والفيزياء وقوانين مزج المواد في الكيمياء العضوية وغيرها . وتختلف هذه العلوم من حيث ان لكل علم منها منهجه وطريقة تصميمه في وضع النظرية وجمع المعلومات لفحصها ومن حيث الوحدة أو العينة المستخدمة تحت الدراسة.

الناس أجناس: وليس غريبا على المتعلمين وغير المتعلمين معرفة أن هناك تعقيدات في تعدد فئات المجتمع واختلاف طرق تفكيرهم وحلهم لمشكلاتهم اليومية أو العامة. فالناس كما يقال أجناس وهم يختلفون علما وسنا وجنسا ودخلا شهريا ومكانا، وهذه الاختلافات تجعل من الصعب على الباحثين الاجتماعيين ضبط دراسة المؤسسات التعليمية والعسكرية والتجارية والسياسية في المجتمعات بشكل كامل كالباحثين في العلوم الطبيعية. اذ من الصعوبة بمكان مثلا دراسة مؤسسة الجيش دراسة علمية تجريبية بوضعه في مختبر بأربعة جدران كما يفعل الباحثون الطبيعيون عند دراسة نوعية الدم مثلا في مختبر صغير. حيث تختلف العينتان وتختلف طرق التعامل معهما ومدى ضبط التجربة من قبل الباحث الاجتماعي والباحث الطبيعي. وهذه التعقيدات تجعل كل مجال دراسي مختلف عن غيره مما يستدعي التخصص بالنسبة لمجال البحث. حيث تعطي فائدة التخصص الباحث قدرة على فهم وتحليل الظواهر المراد بحثها. اذ أنه كلما زاد فهم ظاهرة ما (مثل ظاهرة الطلاق مثلا أو الزواج خارج العائلة أو خارج العرق أو الزواج بأكثر من واحدة) زادت المعرفة بفروعها بشكل عام وساندت فروع العلوم الأخرى .

حدود الانسان: ليس بمقدور باحث واحد أن يلم بتفاصيل كل شيء لأن معرفة الانسان محدودة زمانا (مهما طال العمر فهو الى توقف) ومكانا (البيئة المكانية تكون في بلد واحد وليس كل البلدان) وجهدا (فطاقات الانسان محدودة). والعالم واسع لايمكن تغطيته بحثا وتدقيقا بكل ظواهره خاصة اذا وضعنا في الاعتبار أن الباحثين لهم أمزجة مختلفة تؤثر فيها وتتأثر بها مؤثرات اجتماعية أو سياسية عديدة. فالباحثة مثلا: هي أم لطفلين وهي طالبة وهي عاملة وهي عضوة في اللجنة البرلمانية لمكافحة الغش التجاري . بالاضافة الى أن توقيت نتائج الأبحاث وسرعة تحقيق منافعها للناس قادة وتابعين تختلف بين العلمين الطبيعي والاجتماعي. فالعلوم الطبيعية تظهر نتائجها السلبية أو الايجابية في مدة أقل من المدة التي تظهر فيها منافع أو سيئات أبحاث العلوم الاجتماعية. ولتفسير **وظيفة التطبيق** نورد المثالين التاليين:

إذا أرادت موظفة أن تقود سيارتها فلا بد لها من معرفة **أصول القيادة**. فاذا عرفت القيادة من شخص آخر نظريا أي بواسطة الكلام فقط واكتفت بذلك وقادت السيارة فان **النتيجة المحتملة** تكون كما يلي: اما أن تؤذي نفسها أو تؤذي الآخرين من أشخاص ومباني أو تؤذي السيارة . فكما أن قيادة السيارة تحتاج الى اتقان نظري وتطبيقي معا فان العلوم بمختلف أنواعها تحتاج أيضا الى اتقان نظري أولا ثم تطبيقي ثانيا. ولذلك فالتطبيق مصمم لتحقيق التحكم في الجوانب النظرية لظاهرة ما أو لاستغلال العلاقات بين الأشياء اعتمادا على العلم بصورة متقنة . ففي مثال قائدة السيارة السابق نقول ان هناك علاقة بين عدم التدريب على قيادة السيارة وبين احتمال حدوث حادث مؤسف.

ونضرب مثلا آخر: اذا علمنا أن **السيارة** لا تستطيع السير دون بنزين فان معرفتنا لهذه الحقيقة تؤكد لنا أن **لكل نتيجة سببا**. وأن هناك علاقة بين **وجود الطاقة** (وهي البنزين هنا) وبين **تشغيل السيارة** واندفاعها الى الأمام أو الى الخلف. ومن هذا المثال ندرك أن هناك مصادر للمعرفة

النظرية وأخرى للمعرفة التطبيقية. فالمهندس يدرس فنون العمارة مثلا فاذا طلب منه اقامة بناء لمدرسة أو مستشفى أو عمارة . فانه يقوم بتطبيق ما درسه نظريا في فن العمارة باستعمال مواد تساعده على التطبيق مثل حسابات التكلفة ونوع المواد المستعملة وعدد العمال ومدة العمل في المشروع ولا يتأتى كل هذا العمل في أيامنا هذه الا باستعمال أجهزة الكمبيوتر والقياسات المعقدة ، فالحسابات دقيقة جدا وتأخذ وقتا طويلا اذا قام المهندس بحسابها بورقة وقلم.

وفي هذا المثل فان المهندس يحتل مركز القيادة وفريق العمل يحتل مركز التنفيذ والتطبيق . وقد يتقن المهندس كلا الوظيفتين: الادارة والتنفيذ ، ولكن التخصصات المختلفة تمنعه من ذلك فهو ذو علم نظري وتطبيقي على الورق وهذا تخصصه. وعليه فان فريقا آخر متخصصا يقوم بعملية التنفيذ وتطبيق النظرية لتكون بناء لمدرسة أو مستشفى أو غيره. وعلى هذا الفريق مراجعة المهندس في كل خطوة غير مفهومة حتى يتكامل العمل وينجح تطبيق النظرية.

فاذا حاولنا تطبيق نظرية انسانية (اجتماعية) على الانسان أو المجموعة فان التطبيق ليس سهلا كما هو الحال في بناء مدرسة أو تصميم سيارة أو تجميع جهاز كمبيوتر. فالانسان أكثر تعقيدا من الآلة . حيث ان له عقلا وعواطف ومعالجة المادة لتطويعها حتى تتناسب مع رسم معين يحتاج مادة أخرى تختلف اختلافا كثيرا عن تطويع البشر. ومن هنا تأتي أهمية الادارة الحديثة في المصانع والمدارس والمعاهد والمستشفيات والوزارات. فالمدرس كما يقال هو مهندس عقول وليس مهندس مادة متحجرة . والطبيب المعالج انما يعالج أناسا بدم ولحم وعواطف. فاذا أخفق في تطبيق النظرية العلمية فان العواقب وخيمة.

ويعتبر تطبيق العلوم الاجتماعية من الأمور الصعبة التي تواجه المتخصصين فيها والدارسين لها على حد سواء. لأن تطبيق النظريات الاجتماعية لا يكون بمنأى عن الناس الا ما ندر. فمخاطبة الناس

ومعاملتهم والتحجب اليهم واستغلال تعاونهم وحل مشكلاتهم يحتاج الى خبرة واسعة ومؤهلات عالية. حيث أنه لكل فرد كرامة (تقدر بالمال أو لا تقدر بثمن)، وشخصية فريدة (سهلة التعقيد أو معقدة) وحياة خاصة (سعيدة أو تعيسة) وعلى المتخصصين في العلوم الاجتماعية أن يلموا بالمعرفة الفنية للوصول الى الأفراد كل حسب عالمه. ويعتبر تعامل الباحث الاجتماعي مع الناس للحصول على المعلومات منهم من أجل دراسة ظاهرة معينة هو علم بحد ذاته. وعليه أن يتقن مناهج المخاطبة ومناهج التقرب من أفراد العينة حتى يستطيع فتح الأقفال فمثلاً: يريد الباحث أن يدرس ظاهرة التمييز في وظائف الشركات أو الحكومات من أجل ربط العلاقات المتشعبة الداعية لها أو المشجعة لها. وفي هذه الحالة على الباحث أن يتبع أفضل السبل التي توصله الى جمع المعلومات دون أن يوجد أعداء قد يؤثرون في البحث ويوجهونه وجهة لا يريدها الباحث. وعليه في هذه الحالة أن يحسن اختيار الظروف والوسائل الممكنة والمناهج المناسبة من أجل الوصول الى ضالته. وهذا علم بحد ذاته. ولا بد للباحث أن يحدد هدفه من الدراسة ويصممها تصميمًا مبنيًا على المنطق. وعلى الباحث العالم أن لا يصف فقط ما يرى بل يتعداه الى التحليل وربط العلاقات بين الأشياء الملاحظة. وهو ما يسمى بالنظرية وهي مجموعة الأفكار المنظمة حول موضوع ما للنتبؤ بالعلاقات التي تربط بين عناصره. وبالنسبة للباحث الاجتماعي فان معرفة العلاقات البشرية نظريًا دون الوصول الى التطبيق على مشاكل البشر هي معرفة قاصرة. ولا يظهر اتقان النظرية الا من خلال تطبيقها. فالعلم شئى والتطبيق شئى آخر. فوظيفة العلم تكمن في بناء النظريات التي نصل اليها من خلال المنهج العلمي المتدرج ليجيب عن أسئلة كثيرة مثل: ما هي المشكلة؟ وما هي مفاهيمها؟ وما العلاقات السلبية أو الايجابية التي تربط بين مفاهيمها؟ وكيف ندرسها؟ وما المقاييس المستعملة لقياسها؟ ومتى ندرسها؟ وأين ندرسها؟ ولماذا ندرسها؟ وكيف نحلل نتائجها؟

وللاجابة على هذه الأسئلة نصل الى **تعميمات تجريبية** أو نظريات علمية قابلة للفحص.

أمثلة على الفرضيات والتعميمات التجريبية:

- المكاتب الحكومية عادة تكون في المدن (العاصمة مثلا) وليس في القرى.

- كلما زادت الطرق في بلد ما كلما زاد اتصال الناس ببعضهم لبعض.

- كلما زادت الأخلاق عند الناس قلت جرائمهم.

- الأنتحار بين المتدينين أقل منه بين غير المتدينين .

- كلما زاد المستوى التعليمي كلما زاد الدخل الشهري.

- كلما زادت الصناعة في مجتمع كلما كثر استعمال النساء للسوتينيات أو الصديريات. (تصرف الفتيات وهن في التاسعة من أعمارهن ما يزيد على مليوني دولار على شراء السوتينيات سنويا في الولايات المتحدة) .

- كلما زاد عدد الدارسين في الجامعات - - كلما زاد عدد النساء في الجامعات زاد عدد الحاصلات على شهادتي الماجستير والدكتوراه.

وهذه التعميمات التجريبية (النظريات) كانت فرضيات قبل توكيدها علميا. فهي تصف العلاقة بين متغيرين أو شيين. وهي اما أن تكون علاقة موجبة أو علاقة سالبة أو عدم وجود علاقة. ففي المثال الأول نلاحظ العلاقة المضطردة بين وجود المكاتب الحكومية والمدن الكبيرة. وفي الثاني علاقة مضطردة أيضا بين تسهيل المواصلات واتصال الناس، وفي المثال الثالث نلاحظ علاقة سلبية بين قوة الوازع الديني والجريمة، وفي الرابع تبين العلاقة بين الانتحار وبين الدين، وفي المثال الخامس تربط بين المستوى التعليمي والدخل وهكذا. ولا يمكن التأكد من هذه الفرضيات والتعميمات الا باتباع المنهج العلمي بحثا وقياسا وتحليلا وفهما. وهناك نوع آخر من التعميمات التجريبية هو الوصف والتفسير .

مثلا: الفلسطينيون يأكلون الخبز أكثر من غيرهم. أو أهل الريف يأكلون خبزا أكثر من أهل المدن. أو الفقراء يأكلون خبزا أكثر من الأغنياء. فاذا ربطنا بين هذه التعميمات وجدنا أن هناك علاقة بين الجنسية واستهلاك الخبز وبين الفقر واستهلاك الخبز وبين مكان الإقامة واستهلاك الخبز. ويمكن هذا الوصف أن يوصلنا الى نظرية عامة عن استهلاك الخبز. وهكذا يتم بناء النظرية ؟

مثال تطبيقي على بناء النظرية من الفرضيات: THEORY CONSTRUCTION

هناك نوعان من النظريات وهما : النظريات العامة الكبرى Grand Theory وهي نظريات تشمل المجتمع أو المجتمعات في زمن ومكان أو أزمنة وأمكنة مختلفة. ومثلها أن تطور الفكر الانساني في المجتمعات مر في ثلاث مراحل حسب نظرية أوغست كومت وهي مرحلة البدائية التقليدية ومرحلة التفكير المجرد ومرحلة التفكير الوضعي. والنظريات المتوسطة Middle Theory التي تدرس مستويات أقل من مستويات النظريات الكبرى وتهتم بالمؤسسات والمميزات الجماعية للأفراد. وتحاول ربط المعلومات بالنظرية. ولنفرق بين النوعين نورد الأمثلة التالية على النظريات المتوسطة والنظريات العامة من دراسة عن الطلبة المغتربين في الولايات المتحدة قام بها الكاتب (يحيى 1984) .

أمثلة أخرى على الفرضيات في المجتمع الأمريكي من العرب والمسلمين:

1. الذين يساهمون في نشاطات (المسجد) المركز الاسلامي أقل انحرافا من الذين لايساهمون فيها.
2. الطلبة الجدد أكثر اسهاما في النشاطات من الطلبة القدامى.
3. الطلبة المتزوجون أكثر مشاركة في نشاطات المركز الاسلامي من غير المتزوجين.

4. القاطنون قرب المسجد يساهمون في نشاطاته أكثر من القاطنين بعيدا عنه.

5. كلما زاد عدد الأولاد في الأسرة زادت مشاركة الأسرة في نشاطات المركز الاسلامي. وهكذا .

التطبيق من الفرضية الى النظرية: FROM HYPOTHESIS TO THEORY

اثبات أي من هذه الفرضيات علميا يؤدي بنا الى نظرية متوسطة. فعلاقة المشاركة في النشاطات وبين الانحراف **نظرية متوسطة**. فكلما زادت المشاركة (+) نقص الانحراف (-) . وكلما نقصت المشاركة (-) زاد الانحراف (+) بين أفراد العينة المختارة. فاذا رمزنا للمشاركة بالحرف (س) والانحراف بالحرف (ص) فان العلاقة تكون اما علاقة سلبية أو تكون علاقة ايجابية أو تكون بلا علاقة .

ويمكن اعتبار المثال الثاني أيضا **نظرية متوسطة**. مفادها أن هناك علاقة بين المدة التي يقضيها الطلبة في أمريكا وبين مقدار المساهمة في نشاطات المركز الاسلامي. وهكذا في الأمثلة الأخرى.

التطبيق من النظرية المتوسطة الى العامة: MIDDLE TO GENERAL THEORY

ولكن كيف نربط بين هذه التعميمات أو الفرضيات أو النظريات المتوسطة لنخرج **بنظرية عامة** حول دور العقيدة بشكل عام في أي زمان أو مكان؟ فاذا كان المسجد كما لاحظنا من الفرضيات المعطاة يقلل الانحراف بين الطلبة الجدد والقاطنين قربه والمتزوجين ولهم أولاد. فمعنى ذلك أن هناك خطأ يربط بين هذه المتغيرات هو العقيدة وليس المكان . ويمكن هنا استخلاص **نظرية عامة** من المثل السابق تقول: المشاركة في نشاطات المراكز الدينية (اينما وجدت ومتى وجدت) عنصر هام من عناصر القضاء على الانحراف أو أن أماكن العبادة (مهما كان الدين أو مهما كانت العقيدة) تقلل من الانحراف. وهكذا.

التطبيق من النظرية العامة الى القانون :

ونقوم عن طريق التعميمات والنظريات السابقة التي تكونت من عدة فرضيات بتحويل النظرية الى قانون مطلق يقول : **العقيدة تزيد من تماسك المجتمع**. وكما نعلم لا العقيدة شيء نراه بالعين المجردة ولا المجتمع بكل مؤسساته إلا أننا توصلنا الى النظرية ثم الى القانون من خلال المنهج العلمي في دراسة مشاركة الطلبة في المراكز الاسلامية وهي شيء نراه ونستطيع قياسه بمقاييس الصفات كالمكان والحالة الزوجية وعدد الاولاد والانحراف. وهذا قانون عام في علم الاجتماع. اذ أن الأبحاث العلمية أثبتت أن العقيدة الدينية تسهم في التماسك بين أفراد المجتمع والوازع الديني يقلل من الجرائم والانحرافات بين أعضائه.

شرحنا فيما سبق كيف توصلنا من الفرضيات الى النظرية المتوسطة فالنظرية العامة ثم الى القانون. وعليه نقول ان النظرية هي فهم وتفسير علمي لظاهرة اجتماعية تحتوي عدة حقائق ترتبط ببعضها البعض. أما القانون فهو وصف النظرية بشكل سببي. أي أن هناك شيء يعتبر سببا لشيء آخر. والمثال واضح: فوجود العقيدة في مجتمع ما (من تقاليد وعادات وقيم) يؤدي الى التماسك الاجتماعي بين أفراد ذلك المجتمع ، وهذا قانون دائم.

فحص النظرية علميا:

قلنا أن التعميمات التجريبية انما تكون نتيجة ملاحظات. ومن أهم ما يقوم العلم به بعد وجود النظرية هو فحصها عن طريق اعادة البحث من جديد أو عن طريق صحة ما يتنبأ به الباحث من علاقات. فمثلا النظرية أعلاه تقول أن المسجد يوحد بين المسلمين. وبناء عليها نتنبأ بعدم وجود خلافات بينهم، كما نتنبأ بكثرة الزيارات بينهم وكثرة تسامحهم فيما بينهم. فاذا أردنا التثبت من صحة النظرية علينا أن نعيدها ونستعمل نفس الاستبيان الذي استعملناه في البحث الأول ثم نجمع المعلومات ونحللها في الكمبيوتر

ثم نضع النتائج. فإذا وجد ما يثبت النظرية كان ذلك ما نريد من النظرية. أما إذا كانت ملاحظتنا بعكس النظرية فلا بد من وجود احتماليات لعدم صحتها في ظرف مختلف. وإذا كانت قانونا فالقانون غير متغير وعليه فإن العيب ليس في النظرية وإنما في القياس المتبع ومدى صدقه (Validity) الظاهري أو الداخلي أو التطابقي أو التنبؤي) أو في الباحث أو في الناس وتصرفاتهم وعدم انسجام علاقاتهم كما يقول القانون أو النظرية. وهو ما يسمى **بالتغيير السلوكي الاجتماعي** (وفي المثال السابق الانحراف عن الدين) في المجتمع. وهي ظاهرة أخرى تحتاج إلى دراسات بحثية حسب المنهج العلمي لمعرفة أسبابها والظروف التي أوجدتها وكيفية معالجتها إيجابيا أو سلبيا في مجتمعات سريعة التغيير.

*** من كتاب **مناهج البحث في العلوم الاجتماعية** **للمؤلف**.

Article Sixteen

نبضات وإشكاليات حول دراسة المجتمعات

د. حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان - الولايات المتحدة

PULSES AND MISTAKES

IN STUDYING SOCIETIES

HASAN YAHYA, PH.D

يتساءل كثير من العلماء والسياسيين وبشاركهم كثير من الناس العاديين حول تقدم الغرب وتأخر الشرق. وفي هذا انحراف - غير يسير نسبيا - عن الحقيقة العارية. فلا الغرب متقدم ولا الشرق متأخر. والعكس في هذه الحالة قد يكون صحيحا. فليس الشرق متقدما على الغرب إلا تاريخيا وحضاريا. فهناك حضارات سادت ثم بادت، والأمر واضح إسلاميا في القول الكريم "وتلك الأيام نداولها بين الناس". وكل ما في الأمر في اعتقادي أن هناك إشكاليات حول الموضوع قد توجد بين مؤسسات المجتمع المحلي كما توجد بين المجتمع المحلي من جهة وغيره من المجتمعات شرقا أو غربا من جهة أخرى. وأول هذه الإشكاليات هي

التعميم النمطي الخاطيء حول الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فاليابان مثلا وكذلك نيوزيلندا وأستراليا وستلحقهم الصين قريبا لا تقع في الغرب وإنما تقع في الشرق وإن كان في اعتقادي ليس هناك شرق أو غرب أكثر مما هو متعارف عليه كظاهرة طبيعية تتبع مطلع الشمس وغروبها ، لأن الشرق أحيانا يكون غربا بالنسبة للجهة التي ينظر منها إلى الشرق والغرب . فالدول العربية وماليزيا وباكستان والهند مثلا هي دول غربية بالنسبة للصين وتعتبر الولايات المتحدة ودول أوروبا من الدول التي تقع في الشرق بالنسبة للصين كذلك . والإشكالية الأخرى هي أن **التقسيم إلى شرقي وغربي بحد ذاته تقسيم أيديولوجي** من جانب واحد فرضه إلى جانب الأيام والتاريخ أصحاب القوة الرأسمالية في الدول الصناعية ورغم أنه وصف دقيق جيوغرافيا إلا أنه يحمل معنى متحيزا . فمرة يعني الحركة والتغير فيقال إن الشرق متأخر وإن الغرب متقدم أو أن الغرب صناعي والشرق زراعي ، أو إن الغرب قوي والشرق ضعيف ، لهذا فإنه تقسيم منحرف نسبيا أيضا عن الحقيقة . وإن كان تقسيما حقيقيا في البداية بالنسبة لمطلع الشمس ، إلا أنه انحرف عن معناه بعد فترة استعمار الشعوب والاتفاقات التي جرت للمشاركة في المصادر الطبيعية واستغلال تلك المصادر لمنفعة الشعوب أو منفعة مستغليها من القوى الخارجية ، حيث أخذت سبل التواصل بين الدول الشرقية والشرقية أو الغربية والغربية أو الشرقية والغربية تنحى منحنا جديدا من التبعية في وسائل العيش (بالاعتماد على المخترعات والتكنولوجيا) ، والحماية (بالاعتماد على المساعدات العسكرية) ، والعلمية (بالاعتماد على التقدم التعليمي والصحي والعلوم الفضائية والمعلوماتية) . وقد تراوح اعتماد الدول على غيرها تبعا للانحياز التام أو النسبي أو عدم الانحياز التام أو النسبي إلى معسكر الاتحاد السوفييتي في شرق العالم العربي أو إلى أوروبا في بداية الاتصال والولايات المتحدة بعد الستينات في غرب الوطن العربي وشرقه . والإشكالية الثالثة هي أن **دول العالم شرقية أو غربية لن تبلغ ما بلغته الدول المتقدمة صناعيا في يوم وليلة** ، ولن يكون الوقت نفسه الذي استغرقه سير ذلك التقدم . فالعالم متغير بسرعة لا يمكن وصفها بل يتغير بسرعات متفاوتة إذا أخذنا في الاعتبار سباق التراث مع التكنولوجيا والمخترعات وتعدد مجالات التغيير الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ولعل أفضل مثل يمكن أن يشرح تلك المقولة هو أن البدوي اليوم في الصحراء أو الفلاح في القرية (والمدينة) يمتلك جهاز كمبيوتر حاسوب خاص به كما يشاهد أفراد أسرته برامج غربية وإعلانات تجارية من خلال التلفاز ، وله أبناء يدرسون في الغرب ، ولكنه يحافظ على التراث بمنع أو حتى معاقبة أولاده إذا أبدوا رغبتهم بالانتقال من الحي بعد الزواج أو يعتبر مجرد تحدث البنات مع الذكور من خارج الأسرة جنحة أو جناية لا تغسل إلا بالدم في بعض الأحيان . فالتراث والتكنولوجيا تتقدمان كلعبة سباق

السلفاء والأرنب ، ولكن مقارنة التقدم بينهما مجحفة وغير عادلة . واحترام التراث لا يعني تأخرا وإن وصمه بعض الكتاب بتلك الصفة . وهناك علاقة مضطربة حسب ما توصلت إليه البحوث العلمية بين التقدم التكنولوجي وبين انفصام عرى الأسرة ونفشي الجرائم والأخلاقية والجسدية وتنمية الانفرادية وحب الذات والانفصال عن التراث ومقومات الأسرة والاتجاه إلى الطرف الآخر عاطفيا ماديا أو روحيا. خذ مثلا الزواج الأزرق في فلسطين ، وهو الجراة على الزواج من يهوديات مواطنات أو فلسطينيات مواطنات قبل 1948 من أجل المصلحة ، وتزايد ظاهرة الزواج بأجنبيات في بعض دول الخليج والدول العربية ، وازدياد زواج السود من البيض أو العكس في أوروبا والولايات المتحدة ، وزواج اليهوديات من غير دينهن كذلك ، والزواج من خارج نطاق الأسرة والدين والتراث في دول أخرى . حتى أن النكتة المشهورة عن أحد الذين تزوجوا من أوروبية تمثل هذه الظاهرة حيث أجاب حين سئل عن دينه فقال: أنا كاثوليكي مسلم. ولا نريد أن يعتقد القراء هنا أننا نحكم على هذه الظواهر بالسلبية أو الإيجابية فليس ذلك من شأننا ، وإنما نعطي أمثلة على اختلاف سرعة التقدم بين العادات التراثية وبين الاختراعات والتكنولوجيا . فقد كان الناس في الولايات المتحدة يجرمون زواج البيض بالسود أو زواج السود بالبيض ، وقد كانت نسبته قليلة جدا في الخمسينات تزايدت مع الأيام. وتزايدت نسب الخروج عن التراث مع تزايد نسب وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة مع الأخذ بالاعتبار أن تلك النسب تختلف من شعب إلى آخر .

أما الإشكالية الرابعة فهي تفاوت القدرة على تصور مستقبل الوضع الراهن في تاريخ الأمم والشعوب . ومعنى ذلك أن الناس كالدول يتفاوتون في تصوراتهم حول المجتمع المحلي أو العالمي بعد عشر سنوات أو عشرين أو خمسين سنة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا واتصاليا. ويختلف هذا التصور بين الأفراد والشعوب والدول نسبيا باختلاف الرغبة في التغيير وتشجيع مؤشراتته ، فالرغبة في التغيير تكون محكومة سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا ، حيث إن تشجيع مؤشرات التغيير في بلد ما يختلف عنه في بلد آخر بحكم ثروة المصادر الطبيعية أو المصادر البشرية أو اختلاف نسبة الذكور والإناث في بلد ما أو اختلاف نسبة المواطنين والوافدين أو اختلاف نسبة الأغنياء والفقراء أو اختلاف نسبة استخدام التكنولوجيا أو نسبة الانغلاق أو الانفتاح على التراث الآخر أو نسبة التواصل بين الأمم والحضارات أو اختلاف روح العصر . هذا التصور المستقبلي يتراوح اتساعا بين الشعوب التي تسابق العصر في التربية والتعليم والشعوب المستكنة لمستواها التربوي والتعليمي ، وبين الشعوب الصناعية والشعوب الزراعية ، وبين الشعوب التي تسكن المدن بأعداد متزايدة أو تسكن الأرياف والبادي والصحاري بأعداد أقل .

وقبل أن أدلف في إشكاليات تخص الظواهر الاجتماعية من ناحية علمية ومنطقية بحثة في العالمين العربي والإسلامي ، لا بد من القول أن لكل علم من العلوم مهمتان أو وظيفتان : **وظيفة علمية وأخرى تطبيقية** ، فأما الوظيفة العلمية فهي التي تتمثل في إرساء قواعد العلم ومناهجه في تحري الثبات والصدق عند تجميع المعلومات المناسبة للموضوع المطروح . وأما المهمة الأخرى التطبيقية فهي التي تسهم في رفع مستوى البشر في كل مكان وخاصة في البيئة التي يطبق فيها العلم أو نتائج البحث عبر توصيات واقتراحات تقدم إلى صانعي القرار من السياسيين والأكاديميين وغيرهم . والمهمة الثانية في نظري لا تستغني عن المهمة الأولى ، بمعنى أن خطوات العلم ومناهج تطبيق تلك الخطوات ينعكسان إيجابيا أو سلبيا على طريقة تطبيق النتائج . طرق العديد من الكتاب قديما وحديثا بعض الإشكاليات في العالمين العربي والإسلامي حول الظواهر الاجتماعية . والإشكاليات هي الخلافات المترتبة على الفروق المكانية أو الزمانية أو العقيدية أو العنصرية أو العصبية أو السياسية أو التراثية أو السلوكية ، أما الظواهر الاجتماعية فهي الحوادث التي تنحرف عن الأصل قليلا أو كثيرا أو عما كان متبعيا في الماضي من أحوال أسرية أو أحوال دينية أو أحوال سياسية أو أحوال اقتصادية ومنها تطور فكرة الزواج أو نهج الطلاق أو طرق التفكير الاجتماعي أو السياسي أو طرق كسب المعاش ووسائل الاتصال والمواصلات .

كتابات متصلة بالموضوع :

بعد أن انتشر الإسلام كانت الحاجة في الأصقاع الإسلامية تستدعي وجود ثقافت في الحديث والسيرة ، وكانت المشكلة تتمثل في أهلية رواية الحديث في عصر كثر وضع الأحاديث فيه لدرجة أن علماء الحديث تعرضوا للكاذبين الواضعين كما فعل الأعمش (ت148) وقصته مشهورة في كتب التاريخ حيث ادعى أحد القاصين أن الأعمش حدثنا عن أبي إسحق ، وكان الأعمش حاضرا ، وأثبت كذبه لأنه لم ير القاص من قبل . وكان الزنادقة أكثر جراءة على الوضع وهم يعترفون بذلك . وقال المهدي الخليفة العباسي : "أقر عندي رجل من الزنادقة أنه وضع أربع مائة حديث فهي تحول في أيدي الناس" (وابن الجوزي يذكر مائة حديث بدلا من 400) ، وقال عبدالكريم بن أبي العوجاء : "والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل فيها الحرام ، ولقد فطرتكم في يوم صومكم وصومتمكم في يوم فطركم." (ابن الجوزي: الأحاديث الموضوعة 4/1 أ) وكان حماد بن زيد يقول : "وضعت الزنادقة على رسول الله أربعة عشر ألف حديث." (أكرم العمري :ص 35 عن العراقي:فتح المغيث/127) فكان ظهور أئمة المذاهب الأربعة المشهورة (بين القرنين الثاني والثالث الهجريين) أو الأئمة العشرة في الحديث الشريف في القرن الثالث الهجري أحد أهم التطورات لحل مشكلة الوضع ، وقام بعدهم بقرن من الزمان الفارابي (870-950م) فكتب

نوعاً آخر من المواضيع السياسية والاجتماعية حيث كتب "المدينة الفاضلة" وفيها يسلم القيادة للفلاسفة وأهل العلم ، وكان يعيش في كنف سيف الدولة الحمداني ، كما ألف الغزالي (1058-1111م) كتابه "إحياء علوم الدين" و "تهافت الفلاسفة" بعد أن رأى الناس يعطون أهمية للفلاسفة ويتركون أساسيات الدين ، وتبعه ابن رشد (1126-1198م) في كتابه "تهافت التهافت" رداً على الغزالي في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي وكان يعيش في كنف الموحدين ، وخرج ابن تيمية بمنهجه الأصولي في بداية القرن الرابع عشر (1263-1328م) ، وظهر ابن خلدون (1332-1405م) في نهاية القرن الثالث عشر وكتب "المقدمة" في التاريخ . وكما نرى فإن كتابة معظم هذه المؤلفات حصل بعد وجود مشكلة أو ظاهرة اجتماعية عامة تتحرف بالمجتمع في اتجاهات غريبة مما احتاج إلى حل مستعجل للعودة إلى الأصول أو الدفاع عن الاتجاهات الجديدة الغربية على مدى التاريخ أو الغربية في نهاية التاريخ حسب كتابات فوكوياما وصموئيل هانتنتجتون . وقد كان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية واتصال العرب بغيرهم والتكسب بالكتابة للشهرة والمنافع الشخصية أثر في ذلك . وفي قضية أئمة المذاهب الأربعة من حيث المكان ، كان مقام الإمام مالك في المدينة ولكن أتباعه نشروا مذهبه في شمال أفريقيا والسودان ، وكان الإمام أبا حنيفة النعمان في الكوفة ، وكان الإمام الشافعي في بلاد الشام والعراق ، وكان الإمام محمد بن حنبل يقطن الجزيرة وفيها انتشر مذهبه الذي تبعه وزاد في نشره ابن تيمية فيما بعد . وقد انتشر أئمة جمع الحديث وكتاب السيرة النبوية بين الجزيرة والبصرة والكوفة وبلاد الشام . ورغم قلة العلماء بعد القرن الرابع الميلادي ، إلا أنه ظهر عدد منهم في فترات متفرقة ومنهم ابن القيم الجوزية في منتصف القرن الرابع عشر ، ومحمد بن عبد الوهاب في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ، وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في نهاية القرن التاسع عشر . وقد ظهر كلاهما في وقت عصيب يمر به العالم الإسلامي فكانت كتابتهما تحث على فهم العصر من منظار الأصل . وكان محمد عبده أجراً على التطرق لمشاكل عصره وأجراً على العامة منه على الخاصة حيث كان ممن يؤيدون بقوة ، الوضع الراهن في عصره .

وفي رأيي أن موضوع فهم وتحديد إشكاليات أي موضوع للدراسة يعتبر من أهم العناصر للكتابة العلمية الهادفة . ومعظم الإشكاليات تصدر عن عدم فهم وتحديد الفروق بين ما هو علمي نظري منطقي بنائي وبين ما هو عملي تطبيقي عاطفي وظيفي لذا فإن التفاوت والاختلاف لا بد وأن يحصل في كتابات الكتاب المتخصصين وغيرهم على حد سواء . ويتشابه الكتاب والمفكرون والعلماء في العالمين العربي والإسلامي مع غيرهم من الكتاب والمفكرين والعلماء في العالمين الشرقي والغربي (من الصين إلى الأمريكتين) . وفي رأيي من أجل تلافى مثل تلك الفروق

والإشكاليات فإن الأمر يحتاج إلى قاعدة علمية تكون أساسا لكل باحث أو متناول لأي موضوع سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو اتصالي . وعلى الكتاب والمفكرين والعلماء أن يتقيدوا بهذه القواعد وأن يسيروا على هديها وأن يطبقوا بمقتضاها تحليلاتهم للمشاكل التي يتناولونها بالوصف أو البحث أو التقصي . وحسب رأيي المدعوم بالبحث العلمي على تواضعه خلال السنوات الخمسة عشر الماضية ، فإن هذه القواعد العلمية تتضمن مهارات وملكات وقدرات علمية أولها ملكة القدرة المتخصصة على فهم النظريات الحديثة وخاصة النظرية القمرية من أجل التفريق بين الإشكاليات المنطقية النظرية والإشكاليات العملية الواقعية . فإذا تمكن الباحثون والباحثات من امتلاكها فإنهم سيكونون قد أسسوا لأنفسهم جوازا يدخلهم إلى عالم العقل الذي يميزهم عن سائر غيرهم ممن يعيشون ليأكلون ويعتمدون الإشاعة حقبقة والعرف دينا . وأن يخلصهم من الانتماء العشوائي ليمين أو ليسار . أو لشمال أو جنوب ، كما يؤهلهم أن يكونوا روادا وقضاة وثقاتا عدولا فيما يبحثون فيه من تخصص . وفيما يلي نجمال بعض هذه الإشكاليات المقترحة ، وقد رمزنا إلى الإشكاليات النظرية المنطقية بالعمودية وإلى الإشكاليات الواقعية بالأفقية . وسنحاول تطبيق هذه الإشكاليات المقترحة حسب النظرية القمرية (أو الهلالية) التي ينادي بها الكاتب .

من مجموعة الإشكاليات النظرية المنطقية الموضوعية العامة الشاملة العامودية عند كل أمة من الأمم لا تستطيع السير في مضمار الحضارة ولا تفهم التغيير وتوجهاته بغض النظر كانت تلك الأمة شرقية أم غربية ، ما يلي:

- إشكالية الشكل والمضمون Form and Content (أو إشكالية المادة والروح) فالاهتمام بالشكل يأخذ حيزا كبيرا من كتابات المؤرخين والسياسيين والصحفيين وغيرهم . ويبقى المضمون دون وعي عند أكثرهم فتحصل الإشكاليات بين مؤيد ومعارض وبين مهاجم ومدافع لا يلتقي أحدهما بالآخر إلا ما ندر منهم . ويغلب الشكل في أكثر الأحيان على المضمون وتأخذ الكمية مكان النوعية فتضيع الحضارة ويتوه أصحابها في كل درب بعيدين عن البناء العقلي والفكري الذي يتسم بالمهارات المكتسبة التي يمكن لأي إنسان أن اكتسابها ما دام له عقل إنسان وليس جيب إنسان .

_ إشكالية مستوى التحليل Analysis Level أو إشكالية العام والخاص General and Particular ، وهو عدم القدرة على التفريق بين ما هو عام وما هو خاص في البحث العلمي ، فتمتزج المستويات وتضيع الفكرة والعناصر ويصبح البحث العلمي عملية إنشائية تراوح بين المستويات ولا تجد لنفسها مخرجا لها من ذلك .

_ إشكالية المصالح العامة والمصالح الخاصة *Public and Private* ، ومنها القدرة على التمييز بين نوعين من المصالح ، مصلحة تخص المواطن وحده كأبحاث السلوك والتغير الاجتماعي ، ومصلحة لا بد من أن يكون للدولة الجزء الكبير في ضبط تلك المصالح والمساواة في توزيعها ، وإن كان بينهما تزواج لا ينفصم إلا أنه لا بد من التمييز بين ما تقوم به الدولة فيما ينضوي تحت المصالح العامة وبين مسؤوليات الفرد من مصالح خاصة . وكلاهما سند يدعم الآخر ويتصلح معه لا أن يتنافر

_ إشكالية أحادي المصالح و متعدد المصالح *Unilateralism & Multilateralism* ، كثيرا ما يختلط الأمر على الباحثين والباحثات والمفكرين في التمييز بين ما هو أحادي المصلحة وهي خدمة هدف محدد ، وبين ما هو متعدد المصالح أو خدمة عدة أهداف من البحث . وقليلون هم الذين يعرفون استعمال كل منهما حسب مقتضيات البحث ووسائله .

_ إشكالية الكمية والكيفية *Quality & Quantity* ، يخلط كثير من الباحثين والباحثات بين ما الكيفية والكمية في إجراء البحوث العلمية ، وقد تخدم معلومات قليلة الهدف البحثي أكثر من المعلومات المكثفة التي لا تقيد الهدف ولا تحققه للباحثين . ولكل منهما مقاييسه الإحصائية وطرق تحليل معلوماته ، واقتراح نتائجه .

_ إشكالية المثالية والواقعية *Idealism & Realism* وهي إشكالية توقع الباحثين والباحثات في مشكلة تمييز ما هو مثالي عما هو واقعي ، وكثيرا ما يلتبس الأمر على الباحثين والباحثات والمختصين والمختصات في مجال البحث العلمي فيعتبرون الأمر واقعيًا وهم يقصدون التخيل المثالي والعكس صحيح ، أي يعتبرون الأمر مثالياً وهم يقصدون الواقع .

_ إشكالية النظرية والتطبيق *Theory & Practice* ، وعادة ما يكون التنظير غالبا على التطبيق ، ودور الباحثين لا بد وأن يعطي أهمية للتطبيق على النظرية ، فالنظريات كثيرة ويمكن تطبيق أكثر من نظرية على الواقع . وفي كثير من الأحيان تخدم البحوث التي أجريت في العالمين العربي والإسلامي النظرية المستوردة من الغرب دون معرفة تطبيقها وتحجيمها حسب البيئة العربية والإسلامية . فالنظريات السلوكية كثيرة مثل نظريات فرويد وبياجية ، وإذا لم يؤخذ في الاعتبار التراث الإسلامي وقيادة الذات في التصرفات الاجتماعية فإن الهدف من النظريات يضيع نظرا لما فيها من مادية وجشع نفسي وطمع حيواني لا يتناسب مع التراث الإسلامي الذي يربي الفرد على أن يكون عضوا في مجموعة سواء كانت أسرة أم صحبة أم صداقة أم جيرة أم شعبا أم أمة .

_ إشكالية السبب والنتيجة *Cause & Consequences(or Effect)* ، تعتبر إشكالية السبب والنتيجة من أعقد الأمور في الأبحاث نظرا لما للأسباب المتعددة التي تشترك في نتيجة واحدة أو عدة نتائج . ولا بد من التحكم في العمليات الإحصائية التي تبين الخطأ المعياري في كل معادلة ،

حتى نصل إلى السبب العام وليس الأسباب الفرعية للنتائج . ولا بد للباحثين والباحثات أن يكونوا على علم بتحليل العنصر أو العناصر لتوكيد حجمه في الظاهرة المدروسة . وفي كثير من الأحيان يستخدم تحليل العنصر في التوقعات السياسية أو الظواهر الاجتماعية أو السلوكيات الفردية بناء على خبرات سابقة تفرغ إحصائيا وتحلل إحصائيا بحيث لا يكون هناك أي حظ للخطأ الشخصي في عملية الحسابات.

Article Seventeen

عناصر النقد الأدبي

للدكتور حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

PRINCIPLES OF LITERATURE CRITIQUE

HASAN YAHYA, PH.D

يحتاج الناقد مهارة خاصة في تحديد عناصر الأدب عند نقد قطعة نثرية أو شعرية أو حتى لوحة زيتية ، وهذه العناصر حسب اعتقاد كثير من النقاد أربعة ، وهي : العاطفة والخيال والمعاني والأسلوب . فإذا خلا النقد الأدبي من أحد هذه العناصر اعتبر النقد جزئيا ولا يعتد به إلا في مجاله ، وكثيرا من النقاد من يتعرض للعاطفة فقط في عمل أدبي سواء أكان ذلك العمل نثريا أم شعريا . ولا بد للناقد أن يكون واعيا لعنصرين يعكسان روح العصر الذي قيل فيه النص أو كتب ، وهما عنصر الزمان ، وعنصر المكان ، ويضاف إليهما ثقافة الأديب ونفسيته و غرض نصح . ونحن على علم بأن أغراض الشعر تختلف في عصر عن غيره من العصور ، كما تختلف الأغراض عند الأديب الواحد ، وإذا كان الشعر ما هو إلا انعكاس لنفسية الشاعر ، وأحاسيسه ، فإنه يكون أيضا انعكاس للحالة النفسية التي يمر فيها الشاعر فتصف حاله ، فهو مرة شاعر بالتحسر والأسى لفقد حبيب ، ومرة أخرى بالشوق والحنين للقاء حبيب ، ومرة ثالثة بالوصف الدقيق لما حوله من بيئة طبيعية أو بشرية ، ومرة رابعة بالمدح تكسبا أو عرفانا بالجميل ، ومرة خامسة بالعتاب وطلب

الصفح ، ومرة سادسة بالغضب فيهجو بلسان سليل ، وهو أي الأديب يمزج عاطفته بالخيال في كل ما سبق . وتعتبر **العاطفة** أكثر الميزات ظهوراً في الأدب . وتكون نسبية للموضوع التي يتناولها الأديب . أما **الخيال** فهو المحرك للعاطفة ، ولا تكون هناك عاطفة بدون خيال أو تخيل . أما **المعاني** فهي أساس لكل أنواع الأدب ما عدا الموسيقى . وتظهر أهمية المعاني فيما تدل عليه ، خاصة في مواضيع الحكم والمواعظ والأمثال الشعبية ، ويكون للمعاني ودلالاتها أهمية خاصة في التعبير . وهي تزيد من الصورة جمالا أو قبحا حسب الغرض في النص ، أما **الأسلوب** وهو نظم الكلام وطرائق تأليفه فهو وسيلة للتعبير عن الآراء والأفكار وهو فن قائم بنفسه . وله عناصره ، ولا يكون للعناصر الأربعة قيمة إلا باجتماعها في النص الأدبي لأن عناصر الأدب تؤثر ببعضها البعض . فنزديدها رونقا وبهاء وحسن تعبير . وتتحصر العاطفة الأدبية في الشعر مثلا حسب النقاد العرب الأوائل في أربعة قواعد وهي : "الرغبة ، والرغبة ، والطرب ، والغضب " فمع الرغبة يكون المدح والشكر ، ومع الرغبة يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ، ومع الغضب يكون الهجاء والوعيد والعتاب . وهذا الوصف يراعي ما يشعر به الأديب لا ما يشعر به المستمعون بالشعر . ولكن كيف تقاس العاطفة في قطعة أدبية أو عمل أدبي ؟ وعلى ماذا يعتمد النقاد في نقدهم؟ قيل إن **الصحة والاعتدال** أمران لازمان في العاطفة ، عاطفة الشعر أو عاطفة الأدب النابعتين من التشاؤم لا تكون عاطفة صحيحة . وإنما عاطفة مريضة ، والشعر الجيد هو الذي يثير العواطف بقدر وبيئتها يعمق . لأن المغالاة والكذب في العواطف يدمران الشعر والأدب . أنظر إلى شعر أبي الشمقم حيث يصف حال نفسه ، فهو لا يملك شيئا في الحياة وجسمه اضمحل حتى لم يعد يظهر خياله على الأرض لشدة نحول جسده ونحافته، ويتمادي في الوصف حتى أن فقره يعطيه الحق في أن يأكل أولاده ، فيقول:

أنا في حال تعالى الله ربي أي حال
ليس لي شيء إذا قيل لمن ذا؟ قلت: ذا لي
ولقد أهزلت حتى محت الشمس خيالي
ولقد أفلسنت حتى حل لي أكل عيالي

وقال دعبل الخزاعي من شعراء القرن الثالث الهجري أن الفطيم يشيب :

لقد عجبت سلمى وذاك عجيب
رأت بي شيئا عجلته خطوب
وما شيبنتني كبرة غير أنني
بدهر به رأس الفطيم يشيب

والأمر الثاني اللازم لقياس العاطفة هو القوة والحيوية: وهي تهيج العاطفة والمشاعر . وكلما زادت القوة في قطعة شعرية أو نص أدبي نثري وزادت حيويتها كانت القطعة قريبة من الكمال في الأدب . ومنه الإيحاء الذي يؤثر في العاطفة فيكون منها عاطفة حنان ، أو عاطفة جمال ، أو عاطفة إعجاب ، أو عاطفة اشمزاز وكراهية ، ويختلف الناس في أدواقهم وطباعهم وأمزجتهم ، ونظرا لهذا الاختلاف لا يمكن أن يكون هناك مقياس واحد للعاطفة في الشعر والأدب، فمن النقاد من يعطي الصدق والاعتدال أهمية خاصة ، ومنهم من يركز على القوة والحيوية في النص الأدبي النثري أو الشعري .

ومما يزيد من قوة العاطفة عند الأديب طبيعته القوية في إثارة مشاعر الناس وصفحتها حسن التعبير ودلالات المعاني وقوة الخيال . كما تعتمد قوة العاطفة على قوة الأسلوب وسلاسته وجمالياته ، فهي مدخل لإثارة العواطف ووضوح المعاني . وقد يعالج الأديب المعاني فيعبر عنها ويوصلها للناس ولكنه لا يستطيع نقل عاطفته ومشاعره إلا بقوة الأسلوب وسلاسته. كما تقاس العاطفة بمدى استمرارها ودوامها وبقاء أثرها بين السامعين .

ولحسان بن ثابت شعر يهجو فيه بني عبد المدان لتفاخرهم بطول القامة عند أفراد عشيرتهم ، وإن كانت تلك الصفة مستحسنة في الخلقة ، إلا أنها إذا زادت عن الزوم استدعت الهجاء والأمثال الشعبية التي تصفها ، ما زال البيت يستعمل حتى يومنا هذا ، يقول فيه:

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم
جسم البغال وأحلام العصافير

ومن الأمثال الشعبية يقول الناس: "كل طويل لا يخلو من الهبل" ، أو "الطول طول نخلة والعقل العقل عقل سخلة" ، ولم ينج قصر القامة أيضا من التندر والأمثال . والعنصر الرابع لقياس العاطفة هو خصوبة العواطف وتنوعها : ولا تعني شهرة الأديب أنه خصب العاطفة ، فهناك عوامل أخرى ، وتظهر هذه الخصوبة عند كتاب الروايات والدراما ، فما يكتبونه لا يعبر عما في نفوسهم ولا عما في عواطفهم الشخصية فحسب ، وإنما يعبر عن أشخاص يمثلون جوانب الحياة ونشاطاتها ، وهذا يحتاج إلى تنوع للعاطفة بالإضافة إلى غزارتها ويكون الأديب على اطلاع ومعرفة واسعة بطباع الناس واختلاف أمزجتهم ، وطرق حياتهم وتصرفاتهم . والأدب هو تفسير للنواحي الحياتية . ووصف مشاعر فئات متفاوتة في العمر والبيئة الاجتماعية والقدرة على معاركة الحياة ، فبدون هذا التعمق في بواطن الأمور وأغوار النفس البشرية لا تظهر حقيقتها ، فالأديب واسع المعرفة والخبرة والترحال ، كمن ذاق كل طعم وتعلق من كل شيء بسبب .

كما تقاس العاطفة في العمل الأدبي بنوعها ودرجة سموها أو انحطاطها: ويختلف النقد في قياس هذه الصفة ، حيث إنه لكل منهم منظاره ، فإذا كانت العاطفة سامية ، فمن وجهة نظر من؟ وإن كانت وضيعة ، فمن وجهة نظر من؟ وليس للأخلاق دخل في الحكم على العاطفة الأدبية ، وما نقصده هنا هو ما يمس جوانب الحياة ويساهم في ترقيتها ، فالشعر الذي يشكو الحياة ويصف الآمها ويتغنى بالحب وأفراحه أو يبكي من آلام الهجر والنأي ، ويتشأم من فرص الوصول إلى المبتغى ، هو أدب أخلاقي من وجهة نظر قائله . وقد يختلف النقد من وجهة نظرهم ، فالعواطف التي تتصل بحياة الناس وسلوكهم أرقى من العواطف التي تثير لذة الحواس . والأدب الراقي هو الأدب الذي يدفعنا إلى الحياة الراقية كما يصورها الأديب . وللأدب الراقي صفة أخلاقية تثير المشاعر الصحيحة وليس المشاعر الخادعة. وحسب هذا الكلام فليس الفن من أجل الفن يكتب ، وإنما يكتب ليحرك في الجمهور المشاعر الصحيحة ويؤدي هدفه الذي يرمي إليه .

وليس للأديب وظيفة سوى وصف جوانب الحياة الإنسانية وشرح تعقيداتها ، فهو يعرض الطبيعة الإنسانية بما فيها من خير أو شر مرة ، وبما فيها من شهوات حادة أو معتدلة ، مرة أخرى وهو لا يتقيد بقيود الأخلاق . فالأدب انطلاق من معازل العبودية للأخلاق ، والقيم السائدة ، لأن المبتكرين يخرجون على الواقع المعاش ويعيشون في الخيال والمتوقع وهما صفتان لتغيير الواقع والرقى بالإحساس إلى مراتب عليا جديدة في نكهتها وشكلها وطعمها وجمالها.

الخيال: هو الأساس في بعث العاطفة وإثارتها لدى القراء والقارئات ، فوصف زلزال لا يوحى بالعاطفة ، وإنما تصوير مواقف يحاول الناس تخليص أنفسهم من مآزق الزلزال فيها عاطفة تشد الجمهور للتعاطف مع أشخاص الرواية . فوصف الناس وهم تحت الأنقاض ، أو وصف عمليات إنقاذهم من تحت الدمار تزرع العاطفة وتزيد المشاركة في الإحساس بها . وقد يؤدي التماذي في الخيال إلى الوهم ، والخروج من دائرة الواقع الإنساني وخبراته الحسية . و يكون التصور في النص الأدبي يربط شئئين واقعيين نراهما فرادى ولا نتصورهما معا ، أو ربط ثلاثة أشياء حقيقية في صورة خيالية ، كما كانت الآلهة الذين صورها الأدياء القدامى فنصفهم رأس رجل من بني آدم والنصف الآخر جسم حيوان له أجنحة يطير بها . ومنه تصوير أسنان الجميلات باللؤلؤ والمرجان ، والشفاه بالحناء والحدود بالنتفاح ، والنهود بالرمان والزنود بقصب السكر . وهذا ما يطلق عليه بالخيال الخلاق الذي يؤلف بين مناظر مختلفة في صورة جديدة .

ويؤثر الخيال في العقل والعاطفة معا فيجعل الجمهور مرتبطا بما يقرأ ، ويربط بين الدوافع ونتائجها ، وبين الأسباب ومسبباتها . وللخيال الأدبي ارتباط كبير بالعاطفة ، وكلما كانت العاطفة قوية كلما احتاجت إلى خيال قوي يؤدي إليها ويصب في جداولها .

أما العنصر الثالث من عناصر النقد الأدبي فهو عنصر المعاني: وقيمتها في الأدب ليس لها حدود ، والغرض من إيراد المعاني هو جلب الحقائق أولا لا جلب المتعة واللذة ، فالمعاني تؤدي المعنى أولا وتخبر بالحقائق ، ومن صفات المعاني أن تكون: دقيقة ، غزيرة ، فياضة ، واضحة . لتسهل فهمها على الناس ، وعلى الأديب أن يكون ماهرا في معرفة ربط المعاني بالعاطفة والخيال حتى يؤثر في الجمهور القاريء أو السامع ، وإلا بقيت كتاباته سردية جامدة لا حياة فيها ، فمهمة الأديب ليست تعليم الحقائق وإنما الانتفاع بالحقائق المعروفة لتهييج عواطف الناس . وجعلهم يشعرون بها بشكل قوي جديد لم يكن معروفا من قبل . فالانفعالات النفسية من محبة وكرهية وغضب ، تحدث كل يوم ، ولكن أثر هذه الانفعالات على شخصية محددة في القصة أو الرواية يجعل منها صورة جديدة للشخصية يتعاطف معها الناس .

وآخر عناصر النقد الأدبي هو **الأسلوب:** وهو اختيار الكلمات وطريقة نظمها مع بعضها البعض لتعطي معنى مفهوما دون توعر أو ثقل يمنع انسياب الحروف والكلمات بأسلوب فريد سهل . فالسجع والمحسنات البيديعية كانت أسلوبا استعمله الأديباء في فترة تاريخية معينة، والأسلوب يتبع روح العصر ، فالأسلوب السهل الذي غلب على أدباء العصر الأندلسي في البيئة الطبيعية ببساتينها وأشجارها وأنهارها يختلف عن الأسلوب الجزل الجاف لأيام الصحراء ورمالها وحياة البداوة الصعبة القاسية فيها . والأسلوب الحماسي له ألفاظه ومعانيه، والأسلوب الوعر الألفاظ له خاصية يتميز بها . ونخلص في هذا المقال إلى أن ارتباط عناصر الأدب الأربعة العاطفة والخيال والمعاني والأسلوب ، وامتزاجها مع بعضها البعض في عمل أدبي يعد من الأسس النقدية لذلك العمل الأدبي ، وقد يطغى أحدها على الأسس الأخرى بالنسبة لموضوع الأدب كالشعر والنثر أو الرواية ، إلا أن الأعمال الأدبية الخالدة لا تخلو من تمازج هذه الأسس وتتألفها معا كمعزوفة موسيقية تمتاز فيها آلات الناي والعود والقيثارة لتخرج للسامعين لحنا يؤثر في عواطفهم فيطربهم أو يحزنهم أو يبكيهم أو يجعلهم يتحسرون على ما مضى من عمر .

وفي الختام نقول إن موضوع الأدب هو الحياة الإنسانية ، وهو يشمل ما نفكر به وما نترجمه من أفعال وتصرفات ، وكل ما يفعله الإنسان أو يقوله أو يفكر فيه هو من مواضع الأدب . ولا أدب بدون عاطفة . ولا عاطفة بدون خيال ، ولا خيال ولا عاطفة بدون معنى دلالي أو أسلوب شيق يربطها معا في بناء متكامل مترابط من الواقع والمتصور ، فالأدب الجامد هو علم بلا عاطفة، والفرق بين العالم والأديب هو أن العالم يلاحظ

الظواهر من حوله ويستكشف قوانينها وعلاقتها بالأشياء الأخرى من حولها والظروف التي تكتنفها. بينما الأديب يلاحظ الأشياء من حيث علاقتها بعواطفه وطبيعته الأخلاقية فيقوم بوصفها بقالب خيالي وأسلوب عصري يوحي بالعاطفة فيرقى بالناس إلى ما هو أفضل حياة وما هو أرقى مشاعرا وما هو أذكى إحساسا .

Article 18 حول السلوك البشري

للدكتور حسن عبد القادر يحيى
أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

ABOUT HUMAN BEHAVIOR

HASAN YAHYA, PH.D

نظرا للاختلاف الشديد بين من يعيد الطبيعة البشرية الى الخير أو يعيدها الى الشر في جانب وبين من يضع الخير والشر معا في تلك الطبيعة من جانب آخر. لذا حاول العلماء غور النفس البشرية واستعمال مختلف الاتجاهات لتطويع النفس البشرية لتعيش بسلام مع نفسها ومع الآخرين وهو ما أطلق عليه عملية التطبيع الاجتماعي. وهي عملية لتحضير الأفراد للانتماء الى المجموعة أو المجتمع. ويكون الهدف منها هو فهم الأوضاع النفسية للآخرين والتعايش معهم بدون مشاكل. وأعادوا الكرة في بحث النفس البشرية وسلوكياتها ، وتساءلوا : هل هي طبيعية فطرية

بيولوجية خلق الانسان بها أم أنها تكونت بفعل البيئة الاجتماعية أو الجغرافية.

مبدأ الطبع nature أم مبدأ التطبع : nurture

1. مبدأ الطبع والوراثة : يرى علماء الأحياء أن الانسان يولد بصفات موروثية تؤثر في سلوكه وليس الأمر عائد الى المجتمع ومؤسساته. ويستدلون على ذلك ما يرونه من تصرفات عدائية عند الأطفال الى جانب الغريزة الجنسية.

2. مبدأ التطبع من البيئة الاجتماعية: ويرى علماء الاجتماع حسب هذا المبدأ أن التفاعل مع الآخرين والخبرة من البيئة هما العاملان الأساسيان في تنمية شخصية الطفل والشاب والعجوز.

3. مبدأ التكوين العقلي: وينادي أصحابه بأن في العقل جزئيات تهدي إلى سواء السبيل أو الانحراف عنه. وهم بهذا يقولون أن الجدل حول الطبع أو التطبع أمر غير وارد. وممن ينادون بهذا المبدأ عالم النفس الأمريكي موني . (1980) Money

تنشئة الأطفال في البيت أو الروضة: نظرا لتزايد أعداد النساء في قوة العمل زاد عدد الأولاد الذين يرسلون الى دور الحضانة والرعاية. والحضانات نوعان: الأول رسمي تابع للحكومة أو لمنظمات تجارية ربحية والثاني لمنظمات خيرية غير ربحية وعلى الأرجح دينية. وقد أثبتت الدراسات الحديثة في الغرب أن انحراف الأطفال الذين تربوا عن طريق الحضانات الربحية أكثر من الأطفال الذين تربوا في حضانات غير ربحية. وما زال دور الحضانات في الدول العربية والنامية بطيئا لاعتماد الأطفال على تربية الجدة وأفراد الأسرة .

الانعزال والتفاعل: أثبتت الدراسات الحديثة أن الطفل لا ينمو سويا اذا عاش بدون تفاعل مع غيره من الأطفال وبدون رعاية من أبويه. حيث يعتمد الطفل على الوالدين في تعلم اللغة والرموز التراثية. وتعاني الدول

الغنية في الخليج العربي وغيرها من مشكلة تربية الأطفال من قبل المربية التي غالبا لا تجيد اللغة الأم للأطفال.

التطبيع بين الذكر والأنثى: لكل تراث وسائله في تطبيع الذكر أو الأنثى وهناك اختلاف في تعامل ومعاملة الآباء لأبنائهم فمثلا عند شراء الألعاب أو عند تعلم أشياء جديدة فان للطفل أعباءه الدالة على الخشونة والرجولة وللطفلة أعباها الداله على النعومة والأنوثة. ويمكن ملاحظة الفرق في التنشئة بين الجنسين في البيئة الأسرية والتعليمية وفي طرق التعامل مع الأصحاب وفي أجهزة الاعلام والأفلام.

مؤسسات التطبيع:

تعتبر الأسرة من أهم المؤسسات في المجتمع لتطبيع الأفراد ، ثم تأتي المدرسة، فالمؤسسات الدينية (كالمسجد) ثم الأصحاب ووسائل الإعلام ومكان العمل والمؤسسات التقويمية كالسجون والمستشفيات العقلية والمؤسسة العسكرية.

الأسرة Family: هي أهم المؤسسات الاجتماعية لتربية الاطفال تربية سوية خالية من الاضطرابات النفسية والعصبية. وبما أن دور الأسرة في تربية الأبناء قد بدأ يضمحل في كثير من الدول الغربية فان تربية الطفل أصبحت على عاتق المؤسسات الأخرى كالحضانات ورياض الأطفال.

المدرسة School: وهي المؤسسة الثانية أهمية في تربية الأطفال. ولا يكون دور المدارس للتعليم فقط وانما للتربية على أن يكون الطفل مواطنا صالحا في المستقبل يتعاون مع الآخرين ويقتدي بأخلاق الكبار من عادات وتقاليد.

الدين (المسجد ودور العبادة): وهي من المؤسسات التطبيعية منذ الصغر وتؤثر في حياة الأطفال تأثيرا كبيرا .

الأصحاب Peer Group: وهم المجموعات التي يصابها الولد أو البنت . وعادة ما تكون أعمارهم متقاربة فيقضون وقتا طويلا مع بعضهم البعض ويشعرون بشعور الانتماء.

الإعلام Mass Media : وهو وسائل التلفزيون والاذاعة والجراند والمجلات . وتحتوي العديد من القصص والعادات التي يتطبع الولد بطباعتها . وقد أفادت الدراسات أن الوقت المخصص للتلفاز يزيد أحيانا على ستة ساعات عند الأبناء من سن الثانية عشرة الى الثامنة عشرة . كما أكدت دراسات كثيرة أن التلفاز يؤثر على سلوك الأطفال بالانحراف نحو استعمال العنف لكثرة مشاهدة أفلام ومسلسلات العنف التي يشاهدونها .

مكان العمل والوظيفة : تعويد الموظفين على احترام قواعد العمل ، والتدريب عليه ، ومعاملة الزبائن بطريقة مبتكرة متفائلة . وهذا يستدعي تطبيعا للأفراد في أعمالهم المختلفة .

السجون : تطبيع الشخصية المنحرفة لتكون نافعة بعد قضاء فترة السجن . ولها أساليب خاصة في التطبيع .

المستشفيات العقلية: تطبيع المرضى على نظام جديد ، بإعطاء الأدوية والنوم قسرا أو طاعة .

المؤسسة العسكرية: وهي من أهم مؤسسات التطبيع حيث تغير سلوك الجنود وتطبعهم على احترام الأوامر والتقيد بالقوانين العسكرية والاهتمام بالضبط والربط .

وقد اهتم علماء النفس الاجتماعي بمراحل النمو عند الأفراد منذ نشأتهم وحتى وفاتهم.

ومن الجوانب التي تغطي نمو الشخصية عند بعضهم ما يلي:

1. **النمو الفكري:** كان الاعتقاد السائد عند الناس أن عقل الطفل يعمل

تماما كعقل الكبير البالغ حتى جاء العالم النفسي السويسري **جون بياجيه**

Jean Piaget (1896-1980) وأثبت من خلال دراساته على ذكاء

الأطفال عكس ذلك تماما. وقد أفادت أبحاثه علماء الاجتماع كثيرا لأن

عملية النمو الفكري عامل هام في تنمية الشخصية وبالتالي في القدرة

على وظيفة تلك الشخصية في المجتمع. وبناء على ما توصل اليه بياجيه

فان الطفل يمر في مراحل حتى يصل الى الفكر المنطقي وأن بعضهم لن

يستطيع الوصول الى مراحل متقدمة. فمن الولادة حتى السنة الثانية من

خلال مرحلة القدرة على تحسس الأشياء sensorimotor stage

يحاول الطفل تحسس الأشياء لمعرفة العالم من حوله. ومن الأمثلة أنك إذا

خبأت لعبة أو غطيتها بشيء لا يعرف الطفل أنها موجودة بل يعتقد أنها اختفت فلا يبحث عنها . ويبدأ بالتعلم البطيء شيئاً عن السبب والنتيجة، وفي السنة الثانية يستطيع الطفل التفوه ببعض الكلمات ذات المعاني من حوله وهي مرحلة سماها بياجيه مرحلة ما قبل العمليات العقلية preoperational stage وفيها لا يستطيع الطفل رؤية العالم من وجهة نظر غيره بل من وجهة نظره هو فإذا فقد شيئاً يبكي حتى يحصل عليه وإذا غضب صاح وملاً الدنيا صراخاً (مما يخرج الآباء والأمهات أحياناً في الأسواق أو في حضور الآخرين فيميل بعضهم إلى عقاب الطفل بالضرب أو العقاب) . أما مرحلة العمليات العقلية operational stage فانها من السنة السابعة حتى الثانية عشرة من عمر الطفل (من الصف الأول حتى الصف السادس) وفيها يبدأ الطفل في التفكير بطريقة منطقية ويستطيع فهم بعض الأعمال المركبة والأرقام والأحجام والجهات والأشكال وعلاقة الحيز النسبي للأشياء كالأواني المستطرقة والمسافات القرب والبعد والعلاقة بين الحجم والمسافة ويفرح للمديح والجوائز ويشعر بالافتخار أمام والديه أو أقرانه . كما يستطيع التعرف على مفهوم الزمن الماضي والحاضر والمستقبل ، وفي المرحلة التالية وهي مرحلة المراهقة (Adolescence-formal logical thought) يستطيع الطفل التفكير في أشياء منطقية معقدة ومطلقة كما يستطيع تنمية أفكار ليس لها رباط بالحياة العملية مثل الموت والفناء والبقاء و الحرية والعدالة، كما يستطيعون معرفة نتائج أعمالهم ان كانت سيئة أو جيدة. وبهذه المرحلة يكتمل بناء الشخصية التي تكون مستعدة لدخول مرحلة البلوغ والتعايش مع الآخرين.

واطسون له نظرة خاصة فهو مولع بنظرية التعليم المكتسبة ، حيث أيد نظريته بقوله: أعطني أطفالاً أصحاء مهما كانت خلفياتهم الاجتماعية وأنا كفيل لأجعل منهم القاتل أو المجرم أو الطبيب أو المدير . أو أي نوع من البشر . وللحديث بقية .

Article 19

أمريكا والعولمة والأخلاق

الدكتور حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

America, Globalization and Ethics

Hasan A. Yahya, Ph.D

رغم كل ما يكتب في الصحافة أو يقال في نوادي الأحاديث الثقافية من الهجوم على العولمة وبالذات على أمريكا كرئيسة لما يسمى بالعولمة ، وتصور انحدار الأخلاق فيها ، فإن نظام التربية والتعليم في الولايات المتحدة يبقى من أفضل الأنظمة في العالم رغم السلبيات التي لا يخلو منها أي نظام ، وليس الهدف من هذا المقال الترويج لعمل دعاية لأمريكا ولا لمدارسها ولكن وجدت في نفسي رغبة شديدة في دراسة التحول الاجتماعي في الولايات المتحدة وتصور عصر جديد بالنسبة للأخلاق يأخذ مكان عصر المعلومات الجاف أو الخالي من العواطف ، هذا أولا ، أما ثانيا فإن هذا المقال يتعرض لوصف بعض الآليات التربوية المفيدة سواء في الإدارة أو في عملية التعليم والتعلم التي تمارس في مدارسها وتأتي أكلها لمنتسبيها من الطلاب والطالبات ، حيث إن التربية والتعليم من أكثر المتغيرات والأسباب الموجهة للتغيير الاجتماعي ، لعل في ذلك فائدة لأصحاب القرار و(المتورطين) في شؤون النظم التربوية والتعليمية العربية من مدرء المناطق ومدرء المدارس ومدرساتها ومدرسيها الذين تقع على أكتافهم مهمة رسم المستقبل اللامع للأجيال القادمة . فبعد أن قضيت ما يقرب من عشرين عاما في ولاية ميشيغان وهي الولاية المشهورة بصناعة السيارات (كرايسلر ودودج وفورد وغيرها) قبل تصديرها لجميع أنحاء العالم ، وهي الرائدة في التربية والتعليم والشهيرة بجامعاتها مثل جامعة ميشيغان (تأسست سنة 1817) وجامعة ولاية ميشيغان (تأسست سنة 1855) وجامعة وين ستيت وإيسترن ميشيغان وسنترال ميشيغان وغيرها ، ولا بد من بيان نقطتين هامتين إحداهما: أن فلسفة التربية والتعليم في أمريكا تتبع من المذهب الذي يؤكد على حب النفس وأنانيته وبناء الشخصية الفردية لتعتمد على نفسها واتخاذ قراراتها وإبداعاتها على حساب الانتماء للمجموعة ، بينما تقوم فلسفة النظم التربوية والتعليمية العربية (إن كانت توصف بالفلسفة التربوية) على ذوبان الشخصية الفردية في الأسرة وتوكيد انتمائها للمجموع (وهو عامل

إيجابي في المجتمعات الشرقية) ، فالفرد (الطالب أو الطالبة) لا يترك له أولها المجال ليكون معتمدا على نفسه أو على نفسها لتتخذ القرارات دون الرجوع إلى من هو أكبر منها سنا . أما النقطة الثانية فهي أن طرق التدريس في مدارس الولايات المتحدة متجددة دائما وتستفيد من المعرفة التي تنتجها الأبحاث حول التربية والتعليم والإدارة التربوية بينما العديد من النظم التربوية والتعليمية في عالمنا العربي ما زال يستعمل طرق التدريس التقليدية من اعتبار التلاميذ كأوعية للمعرفة دون تحليلها والاستفادة منها أو تطبيقها والاستفادة منها في الحياة العملية كالوظيفة والتعاون مع الغير لخدمة أهداف التعليم ومنها خلق المواطن الصالح كرب أسرة سعيد أو مدير ناجح . لذا نجد التلاميذ في معظم مدارس الولايات المتحدة تواقين للذهاب إلى المدرسة فليدعم ما سيقومون به من نشاطات يعرفونها مقدما ومنها تطبيق النظام وحب المساعدة واكتساب المهارات ، فمثلا هذه طالبة عليها التدرّب على عمل ضابط المرور صباحا ، فهي تلبس لباس شرطي المرور وتساعد زملائها على عبور الشارع المؤدي إلى المدرسة فتوقفهم حتى ينجلي مرور السيارات ثم تحمل يافطة وتقف في وسط الشارع وتأمّر زميلاتها وزملائها بالمرور وهم يبتسمون حتى يصلوا إلى الجانب الآخر ، ونظرا لأنها ستنال جائزة من إدارة المدرسة بعد نجاحها في مهمتها فإنها ستشعر بالأسف إذا تأخرت عن مواعدها الذي يكون عادة قبل دوام المدرسة بنصف ساعة ، ومثل آخر يقوم طالب أو طالبة بضبط سلوك الطلاب طيلة اليوم فيصدرون مخالفات للطلاب لأنهم تأخروا عن اللحاق بفصولهم بين الحصص أو تلاكأوا في مشيتهم في الطرقات. بينما نجد التلاميذ في كثير من المدارس العربية يأتون إليها وهم يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى ولا يبدو عليهم المرح ولا يتوقعون منها شيئا جديدا ، ونرى بعض التلاميذ يحاولون الهروب منها أحيانا . ولا يتدربون على شيء من شؤون الحياة العملية . ويقمع التلاميذ بالقول الجاف أو التأنيب إذا حاولوا استعمال

عقولهم باقتراحات حول تحسين طرق التدريس أو انتقاد شئى يخص المدرسة أو مديرها أو مدرسيها أو مناهجها. أما الشيء الآخر فإن مقارنة عدد الكورسات (المواد الدراسية) التي تعطى في المدارس الثانوية في الولايات المتحدة مثلا لا يقل عددها عن مائة مادة دراسية ، ويكون اختيار الطلاب لهذه المواد حسب رغباتهم ومنها تكوين النوادي الثقافية والرياضية كنادي السباحة وفريق كرة السلة وفريق كرة القدم ، ونادي لعبة الشطرنج ، ونادي الرسم ونادي الموسيقى ونادي السينما ومنها التكنولوجي الذي سيفيدهم في المستقبل في اختبارهم الدراسي في الجامعات مثل تصليح الآلات الموسيقية أو تصليح أجهزة الراديو والتلفزيون والسيارة والتدرب على استعمال الدائرة الكهربائية أو تعلم الطبخ ودراسة النباتات أو الآثار ، أو التدرب على الإدارة في مؤسسات المجتمع القريب من المدرسة كإدارة المرور ودائرة البريد ودائرة الضريبة ومكاتب دوائر الانتخابات السياسية المحلية لمجلس المدينة أو المنطقة ، أو استغلال ذكائهم في الالتحاق بالجامعات التي بدأت باستقبالهم لدراسة مساقات تحسب لهم وهم في الثانوية ، وقد كان في فصولي الجامعية التي قمت بتدريسها عدد منهم حيث كانوا ينقلون من مدارسهم وتدفع المدرسة تكاليف دراستهم ، وكانوا من المبدعين كزملائهم في الجامعة ، عدا عن مساقات تمنحهم إجازة قيادة السيارة وهم في السادسة عشرة ، وإجازات الإنقاذ في التدريب المهني أو الإسعافات الأولية . وتعطي الفرص للمبدعين مهما كانت جنسياتهم وقد أسعدني ما سمعت مؤخرا من أن معدل أحد الطلبة العرب المسلمين في إحدى مدارس ميشيغان قد حاز على معدل 4.4 من 4 ، فالطالب قدم أكثر مما هو مطلوب منه وكان مثلا لكل الطلاب حيث عرضت عليه العديد من الجامعات الأمريكية أن يلتحق بها مجانا .

ولم تصل الولايات المتحدة إلى ما وصلت إليه في التربية والتعليم بسهولة وبدون تخطيط أو بدون أن تستفيد من الأبحاث حول النظم الدراسية والتوجيه والإدارة سواء إدارة المدرسة أو إدارة الفصل الدراسي . فمئذ أن قام جون ديوي John Dewey وزوجته في مدرستهما الخاصة بنقل نوعية الاهتمام من المدرس والكتاب إلى الطالب والطالبة ، ووجه التربية قد تغير في الولايات المتحدة ، ويعتبر جون ديوي رائد التربية الحديثة في الولايات المتحدة لأنه أكد على نقل الاهتمام بالمدرسين والمنهج الدراسي (التقليدي الكنسي) إلى الاهتمام بالدارسين من الطلاب والطالبات . فقد أضاف عددا من المساقات التي تفيد الطلاب في حياتهم العملية وتكسبهم مهارات خاصة وتنوع خبراتهم ليكونوا فعالين في مجتمعهم . وفيما يلي نورد بعض جوانب التغيير في بعض ظواهر التربية والتعليم في الولايات المتحدة التي قد تؤذن ببدء عصر جديد يهتم بالإنسان كبشر والأخلاق كصفة مقدسة .

إنهم يغلقون المدارس في أمريكا

هل تصدقون ذلك ؟ نعم هذا صحيح ، ولكن قيل في أمثلة العرب : إذا عرف السبب بطل العجب . فبعد الطفرة السكانية التي حصلت في المجتمع الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية والحرب الكورية بازدياد عدد المواليد الذين يسمونهم بجيل البيبي بومرز baby boomers فتحت العديد من المدارس حتى تستوعب العدد الهائل من الأطفال في الستينات والسبعينات ، ولكن الحال تغير بعد ذلك فاتخذت العديد من الدوائر الانتخابية في مراكز المدن والضواحي قرارات بإغلاق بعض المدارس التي قل فيها عدد التلاميذ ، وقد أصاب ذلك القرار عددا كبيرا من المدارس في المدن المكتظة بالسكان مثل ديترويت وشيكاغو ونيويورك وممفيس وغيرها . وقد استغرب الكثير من المراقبين هذا العمل ، فكيف

تغلق المدارس بهذه السهولة في الولايات المتحدة ؟ وكان الجواب سهلا ، ففي ميزان الربح والخسارة ، فإن عملية استمرار فتح المدرسة لاستقبال التلاميذ ستكون خاسرة لأنها تستتبع استمرار توظيف المدرسين مع اضمحلال عدد التلاميذ ، وحتى تكون العملية مربحة ، يحول المدرسون والمدرسات إلى مدارس أخرى وتغلق المدرسة من أجل الإعلان عن استئجارها واستغلالها ، وحتى بيعها إذا لم تكن عملية الاستئجار مربحة . وعند معرفة السبب بطل العجب . وفي بلادنا العربية يفتحون المدارس

الشركات التجارية تدير المدارس

إنهم يسلمون الشركات التجارية إدارة المدارس من أجل إنجاحها في عملها ، أما كيف كان ذلك فهذه هي الحكاية ، فبعد أن كثر الكلام حول فاعلية المدارس ودارت الأحاديث حول مغادرة الطلاب للمدارس قبل التخرج بأعداد كبيرة قبل الانتهاء من الثانوية ، فكر السياسيون ومعهم أعضاء كثير من المجالس الشعبية في المناطق المكتظة بالسكان بالاستعانة بشركات مقولة تأخذ على عاتقها إدارة المدرسة من أجل الإبداع والابتكار وتنوع التعليم في المدارس بأسلوب تروحي يجعل التلاميذ يرتبطون بمدارسهم ولا يغادروها قبل التخرج . وقد بدأ الحال في بداية الأمر باستغلال بعض الأفكار لمساهمة الشركات الكبرى في تكاليف توفير آلاف أجهزة الكمبيوتر للمدارس وتقديم أفضل الوسائل التعليمية باستخدام وسائل عصر المعلومات وذلك عن طريق عرض بعض الإعلانات في البرامج المقدمة في المدارس ، وقد بدأت بالفعل شركات آي بي أم ومايكروسوفت وبيبيسي كولا وكوكا كولا بالمساهمة في تكاليف ميزانيات عدد كبير من المدارس رغم الاختلاف الكبير بين أولياء الأمور حول الأمر ، ولكن المساهمة التي تقدمها الشركات تفيد المدرسة في زيادة عدد الكمبيوترات والوسائل المعينة الأخرى وزيادة النشاطات

الرياضية وتوفير أفضل المدرسين والمدرسات من ذوي الخبرة والتخصص وزيادة الرحلات العلمية . فالعملية كلها تقع في ميزان الربح والخسارة ، والربح هنا للمدرسة حيث لا تعود تعتذر عن توظيف المؤهلين للتعليم ، والربح يكون للتلاميذ حيث يقل عدد المنفصلين عن التعليم وينعم الجميع بما تغدقه الشركات من معونات للمدارس ، وكذلك يكون الربح للمجتمع حيث يفتح التخرج من الثانوية آفاقا جديدة لإكمال عدد كبير من مهندراسته الجامعية .

فصل الذكور عن الإناث في المدارس الأمريكية

صدق أو لا تصدق ، فهناك ظاهرة غريبة نوعا ما عن المجتمع الغربي تتزايد مع الأيام وتستحق النظر والتمحيص، وأقصد بها ظاهرة الفصل بين الجنسين في المدارس . فبعد أن زاد العنف في بعض المدارس الأمريكية وقلت الأخلاق وزاد الفسق بين طلابها وطالباتها ، بدأ عدد المدارس التي تفصل بين الجنسين في مدارس الولايات المتحدة يتزايد بناء على طلبات ملحة من أولياء الأمور ، وهذه الظاهرة تستدعي الانتباه والموعظة . فالغرب أحيانا كثيرة كان يتخذ هذه الظاهرة كعنوان للتأخر في البلاد النامية وخاصة البلاد الإسلامية ، ويتساءل البعض : ما الحاصل في هذا الأمر ؟ ولماذا يصر بعض أولياء الأمور على تنفيذ الفصل بين الجنسين في المدارس؟ وهل هناك اتجاه للاعتراف بفضل الإسلام وأخلاقه وتطبيقاته في بعض الدول العربية والإسلامية؟ وبمعنى آخر هل يتجه الغرب نحو الإسلام دون أن يدري ؟ وهل أصبحت الفضائل التي نادى بها أفلاطون هدفا للتربية في الولايات المتحدة ؟ فقد نادى أفلاطون (427-347 ق.م) قبل خمس وعشرين قرنا بأن "الجهل الأكثر ايدااء للدولة والأفراد ليس الجهل في حقل التكنولوجيا أو في حقول التخصص ولكن الجهل هو الجهل الروحي. وما التعليم الا تدريب للروح

والقيم والأخلاق. والمعرفة ليس من أجلها وإنما من أجل استعمالها في الحياة اليومية. وليست المعرفة معلومات بل حكمة فالمعرفة هي **الفضيلة** والجهل عكسها. ونعطي أمثلة لما نقول فما زالت بعض المدارس تفصل بين الجنسين ورفضت رفضاً قاطعاً مجرد التفكير في عكس ذلك. وهي ظاهرة تؤيد الفلسفة الأفلاطونية، وقد تظاهرت الطالبات في إحدى المدارس ضد قرار إدارة المدرسة بفتح أبواب المدرسة للطلاب الذكور. وقدمت عرائض للإدارة بدعم من أولياء الأمور حتى رضخت إدارة المدرسة لرغبات الطالبات واستمرت بعدم قبول الطلاب الذكور. وهناك ظاهرة تعتبر ترجمة لذلك التوجه وهي ظاهرة تغيير النظرة الأمريكية إلى عذرية المراهقات من المراهقات أنفسهن.

لم تعد العذرية وصمة عار في أمريكا

بعد فترة الانحلال الجنسي الذي جاءت به السبعينات كانت العذرية عند الفتيات المراهقات مقياس الحضارة والتقدم والانفتاح والحداثة، وكانت معظم الفتيات يشعرن بالحرج والانطواء واليأس في المدارس الأمريكية إذا كن عذراوات، وقد تغيرت الصورة اليوم، فلم يعد الحفاظ على العذرية وصمة عار بين الطالبات المراهقات، بل أصبحت ظاهرة يشجعها الآباء والمربون ورجال الدين وتدعو إلى الشعور بالعزة واحترام الجسد والكرامة الإنسانية بين المراهقات، ولم تتغير تلك النظرة الإيجابية نحو العذرية إلا بعد عام 1984 خاصة بعد اكتشاف أمراض الأيدز (HIV) والأمراض الجنسية الأخرى وازدياد اللقطاء بين المراهقات وارتفاع نسبة الانتحار بينهم، وزيادة الحملة الإعلامية ضد الانحلال الخلقي بين الشباب والشابات. ومن أسباب تلك الظاهرة أيضاً تغيير النظرة نحو العذرية وتقديسها قيام العديد من الأبحاث العلمية التي

تعرضت للظاهرة من أجل تحسين وضع المراهقات كجزء من تحسين وضع المرأة بشكل عام في الولايات المتحدة .

كلمة أخيرة

هل يتجه الشعب الأمريكي وشعوب العالم معه نحو عصر جديد يعطي الأخلاق والعواطف الإنسانية الأولوية مع بداية الألفية الثالثة ؟ وهل يدخل العالم معها كرئيسة للعولمة عصرا جديدا لا يتصف بمميزات عصر المعلومات الجاف عاطفيا ولا يتصف بمميزات العصر الصناعي المادي الذي يعتمد على البقاء للأصلح ؟ وما مميزات هذا العصر الجديد الذي بدأت ملامحه تصرخ عاليا بالعودة إلى الإنسان والأخلاق كمحور للسعادة وليس الآلة الصماء . فهل عاد أفلاطون من جديد في الولايات المتحدة والعالم من حولها ؟ ربما !

Article 20

العامل الوراثي ومرض التوحد

الدكتور حسن عبد القادر يحيى

أستاذ بجامعة ميشيغان – الولايات المتحدة

Autism

Hasan A. Yahya, Ph.D

منذ أن نشر واطسون بحثه حول تركيب الحمض النووي أو ما يعرف بالدي إن إيه D.N.A عام 1953 ، والعالم ينظر إلى أمل جديد في

شفاء العديد من الأمراض الوراثية . حيث كان للتركيب الذي اكتشفه خصائص بيولوجية جعلت العلماء يؤكدون على طرق جديدة للوقاية أو العلاج من الأمراض المستعصية أحيانا وذلك من خلال فتح آفاق الخريطة البيولوجية . وكان المهتمون من علماء الأحياء الذين يعطون العامل الوراثي الأهمية في وجود مثل تلك الأمراض يجدون خيارات جديدة لشفاء المرضى المعاقين جسديا أو دماغيا أو حسيا . وكان مرض التوحد أحد هذه الأمراض الميؤوس منها . والتوحد هنا ليس من الوحدة ولا من الاتحاد ، وهو نوع من الإعاقة الدماغية تمنع قيام الدماغ بوظيفته في الإدراك والتعامل مع الآخرين بشكل طبيعي ، وهو ترجمة كلمة (Autism) وهي حالة سلوك غير إرادي ينشأ عن مزيج جينات الأب والأم ، أي يتسبب بعوامل وراثية ، ولا يكون للمريض أو الوالدين أي ذنب في حالته. سوى عدم الوعي وعدم المعرفة .

أسباب مرض التوحد

قد تتعرض الأم لأشعة إكس أو ليزر وهي حامل ، أو تتعرض للشمس فترة طويلة أثناء الحمل ، أو قد تأخذ بعض المضادات الحيوية التي قد تؤثر على الجنين فتصيبه بالتوحد دون أن تدري . وقد يشترك الأب مع الأم في تسبب حالة التوحد عند بعض أطفالهم لعامل وراثي لا يعرف الوالدان عنه شيئا . وعادة ما يكثر هذا المرض بين الأطفال الذين يشترك فيه الوالدان بصلة القرابة القريبة كأولاد الأعمام والعمات وأبناء الخالات ممن ينتسبون لنفس الجذور ولو لسابع جد أو نسلهم . كما أن من أسبابه تعرض الحوامل لبعض الإشعاعات أثناء الحروب أو بعدها . مما يسبب تشوها دماغيا بحيث يفقد الدماغ وظيفته في الإدراك.

حجم المرض ومقداره

هناك طفل واحد في كل ألفين وخمسمائة طفل مصاب بمرض التوحد في العالم ، ومعنى ذلك ان في العالم ما يزيد على 2.4 مليون مريض بهذا المرض . وهذا الرقم لا يحتوي على حالات الإعاقة العقلية كالتخلف

والبله والجنون أو الإعاقات الجسدية الواضحة كالسمع والإبصار والكساح والتشوية الخلقي ، وتزداد النسبة في دول العالم النامي وتكاد النسبة لا تصنف في الدول ذات النظم التقليدية والفقيرة ، بينما تقل نسبة المصابين به في دول العالم الأخرى ممن تعارف على تسميتها بأنها الدول المتقدمة صناعيا وفكريا وتكنولوجيا . وزيادة النسبة أو نقصانها يعود إلى الاهتمام أو عدم الاهتمام بشؤون صحة الإنسان والبيئة الاجتماعية والطبيعية . كما تتأثر النسبة زيادة أو نقصانا بمدى ما تقدمه الدول من مصادر بشرية ومالية للحد من الظاهرة والعمل على علاجها ، فالتوحد يشكل جزءا أكثر أهمية بالنسبة للمعوقين أو قليلي القدرة العقلية أو الجسمية (ويندرج تحتها السمع والإبصار والإدراك عند الإنسان) . وتزداد نسبة المرض لدى الأولاد أكثر من البنات ، وإذا أصيب به الطفل الأول للأسرة فإن احتمال إصابة الطفل الثاني بالتوحد كبيرة وقد تصل إلى 2% أو 3% ، وينقسم التوحد - حسب شدة وقوة أعراضه - إلى ثلاث درجات منها البسيط والمتوسط والشديد بنسبة 5ر28% ، 33% على التوالي.

وستخصص هذه الورقة لموضوع التوحد نظرا لعدم الاهتمام به كعلم نفسي اجتماعي ، أو كشريحة لا تستحق العناية أمام الكم الهائل والعدد الكبير من المصابين بالإعاقات التقليدية من سمع وإبصار وإدراك وبله وجنون . بالإضافة إلى قلة المعالجين النفسيين والاجتماعيين والمساعدين في هذا المجال ، ونظرا لأن الظاهرة تتزايد مع السنين فإن المصابين بالتوحد يحتاجون إلى العديد من المتخصصين في هذا المجال وقد يبدأ الطلاب والطالبات بالتخصص في سن مبكرة من دراساتهم النفسية والاجتماعية فيتوجهوا إلى سوق المهن الطبية التي تحتاج خبراتهم . وهو ما يجب أن يتوجه فيه التربويون والآباء والفلاسفة في مجال احترام النفس البشرية مهما كانت نواقصها ، ولا يجب أن يتحمل التوحديون نتائج ذنب لم يكن لهم يد في حالتهم .

مظاهر مرض التوحد

أما مظاهر التوحد فمنها عدم قدرة الطفل على الكلام أو الشعور بوجوده كشخص ، وعدم معرفة أمه أو أبيه وتمييزهم عن الآخرين أو الأشياء التي حولهم ، وعدم إبداء مظاهر السرور لتلبية حاجة أو إبداء الامتعاض أو الغضب لفقدان شيء ما . وكل تصرفاته تكون لا إرادية بحيث لا يتحكم في نفسه أو في تصرفاته وتتحكم به قدماء فتسوقه إلى شتى السبل دون وعي أو إدراك لما يفعل . ومن مظاهره أيضا أنه إذا نظر إلى شيء مثل حنفية الماء والماء يسيل منها فإنه يطيل النظر فيها ، وقد يركز بصره على شيء وقتا طويلا دون ملل أو إحساس بالوقت . وقد تتحرك يده لا إراديا أمام وجهه أو يكرر حركات لا يمل منها دون إدراك أو إحساس بالغير . ومن أعراض التوحد ما أوردته النشرة الدورية الصادرة في القاهرة عن اتحاد الفئات الخاصة والمعوقين وجود اضطرابات في العلاقات الاجتماعية بين الطفل المصاب والمجتمع من حوله كالأهل والأصدقاء ، ويبدو الطفل مكتئبا ومنفردا بنفسه ، ويصعب عليه التركيز في النظر إلى الأشياء والأشخاص ولا يلعب مع الآخرين ويفضل اللعب مع نفسه لساعات طويلة . (النشرة الدورية: عدد 68، ديسمبر 2001)

بحوث حول مرض التوحد

لم تعر معاهد ومراكز البحوث الغربية والشرقية - إذا جاز التعبير - ظاهرة التوحد كثير انتباه في السنوات الخمسين الماضية ، ولكن حجم المشكلة وظهر الاهتمامات بمرضى الأيدز (في الثمانينات) والخارطة الوراثية مع مطلع الألفية الثالثة ، بدأت مشكلة التوحد تأخذ حيزا من تفكير العلماء النفسيين والاجتماعيين وبدأت بعض مراكز البحوث في بعض الجامعات أن يولي المشكلة اهتمامات أكاديمية وأخرى طبية . ولكن الجهود لا تتناسب مع حجم المشكلة التي نحن بصدها . فهناك ملايين من الأطفال مصابون بالتوحد ، وهو مرض لا بد أن يؤخذ في الاعتبار كواجب على المجتمعات وحق للمصابين من المعوقين وقليلي

القدرة العقلية والجسدية والإدراكية في أن يعاملوا كبشر يمكن أن يتمتعوا بحياة سعيدة هم ووالديهم وأسرتهم . ومساواتهم بغيرهم من المعوقين ، وفسح المجال في الجامعات والمعاهد والمستشفيات لتخريج كفاءات من الجنسين للتعامل معهم وإدارة عملية شفائهم . وهو أمل نرجوه من أولياء الأمور ومن بيدهم صناعة القرارات .

طرق علاج مرض التوحد

اختلف العلماء حول علاج المرضى بالتوحد ، فذهب فريق إلى قطع الأمل في شفائهم منه ، وكانت البحوث التي أجريت على العينات متقدمة في السن نوعا ما (فوق الخمسة عشر عاما) ، وقد تعاملوا مع الحالات منها بالوصفات الطبية المهدئة أو المخدرة إلى حد النوم . وفريق يأمل بتحقيق تقدم في حالة المرضى بالتوحد مع الوقت من خلال صبر الأم وحنانها ومعاملتها لهم ، بالإضافة إلى المعاملات الإنسانية ضمن بيئة الأسرة ، أو من خلال اتصالهم بمتدربين مهرة في التواصل والتعامل مع المرضى (عادة تقوم به الهيئات الحكومية والجمعيات التطوعية) ، وهؤلاء المتدربين قلة قليلة لا تفي بالعدد المتزايد من هذا الصنف من المرضى ، لحاجتهم الماسة إلى من يرافقهم في كل الأحيان لأنهم يقررون دون وعي ، فهم يسرحون ويمشون ويجرون دون إدراك لوجهة أو لغرض . وتكمن الخطورة عند هؤلاء المرضى بأنهم إذا تركوا وحدهم قاموا بمحاولات إيذاء النفس أو إيذاء الآخرين دون وعي . وذهب فريق ثالث إلى علاج الطب النفسي عن طريق دراسات الحالة التي تنتج أحيانا طرديا كلما بدأ العلاج مبكرا خاصة بالنسبة للعمر وما يستتبع ذلك العلاج النفسي من عقاقير لتهدئة المرضى بالتوحد . وقد بدأت الجامعات كم أسلفنا بالاهتمام بهذا المرض وبدأوا باستحداث مناهج ومساقات تزيد من معارف منتسبيها في مجال فهم مرض التوحد وطرق معالجته .

ويعتبر العلاج النفسي أهم العلاجات في هذا المجال ، ونظرا لأن مرضى التوحد يحتاجون لرعاية دائمة ومستمرة فإنه ينصح بمرافقتهم من

قبل عاقل بالغ كالأم مثلا أو من يقوم مقامها في الرعاية . ويقوم العلاج النفسي بقياس حالة المريض تباعا ، وتسجيل التغيرات الحاصلة على المريض ووصف بعض العقاقير الطبية التي قد تخفف من الانحراف أو التسبب في تصرفات المريض .

أما العلاج الاجتماعي فله شقان: أولهما معرفة حالة المريض من قبل الآخرين ، وثانيهما صفة التسامح من الآخرين تجاه مرضى التوحد . وقد أثبتت الدراسات النفسية الاجتماعية أهمية دور الأم في علاج المرضى بالتعاون مع الطب النفسي والاجتماعي ، ونجاحها في تخفيف أثر وجود المريض كعضو في الأسرة . وتسهيل مهمة المرضى ليكونوا أقل عنفا وأكثر إدراكا لحالتهم . ومن طرق العلاج عدم حبس المريض بالتوحد أو عزله عن الأفراد الآخرين أو عن المشاركة في النشاطات الاجتماعية طالما أنه تحت العناية المستمرة والرفقة الواعية . ومن طرق العلاج لمرضى التوحد عدم استعمال العقاب الجسدي كحل للمشاكل ، خاصة وأن المريض لا يدرك ما فعل ولا يدرك معنى العقاب . وقد استعملت طرق سماع الموسيقى والأغاني أو مشاهدة برامج التلفاز في علاج المرضى بالتوحد رغم أنه من الصعوبة بمكان جلب انتباههم لشيء معين . أو قيادتهم بالعنف نحو الشفاء ، أو حتى إبداء دوافع للامتناع أو لتكرار بعض التصرفات . وقد أثبتت الأبحاث أن تطبيق الجزاء للفعل الجيد خاصة إذا بدأ المريض بتكرار بعض الكلمات قد يأتي بنتيجة مثل ترديد (واو) عند رؤية شيء غير طبيعي ، وكلما قال المريض كلمة واو أعطي جائزة على ذلك ، وهكذا حتى يزيد عدد الكلمات التي ينطقها المريض ، ومن يدري ، فقد تحل عقد لسانه وقد يشفى من مرضه بعد أن قطع الأمل بالشفاء ، والله أعلم .

وبالنسبة للعلاج الطبي لمرضى التوحد : فإن العلم يتقدم يوما بعد يوم ، وطالما أن هناك اكتشافات بعد توليف خارطة الجينات ، يبقى الأمل متواجدا في التوصل إلى علاج لأمراض كان يظن أنها بلا علاج .

والعلاج الطبي ناتج عن البحوث الدماغية المتقدمة ، فكما سمعنا عن حبوب الطاقة ، وعلاجات مرض المناعة (الايذز) سيصل العلم يوماً إلى علاج مرض التوحد عن طريق اكتشاف علاج لأنسجة الدماغ التالفة أو التي لا تقوم بوظيفتها في الكلام وإدراك الأشياء والإحساس بها . وعادة ما تمزج الوصفات الطبية بوصفات علاجية من قبل متخصصين لمعالجة مرضى التوحد . ورغم ظهور عدة عقاقير طبية توصف بأنها شافية لحالات التوحد إلا أنه ثبت عدم وجود أي عقار طبي شافي بمعنى الكلمة حتى الآن إلا أن بعضها قد تخفف من أعراض التوحد (مثل غياب القدرة على الانتباه والتركيز أو النشاط الحركي الزائد..)، وعلى الأسر التي توجد لدى أطفالها حالات توحد أن تحذر من الإعلانات المضللة للعقاقير في هذا المجال.

كلمة أخيرة : مستقبل مرضى التوحد ، وأفضل سبل علاجه ، ودور الأم

في العلاج

التوحد مرض يبدأ مع ميلاد الطفل وتستمر حتى مماته ، ونسبة الناجين من المرض ضئيلة قد لا تزيد عن 30% ، وأكثرها من المرضى الذين لا يكون لديهم تخلف عقلي. ويصل 70% من مرضى التوحد إلى سن الشيخوخة وهم تحت رعاية خاصة.

والمستقبل يؤكد على البيئة المحيطة الحانية والمساعدة لمرضى التوحد هي التي تهىء فرص التقدم ما لم يرافقها نوبات صرع ، لعل في التأهيل للإداريين والأمهات والآباء والمرضى كذلك ما يبشر بالخير ، ففي الولايات المتحدة استطاع أربعة أشخاص كانوا مرضى بالتوحد ، الحصول على درجة الدكتوراة . كما أن للتغذية دور حيوي في علاج التوحد في المستقبل ، فالوجبة الصحية المناسبة لسنه ووزنه تؤدي إلى الاستقرار الغذائي المطلوب ، وينصح خبراء التغذية بتوفير المواد المعدنية والفيتامينات (كالزنك والنحاس والمغنيسيوم) لمرضى التوحد .

وللتعليم دور فعال فطفل التوحد بعكس الطفل السوي يحتاج عناية خاصة ومناهج تناسب مستواه العقلي والجسدي ، وذلك بسبب التوقف في نمو قدراته العقلية واللغوية والاتصالية مما يستدعي أسلوبا تعليميا خاصا وجهدا مضاعفا . ونظرا لتقدم مقاييس التقويم لمرضى التوحد (كالذكاء والسلوك والبروفایل النفسي وصياغة الأهداف للمشاريع والبرامج) فهناك العديد من المؤسسات التي تقدم البرامج التعليمية الفردية أي أن لكل طفل مريض بالتوحد برنامجه الخاص به نظرا لاختلاف كل حالة عن غيرها . وكنتيجة لتلك القياسات (سواء للمرضى أو من الإداريين أو القائمين على خدمة المرضى) فإن التخطيط للبرامج حسب المراحل التي يمكن تقسيمها حسب حاجة المريض ، سيزيد كما وكيفا وسيعطي الأمل في وضع أهداف محددة لكل مرحلة ضمن البرامج الخاصة التي تخدم مرضى التوحد في المجال الاجتماعي والإداري والخدماتي .

أما بالنسبة لـ دور الأم فإن الجزء الأكبر والجزء الأهم يقع على الأم في معالجة مرضى التوحد ، فهي التي تأخذ بيده وتقوم بخدمته ليل نهار ، وهي العارفة بأحوال طفلها . ولكن يبقى السؤال: هل تقوم الأم بذلك بوازع الضمير والأمومة وبقدر من المهارة العلاجية المكتسبة أم أنها تقوم به حسب الطريقة التقليدية في العناية والرعاية دون مهارات علاجية ؟ ومهما كان الدافع لمسؤولية الأم في خدمة طفلها ومهارتها في ذلك هو الوسيلة الناجعة في استمرار تأقلم مرضى التوحد في الأسرة وتمتعهم بحياة أقرب إلى الحياة الطبيعية التي يعيشها الاطفال الأسوياء فهم يستحقونها مثل غيرهم كبشر .

Article 21

الذكاء والعرق

د. حسن عبد القادر يحيى

RACE AND INTELLIGENCE

HASAN YAHYA, PH.D

في الستينيات من هذا القرن العشرين كان هناك جدل في الولايات المتحدة حول علاقة الإبداع والذكاء بالجنس أو العرق وقد اعتمد الجدل على الفرضية التي مفادها: أن هناك مجموعات عرقية (كالبيض مثلا) أكثر ذكاء وإبداعا من مجموعات أخرى (كالسود مثلا) ، أو فرضية أن أبناء الأغنياء أكثر ذكاء من أبناء الفقراء ، وهكذا ، وهذه الفرضيات لا تتعارض مع أسس الأيديولوجية العرقية التي تفضل عرقا على آخر أو طبقة على أخرى فقط وإنما هي فرضيات مرفوضة أخلاقيا من الناحية الإسلامية والناحية العقلانية معا . فإذا رجعنا إلى التاريخ وجدنا أن الإغريق القدماء اعتبروا أن العبودية شيء طبيعي ، ولذلك هناك أناس يحكمون وهناك أناس تحت الحكم . وهذه الفرضية لا تعتمد على العقل بقدر ما تعتمد على أيديولوجية التفرقة العنصرية . وما هي إلا تبرير لاستعباد البشر الذين يخلقون على الفطرة أحرارا ، والقول المعروف إسلاميا خير شاهد : الناس سواسية كأسنان المشط ، ومتى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا . ومن هذه الفرضية أيضا ، ينبع اهتمام العلماء بالجماعات البدائية فيصفونهم بعدم التفكير المنطقي أو أنهم ليسوا أذكىاء ، وقد هوجمت هذه الفكرة من قبل مجموعة من علماء دراسة الإنسان وعلماء الاجتماع ومنهم كاتب هذا المقال ، فما بال الحضارة

الفرعونية في أفريقيا وحضارة المايا في أمريكا اللاتينية وحضارة الصين في أقصى الشرق ، وحضارة سومر وأكد وحضارة البابليين في الشرق الأوسط ، فهل قامت هذه الحضارات وغيرها الكثير دون تفكير منطقي ؟ ودفاعا عن الشعوب البدائية قام العالم المفكر فرانز باوس في دراسة له عام ، 1965 أثبت فيها أن الشعوب البدائية تتبع خطوط المنطق في تسيير حياتها اليومية (أي تتبع نموذجا في التفكير والعمل لا يقل تعقيدا النماذج المتبعة في المجتمعات المتحضرة) ، ونعطي مثلا هنا على الجماعات البدائية في عملية الصيد فنجد أن الصياد يبحث الوسيلة التي سيستخدمها لاصطياد الحيوانات أو الأسماك ، فيقوم بتحضير مكوناتها وصنعها وفحصها للتأكد من فعاليتها والعمل على تحسينها إذا فشلت في كفاءتها وتقييمها ، وتلك عملية منطقية في حل مشكلة إيجاد الطعام عند الإنسان البدائي. ألا تأخذ عملية صنع سيارة نفس الخطوات ونفس المنطق من تطوير وسائل المواصلات وتحضير المواد الخام وتجربتها بعد صنعها للتأكد من فعاليتها وكفاءتها وتقييمها ؟

نعود إلى ما بدأنا به مقالنا عن الجدل في الولايات المتحدة حول الإبداع والذكاء وعلاقتها مع الجنس أو العرق ، فنجد أن الجدل يعتمد أساسا على قياسات واختبارات قام بها علماء أمريكيان مثل بينيت Binet وسيمون Simon في عام ، 1905 وكان من نتائج أبحاثهم أن مجموعات أمريكية مثل المكسيكيين والسود والهنود الحمر والإيطاليين والبرتغاليين سجلت درجات أدنى من المستوى المطلوب للإبداع الذي سجله البيض (من منتصف وشمال أوروبا). وبناء على تلك النتائج قامت دراسات عديدة وانتقادات كثيرة ضد هذه النتائج يمكن تلخيصها في النقاط التالية: فمن حيث المستوى الاجتماعي والاقتصادي الذي استعمل في الدراسة فإنه إذا تم حذف المتغير (وهو المسمى بالضابط إحصائيا) من المعادلة نجد أن الفرق العرقي ليس له أهمية ، لأن المتغيرات التي تتألف منها المعادلة مثل عدد سني الدراسة تؤثر في النتائج . وهذا ما أثبتته سيمبسون Simpson وينجر Yenger عام 1972. وأما النقطة الثانية وهي السبب الآخر في تفسير النتائج السابقة هو خطأ تشكيل العينة ، ففي عملية البحث يحتاج الباحث إلى عينة تختار إحصائيا بحيث يكون لكل مشارك فيها من السكان نفس الحظ لانضمامه لها أو عدم انضمامه لها. ففي عملية البحث يحتاج الباحث إلى عينة لفحصها حتى تعمم نتائج البحث على السكان الذين أختيرت من بينهم العينة والتي تمثل بدورها المجموعة السكانية جغرافيا مع العناية بتوقع فارق صغير من هامش الخطأ المعياري. وعند ضبط هذا المتغير وجد أن السود في شمال الولايات المتحدة سجلوا نتائج أفضل من البيض في جنوبها . أما النقطة الثالثة التي تعترض نتائج البحث حول علاقة الإبداع والذكاء بالجنس أو العرق فهي أنها أكثر أهمية من العاملين السابقين وهي نقطة العامل الثقافي حيث يؤثر في نتائج الفحوص الخاصة بالإبداع ، فمعظم الاختبارات في الولايات المتحدة

تعتمد أساسا على اللغة الإنجليزية كنموذج مستعمل من قبل الطبقة الوسطى . ونظرا لعدم فهم اللغة أو صعوبة تفسيرها حسب العامل الثقافي فإن البعض يخطئ في الإجابة بينما يجيب آخرون على الأسئلة بسهولة نادرة ويحققون نتائج أفضل . فالإجابة صحيحة من وجهة نظر الطرفين ، ولكن واضح السؤال يريد إثبات فرضية يناهز بها . لذا فإن ملاءمة الأسئلة في اختبارات الإبداع والذكاء للمجموعة تشكل عاملا أساسيا في تقليل الفروق العرقية . واعتراضا على تلك النتائج قامت مجموعة من علماء النفس أمثال جنسن Jensen عام 1973 وماكجورك McGurk عام 1956 بتقديم تقارير عن أبحاثهم خلاصتها تأكيد أن فروق الإبداع والذكاء تعود إلى العرق بيولوجيا ولا تعود إلى الثقافة أو البيئة أو نوعية الاختبار . واعتراضا على هذا القول قام أدريان دوف Dove عام 1968 وأثبت أن أن الفروق في نتائج الاختبارات لا تعود إلى أسباب بيولوجية وإنما تعود إلى عدم معرفة كل مجموعة لثقافة المجموعات الأخرى . لذا فإن لوضع الأسئلة أهمية بالغة في تحديد نوعية الإجابة ومعرفة النتائج مسبقا ، وهذه الاختبارات أعدت لإثبات إن السود أقل ذكاء وإبداعا من البيض . أو العكس أن البيض أكثر ذكاء من السود . كما أن هناك جهد آخر قام به عالم نفس هو روبرت وليام William عام 1974 فقد أعد اختبارا للسود يحتوي معلومات يعرفها السود ولا يعرفها البيض ، فوجد أن السود قد سجلوا أعلى درجة في الإبداع والذكاء من البيض . كما أثبت وليام أن نوعية الاختبارات لتناسب المجموعة التي تحت الاختبار لها أثر كبير على نتائج الاختبار منافيا لما يقوله آخرون من أن العوامل البيولوجية والوراثية هي السبب في الفروق الإبداعية . كما أضاف عنصر آخر وهو أن اللغة التي تقدم بها الاختبارات لها أثر على النتائج ، وقد قام وليام هذا بإثبات ذلك بتغيير الكلمات في الاختبار لتناسب الثقافة والتقاليد واللغة المستعملة بين السود ، فوجد تغييرا في النتائج مما يدل قطعا أن الاختبارات التي أثبتت أن البيض أكثر ذكاء من السود وغيرهم كانت منحازة وما هي إلا اصطناع من البيض يؤيده الحس العنصري للفرقة بين الأعراق والأجناس . و خلاصة القول أن الفروق الإبداعية قد تحصل في المجموعة الواحدة سواء أكانت من السود أم من البيض . كما تحصل بين المجموعات كوحدات منفصلة ، ولم تستطع النظريات الحديثة التوصل إلى نتيجة فاصلة في هذا الموضوع . فالبعض يدعي أن نوعية الاختبارات تناسب مجموعة دون أخرى فتظهر نتائج مثيرة للعنصرية . والبعض الآخر يرى أن الخلفية الثقافية والمستوى الاجتماعي يؤثران سلبا أو إيجابا على النتائج . ويذهب فريق ثالث إلى أن هناك عناصر خاصة بيولوجية وراثية تقلل من الملكات الإبداعية ومستلزمات الذكاء . وليس هناك من حد قطعي لوجهات النظر هذه ، والمطلوب هو زيادة البحوث بشكل شمولي عام للإحاطة بهذه الظاهرة وعدم ربطها بمجموعة دون أخرى ، والكاتب يميل إلى أن عملية الإبداع فطرة

متوارثة وثقافة مكتسبة ولا مقياس لأحدهما فعال دون قياس الآخر ،
والجمع بينهما ربما يكون الأصوب في قياس القدرات الإبداعية
ومستويات الذكاء. والسؤال هو: كيف يستفيد المربون والمربيات
والمدرسون والمدربات والمديرون (ظهورهم للنتائج) والمدبرات من
هذه البحوث وكيف يطبقونها في عمليات التدريس الإبداعي في
مؤسساتهم ومدارسهم ؟ فهناك كثير من منتسبي معاهدهم ،من طالباتهم
وطالبيهم مبدعات ومبدعون وإن لم يظهر عليهم الإبداع.

Article 22

تطبيق الإبداع في التربية
د. حسن عبد القادر يحيى

CRITICAL THINKING AS A LEARNING METHOD HASAN YAHYA, PH.D

خلصنا في المقال السابق حول الإبداع إلى القول بأن الفروق الإبداعية قد تحصل في المجموعة الواحدة سواء أكانت من السود أم من البيض . كما تحصل بين المجموعات كوحدات منفصلة ، وأن النظريات الحديثة لم تستطع التوصل إلى نتيجة فاصلة في هذا الموضوع . فالبعض يدعي أن نوعية الاختبارات تناسب مجموعة دون أخرى فتظهر نتائج مثيرة للعنصرية . والبعض الآخر يرى أن الخلفية الثقافية والمستوى الاجتماعي يؤثران سلبا أو إيجابا على النتائج . ويذهب فريق ثالث إلى أن هناك عناصر خاصة بيولوجية ورائية تقلل من الملكات الإبداعية ومستلزمات الذكاء . وليس هناك من حد قطعي لوجهات النظر هذه ، والمطلوب هو زيادة البحوث بشكل شمولي عام للإحاطة بهذه الظاهرة وعدم ربطها بمجموعة دون أخرى ، والكاتب يميل إلى أن عملية الإبداع فطرة متوارثة وثقافة مكتسبة ولا مقياس لأحدهما فعال دون قياس الآخر ، والجمع بينهما ربما يكون الأكثر صوابا في قياس القدرات الإبداعية ومستويات الذكاء . في هذا المقال نجيب على السؤال الذي طرحناه وهو: كيف يستفيد المربون والمربيات والمدرسون والمدرسات والمديرون (ظهورهم للنتائج) والمديرات من هذه البحوث وكيف يطبقونها في عمليات التدريس الإبداعي في مؤسساتهم ومدارسهم ؟ علما بأن هناك عددا كبيرا من منسبي معاهدهم ، من طالباتهم وطلابهم مبدعات ومبدعون وإن لم يظهر عليهم الإبداع.

كما نعلم فإن البشر غير متساوين في ملكاتهم وقدراتهم العقلية والعاطفية ، ففوق كل ذي علم عليم ، ولا يستوى العالم والجاهل ، والطالبات والطلاب بشر ، لذا فهم مستويات مختلفة أي هم غير متساوين . ففيهم الأغنياء عقلا وثروة وفيهم الفقراء عقلا وثروة ، وفيهم القادرون المتمرسون خبرة على الإجابة والإبداع ، وفيهم الغير قادرين على ممارسة الإبداع لظروف خاصة بهم دون غيرهم ، وبعضهم لا يحب المادة التي يدرسونها ، لأي سبب من الأسباب ، كشخصية المدرس مثلا أو شخصية المدرسة ، أو نوعية طرائق التدريس والتعلم ، أو من تأثير الأسرة ، وآخرون يحبون المادة الدراسية فيقبلون عليها دراسة وتحصيلا بنهم غريب .

إن مهمة المدرسين والمدرسات في فصولهم مهمة جليلة ومقدسة ، وهم كالدينامو المحرك للطاقات في فصولهم ، ونظرا لأنهم يحبون التسلسل المنطقي فإني أقترح عليهم النقاط التالية:

1. أن يقوموا بدراسة عادات طلابهم وطالباتهم الدراسية ، لذا فعليهم أن لا يعاملوا الطالبات والطلاب بنفس المعاملة لاختلاف المستويات بينهم.

2. أن يقوموا بالإصغاء أكثر من الكلام ،لذا فعليهم استخدام تقسيم الفصل إلى مجموعات تتناسب والمستويات التحصيلية.
 3. أن يكونوا عادلين في المعاملة ويشرحوا للطالبات والطلاب ما يرونه من أهداف الدرس ،لذا عليهم اختراع طرق تصويرية إبداعية لاستخدام مخيلة الدارسات والدارسين في تصور قضايا مجتمعية ومشاكل تهمهم .
 4. تقسيم الحصة إلى قسمين ،الأول للبحث والتقصي حول موضوع الدرس ،وما تبقى من الحصة للمناقشة والنقد الإبداعي من كل مجموعة .
 5. مبدأ العدالة في العقاب والثواب وذلك لبناء الثقة المتبادلة بين الطالبات والطلاب من جهة وبين المدرسات والمدرسين من جهة أخرى . وتستجد المدرسة كما سيجد المدرس أن بعض الطالبات أو بعض الطلاب قد سجلوا سبقا في أحد المجالات دون غيرها لذا فعليهم أن يقوموا بتنمية ذلك المجال ومدح عقلية تلك الفتاة المبدعة ،وتشجيعها على الإبداع في ذلك المجال . أو تقدير مقدرة الطالبة على الاستيعاب بزرع الثقة في النفوس ، والاطمئنان في القلوب ،لتعطي عملية التعلم أفضل نتائجها .
 6. اختراع جدول يومي للمبدعات في حصة ،وتسليم أمر القائمة للطالبات حيث يخترن صاحبة الفكرة الإبداعية ،وكذلك مع الطلاب .
 7. أن تكون هناك اجتماعات دورية بين المدرسين وتبادل زيارات لتبادل الأفكار والخبرات واختيار الأكثر فائدة من هذه الأفكار والتخلص أو التقليل من الأفكار السلبية حول النشاطات الإبداعية . كما يكون التبادل بضم أجزاء من الصفوف أو كلها في نشاطات إبداعية ومسابقات تعاونية حول تصورات مستقبلية وقضايا وهمية لتنمية الإبداع ،مثل العلوم الاجتماعية : ماذا سيكون تأثير السيارات على المجتمع لو لم يكن للسيارات مكابح للفرامل . أو ماذا لو انقطعت الكهرباء عن المطار فجأة ودامت ست ساعات ؟ماذا لو كنت في جزيرة غير مأهولة فكيف تتصرف ؟وهكذا . ماذا لو كان لنا قدم واحدة وعين واحدة وأذن واحدة ؟ فكيف نتصرف ؟وما أثر ذلك على الحضارات الرومانية واليونانية والعربية والغربية؟
 8. أن يطلعوا على نظريات الإبداع الفردي والجماعي ،وكيفية تطويرها وتطويعها لخدمة الطلاب والطالبات ،وتعطي مرونة النظريات قوة للمدرسات والمدرسين في زيادة المرونة في وضع الأسئلة لتناسب المستويات المختلفة في الفصل ،لا أن تكون خاصة بمجموعة معينة دون الأخرى ،ولا تكون سهلة إلى حد لا نفرق بين المبدع والذي هو في طريقه إلى الإبداع ،فمثل هذه المرونة شرط في فهم العوامل النفسية عند الطالبات والطلاب وأثر هذه العوامل على السلوك النفسي والتحصيلي .
- ولعل خير من يقوم بعملية تشجيع المدرسين والمدرسات على الإبداع وتجميع المدرسين للنقاش هي الإدارة الحكيمة في المدارس أو من يعاونهم من المدرسين المبدعين والمدرسات المبدعات ،أو مستويات

إدارية أعلى مستوى كإدارات المناطق أو الوزارة التي يمكن لها أن تعمم تجربة ناجحة في مدرسة ما على مدارس ومناطق أخرى .

Article 23

الإبداع والتفكير النقدي

د. حسن عبد القادر يحيى

CREATIVITY AND CRITICAL THINKING

HASAN YAHYA, PH.D

لم يعد النظر إلى الإبداع بأنه وراثي كما كان سائداً في الثلث الأول من هذا القرن ، بل أصبح مهارة يمكن تعلمها واكتساب قدراتها عن طريق تنمية علاقات التداخل مع الناس الآخرين . وبمعنى آخر فإنه يمكن تكوين العبقري إذا أحسن تعليمه وتدريبه لا بصفاته الخلقية الوراثية وإنما بتمييزه من بين أقرانه لخبرته ومقدرته ومهارته . وقد أكد البحث العلمي على أن الاستعدادات المبدعة يمكن اكتسابها وتكوينها وتنميتها وتطويرها عن طريق مختصين في مجالها . وهنا تكمن أهمية التربية والتعليم في صقل الشخصية الإنسانية المبدعة ، التي من خلالها يتم تطوير الإبداع وتهيئة المبدعين ليأخذوا مكانهم في قيادة مؤسسات المجتمع السياسية ومنظّماته الاجتماعية وشركاته الاقتصادية . ويكاد يتفق العديد من علماء الاجتماع وعلماء النفس حول العوامل النفسية والاجتماعية الإيجابية التي تدفع الأفراد والجماعات إلى الإبداع والتفكير الإبداعي والعمل بجدية وفعالية ومن هذه العوامل الإيجابية: القيادة الحكيمة ، والصدق في العمل ، ومهارة التعامل في العلاقات الإنسانية ، التقويم الموضوعي للعمل ، والنزاهة ، والاستقامة في العلاقات في إطار الجماعة الصغيرة أو الكبيرة . أما العوامل السلبية التي تؤثر في عدم إبداع الناس وتساهم في

عدم إنتاجهم فمنها: عدم تقبل التغيير من خلال مقاومة كل جديد ،ومواقف عدم الثقة من الأشخاص المبدعين كمبدأ تنافسي يعتمد المحاباة والمجاملة والمحسوبية ، وعدم احترام شروط الإبداع ، وتفكك العلاقات الاجتماعية وعدم تماسك أو تسامح أفراد المجموعات ، والحقد المتبادل بين المجموعات. ولالإبداع شروط وخطوات لا بد من توافرها حتى يبدع الفرد منفردا أو من خلال عضويته ضمن جماعة متخصصة في شيء ما . وقد ورد في كتاب الإبداع العام والخاص لألكسندرو روشكا السؤال التالي حول العصف الذهني الذي يؤدي إلى الإبداع ، وهو "ماذا يمكن أن يحصل لو فقد كل الناس على الكرة الأرضية قدرتهم على الرؤية ؟

تعتبر هذه الفرضيات من ضمن الأسئلة التي تستخدم عادة لما يطلق عليه "العصف الذهني" في العملية التربوية . خاصة إذا طرح السؤال على مجموعة من الطالبات بدلا من طرحه على طالبة بمفردها. وقد أثبتت البحوث العلمية أن المشاركة في مناقشة مثل هذه الأسئلة من قبل المجموعات تشد من خلال الاستماع لآراء الآخرين . حيث يشجع الفرد عضواً آخر في الفريق أو المجموعة المشاركة في النقاش من أجل التوصل إلى إبداعات الفكر في حل المشاكل المتصورة . ففي مثل هذا النوع من النقاش يمكن توليد الأفكار العديدة والمختلفة . ولكن ترتيب الأفكار يحتاج إلى إدارة فعالة للمجموعة . وقد تعودت خلال تدريسي للثقافة الإسلامية بطرح عدد من القضايا التي تحرك الإبداع الفكري والنقد الإبداعي في دراسة تاريخ الثقافة الإسلامية ، مثل : ماذا لو انتصر المشركون في غزوة بدر ؟ فكيف سيكون مسار التاريخ الإسلامي ؟ أو ماذا لو لم يتم فتح مكة سلميا فماذا ستكون النتيجة ؟ أو ماذا لو لم يهاجر الرسول عليه السلام إلى المدينة ، فكيف سيكون مستقبل الإسلام ؟ أو ماذا لو قام خالد بن الوليد بالعصيان على سياسة عمر بن الخطاب لعزله من مركزه كقائد للجيش الإسلامية ؟ أو ماذا لو انتصر الروم في معركة اليرموك ؟ أو ماذا لو كانت نتيجة معركة عين جالوت أو القادسية على غير ما يشتهي المسلمون فما ستكون النتيجة ؟

وقد وجدت أن الطلبة حتى يتصوروا عكس ما حصل فإنهم حريصون على إعادة بناء ما حصل فعلا ليفهموه جيدا قبل أن يتصوروا عكس ما حصل . وبهذه الطريقة كانت النقاشات بين أفراد المجموعات وتقسيم الأعمال بين المشاركين تأخذ منهم وقتا للتنظيم وتحديد الصلاحيات ، فمنهم من يقوم بملاحظة التداخلات والاتصالات بين أفراد المجموعة الواحدة أو الاتصالات بين المجموعات ، ومنهم من يحدد الوقت لإنهاء المناقشة ، ومنهم من يجمع المعلومات اللازمة لإعادة بناء الأحداث ويقوم آخرون بتحليل المعلومات وتنظيمها حسب عنصري الزمان والمكان وأدوار المشاركين في المجال السياسي والمجال الاقتصادي والمجال الاجتماعي . وقبل أن نصل إلى المناقشة العامة لما حصل تقوم مجموعة

أخرى برسم خطوط لأحداث تاريخية أخرى ورسم تصورات لتلك الأحداث بعكس ما نعرفه عنها.

ولترسيخ عنوان هذا المقال الإبداع والتفكير النقدي ، فإن التفكير بصوت عال بحيث يسمع الآخرون كيف يفكر القائد مثلا يساعد المشاركين في المجموعات على فهم العملية العقلية في تدرج مراحل التفكير وتطور الأفكار الاستهلاكية والاستنتاجية من خلال طرح أفكار جديدة واستنباط أفكار معاكسة أو رسم أفكار جديدة بناء على ما هو مطروح من حقائق الأحداث التاريخية والتراثية. فلو أعطينا الطلاب أو الطالبات مسألة مثلا وطلبنا منهم أن يجمعوا حروفها بحيث يكون لكل حرف قيمة رقمية ، ويكون المجموع كلمة ثلاثة مثل: اجمعي الباء والألف (ب أ) مع الألف والباء (أ ب) ليكون الجواب : باب (ب أ ب) ، وستجد الطالبات بعد عدة محاولات أن الجواب سيكون بالمنات ، وأن الألف والباء لن يتعديا الرقم 99 ، لأن الأول يكون في خانة الأحاد بينما يكون الثاني في خانة العشرات ، والجواب سيكون سهلا ولكنه لن يقل عن 100 ، باستعمال عدة محاولات أو تجربة عدة احتمالات ، حيث سيكون الجواب (ب أ ب) ولكن التفكير في المسألة بصوت عال يفيد الطالبات السامعات فيتعلمن التحليل للاحتماليات للوصول إلى الحل الأمثل . ومنه أيضا جمع كلمتي دونالد DONALD وجيرالد GERALD بالإنجليزية ليكون الجواب روبرت ROBERT ، مع معرفة أن الحرف دال يساوي 5 أي (D = 5).

وتحضيرا للأجيال الجامعية التي ستتولى قيادة المؤسسات والشركات والمنظمات الوطنية والعالمية مع بداية الألفية الثالثة فإن عددا من الأسئلة التي تساعد على التفكير الإبداعي أيضا السؤال التالي: ماذا لو انقطعت الكهرباء عن المدينة لمدة أسبوع ، فماذا ستكون النتيجة؟ وكيف يتصرف المسؤولون في هذه الحالة ، وكيف تجابه الدولة تلك المشكلة ؟ وما الوسائل والاتصالات التي يحتاجها فريق عمل كلف بالتقليل من أثر تلك المشكلة ؟ أو ماذا لو لم تبتدع الكهرباء ، أو ماذا لو قام زلزال في جزيرة ما أو دولة ما فما هي وسائل التعاون المقترحة بين دول العالم ؟ وكيف يحصل التنسيق بين المؤسسات في المجالات الإعلامية والتوعوية لتقديم الخدمات المطلوبة؟ ومع أن الكهرباء لن تنقطع عن المدينة لمدة أسبوع ، والكهرباء اخترعت ، والزلزال لم يحصل ، وفتح مكة لن يتغير تاريخيا ولا معركة اليرموك أو عين جالوت عن نتائجها التاريخية المعروفة ، فإن هذه النشاطات تنمي التفكير الإبداعي بين طلبة وطالبات الجامعة وتساهم في تدريبهم على أدوار سيقومون بها أو بمثلها في قيادة المجموعات وتنمية المهارات في مجالات التخطيط والبحث العلمي واتخاذ القرارات الحرجة تدعمها المصادر التاريخية والمعلومات البيئية والسياسية والاجتماعية .

Article Number

24

كتب حسن يحيى - ولاية ميشيغان
رفقا بالأطفال

هناك تسابق بين الحضارات حول الكمية والنوعية ، وكلما كانت الحضارة تهتم بالنوعية كانت مقبولة أكثر من الحضارة التي تهتم بالكمية ، وتسري هذه الفرضية على التربية التابعة لتلك الحضارة ، فإذا كانت التربية في حضارة ما تهتم بالكمية أكثر من النوعية فإنها في مشكلة حضارية لا تخرج منها حتى تغير موازينها . وعلى ذكر الموازين ، فقد قمت بزيارة صديقي في إحدى الدول العربية وعنده طفاة في الثامنة من عمرها ، وهي في الفصل الثالث ، فاسترعى انتباهي حجم الحقيبة التي تحملها وما فيها من الكتب وهي عائدة من المدرسة ، فالحقيبة ينوء بحملها ابن الخامسة عشرة من العمر ، فقلت لها كيف نستطيع وزن الكتب ؟ قالت: نضع الكتب في الميزان ونزنها فنعرف وزنها . قلت : هناك طرق أخرى فما رأيك؟ قالت: نعم هناك طريقة أخرى وهي أن نضع الكتب في الحقيبة ونزن الحقيبة فنعرف وزنها . قلت لها حاولي وزنها فجاءت بميزان من الغرفة المجاورة ووضعت عليها الحقيبة ولكنها لم تستطع رؤية الميزان لحجم الحقيبة التي غطت الأرقام . قلت لها : هناك طريقة أسهل ، فهل عندك طرق أخرى لقياس وزن الحقيبة وما فيها من الكتب ؟ نظرت إلي نظرة الواثقة المتمكنة من نفسها، وهنا تدخل أخو البنات وهو يكبرها بسنين فقال: أوزني نفسك أولاً ، قامت وكان الفكرة فكرتها بوزن نفسها أولاً بدون الحقيبة ، فكان وزنها 21 كيلوغراما ، ثم قامت فوزنت نفسها وهي تحمل الحقيبة ، فكان الناتج 27 كيلوغراما ، وبعملية بسيطة قلنا لها ما وزن الكتب التي تحتويها الحقيبة؟ فأخذت السؤال بجدية فقامت وجاءت بورقة وقلم ، ورتبت الرقمين عاموديا ووضعت علامة الناقص وبدأت بعملية الطرح وقد اشتركت فيها الأصابع أيضا ، وكان الجواب 6 كيلوغرامات ، قلت لها: أهذا وزنك أم وزن الكتب؟ قالت وهي تبتسم وتؤكد ذكاءها تنتعش بثقتها بنفسها: طبعاً الستة كيلوغرامات هي وزن الكتب. فقلت لها : وهل تحملين هذه الحقيبة كل يوم من أيام الأسبوع ؟ قالت وكأنها تريد أن تزيد من معلوماتي المتواضعة عن التربية والتعليم :

نعم ، ثم قامت بتبرير إجابتها تلك بأن أضافت: لا نستطيع الدراسة بدون الكتب كما تعلم . وبعملية حساب بسيطة وجدت أن الطفلة المسكينة تحمل حوالي 22،8 في المائة من وزنها كل يوم ، وبحسبة بسيطة خلال العام الواحد فإنها تحمل الحقيبة مرتين كل يوم لمدة تزيد على مائتي يوم فيكون مجموع ما حملته الطفلة وهي في الثامنة من العمر ستة كيلو غرامات مضروبة بمرتين ثم ضرب الحاصل ب 200 يوم ، فإن المجموع وبكل بساطة يزيد على 2400 كيلو غراما، وهنا أتساءل: هل التعليم حمل أثقال ؟ أم متعة لتلقي المعرفة ؟ هل التعليم باكمية أم بالنوعية؟ هذا ما كان حال التعليم في بلد الطفلة ، أما التعليم في الدول الأخرى المتقدمة مثل أوروبا وأمريكا وكندا فيختلف وتبقى الكتب في خزانة خاصة للطلاب في المدرسة ، يأخذ منها ما يشاء لكل حصة . وكان تعليقي البسيط على تلك الظاهرة : رفقا بالأطفال حاملي الأثقال ، فمهما اختلفت طرق التدريس فلا يجب أن نختلف في أن الأطفال سيعيشون في عصر غير عصرنا ، وزماننا غير زماننا وبما أن لكل زمن همومه ، فالعلم لا يوزن بالباذنجان (على رأي عادل إمام) أي بالكمية ، وإنما يوزن بالكيفية ، ومن هذا النوع تعويد الأطفال على اتخاذ القرارات الصائبة والتفكير النقدي والنقد المبدع والاهتمام بالجواهر لا بالمظهر ، وتلك لعمرى من أسس النهضة الحديثة في كل مجتمع يريد أن يسود في الألفية الثالثة .

السعيد دوما ، فكل غبي سعيد ، أما أصحاب العقول النيرة فيبينهم وبين السعادة حواجز تعلق أو تقصر حسب عقولهم ، والغباء ينتقي مع السعادة الحقيقية التي يشعر بها العقلاء ، والناس يفضلون أن يتهنوا بالعقل ولا يحبون أن يتهموا بالغباء ، فإسعادة شعور نفسي يظهر من خلال الشفاه الباسمة من بني البشر هل سمعت يوما شخصا يضحك بملء فيه أي بقوة وبصوت عال مؤخرا؟ نحن نعلم أن الحديث بين الأقران والأصدقاء تتخلله ضحكات وقفشات تتناوب في الظهور خاصة عند الشباب فهم يضحكون بمتعة فائقة وكأن الحياة خلت من المنغصات السياسية والاجتماعية ، والشباب حين يلتقي أمثالهم يشعرون بسعادة اللقاء ، فمهما كان موضوع الحديث تافها إلا أنه يجلب الضحكات والبسمات .

عكس السعادة هو التعاسة ، وهي الخلو من الآلام لفترة محدودة أو فترات متكررة دائمة ، أو محدودة ، هي محصلة الحياة الانفعالية بين الناس ، فإذا زادت الآلام وقلت اللذات قلت معها السعادة ، وكذا الحال كلما زادت الأفراح على الأتراح كلما زادت السعادة ودامت مع دوام الأفراح ، وهناك آلام مادية جسدية وأخرى معنوية ، وقد ينجو الفرد من الآلام الجسدية مع الزمن ، وقلما ينجو الفرد من الآلام النفسية أو المعنوية ، أعرف أشخاصا لا يعرفون السعادة بعد أن فقدوا حبيبا أو صديقا .

وأعرف أشخاصا حاولوا التخلص من الشعور بالأسى والآلام التي تتراكم بفقد غال عليهم فكانت سعادتهم نسبية وقتية ومحدودة . ورجائي لكل إنسان رجل أم امرأة أن تتغلب اللذات في حياتهم كالنجاح وتحقيق الأهداف والحب على الآلام كفقد الحبيب أو الفشل في الحب والحياة حتى يعيشوا بسعادة دائمة ، ولكن الحال الواحد لا يدوم ، والتغير صفة من صفات الإنسان في العقل والجسد والتعامل مع الناس والخبرات ودرجات السعادة . فكيف تكون السعادة في الغرب مقارنة بالسعادة في الشرق؟

يبحث الغربيون عن السعادة من خلال الحركة والتفاعل وتقليل الآلام وزيادة اللذات ، فهم لا يكتفون بقليل اللذات وإنما يسعون إلى منتهاها ، ويبدلون الجهود للحصول عليها ، ويحاولون تقليل الآلام مدة ونوعية ، ففي كثرة المشقة والتعب من أجل اللذة عندهم سعادة زائدة ، وكلما زادت المشقة زادت السعادة مثل صعود الجبال ، والتزلج والمسابقات العنيفة ، وكلها تحتاج حركة وتموجا ، أما الشرقيون فيميلون إلى الدعة والاستقرار وتقليل الآلام بتقليل الحركة والتفاعل ، فهم إذا خرجوا للتنزه مثلا فإنهم يبحثون عن منطقة جميلة هادئة تطلها الأشجار ويأخذون معهم القهوة والأرجيلة والأبسطة للجلوس أو التمدد عليها ، وتلك هي اللذة عندهم . فإذا رأوا طفلا يسرع أو يحاول تسلق شجرة ليتفاعل مع بيئته تراهم ينهرونه خوفا عليه من الوقوع أو إيذاء نفسه ، فالنزهة عند المشركيين جلوس وأكل وشرب واستلقاء وسكون واستمتاع ، أما عند الغربيين فالنزهة جد ونشاط وحركة ولعب وركض وقفز وقنص وإنشاد ورقص . وشأن ما بينهما في اقتناص اللذات والحصول على السعادة .

وعند الشرقيين يعتبر الخروج عن العادات والتقاليد نوع من سوء الأدب وقلة الحياء والغناء والوقاحة بالخروج عن طاعة الآباء ، لذا فهم يستعملون وسائل الترهيب لضبط السلوك عند أطفالهم ، أما عند الغربيين فالخروج عن التراث والتقاليد يعتبر ابتكارا وإبداعا وذكاء وهم يشجعون أطفالهم عليه ويمدحونهم ويحثوهم على التجديد الدائم .

26

لا خوف على العرب من العولمة

د. حسن عبد القادر يحيى

لقد انشغل المثقفون في العالم العربي خلال النصف الثاني من القرن المنصرم في الدفاع عن الذات العربية وكأنها في مهب الريح ، ووقفوا موقفا سلبيا ومعاديا أحيانا للذات الإسلامية وكأنها تهديد للقومية ، فاحرفوا بذلك إلى ما لا يفيد من النقاشات التجريدية وتركوا الواقع المعاش الذي كان من الأولى أن يناقش ، وكان الأحرى في رأيي ، أن يهتم المثقفون العرب بما آلت إليه التغيرات الاجتماعية في الوطن العربي . وهي غياب الحرية ، وانحدار طرق المعاش والمستوى المعيشي ومنها بل وعلى رأسها البحث عن لقمة العيش والترقب لفصلها والعمل على عدم قطعها ، فلا خصوصية الذات الفردية المبنية للحصول على وظيفة أو على لقمة عيش تمحو الثقافة الكلية للمجتمع من الناحية الفكرية ولا تمحو العقيدة الداعية إلى العمل والمثابرة ، وبنفس المقياس لا الثقافة المجتمعية الموجهة نحو المادية تمحو خصوصية الذات الفردية إن أرادت الانتماء إلى عرق أو عقيدة أو كفاح من أجل لقمة العيش ، بل إن كليهما الخصوصية الذاتية الفردية والثقافة المجتمعية يعزز موقف كل منهما موقف الآخر ، وبهما معا يستطيع العربي كما يستطيع المسلم أن يعيش

بفخر وثقة ويتعايش مع غيره ومع مجتمعه دون صراع نفسي أو اجتماعي أو جيوسياسي .

وتأتي العولمة ، فيجد العرب أنفسهم بين فريقين أو ثلاثة إذا أخذنا في الاعتبار ما بينهما، فأحدهما منفتح نحو الغرب ومثله وليست كل مثله منبوذة ، فالعلوم الحديثة التي تزيد من الإنتاجية والفعالية الإدارية والتفكير المنطقي والتخطيط السليم الطويل المدى من مثله التي نود تقليدها في المشرق ، وقسم منغلِق على نفسه وتراثه ومحافظ على مثله ، وليست كل مثله مقبولة . ومنها الأنانية والفردية والعنصرية والتعصب . والفريق الأول له تحليلات ومناقشات وآراء تعكس وجهة نظره ، ولا يقل الفريق الآخر عنه تحليلاً ومناقشة وآراء تعكس وجهة نظره كذلك، أما الفريق الثالث وهو ما بينهما فهو فريق لا هوية له هامشي في ذاته الفردية وثقافته المجتمعية ويشعر أنه من غير المهم أن ينتمي إلا إلى العقل دون العاطفة أو ينتمي إلى العاطفة دون العقل ، وفي رأبي أن لكل فريق هفواته وشطحاته في وصف أحواله وأفكاره وعقيدته ، كما أن لكل فريق إبداعاته في التخطيط لثقافة الجموعية والذات الفردية، ومن ثم لحضارته التي لا تكتمل إلا بتمازج خصوصية الذات الفردية مع الثقافة الجموعية ، ولا يعقل أن تنمو الذات الفردية في فراغ ، ولكل فرد هوية ، فإذا كانت المرأة أو المرء عربي الهوية ، عربي الثقافة فهو عربي العاطفة عربي التخطيط وعربي النزعة القومية التي تتخطى الحدود السياسية المحلية والوطنية . وإذا كان المسلم إسلامي الهوية ، إسلامي الثقافة ، فهو إسلامي العاطفة ، إسلامي التخطيط ، وإسلامي النزعة العالمية العقيدية ، التي تتخطى الحدود السياسية الإقليمية والعرقية . وإذا كانت المرأة أو المرء يجمع بينهما أي هو عربي إسلامي ، فخصوصيته الذاتية تحد هويته العربية الإسلامية ، أي أنه يمسك العصا من المنتصف فلا هو قومي على حساب الإسلامي ولا إسلامي على حساب القومي ، وإنما يوازن بينهما ليعيش دون التزام بأي منهما ودون الاستغناء عنهما ، فهويته تتراوح بينهما ، ففي ثقافته هو عربي وفي تقديسه لمقدسات الإسلام والشعور بمشاعر المسلمين هو إسلامي .

وتأتي العولمة ومن أهم صفاتها الهيمنة العالمية على مقدرات التبادل التجاري وقوى السوق الحرة والتي تستدعي التبعية من الضعفاء ذاتا وقومية وعقيدية للقوي الذي لا يتصف بقومية أو عقيدية محددة وإنما يملك المعلومات في عصر المعلومات ، كما يملك قوى السوق التجارية من مال وعناصر اقتصاد وحتى سياسة ، فترغم الآخرين على اتباعها وفقدان الهوية الذاتية والقومية والعقيدية، والعولمة تخيف من لا هوية له وتؤثر فيمن لا حضارة له ولا ثقافة ، لا أصحاب الهوية الذاتية أو الانتماية . وعليه فالعرب والمسلمون ليسوا مهتدين بالانقراض ولا بالذوبان في العولمة ، كما أنهم لن ينزلقوا في شلال العولمة دون أن يكونوا متحكمين بفرامل يستعملونها عند الحاجة . فالعالم اليوم متداخل

مؤسسيا وفرديا وتجاريا ودبلوماسيا ، فلا خوف على العرب من العولمة ، لأن للعرب ذات وهوية لا تمحى بتبعية للغرب ولا بوصاية غربية ، فالمصادر الطبيعية والبشرية ما زالت في أيدي أصحابها ، وما علاقة التبادل بين الشرق المنتج للمواد الخام وبين الغرب المصنع للمواد الخام إلا علاقة نفعية متبادلة ، ولا تريد العولمة من الدول الفقيرة إلا استيراد ما يصنعه المتحكمون في العالم ماليا وسياسيا واقتصاديا ، وطالما أن العرب كأمة قومية ، أو المسلمين كأمة عقيدية تستورد ما يصنعه الغرب دون انتماء للغرب فالعولمة ليست ناجحة في المدارين العربي والإسلامي ، لأن الهوية العربية والهوية الإسلامية تنمو مع نمو العولمة جنبا إلى جنب وليس بالضرورة أن تتبع الهويتان العربية والإسلامية الهوية الغربية لمجرد استعمال منتجات الغرب الثقافية ، فللعرب ثقافتهم وللمسلمين ثقافتهم ولكل منهما ذاتية تخص الفرد فيهما ، تنمو في التربية والتعليم والسلوك والأخلاق . بل تستدعي الاهتمام بالمستقبل التربوي والأخلاقي للأجيال القادمة التي ستكون أكثر وعيا لما يحصل في العالم وأكثر تخطيطا وأشجع في اتخاذ القرارات الخاصة بمستقبل التربية والثقافة والأخلاق من الأجيال السابقة ، لأن هذه الأجيال إنما نشأت في عالم العولمة فتمازجت معها دون التخلي عن ذاتيتها الفردية ولا عن هويتها الوطنية ولا عن تطلعاتها القومية ولا عن مشاعرها العقيدية .

هزة رأسها ورحلة العمر
للدكتور حسن يحيى - ميشيغان

هزة رأسها ورحلة العمر كانت هزة رأسها تزعجني كلما علقت دون كلام حول تصرفي ، فتجعلني أحس بالذنب الذي اقترفته ولا أعرف عنه شيئاً من وجهة نظري . فهل قلت ما لا يجب أن يقال ؟ أم أنها تصحح بعض أخطائي التي تفوهت بها ؟ هزة رأسها تؤلمني ، ولا أشعر بالرضا مع اهتزاز رأسها بعد كل ما أقول ، هي زوجتي تهز رأسها معلنة أنني اقترفت ذنباً ، والتي لا يرضيها شيء مما أقوم به من قول أو فعل طيلة حياتنا القصيرة معا والتي تزيد قليلاً على الأربعين عاماً . وهذا من العجب العجائب ، فنحن لا نلتقي في شيء أو لا نتفق على أمر أو نقرر قراراً معاً . وسألت نفسي : هل أنا السبب في انسياب كلامي على سجيته ؟ ولكتس لا أعتقد ذلك ، فلكل منا شخصيته وقراراته ، وإن قل تمام الاتفاق على أمر معاً دون مناقشة ومحاورة ومداورة . قد تكون المعاشرة الاجتماعية الطويلة سبباً في ذلك ، أو شؤون الأسرة والأبناء وكثرة الصبر عندي ، وعندها أحياناً . فقد طال البقاء بيننا ودام حب المودة طويلاً فأكملنا المشوار الحياتي دون فراق . ولم تعد هزة رأسها تزعجني أو تؤثر في مشاعري ، أليست هي الحياة الجميلة التي تستحق منا الثناء عليها وشكر رب العباد على استمرارها ، بحلوها ومرها ، ولعل معظم حياة المتزوجين من أمثالنا تشبه حياتنا ، فمهما اختلفت حياة الناس يبقى سر البقاء معاً هذه المدة الطويلة من الأسرار الزوجية المقدسة . وتستمر الحياة وهي تحتاج مني أن أعد مناقبها التي جعلتني أغاضى عن هزات رأسها وجعلتني أستمر معها طيلة هذه السنين ، ومن هذه المناقب : حسن حديثها إذا وصفت ، فإنها تسهب في سرد دقيق لما ترى وما تسمع من الإذاعة أو التلفاز أو الناس من حولنا . وحديثها الشيق واضح النبرات ومنسق العبارات ، وتلك صفتان أحسدها عليهما ، ثم يعجبني فيها مزاياها فهي تنسى ولا تحقد وتلك صفة محمودة في النساء ، فهي تنسى حتى يكون لنسيانها أثر للعفو والسماح إذا أخطأ الزوج أو الأولاد ، ومن مزاياها سرعة قراراتها وحسن إدارتها للأمور العائلية والمالية والتحسينية لظروف المعيشة من نظافة في المطبخ والصالة وغرف النوم ، وترتيبها بأناقة بالغة وخاصة طاولة الطعام وترتيب الصحون عليها .

أما قراراتها فتدل على عقل حكيم وفكر سليم ، ومن مزاياها إتقان الطبخ كل يوم ، مهما كان يومها مملوءا بالعمل ، مثل كثرة الأحفاد حولها ، فهي تطبخ وتنظم الأطفال وتحل مشاكلهم وتحضر قناني الحليب والطعام والفواكه لهم وتغير مخلفاتهم وهي تطبخ وتصلي وتذكرني بتناول الدواء وتشاهد مسلسلاتها المفضلة ، كل ذلك في وقت واحد معاً ، وأنا ألهو في النوم أو نسيان مواعيد الدواء أو الملاحظة دون تدخل مني في أي عمل تقوم به . ومن مزاياها تحضيرها للرحلات من لوازم طعام وكساء ومنام ، وحسن استقبالها للزوار والضيوف . أما تربية الأبناء فنما جميعاً حسب الأصول من خلال فهمها لتغير الأحوال المعيشية ونقلتنا من الشرق إلى الغرب ، فالأولاد محافظون وملتزمون وهم أحرار في حياتهم ، وهم أقرب لأهمهم مني ، رغم احترامهم لأبيهم ، وقد أنهوا تعليمهم وحازوا على وظائفهم ، كما تزوجوا جميعاً دون تدخل في قراراتهم معتمدين على أنفسهم ، إلا ما ندر ، وأنجبوا بنين وبنات وأصبحت جدًا كما أصبحت زوجتي جدة ، وما زالت تهز رأسها غير راضية عما أقول أو أفعل فقد عرفت أنها تنسى ولا تحقد وتعرف الواجبات الحياتية والحقوق . وأجمل الأوقات عندنا التحدث معاً دون تدخل من الآخرين ، حيث يقول كل منا ما يضايقه من الحياة في غياب بقية الأسرة . وتلك الفترات من أجمل اللحظات بيننا حيث أستمع لها بأذان صاغية وفي النهاية أقول: نعم هو ما تقولين . فأشعر برضاها الذي جعلني وإياها نعيش طيلة هذه السنين فنقطف السعادة ممن حولنا . بوركنت زوجتي ، أطال الله عمرها ، وأعطاه حسب نياتها . وهذه كلمة مختصرة في صفات ومزايا زوجتي ، أرجو أن تكون من مزايا وصفات كل المتزوجين مثلنا .

أسس الإدارة الحديثة
للدكتور حسن عبدالقادر يحيى

Hasan A. Yahya, Ph.ds

مقدمة

تعتبر الإدارة السليمة في المجتمع كالدّم النقي في شرايين الإنسان . ولا حضارة بدون إدارة . فمنذ أن تسلّم النبي يوسف إدارة المالية في حكومة فرعون إلى فترة ما قبل الثورة الصناعية ، والإدارة تعنى بتنظيم المصادر وإنتاجها وتوزيعها على المحتاجين لها . وذلك يستتبع إيجاد قوائم إحصائية للناس والأرض والحيوانات ، واستمرت الإدارة في قيادة الأمم إلى أن حصلت الاختراعات الجديدة في القرنين السابع عشر والثامن عشر ومنها الآلة البخارية واستغلال الطاقة من ماء وكهرباء وحرارة حيث بدأت الإدارة تنحى منحى جديدا لزيادة الإنتاج والربح لملك الآلة البخارية ومصادر الطاقة . وقد كان السبب المباشر في زيادة عملية الإنتاج وإدارتها بنظم جديدة زيادة سكان المدن الذي تعدى العشرة ملايين نسمة في بعض المدن في مصر والمكسيك والهند . فالناس الذين هجروا الريف الذي كان يمدّهم بكل ما يحتاجون من طعام وملبس ومشرب ورحلوا إلى المدن يحتاجون ما يصنعه الآخرون من طعام وملابس ومشارب . كانت التنظيمات الإدارية إما تتبع نظاما عشائريا أسريا ويدعى (Informal) أو تتبع نظاما حكوميا رسميا يسمى (Formal) ولكل من هذين النوعين مميزاته الأساسية من حيث الوسائل المستعملة لتحقيق الأهداف المرسومة . ومع تطور الزمن اختلفت الوسائل باختلاف الأهداف ونوعية التنظيم الإداري كالتنظيمات التطوعية والرسمية والإنتاجية . أما النظريات التي تهتم بالإدارة قديما وحديثا فليس من السهل حصرها ، نظرا لتفرع أغراضها وكثرة مواضيعها وتعقيد معاملاتها ، وارتباطها بأجزاء كبيرة أو صغيرة من حيث مستواها التطبيقي على مستوى الفرد أو الجماعة . ولكن يمكن القول أنها تتبع عددا محدودا من النظريات تكاد تشترك فيها كل المؤسسات والمنظمات . وسنبين في هذا الكتاب النظريات التي تم تحديدها بشكل عام كمدخل للبحث ويمكن تحديدها بثلاثة أنواع هي: النظريات التقليدية وتجمع النظرية العلمية البحتة في الإدارة ونظرية التقرير ونظرية القيادة ونظرية التنظيم ونظرية إكس . النظريات الحديثة ومنها النظرية الإنسانية ونظرية الدور ونظرية القيم ونظرية واي . وهناك النوع الثالث الذي يضم بعضا من النظريات التقليدية والحديثة مما يعرف بنظرية المزج وهي تمزج بين النظريتين معا وندسميها النظريات المزجية ، وينضم تحتها نظرية النسق العام ، ونظرية النسق الاجتماعي ، ونظرية زي . بالإضافة إلى نظرية الكاتب التي تعرف باسم نظرية سي لحل الخلافات على المستوى الفردي أو الجماعي .

ومن مميزات النظريات التقليدية أنها تفترض تحقيق الأهداف مهما كانت الوسائل . أو أن الغاية تبرر الوسيلة حسب الشرع الميكافيلي الذي وضع تلك الفكرة في كتابه (الأمير) . لا تهتم هذه النظرية بالأخلاق ولا الدين وإنما تهتم بتحقيق الأهداف ولو ديسست فيها الشعوب أو العنصر الإنساني بالأقدام . أما الميزة الثانية من مميزات هذه النظرية فهي الاهتمام ببنائها الهيكلية حسب مراكز القوة وهي متعارف عليها فمثلا صاحب المركز القوي يقرر ما يراه لصالح استمرار بسط قوته على غيره ويأتي بعده الأقل قوة ثم الأقل فالأقل . وهذه قريبة الشبة بنظرية ميكافيلي . أما الميزة الثالثة من مميزاتا فهي الوظيفة التي تقوم بها المؤسسات أو أصحاب المراكز فيها . ففيها يتم توزيع المراكز أو الوظائف تبعا لقربها أو بعدها من صاحب القوة (السلطان أو الحاكم) فمثلا هناك مؤسسة الجيش ووظيفتها القتال أو حماية الدولة ومواطنيها من غدر الأعداء . كما أن هناك مؤسسة التجارة ووظيفتها تنظيم الإيرادات والتصدير . أما مؤسسة الصناعة فوظيفتها الصناعة ومؤسسة الزراعة للشؤون الزراعية ، و للقائمين على إدارة هذه المؤسسات مستوى اجتماعي ومستوى رسمي يتأثر بمدى قوة أضعف هذه المؤسسات في بناء الدولة والمحافظة على استمرارها وقوتها . أما الميزة الرابعة فهي التداخل بين الأفراد والتنسيق بينهم لخدمة الأهداف المرسومة من صاحب الأمر أو السلطة أو القوة الذي يهيمن على إدارة الدولة كلها ، حيث يتم تحريك الأشخاص وتبادل المراكز وتداخل الأعمال حسب رغبة رئيس السلطة وحسب الحاجة إلى مثل هذا التصرف . كان تطبيق هذه النظرية فعالا في الماضي وما زالت بعض المؤسسات تتبعها في إدارة شؤون الناس في كثير من بقاع الأرض .

ومع تقدم الزمن خاصة بعد حصول الثورتين الشهيرتين: الفرنسية والصناعية ، ونتائج ما يسمى بعصر النهضة في أوروبا فإنه قد تم استقصاء فعاليات هذه العناصر والمميزات التي تتميز بها الإدارة التقليدية من قبل المتخصصين والعلماء في شتى أوجه العلوم الطبيعية والإنسانية وتعددت المفاهيم التي ترتبط مع التقدم الإنساني الزمني والحضاري ، وهناك ثلاثة من هؤلاء العلماء والفلاسفة لا بد من ذكرهم وهم : ماكس فيبر Max Weber الألماني (1922) ، وهنري فايول Henri Fayol الفرنسي (1916) ، وشستر برنارد Shester Bernard الأمريكي (1938) . وبما أن فايول قد اهتم بماذا يجب عمله لتحقيق الأهداف اهتم برنارد بكيفية إتمام العمل لتحقيق الأهداف المرسومة . لا يعطي فايول أي اهتمام للعنصر البشري ورضاه في عملية الإنتاج ، وهمه الوحيد هو الوصول إلى الهدف وزيادة الإنتاج ويعتمد بذلك على العمليات الرياضية بزيادة ساعات العمل وقلة أجور العمال وكلاهما يزيد في تحقيق الأرباح لصاحب العمل .

أما برنارد فقد اهتم بالعنصر الإنساني كعامل فعال في عملية الإنتاج . وفرصيته أن رضا الإنسان العامل في عمله يؤدي إلى زيادة الإنتاج وبناء عليه فإنه لا بد من تحسين ظروف العمل والعمال ، وتنظيم ساعات العمل ورفع الأجور وتنظيم أوقات العطل والفراغ للعمال . كما اهتم برنارد بالعلاقات الخاصة بالعمل بين الرئيس والمرؤوسين في جو إنساني فعال ، ولعل ما طوره في النظرية يكمن في اهتمامه بكيفية إصدار القرارات وأثر تطبيقها.

أما ماكس فيبر فقد كان له أبعد الأثر في فهم الإدارة الحديثة ، فقد عرفت له أنماط الإدارة الثلاثة حتما كانت متبعة عبر العصور ، واعتبار كل نمط مثالي (Ideal Type) لنوعه . وهذه الأنماط حسب تسلسلها التاريخي: النمط التقليدي في الإدارة ، ونمط الشخصية القائدة ، والنمط البيروقراطي المعتمد على القانون والعقل في تحقيق الأهداف. لا يعني تسلسل هذه الأنماط بأنها غير موجودة في الوقت الحاضر ، بل يعني أنها ما زالت موجودة ومتبعة حسب المجتمعات ودرجة تقدمها الصناعي أو تحولها من الإنتاج الزراعي إلى الإنتاج الصناعي وما بعد الصناعي . وتتصف النمطية التقليدية بأنها تعتمد على العاطفة أكثر من العقل في تحديد المراكز الإدارية وتحكيم الأمور وتعيين من يحتل هذه المراكز . وتكثر فيها الواسطات والحكم بالتقاليد وتيسير أمور الناس كما هي متبعة في الماضي دون تعديل أو تعديل . كما تتصف القيادة التقليدية بأنها تستمد قوتها وشرعيتها من قوى غيبية أو مكتوبة منذ الأزل وتستمد استمرارها من هذا الاعتقاد . ويتبعها الناس لإيمانهم بأن اعتقادهم في القيادة لا يجوز الشك فيه كما أن الأدوار غير محددة في الحكم وقد يقوم القائد بعدة أدوار وواجبات .

أما نظرية الشخصية القائدة فالقائد يستمد شرعيته من قوة إله أو من عوامل شخصية تبهر الناس فيتبعونه ويؤمنون بقيادته فهو نبي من عند الله أو أنه مدعوم بقوة غيبية خارقة . حيث يتصف أصحاب الشخصية القيادية بصفات تفوق صفات البشر ومنهم الأنبياء والقديسون وقادة الشعوب في بعض الحقب التاريخية .

أما النمط الثالث فهو نمط البيروقراطية الحديثة ، وتتصف بتقسيم العمل الذي يعتمد على التخصص القيادي أو الفني أو التكنولوجي . ويتبع تسلسل السلطة نظاما من أسفل إلى أعلى أو العكس . بالإضافة إلى نظام قواعد وقوانين تنظم علاقات الموظفين والمؤسسات التي يعملون فيها وعلاقات الأفراد ببعضهم البعض . كما أنها تفصل التعليمات الخاصة بكل عمل أو مركز ، ومما يتصف به هذا النمط المثالي أنه لا يعتمد على الحب والكراهية البشرية في الترقيات وإنما تعتمد على مدى إتقان العمل والقيام به ، ولا مكان للمحسوبية في هذا النمط حيث تتم الترقية والتسلق الوظيفي في المراكز حسب الأهلية والدقة في تنفيذ التعليمات . وقد طور هذا النمط في الستينيات من هذا القرن تالكوت بارسونز Parsons الذي

فصل العلاقة بين الفرد والجماعة التي ينتمي إليها وبين المؤسسة التي يعملون فيها ، ولا نريد التوسع هنا في الحديث عن بارسونز ولكن يمكن إجمال الفرضيات التي ارتكز عمله عليها فيما يلي:

1. العمل الاجتماعي موجه نحو الأهداف ولا يعتمد على نظريات علم النفس التي تهتم بالإغراء Stimulus والإجابة . Response
2. الإنسان يتعلم من تجربته ولكل إنسان نمط أو نظام . System
3. العمل الاجتماعي قابل للمقايضة Exchange من خلال التقاليد Culture .
4. التوائم التام بين الوسائل والأهداف غير موجود في أي نظام ، وتحقيق طموحات الفرد مرتبط ببيئته المتغيرة .
5. الحاجة إلى التسامح شرط أساسي لاستمرار النظام الاجتماعي .
6. كل نظام يحتاج إلى تنسيق بين أجزائه ليستمر .
7. التنسيق بين الأجزاء أمر ضروري لتحقيق الأهداف .
8. تربط أعضاء النظام قيم مثالية تجمعهم أو تفرقهم .
9. يتفاوت الأفراد فيما بينهم بصفات معينة قد تكون مضادة لبعضها البعض تجعلهم يتصرفون بطريقة خاصة ،

وتختلف النظرية العلمية البحتة عن النظرية الإنسانية بأنها لا تعبر اهتماما إلا لهدفها الأساسي هو زيادة الإنتاج وفعالية الوقت والعمل . أي بمعنى آخر لا تعطي أهمية للإنسان وكيفية عمله في حالات غضبه أو سروره . لأن همها هو الوصول إلى الأهداف المحددة لزيادة الإنتاج . فالإنسان ما هو إلا جزء من الآلات لا يختلف عنها أو هكذا تفترضه النظرية العلمية . كما تؤكد هذه النظرية على جمع المعلومات والبيانات الصحيحة بصورة آلية وحسابية وتعطيها دورا خاليا من العواطف . وتتفوق النظرية الإنسانية في أنها تعطي العامل الإنساني حقه من التكريم والاحترام كعنصر فعال لا يقل عن غيره من عوامل الإنتاج الأخرى التي تحقق أهداف المؤسسة أو الإدارة. بل تعتبره أهم عنصر في عناصر الإنتاج إذ بدونها لا تتحقق الأهداف المرسومة.

وفي الحقيقة أن العنصر الزمني لتدرج هذه النظريات يتواكب مع التقدم الإنساني في فهم الوظيفة الإدارية أو اعتبار الإنسان كعامل هام إلى جانب العامل الآلي والميكانيكي أو التقني . لذا فإن ظهور النظرية العلمية البحتة في أوائل هذا القرن يسبق زمنيا ظهور النظرية الإنسانية التي تبعتها في الثلث الأول من هذا القرن . أما النظرية المزجبة فهي نظرية مثالية في مزج النظريتين معا . فالإنسان عامل لا يقل أهمية عن عامل الآلة التي تستخدم في عملية الإنتاج . وحسب النظرية المزجبة فإن المزج بين النظريات العلمية والنظريات الإنسانية أو استغلال المعرفة والاختراع والعلم لإفادة الإنسان هو هدف لا بد من تحقيقه للوصول إلى مرحلة

متقدمة من الحرية والسعادة والعدل فهي بهذا أقرب إلى فهم الطبيعة الإنسانية من غيرها .
ونظرا لأن هذه النظريات تعرف وتفهم عن طريق النظريات الأقل منها
عمومية أو مستوى تحليلي فإننا سنقوم لشرح هذه النظريات الأقل تعميما
لفائدتها عمليا لمن يلعبون دور الإداري والقيادي في المؤسسات والدوائر
والمنظمات والوزارات والحكومات .
*** من كتاب أسس الإدارة الحديثة للمؤلف .

وبيين الجدول التالي أنواع النظريات الإدارية:
النظريات التقليدية الحديثة

النظريات الإنسانية	النظرية العلمية
نظرية التقرير	النظرية المزجية
نظرية النسق العام	نظرية الدور
نظرية القيم	نظرية القيادة
نظرية التنظيم	نظرية النسق الاجتماعي
نظرية زي	نظرية واي
	نظرية إكس
	نظرية سي (للمؤلف)

- وهذه الصفات هي:
- أ - الميل الكلي عاطفيا emotional أو الوقوف على الحياد rational
- ب- حب النفس individualism أو حب الجماعة collectivism
- ج- محدودية التفكير localism أو عالمية التفكير universalism
- د- فطرية المركز ascribed أو المكتسب. achieved
- و- التخصص specific أو التعميم. general

نظريات الإدارة الفعالة: Dicission-Making Theory
يواجه المدراء عدة حالات يوميا أثناء تعاملهم مع الآخرين تجعلهم
يتخذون قرارات تأخذ شكلا من الأشكال التالية :
-قرار يحتاج إلى تحقيق مثلا: فلان أخذ فلوسي ولا لم
أخذ منه شيئا.

- قرار متوسط عن طريق آخر . مثلا: آسف لأن المدير

قال.....

-قرار خلاق لتطوير العملية التعليمية . هذا رأي سليم فابدأ

العمل .

فنظرية القرار تعالج المراحل التي يتخذ فيها القرار ومحتواها وأثرها على المشاركين في هذه المراحل .

نظرية القيادة في الإدارة : Leadership Theory

وتهتم بتحليل عناصر القيادة وتعريفها وتقييمها ومستواها وحدودها . كما أنها تقوم بتحديد صفات القائد ودوره في النظام أو الهيكل الإداري سواء أكان موروثا ascribed أم مكتسبا . achieved

نظرية الدور : Role Theory

تقوم هذه النظرية على الدور الذي يقوم به الإداري من حيث اعتماده على الكفاءة achievement أم المحسوبة . ascribed فالأول هو الدور العلمي العقلي أو المثالي أما الثاني فهو الخروج عن ذلك الدور بتحكيم العواطف والجاهات والتقاليد .

نظرية التنظيم : Organizational Theory

تقوم هذه النظرية على فهم المفاهيم التي تتصل بالنظرية عمليا . إذ ليس كل من عمل في دائرة يستطيع قيادتها أو يعرف كيف يقودها . فهناك مثلا مفاهيم كالبناء البيروقراطي وعلاقات مراكز القوة وعوامل الربط بين الأجزاء لتحقيق التنسيق بينها . ومنها وحدة القرارات وإصدار الأوامر وتحديد حيز الضبط المقبول في العمل ، ووحدة فهم السلم الوظيفي تصاعديا أو تنازليا .

وعلى المدير حسب هذه النظرية أن يفهم الفرق بين المنظمة الرسمية وغير الرسمية وتعقيدات كل منها . كما أن على المدير أن يفهم معنى المركزية في السلطة وتركيبية الموظفين وكفاءتهم ودرجات علمهم ومهاراتهم . حيث إن هذه المفاهيم لها ارتباط بعملية الإنتاج أو تبني أفكار جديدة أو ابتكار أفكار جديدة . كما تؤدي إلى الرضا التام بين الموظفين . ونظرا لأن لكل منظمة ظروفها وبيئتها وطرق إدارتها فإنها تختلف باختلاف وظائفها فمثلا تختلف الإدارة المنتجة عن الإدارة المخططة . خذ مثلا إدارة المستشفى التي تختلف عن إدارة المدرسة ، وكلاهما يختلف عن إدارة التخطيط الآني أو المستقبلي البعيد . وتبعاً لهذه النظرية فإن على المدير أن يكون ملماً بمعرفة سبل تطوير وتطبيق قرارات المنظمة الرسمية التابعة لقرارات الدولة ككل وأن يكون ملماً بمعرفة طريقة تطبيق القرارات في المؤسسة غير الرسمية (غير الحكومية) . فهو العارف بمحيط كل منهما إن كان ذلك المحيط مفتوحاً أو مغلقاً . كما يعرف نوعية هذه المؤسسات إن كانت متصلة أم محدودة الاتصالات مع غيرها من المنظمات والمؤسسات . حيث إن هذه المعرفة تؤثر في عملية التوسع والانفتاح أو البقاء على حالها دون تغيير.

إن معرفة المدير لهذه المهارات الإدارية وهذه النوعية من النظريات المتصلة بالإدارة يسهل عليه عمله ويؤدي بالمؤسسة التي يديرها إلى تحقيق أهدافها وتغييرها إلى الأفضل حيث يزيد من فعاليتها ومن رغبة العاملين فيها للعطاء وزيادة الإنتاج كما يشعرون بالراحة النفسية . كما أن على المدير أن يكون على معرفة بالتغيير الممكن حصوله بالنسبة للمؤسسة وطرقه ووكلائه والعوامل المؤثرة فيه أو الموجهة له . فالمدير كوكيل للتغيير أو كموجه له إنما هو دور فعال في الانتقال بالمؤسسة إلى الإبداع والابتكار وتحقيق الأهداف بسرعة فائقة وكفاءة نادرة وبكلفة أقل

نظرية القيم : Value Theory

المعنى بالقيم هنا هو القيم التي تحكم أو تتحكم في الإدارة مثل الدين والأخلاق أو العادات العشائرية أو الديمقراطية في المساواة أو القيم الفردية أو الجماعية في تطبيق الحرية . وتتداخل هذه القيم ببعضها . وفي فهم هذه القيم ومستويات تداخلها يستطيع المدير أن يقوم بدور فعال في القيادة الحكيمة .

خذ مثلاً إدارة المؤسسات التي تقدم خدمات للمواطنين فالإدارة تراعي التقاليد في أعمالها وتحترم الدين وتلتزم بتعاليمه . كما أنها تطبق العدل ما أمكنها بينهم . فالمدير فيها يعي مفاهيم الطبقات الاجتماعية والمراكز الوظيفية ومراحل التعليم وأهدافه كما يعرف المنحى العام للدولة والسياسة . وهذه المعرفة تجعل المدير على وعي تام بما يتم وبما يمكن تغييره لكي تستمر المؤسسة دون توتر أو خلافات قد تعيق تحقيق أهدافها

نظرية النسق الاجتماعي : Social System Theory

لكل نسق عناصر تساهم في تحقيق أهداف المؤسسة ، وعلى المدير أن يعي هذه العناصر ليقرب بين وجهات النظر بين أجزائها والتنسيق بينها لتحقيق الأهداف . كما أن على المدير حسب هذه النظرية أن يكون على وعي تام للبناء التنظيمي وتداخلات أجزائه مع بعضها البعض ، وأن يصل الجانب العلمي بالجانب العملي أو النظري وأن يقلل من حدة التوتر والتناشر بينهما وأن يصل بموظفيه إلى حالة انسجام تجمعهم كأفراد أو جماعات أو دوائر تتصل ببعضها للمساهمة في تحقيق أهداف المؤسسة وأن يرفع من معنوياتهم على المستويين الفردي والجماعي .

نظرية النسق العام: General System Theory

يقوم المدير حسب هذه النظرية بالربط بين نظريات الإدارة العلمية والعلاقات الإنسانية والسلوكية . كما يعتبر المؤسسة كنظام متحرك حيوي وخالق ويجمع بين المعرفة والتطبيق لبرامج معينة مثل الإدارة بواسطة الأهداف . (Management By Objectives (MBO) أو نظام التخطيط والبرمجة والميزانية وترتيب البناء الهيكلي للوظائف

Budgeting, and Constructing Planning, Programming,

. (PPBC) بالإضافة إلى فهم عملية تطبيق برامج التقييم والتخطيط والمراجعة (Planning, Evaluation, Revision, and Testing) (PERT) وبرامج طرق نقد العوامل التي تؤلف مشروعاً ما (Critical Planning Methods (CPM)). كما تتبنى هذه النظرية الابتكارات إلى جانب التخطيط ومواكبة تنفيذ الخطط والبرامج لتحسين معطياتها وإحراز أفضل النتائج التي تسعى إليها .
المفاهيم المرتبطة بالإدارة الحديثة:

هناك عدة مفاهيم ترتبط بالإدارة الحديثة سواء كانت في المجال التربوي أو التجاري أو الاقتصادي أو السياسي . وحتى يتم فهم الإدارة الحديثة لا بد من معرفة هذه المفاهيم . وقد تم اختيارها من خلال عدة أبحاث تعرض لها المؤلف بالدرس والتمحيص ، وبما أنه من الصعوبة حصر كل هذه المفاهيم فإننا سنقتصر على أهمها وعلى مدى ارتباطها الوثيق بالإدارة الحديثة . وهذه المفاهيم هي: قضية المدير الواحد وقضية وحدة الهدف ووحدة التقرير والأمر ، ووحدة السلطة والمسؤولية وتقسيم العمل وضبط العلاقات بين الرئيس والمرؤوس والمرونة في التطبيق واستمرارية النظام وأخير مفهوم التقييم الإداري للفرد والجماعة .

مفهوم المدير الواحد:

مما توصلت إليه أبحاث العلم الإداري أن هناك علاقة بين وجود إداري واحد على رأس المؤسسة ونجاح المؤسسة . فالمدير الواحد ينسق بين نشاطات الإدارة وأجزائها المتفرقة وبدون هذا التنسيق من المدير الفرد لا تحقق الإدارة أهداف المؤسسة المرسومة . فالمدير يوجه أحياناً وينظم أحياناً أخرى . ولا تخلو إدارة من مدير متخصص في إدارتها . بمعنى أن الإدارة التربوية مثلاً تختلف عن الإدارة التجارية أو الإدارية السياسية لأن مستوى العلاقات ووظيفة كل إدارة تختلف باختلاف أهدافها .
وحدة الهدف:

تعتبر وحدة الهدف أو الأهداف من أهم عناصر نجاح أي إدارة حديثة . ولا يمكن وضوح هذه الأهداف إلا عن طريق رسمها وتعريفها وتحديد زمانها وتوفير واستيعاب قدرات العاملين على تحقيقها . أما من حيث تحديد زمانها فإن الأهداف تنقسم إلى قسمين: فهناك أهداف طويلة الأجل وأخرى قصيرة الأجل . وإن كان كل منهما يكمل الآخر فإن الأهداف القصيرة الأجل سريعي التقييم والتعديل وهي تدعم الأهداف طويلة الأجل ، ولا يتم تحقيق أي منهما إلا بموافقة العاملين عليها لأن في اختلافهم (موظفين كانوا أو إداريين أو متخصصين) على الأهداف مساهمة فشل هذه الأهداف التي ترسمها الإدارة العامة .
وحدة التقرير والأمر:

إن تعريف وتحديد كل وظيفة في الإدارة يؤدي إلى معرفة كل فرد لمسؤولياته مثلاً إلى من ينتمي أو من يتبع إمرته من الموظفين ولعل

نجاح الإدارة في النظام العسكري يعود إلى هذا المفهوم . حيث لا يجوز القفز في الأوامر وإن كان هذا المثل معمولاً به منذ وقت طويل إلا أنه لا بد من تحديد المسؤوليات لكل فرد . فإذا حصل ما يتعارض مع هذا المبدأ فهناك قنوات لا بد من استغلالها واستعمالها لحل الخلاف وإصلاح الأمر . وعادة ما تختلف إدارات المؤسسات الاجتماعية أو الاقتصادية عن الإدارات العسكرية من حيث الصرامة والتحكم وإطاعة الأوامر دون مناقشة إلا أن الخلافات قد تنشأ إلا أنه يمكن حلها بطرق عديدة تخدم في النهاية أهداف الإدارة المرسومة .
مفهوم السلطة والمسؤولية:

السلطة هي القيادة والقوة الإدارية التي تملك المصادر وآليات التمويل على المشاريع والبشر ، وتتعرز الإدارة الحديثة بمدى إيصال التعليمات من الرئيس إلى المرؤوسين . ويستدعي ذلك أن يكون المدير المباشر مسؤولاً عن تحقيق الأهداف التي تتضمنها تلك التعليمات . وقد تحصل بين الأقسام خلافات حول الأهداف وطرق الوصول إليها أو الوسائل التي تؤدي إلى تحقيق الأهداف العامة للدائرة ، إلا أن التنسيق المدروس يؤدي إلى حل الخلافات المتوقع حصولها بين الأقسام .
مفهوم تقسيم العمل:

يعرف تقسيم العمل *Division of Labor* بمدى التخصصات والمسؤوليات التي يضطلع بها كل موظف في السلم الإداري أو الفني . ويعتبر فهم التخصص أو تقسيم العمل مفهوم مهم لزيادة الإنتاج وقد اتبع هذا المفهوم في الغرب منذ أكثر من قرنين لزيادة الإنتاج الصناعي ورفع مستوى النوعية في الإنتاج . وقد أدى التقدم الصناعي إلى استعمال العديد من التخصصات الفنية في العمل ومنها التخصص في جاز الكمبيوتر والهندسة الميكانيكية والكهربائية والعلوم ، ويمكن القول أنه كلما زاد التخصص زاد مستوى النوعية في العائد الإداري أو الصناعي أو التجاري أو الزراعي .
المركزية ونظرية الإدارة:

الإدارة الحديثة هي مجموعة تصرفات وسلوكيات تملئها تعليمات وقوانين مكتوبة تبين العلاقة بين المؤسسة والعاملين فيها من جهة وبين المؤسسة والمجتمع من حولها . وتشمل التركيب الوظيفي وأدوار كل موظف ومركزه في المؤسسة وحدود صلاحياته . وقد تم الاهتمام بالإدارة الحديثة نظراً للتطور الحاصل في أهداف المؤسسات وربط ذلك بالنظم العلمية والمعلوماتية لزيادة الفاعلية الإدارية والإنتاجية ، وهي أيضاً استغلال الوقت والمصادر بشكل مدروس وفعال لخدمة الأهداف العامة أو الخاصة للمؤسسة . والإدارة الحديثة تطور منطقي للإدارة التقليدية النابعة من قرار الفرد الواحد (المركزية) إلى قرار المجموع (اللامركزية) ، وقد تم وصفها كنماذج للمنظمات والمؤسسات

البيروقراطية الرسمية وغير الرسمية (Formal and Informal) (Organizations)

ومن مميزاتها أنها حيادية ، عالمية ، وتتواصل وجها لوجه أحيانا مع المدراء والفروع وعن بعد أحيانا أخرى ، ولها أهداف محددة عملية ، وتهتم بالقوانين المكتوبة بشكل ملفت .

المركزية Centralization هي شكل من أشكال الإدارة الرسمية التي لا يتم فرار حولها إلا منها . فهي أحادية القرار الذي عادة ما يقوم به شخص واحد كالأب في الأسرة الأبوية ، والرئيس في المؤسسة أو مجلس إدارة المكلف أو المختار من ذوي السلطة والتأثير في اتخاذ القرارات . ويكون عادة التأثير ماليا أو لوانيا . فالسلطة مركزية بمعنى أن القرارات في الفروع لا بد وأن تكون مرتبطة بقرارات من الأصل وهي القيادة . دون اعتبار للآخرين أو آرائهم إلا ما ندر . واللامركزية Decentralization بالتعريف هي عكس المركزية ، بمعنى توزيع مسؤولية اتخاذ القرارات على الوحدات أو الفروع أو الأقسام ولها حرية المشاركة في اتخاذ القرارات التي تتناسب والحاجات اليومية لكل فرع أو قسم حسب تخصصه ، دون الرجوع إلى الرئاسة أو المقر الرئيسي . دور المدير في الإدارة الحديثة:

يمثل المدير الدور المركزي الوظيفي ، ودور الرمز كمثل للمؤسسة ودور الوسيط التفاعلي مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى ، ودور القيادي الموجه لمنتسبي المؤسسة . والدور المعلوماتي ويتمثل في استقبال المعلومات وتوصيلها إلى منتسبي المؤسسة وتمثيل المؤسسة إعلاميا . وهناك أدوار يقوم بها المدير كدور التجديد والتغيير ودور توزيع الموارد والمصادر ودور المفاوض باسم المؤسسة . إلى جانب دور المقوم والدافع لعجلة المؤسسة نحو الأهداف المرسومة . ومن جوانب وظيفة المدير العام التخطيط وضع الخطط المساهمة في تحديد مسيرة المؤسسة (استراتيجية) والإشراف والرقابة على تنفيذ الاستراتيجية من خلال التنظيم والتقويم والاستفادة من المعلومات ، والموارد البشرية ، ووضع الأهداف وتحديد الاتجاهات للأقسام ومتابعة سير العمل اليومي والأسبوعي والشهري والفصلي وتحديد التوقعات المستقبلية في المجال الإداري . ولا يعمل المدير في فراغ ، بل يعمل وفق رؤية أورسالة وأ مهمة تقود عمله بشكل فعال .

*** من كتاب أسس الإدارة الحديثة للمؤلف .

29

الرغبة والشعور البشري

د. حسن يحيى

الرغبات هي موضوع ، إن لم أكن مخطئاً - حقيقي يمكن الوصول إليها بتراجع كامل في حالة الرأي العادي غير المردود . وهي أمور طبيعية أن نعتبر الرغبة في كنهها سلوك نحو شئ متخيل ، وليس حقيقياً ، وهذا الشئ يسمى الغاية أو موضوع الرغبة . وقد يعتبر بأنه الهدف لكل فعل ينشأ من تلك الرغبة . فنحن نفكر بمحتوى الرغبة كمحتوى العقيدة ، بينما يكون سلوكنا نحو المحتوى مختلفاً. وحسب هذه النظرية ، حينما نقول: "أرجو أن تمطر قريباً" أو "أتوقع أن تمطر قريباً" فنحن نعبر في المثال الأول رغبة ، وفي المثال الثاني اعتقاد . مع أن المحتوى متشابه في الحالتين وهو منظر المطر . ولعل من السهل في هذه الحالة القول أن الاعتقاد هو شعور بالنسبة للمحتوى ، لذا فإن الرغبة تكون أمراً آخر . وحسب هذه النظرية فإن ما يأتي أولاً بالنسبة للرغبة هو تخيل الشئ ، بمشاعر خاصة تخصه ، وبالذات شعور خاص نسميه "راغب" في الشئ. ويكون عدم الرضا مرتبطاً بعدم حصول الرغبة ، والأفعال التي ترمي نحو إرضائها حسب وجهة النظر هذه أن كليهما يؤثر في الرغبة . لذا أعتقد أنه من العدل أن نقول أن وجهة النظر هذه تقف عائقاً أمام الرضا وعدم القبول . ومع هذا ، أعتقد أن ذلك خطأ فادح ، لعدم القدرة على دحضه منطقياً ، ولكن الحقائق المتعددة ، يمكن التوصل إليها مما يجعلها سهلة من التعقيد وواضحة حتى تصل في النهاية إلى احتمال التخلص منها نهائياً والنظر إلى المشكلة بطرق جديدة كاملة .

وأول الحقائق التي نصل إليها في التعامل مع وجهة النظر هذه حول الرغبة ، هي الدراسة التي قام بها علماء التحليل النفسي بالنسبة للكائن البشري ، وخاصة هؤلاء الذين يقاسون من الجنون بأنواعه ، فنجدهما ما يسمى بالرغبات "الكامنة" التي تكون قاسماً مشتركاً وتظهر خداعاً للنفس. لذا فإن معظم المحللين النفسيين يولون أهمية أقل عند تحليل الرغبة ويكونون مهتمين في الاكتشاف حسب ملاحظات ما يرون أنه يشكل الرغبات عند البشر بدلاً من اكتشاف حقيقة تكوينات الرغبة نفسها . لذا أعتقد أنه من الغريب أن نقول أن كل ما يكتشف من قبل هؤلاء لا قيمة له إذا كان تعبيراً لغوياً حسب النظرية السلوكية للرغبة بدلاً من لغة الاعتقاد اليومي . إن الوصف العام لهذه الظاهرة تجعلنا نسأل : إذا قال شخص أن رغبته

كذا وكذا ، وأن هذه الرغبات تلهمه فيقوم بأفعال من أجل تحقيقها ، ولكن المشاهد من الخارج يرى تلك الرغبات أن الأفعال ماهي إلا لتحقيق نهايات مختلفة تماما عما يتخيله ذلك الشخص ، وأن هذه النهايات المختلفة ، ما هي إلا رغبات متوقعة وليست متخيلة .

وبصفة عامة فإن الرغبات المتوقعة أقل قيمة من الرغبات المتخيلة ، لذا فإنها أقل قبولا منها ، وعليه فإن توقعاتنا ، موجودة كـ رغبات لأهداف تخدم النهايات ولكن في الجزء اللاواعي من العقل ، حيث يرفض المريض أن يقبلها في العقل اللاواعي خوفا من أن يفكر أنه نفسه مريض. وليس هناك من شك في أن حالات كثيرة حسب هذه الفرضية تكون قابلة للتطبيق بدون صعوبة واضحة . ولكن بنظرة أعمق حسب مدخل فرويد إلى مناطق الغرائز ، فكما تعمقنا فيما يسمى بالرغبة في العقل الواعي ، كلما قل احتمال كون الرغبة اعتقادا بأن الاعتقاد النفسي الخاطي يغطي على أعيننا برؤية حقيقة الرغبات للأشياء في حياتنا .

وبالنسبة لهذه الحالات فأنا نجد أن هناك خلافا بين الملاحظ الخارجي للرغبة وبين المريض الراغب في العقل اللاواعي . وكل ما في الأمر بالنسبة للتحليل النفسي هو أن نتق بالملاحظ الخارجي وليس ما ينطق به المريض. وأعتقد أن هذه النقطة صحيحة بالكامل ، ولكن الطلب من المريض إعادة تقرير ما تحويه الرغبة تكون في حالة القانون السببي لأفعالنا ، وليس كشيء بالفعل موجود في عقولنا .

ولكن دعنا أولا أن نجعل المقولة أكثر وضوحا للخصائص الأساسية لهذه الظاهرة ، ظاهرة الرغبة . فلو أن شخصا قال أنه يرغب في شيء ما (ألف) ، وأنه يقوم بفعل لتحقيق تلك الرغبة ، فإننا نلاحظ أن أفعاله تقوده إلى نتائج مختلفة (باء) ، وأن "باء" إنما هي نوع من النهايات التي تبدو أن تكون مستهدفة عند الحيوانات والإنسان الأول ، لأن الإنسان المتمدن ليس من اللازم أن يعتبرها في الحسبان . ونحن أحيانا نجد أيضا أن كل مجموعة الاعتقادات إنما هي كاذبة ، ولا يمكن التعويل عليها في إقناع المريض أن ما حصل عليه لا يعني بالضرورة ما قصده في "ألف" ، وإنما هو "باء" . مثلا لدينا رغبة لإيلام الآخرين الذين نكرهم ، لذلك فإننا نعتقد أنهم أشرار ، وأن العقاب لهم إنما هو جزاء يستحقونه وسيصحح من سلوكهم ، وهذا الاعتقاد يجعلنا نقوم بأفعال حسب رغبتنا في إيقاع الألم فيهم ، بينما الاعتقاد بأن ما نقوم به هو تعبير عن رغبتنا في العقاب هو ذنب يدعو للتوبة عنه .

ولهذا السبب فإن قانون الجرائم طيلة عصور التاريخ هو الذي ألهمنا لإيقاع أقصى الألم لتصحيح مسار المجرمين ، وعليه يبدو من السهل تفسير هذه الحالات على أنها نتيجة "خداع نفسي" ولكن هذا التفسير كثيرا ما يكون خرافة ، فأكثر الناس بالنسبة للتفكير في العقوبات ليس لديهم حاجة في إخفاء دوافعهم الاتهامية في أنفسهم أكثر مما يخفون الفرضية المتنامية لرغبة الانتقام . فدوافعنا ليست نتيجة لملاحظات سببية ولكن تم اكتشافها عن طريق البحث العلمي لدراسة أفعالنا ، من خلال اعتبار أنفسنا موضوعيين كما يجب كما نرى حركة الكواكب أو التحولات الكيميائية وتأثرها بواسطة إلها .

إن دراسة الحيوانات تؤكد هذه النتيجة ، ومن طرق عديدة أفضل تفسير لتحليل الرغبة . ففي دراسة الحيوانات ليس لدينا مشاكل بالنسبة لاعتبار تأثير الأخلاق ، بينما في التعامل مع الجنس البشري فإننا نتأثر بما نعرف عن العادات والتقاليد حول السلبية في الجرائم ، فكم من البشر كانوا قد غبنوا ببناء عادات خرافية اعتبروها حكما وأخلاقيا وليست مجرد تدخل علمي في الرغبة لمعرفة حقائق تنافي ما تعارف عليه البشر في هذا المجال . ولكن لا أحد يهتم فيما إذا كانت الحيوانات لديها أخلاق أم لا ، وليس هناك من تفكير أساسا بأنها تعقل . وأكثر من هذا ، فإننا لا نتوقع أن تكون الحيوانات واعية أو أنها جاهزة لترغب شيئا وأن لها غرائز كالشعر وأن لها أهداف تعمل للحصول عليها كالصيد مثلا ، ونظرا لهذه الأسباب هناك الكثير عند تحليل العقل مما هو أكثر سهولة في الكشف عن طريق دراسة الحيوانات من الملاحظات الممكن الحصول عليها عند دراسة الجنس البشري .

ونحن جميعا نعتقد أننا بمراقبة سلوك الحيوانات ، نستطيع أن نكتشف أكثر أو أقل عن رغباتها ، وفي هذه الحالة - وأنا أوافق عليها- فإن الرغبة عند الحيوانات يمكن ملاحظتها عن طريق أفعالها ، لأنها الشيء الوحيد الذي نستطيع ملاحظته ، فهي قد يكون لديها عقل تحصل فيه أشياء كثيرة ولكننا لا نستطيع سبر غور تلك العقول ، ما عدا ما نراه من اختلاف في أفعالها ، وكلما درسنا هذه الاختلافات وفحصناها كلما ازداد الأمر غموضا ، فقد يبدو أن أفعال الحيوانات وحدها يجب أن تفسر أو تقيس الرغبات عندها ، وهذه خطوة يسيرة لاستنتاج أن رغبات الحيوانات ليست إلا خصائص لبعض تصرفاتها وأفعالها هذا بالنسبة لمن يعتبر أنها إلهام للرغبة كما هو الأمر . وعندما يلاحظ أن هذه الفكرة تقدم بعض الرضا حقل رغبة الحيوانات ، ولكنها من الصعوبة بمكان أن نرى أن هذه التفسيرات يمكن تطبيقها على رغبات الجنس البشري.

نحن نحكم بسهولة من خلال سلوك الحيوان إذا كان جائعا مثلا ، أو عطشانا ، أو أنه غاضب أو طبيعي في سلوكه ، أو خائف ، أو أنه خطير ، ولعل تبرير حكمنا وما نصل إليه من نتائج ممكنة ، يكون نتيجة تصرفات الحيوانات المباشرة كما نلاحظها . ومعظم الناس قد يقولون أن ما يرونه هو شيء ناتج عن عقل الحيوان ، سواء أكان جائعا أم خائفا ، أم غاضبا وهكذا . لذا فهي تصرفات تقود توقعاتهم وكأنها مخطط لها أو نتيجة لما يسبقها ، ولكن هذا التفسير المتوقع بأن عقل الحيوان له دخل في ذلك إنما هو عار عن الصحة ولا ضرورة له . ويمكننا أن نقول ببساطة أن سلوك الحيوانات خلال الدقيقة الأخيرة لها صفات تميزها بأنها "جائعة" مثلا ، وأن أفعالها في الدقيقة التي تليها لا تتغير كثيرا ، ما لم يتغير سلوكه بإيجاد الطعام . أو أنه متأثر لوجود سبب آخر أدى إلى ظهور الخوف عليها مثلا ، فاحيوان الجائع يبدو عليه عدم الارتياح ، فهو ينتقل من مكان إلى مكان آخر ، خاصة إلى المكان حيث يقدم الطعام له عادة ، فهو يشم ويشمشم ، عن طريق أنفه ، أو ينظر بعينه إلى المكان الذي يأتي منه الطعام ، فهذه الأعضاء تتبنا بشيء ، فيتجه مثلا بقوة حال رؤية الطعام ، وإذا كان الطعام كافيا فإنه يبدو عليه الهدوء نوعا ما ، وهذه الأشياء يمكن ملاحظتها عند تمييز الجوع عند الحيوان ، أو عدم وجود الجوع ، وما دلنا على ذلك هو تصرفات الحيوان الخارجية (الجسدية) وهو جائع ، ولكنها لا تدل على حالة الحيوان العقلية ، مما يستعصي علينا ملاحظتها ، وما نراه نسميه "جوعا" وليس احتمال خرافي لشيء لا نعلمه عن عقل الحيوان .

والتعميم الحاصل في قضية الجوع عند الحيوان ، نستطيع القول أننا ندعو ذلك رغبة لدى الحيوان تترجم في عدة خطوات لها مميزات واضحة ، فهناك أولا حالة من النشاط والحركة مع صفات خاصة يمكن وصفها ، والنشاط يؤدي إلى نتيجة ، والحركات توصل إلى وضع الطعام ، وتبقى تلك الحركات حتى يصل الطعام ، فتتوقف أو يبدو الهدوء والسكينة على الحيوان . فهي دائرة من الأفعال والحركات تميز الحي من الميت ، ومن أجزائها أولا: أن الحركات تؤدي لنتيجة ، وثانيا: أن الحركات مستمرة حتى يصل الطعام ، ولا يمكن وصف تلك الحركات بأكثر من هذا القدر . إما لأنها تعبير عما يميز الحي الذي يتحرك عن الميت الذي لا يتحرك ، أو أنها حركات غائبة عن عقل الحيوان . بينما النباتات والخضروات المقامة هي وسيلة للتعبير عن الرغبة أو الحاجة عند الحيوان . وكما نقول أن الأنهار "رغبات" تسير نحو البحر أو المحيط ، حيث يمكننا القول أنها تتحرك حتى تصل إلى مبتغاها سواء إلى البحر أو إلى مكان لا تبلغه فتتوقف عنده ، فنقول حققت ما أردت وهي مندفعة نحو البحر حسب القوانين الفيزيائية ، وإذا عرفنا أكثر عن الحيوان فإننا نستطيع القول أن لديها رغبة ، حيث هناك بعض الأفعال التي يمكن نسبتها للجسد أو للتحول الكيميائي الذي يجعوهما للتصرف بشكل دون آخر .

بالإضافة إلى أن حركات الحيوانات لا تدل على أنها دوائر تخص الرغبة عندها ، فهناك أولا أن هذه الحركات إنما هي عضوية كالوقوع أو التزحلق ، حيث تقوم الأعضاء بحركات ميكانيكية تجعل الحيوان يقوم بها مرغا ، كأنها تقريبا ، حركات مادة ميتة . فالحيوان الذي يقع من مكان عال يحاول محاولات لا تفيد وهو في الهواء قبل ارتطامه بالأرض بعوامل الجاذبية الأرضية ، نفس الحركات ستظهر على الحيوان كما لو كان ميتا . وفي هذه الحالة إذا مات الحيوان بعد الارتطام بالأرض فأول ما نراه خلال السقوط هو حالة عدم الارتياح حتى يصل إلى الأرض جثة هامة ، ولا نستطيع القول أن الحيوان رغب في السقوط من عل . ولكنها حركات إما فرضتها الظروف وإما حينما استطاع الحيوان البقاء بعد السقوط فإنه لن يحاول الكرة ثانية .

ولعل هناك أسباب أخرى ، ولكن كلها لا ترتقي إلى رغبة للحديث عنها ، فبالإضافة إلى أنها حركات ميكانيكية ، هناك ما يمنعها مثل الطير في طريقه للطعام من محصول فيبتعد من جراء الحارس الذي يبعده عن المكان . فإذا وجدت العوائق وكانت دائرة الحركة قليلة الحركات ، فإن التغيير يصعب ملاحظته ، وتكون النتيجة لهذه الاعتبارات أن تكون مختلفة بين الحيوان الحي والمادة التي لا روح فيها . وحينما نحمل أنفسنا بعوامل وملاحظات ليست علمية وخارجية للسلوك المتناسك ، وهي شؤون تهتم بالدرجات الحركية فهي ليست مؤكدة علميا ، ولهذا السبب كان من السهل على البعض أن يتغنوا متخيلين أن الجمادات كالجارة مثلا لديها نوع مبهم من الأرواح . والدليل أن الحيوانات لها أرواح ليس قويا ، حيث سينسحب ذلك على كل الجمادات والنبات ، وبالرغم من الحالات المبهمة والمشكوك في أمرها ، فإن وجود دائرة الحركات عند الحيوانات من خلال سلوكياتها ما هي إلا مميزات تميز الحي عن الميت ، أو الروح عن الجسد بدونها ، وأعتقد أن هذه الحركات هي التي تقودنا إلى وصف الرغبة للحيوانات ، حيث إنها تجعل تصرفاتها تشبه إلى حد بعيد ما يمكن تسميته أننا نعمل أشياء بناء على رغباتنا .

30

التحليل العقلي لمفهومي الرغبات والإعتقاد

وارتباطهما بالوعي والإدراك

كتب حسن يحيى - دكتور فلسفة

في هذا المقال سنتعرض لموضوع هام هو التحليل العقلي لمفاهيم الوعي والإدراك مقابل الرغبات والإعتقاد ، فالفرق في المعنى بين مفهومي " الاعتقاد " و "الرغبة" أو "الاشتهاء" ، يلزم الباحثين على تعريف كلمة " عقلي" التي يوصف بها الوعي أو الإدراك لتخدم تعريف المفهومين .

سأحاول جهدي أن أفسر كلمة "عقلي" أولاً . فالعقل هو الأداة التي تقرأ وتحلل وتقدم الأفكار ، سلبية كانت تلك الأفكار أو إيجابية ، أو بينهما . فالنظرية السائدة حول مفهوم كلمة "عقلي" وكنت أحياناً من مؤيديها ، أن كل شيء عقلي له ميزات تخص ما يسمى بالوعي ، سواء لشيء مرئي محسوس أو متخيل كمياً أو نوعياً . ولكني ما عدت أتبع تلك النظرية لأسباب عدة . وقد سبقني إليها مفكرون كثر ، ويمكن تلخيصها في جزأين :

الجزء الأول : السبب المباشر الذي ينتج عن التحليل والصعوبات في تعريف الوعي.

الجزء الثاني: السبب غير المباشر الذي يؤخذ من ملاحظة الحيوانات فيما يعرف بعلم النفس المقارن وما نلاحظه من جنون ذلك الوعي بشكل هستيري، وهو ما يتصل بعلم النفس التحليلي.

وبناء على هذين الجزأين في التحليل ، فإن الفلسفة الشعبية تفرق بين العقل والمادة . والمختصون أحياناً في قضايا العقل الإنساني يعترفون أنهم لا يعرفون ما يشكل العقل . أو كيف تتشكل المادة . ولكنهم يقفون مقتنعين أن هناك اتصال بين العقل والمادة ، فالإثنين معا ينتسبان إلى ما هو موجود بالفعل، في هذا العالم . فالعقل يتميز بمهارات وإمكانات وكذلك المادة تتميز نوعاً وكماً ، والفلاسفة عادة توصلوا إلى أن العقل خاصية يملكها الإنسان ، ولا يملكها الحيوان ، ولكن المادة تعتمد في وجودها على الرائي ومستوى حسه النظري واللمسي، لذا فإن العقل قد يكون متخيلاً أو غامضاً ، كنوع خاص من المادة، ولكن المادة كما نراها لن تكون عقلاً . لذا يمكن تصور العقل كما يراه بعض الفلاسفة من خلال التصرفات البشرية اليومية ، أما البعض الآخر فيرى العقل كمادة في الواقع للأحلام الشريرة ، ويمكن وصفها بالمثالية ، التي يختلف حول تعريفها الفلاسفة خاصة في تطبيقها في الواقع ، فالمثالية ما هي إلا تخيل ولا يمكن التوصل إليها أو التشبث بها كما نفعلاً عادة مع المادة خلال التصرفات الحياتية اليومية للناس . ومن خلال ما سبق يمكن وصف الفلاسفة الذين يرون أن المادة هي الواقع المرئي وأن العقل مادة تنمو متأثرة بعوامل داخلية وخارجية عن الإنسان بأنهم "ماديون". وهم فئة قليلة من الفلاسفة ، ولكن بشكل عام وفي بعض الفترات

التاريخية بين العلماء المتخصصين ، فالمثالية والمادية والأخلاق تنسجم مع بعضها البعض لتشكل رود فعل مرئية وملاحظة من قبل الرائي أو السامع أو اللمس . فهم يعرفون ما تعنيه مفاهيم " العقل " و "المادة" ويستطيعون المناقشة حولهما . ولكنهم كما أرى سواء الفلاسفة أو العلماء أنهم يبدون متشابهيين في خطأ المجادلة بينهم . ومن خلال خبراتنا المتواضعة ، وما تتشكل منه عقليتنا ، ففي اعتقادي لا العقل ولا المادة ، هما موضع البحث والمناقشة ولكن هناك شيء يسبقهما معا ، شيء بدائي ، فالمادة والعقل ينسجمان معا في تشكيلهما ، وأن وجودهما له علاقة بالإحساس الرابط بينهما أساسا، وهما ينبعان من مصدر واحد ، فالمادة تدل على الوجودية الحسية ، ولكن العقل أكثر تعقيدا وأكثر صعوبة في التعريف ، وهذه النظرة هي التي تولد نظريات جديدة حولهما ، ويمكن تلخيص هذه النظريات أو الأنظمة الفكرية حولهما حسب أبحاثي وفحصي الدقيق لها ، وإن كان هناك شيء يمكن قوله هنا فهو حسب التقديرات السائدة لأن نميز العقل بالوعي، فنحن نقول أننا نعي ما نرى وما نسمع ، ونعي ما نتذكر ، ونفكر ونحس به ، فمثلا الكرسي والطاولات ليست أمثلة على الوعي . ونعتقد أننا باستخدام الكرسي للجلوس فنحن نعي عملية الجلوس على الكرسي، وليس وعيا بأن الكرسي يحتضننا . ولعلنا نصل إلى قناعة لا شك فيها وهي أننا مصيبون في اعتقادنا أن هناك فرقا واضحا بيننا كبشر وبين الكرسي في هذا المجال . وقد يؤخذ كلاهما كحقيقة في بحثنا . ولكن حالما نصل إلى تحديد الفرق بثبات دقيق بينهما فإننا نصطدم بصعوبات جمة . فالوعي حتمي وسهل ويمكن قبوله ، لأن طبيعة كليهما معقدة ، والمثاليات في تصرفات البشر تتكيف بالمادة ووجود الأشياء من حولنا ، فوجود الأشياء قد يدعى مثاليا ولها علاقة مع محيطها ، ولكنها تختلف عن تلك المكونات حولها ، فهي ما تعبر به عن نفسها متأثرة بالمادة من حولها . وإن كانت الأمور تبدو معقدة فنحن لا نستطيع أن نقول أننا نعرف المعنى بالقول أننا "واعين" أو أننا نملك "وعيا" مثاليا .

وقبل اعتبار النظريات الحديثة حول الوعي والعقل والمادة ، دعنا ننظر إلى الوعي من وجهة نظر نفسية متفق عليها بين علماء النفس ، وهي ما يوصف بالفعل ورد الفعل في تصرفات الأشخاص الطبيعية أو المتأثرة بعوامل خارجية ، وحتى نفهم ذلك لا بد من شرح بعض المناهج في معرفة الوعي. وأولها أن هناك منهج النظر أو الشعور كما نفهمه ونراه أو نفعله ، فنشكل رأيا حول ما نرى أو ما نسمع . فنحن نرى الطاولة أو الكرسي مثلا ونرى الحيوانات من خيول وقطط وكلاب وفئران ، كما نرى أصدقاءنا ومعرفتنا لقطع الطريق سالمين من الأذى ، وباختصار أي شيء نراه بأحاسيسنا . بحيث نسميه إدراكا أو تصورا ، فالإدراك وهو حسب علماء النفس شيء آخر ينقلنا ما وراء الإحساس المادي بما تمثله الأشياء ، فإذا سمعنا صوت الموسيقى مثلا فنحن لا نسمع صوتا فقط ، وإنما نتصور شخصا يصدر تلك الموسيقى باستعمال آله معينة ، كما نتأثر بتلك الموسيقى ونفرق بين أنواعها الحزينة أو السعيدة أو الخيالية ، وحين نرى الطاولة فنحن لا نرى فقط لونها وسطحها ، ولكن أيضا نستطيع الإحساس بأنها صلبة من مادة خشبية أو بلاستيكية أو معدنية ، إن إضافة عناصر ذلك الإحساس يتعدى ما تشعر به الحواس الخمس ، فتكون الإدراك ، وهو ما نعيه في عقولنا ويعبر عن مادة الطاولة والموسيقى والكرسي. لذا فالإدراك يوصلنا إلى الوعي بمعرفة الأشياء خلال إدراكها وليس فقط الإحساس بها . فنحن كبشر ندرك ما نحس به ونعيه عقليا . فالحيوان كالبقرة مثلا في الهند أو الجمل في بلتد كثيرة في الشرق الأوسط لا يدرك خطورة

قطع الطريق ، بينما الطفل ذو الأربع سنوات يدرك خطورة ذلك . وهذا ما يقودنا إلى مفهوم جديد وهو الذاكرة المرتبطة بالإدراك . لأن الإدراك وعي ولكن الذاكرة تختلف عن الوعي ، بأنها ربط الحوادث ببعضها البعض خلال الخبرات أو عمليات ربط المعلومات عن طريق التعلم . والصعوبة هي كيفية إدراك أشياء غير موجودة أو مضى عليها زمن قصير أو طويل ، وهي مشاكل حول عدم وجود الوعي عند التذكر ، وهو أمر مشكوك فيه . فالإدراك يرتبط بالعقل والعقل يعي ويراجع ما سبق من ذكريات ، وما يميز الذاكرة هي أنها يمكن أن تفقد الوعي ، بسرحتها في التخيل ، كالحالم اليقظ في النهار، فإن كان يسوق سيارته فإنه قد لا يرى ولا يعي المخاطر على الطريق ، لأن ذاكرته تأخذه بعيدا عن الواقع فيفقد وعيه بما يرى ويسمع حتى يصاب برعشة تنقله من أحلامه وذكرياته ، زحن أحيانا نرى ذلك في حياتنا اليومية ، وكثيرا ما نسمع من نتكلم معهم بأنهم لم يدركوا ما نتكلم به ، فيقولون: أعد ما قلت ، فلم أسمعك ، لأن السامع كان يتذكر شيئا ما أخذ وعيه بعيدا عن الواقع فلم يسمع ما يقال . وكلاهما له علاقة بأفة النسيان التي يصاب بها الناس في فترات معينة من حياتهم كلما تقدم العمر .

وتعتبر الذكرة خطوة هامة في ما نسميه "الأفكار" ، ليس بالمعنى الأفلاطوني المثالي ، ولكن بمعنى ما قصده جون لوك الفيلسوف البريطاني ، وبيركلي وديفيد هيوم ، الذين كانوا على غير اتفاق مع "الأحاسيس والتعبيرات الحسية" فأنت تستطيع أن تدرك وتعني أن لك صديقا سواء رأيته بالفعل أم فكرت به وأنت لا تراه ، ومن خلال التفكير تستطيع أن تعي الأشياء التي لا يمكن رؤيتها كعنصر بشري أو شيء مادي . فالأفكار هي المدخل الضيق للإحساس عبر الوعي والإدراك ، الذين يشكلان الأفكار كعناصر تعارض التعبير أو الأحاسيس في الذاكرة .

أما الاعتقاد فشيء آخر لأن الناس تؤمن بشيء أو فكرة أو عقيدة قد تكون صحيحة كحقيقة ، أو مشكوك في أمرها كفرضية تحتاج إلى فحص وتدقيق ومناهج علمية لاستقصاء صحتها أو الشك فيها ، فالحق والباطل مثلا مفهومان قريبا في العقائد ولكن تعريفهما يختلف بين الناس ، فما يراه شخص بأنه حق له فيعتقد أنه حق طبيعي ، يعتبره شخص آخر باعتقاد قوي بأنه تسلط على حقوق الغير فهو باطل. ويمكن القول أن الإنسان عادة لا يرغب في الظهور مغفلا أو مجنونا أما الناس أو يوصف بالجنون ، وهو وعي وإدراك نفسي لا علاقة له بالذاكرة ، ولكنه اعتقاد قد يكون صحيحا أو غير صحيح .

وهذا ما يفرق بين الوعي والإدراك والإحساس ، مما يعطينا المعرفة بمعناها المحدد ، أو معرفة التفريق لتحديد الخطأ من الصواب. ولعل هذا ما يوصف بأنه أكثر تعقيدا مما سبق ذكره حول أنواع الوعي ، أو ما يمكن تسميته أيضا بالضمير الإنساني . ويتضمن الإدراك والوعي والأحاسيس . وإلى جانب كون المرء واعيا ، هناك أشياء توصف بالأمور العقلية ، كالرغبات والألم والسرور والخوف والسعادة والحزن . وهذه المفاهيم تثير مشاكل بحد ذاتها عند البشر على اختلاف تكوينهم ونشأتهم ومعارفهم ، وقوة شخصياتهم ، ولعل أكثر المشاكل هو مدى الوعي بهذه الأمور العقلية ومحاولات التخلص منها بذكاء ذهني يتكون من عناصر العقل وخلاياه.

Al-Islam Between Theory and Practice: Incidents Give Islam & Muslim Bad Name.

الإسلام بين النظرية والتطبيق

حوادث تشوه صورة الإسلام والمسلمين.

مقامة لأبي دلالة الذي يقال أنه العربي التركي الأندونيسي المغربي المصري التونسي
العراقي البحريني العماني الخ ... الخ ...

الأصل في وجود الأديان والعقائد تنقيف النفوس وتقليل مفاصد النفس البشرية ، والمساهمة في التعايش البشري جنباً إلى جنب ، فكانت الأديان تدعو إلى العدل والمساواة بين البشر ، وعدم احتكار الصفات والمناصب لفئة دون فئة ، وعدم ارتكاب معاصي الكذب والقتل والنميمة والاعتياب ، وبسط قواعد الصدق في القول والعمل ، وعدم التعالي على الآخرين فالكل أبناء لأدم وآدم من تراب وإلى تراب سيعود كل البشر في مرحلة انتظار إلى يوم يبعثون . فيجزى كما تقول الأديان بما كسبت يده من خير أو شر فمن عمل شراً يره ومن عمل خيراً يره . ولكن كثيراً من الناس لا يعلمون ، وهم يعلمون ولكنهم يتغاضون فينحرفوا رغم علمهم ويشجعهم على انحرافهم من يتقون بهم بالباطل أو الحق ظانين أنهم يعملون خيراً وهم أسوأ منهم في أفعالهم وأفعالهم ، فلا الإيمان وقر في قلوبهم ولا أصوات اليتامى والمساكين بلغت أسماعهم ولا دعوة المظلومين بلغت آذانهم التي لا تسمع ، وتامت أعينهم عن رؤية الحق لما لهم من عيون تتبع الباطل فتسبقهم إليه ، وظنوا أن بالجهل تسود النعم ، وبسد الأفواه باللحم ، ويستمر ظلم من ظلم ، وحاد عن الأديان من حكم ، وهو ينادي بالعدل لا بالظلم ، وتاه الحق عن الطريق السليم وفاز الباطل بحمية السقيم الذي يبذل الحق بالباطل فيبهره ليبدو مذهبا مشعا فيفقد بشعاعه نور الحق ، وهو ما اعتادت شعوبنا العربية والإسلامية على التغني به فزاد الأغنياء انحرافا وبدانة وعسر هضم ، وزاد الفقراء لهاتا وراء لقمة العيش فأصبوا بفقر دم ، وساد الجهال أصحاب العلم والأفكار التي تبين للناس قيمة المنطق حتى في العقيدة وهي أولى العلوم بالدراسة وأكثرها منطقاً في الفلسفة ، لأنها تقوي من العقيدة وإن حاد عنها من نسي أنه بشر محدود الأجل والمقدرة والدوام . وهذا ينطبق على بعض القائمين بالحوادث التي نغطيها في هذه المقام وينطبق على الحكام وتابعيهم ممن استغنوا على أكتاف الفقراء المستهلكين لبضائع الفكرية والتجارية والسياسية .

هذه الأحداث وردت في الصحافة العربية وغيرها كثير لم يرد وإن حصل في بقاع كثيرة من العالمين العربي والإسلامي ، لأن التراث لا يشجع على القيام بنشر الفضائح . وكمسلم عربي يعيش في المهجر يشعر بالأسف والحرج والأسى الشديد لقراءة مثل تلك الأحداث في عصر حضاري يحترم الإنسان حرية غيره فيه كما يحترم حرية نفسه . رغم أن هذه الأحداث ترتكب من مسلمين اعتقدوا بعض العقائد المتزمتة حول الخمر والمرأة وعلاقة الرجال بالنساء ، وعقائد الدراويش ، وإساءة فهم مفاهيم الإيمان والحرية واحترام الذات واحترام الآخر خاصة المرأة سواء أكانت زوجة أم أختاً أم جارة أو حتى غريبة عن التراث . فيتسربل هؤلاء بعباءات العصبية الزائفة عقيدياً أو سياسياً أو تراثياً . والحادث

الأول من الجزائر - فقد ذكرت الصحف أن شابة قامت باتهام زوجها ويعمل إماماً بأحد المساجد، بأنه قام بتعذيبها وهم في شهر العسل ، وأنه كان يطلب منها السجود له ويجعلها تقضي الليل واقفة.

ولعل الإمام يؤمن بما أثار عن الرسول الكريم (لو أمرت إنسانا بالسجود لغير الله لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها) والحديث فهم من الإمام الزوج على أنه دليل على طاعة المرأة للزوج في كل ما يأمر حتى لو كان الزوج جاهلاً أو أمياً أو يتصرف معها كالحيوانات . وولا غبار على الحديث فهو يدعو للاتفاق بين الزوجين في العلاقات والمعايشة الزوجية إذا كان بين الزوج والزوجة تقارب وتلاطف وعشرة حسنة، حيث يقول بعض المحبين أحياناً (أنا أعبدك) أو أنا أقدم الأرض تحت قدميك) مما عرف في لغة العشاق ، وهذه أمور مملوغة تسرح في الخيال وخالية من الصدق والإيمان، وأعتقد أن ما قام به الزوج عدم فهم كنه الحديث وأمن بشكله فتصرف على هواه وليس على الرسول صلى الله عليه وسلم . ، بالتفصيل حسب المصادر التالية يقول:

جاء في المستدرك على الصحيحين أي البخاري ومسلم (لو كنت امرأةً أهدأ أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن) وفي رواية لو كنت امرأةً أن يسجد أحد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها (لما جعل الله لهم عليهن من حق) وتتمته عند أحمد (لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس من القيح والصدئ ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه)، ومقصود الحديث الحث على عدم عصيان العشير والتحذير من مخالفته ووجوب شكر نعمته رواه أحمد عن أنس. قال المنذري: بإسناد جيد رواه ثقاة مشهورون.

وجاء في المستدرك أيضاً : عن أبي سلمة، عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: جاءت امرأة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يا رسول الله، أنا فلانة بنت فلان، قال: (قد عرفتك، فما حاجتك؟). قالت: حاجتي إلى ابن عمي فلان العابد ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (قد عرفته)، قالت: يخطبني، فأخبرني ما حق الزوج على الزوجة، فإن كان شيئاً أطيقه تزوجته، وإن لم أطق لا أتزوج . قال) : من حق الزوج على الزوجة، أن لو سألت منخراه دماً، وقيحاً، وصدئاً، فلحسته بلسانها ما أدت حقه، لو كان ينبغي لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، إذا دخل عليها لما فضله الله عليها) قالت: والذي بعثك بالحق لا أتزوج ما بقيت في الدنيا (هذا حديث صحيح الإسناد،

وقالت المصادر الصحفية الجزائرية (الشروق) إن قوات الشرطة تمكنت من إطلاق سراح الإمام من قبضة أهل زوجته، بعد أن فككت الحصار الذي فرضه الأهل على سكن إمام في قرية صحيرة التابعة لبلدية ليوة، غرب بسكرة؛ لنقل أثاثها، بعد أن طلبت الطلاق من زوجها؛ الذي قالت: إنه بدأ تعذيبها بعد 3 أيام فقط من الزواج.

وأفاد مصدر أمني بأن الزوجة كانت تتعرض لضرب مبرح على يد زوجها، بكابل - أفغانستان، لمدة 10 أيام حسب الشهادة الطبية، وهو ما دفعها للعودة لبيت أهلها وطلب الطلاق بأي ثمن. وقال شقيق الزوجة إن شقيقته رفعت دعوى طلاق من الإمام المتهم، بعد

مرور 21 يوما فقط على زواجهما، مشيرا إلى أن الزوجة قضت من تلك المدة 3 أيام فقط معززة مكرومة في حضور والدي الزوج الإمام، ولما غادرا المنزل انقلبت حياة الزوجة رأسا على عقب.

فقد بدأ يطلب منها البقاء واقفة طول الليل، بينما يغط هو في نوم عميق، ولا تنام إلا إذا تأكدت أنه نائم، ويجبرها على السجود له، وكان يضربها ويهددها بالكهرباء على غرار ما كان يفعل مع طليقته الأولى، يعذبها لأتفه الأسباب حتى ولو كان المنزل خاليا من التموين الغذائي يحملها مسؤولية عدم تحضير الأكل. " وكن يزداد غيظا كلما طلبت منه الطلاق اتقاء لبطشه، فيهددها بالقتل إن كررت الطلب مرة أخرى. (جريدة القدس)

والحادثة الثانية حول رجل مسلم يقتل جنينا في بطن أمه بالكلمات ، لأنها سمحت لطبيب ذكر بفحصها. والقصة بالتفصيل والقصة بالتفاصيل تقول حسب ما جاء في جريدة الشرق الأوسط 20 يناير 2012 الصفحة الأخيرة:

في مدينة كولون ألمانيا قضت محكمة مونستر، في ولاية الراين الشمالي ووستفاليا الألمانية، بالسجن لمدة سنتين وتسعة أشهر على شاب أفغاني قتل بالكلمات جنينا في رحم زوجته. ووصفت النيابة العامة جريمة الأفغاني بأنها «لا تتوافق مع عقلية الإنسان السوي ولا مع تعاليم الدين الإسلامي».

وقد جرت الحادثة في مارس (آذار) 2011 في مدينة راينه، بالولاية نفسها في شمال غربي ألمانيا، بعد عودة الزوج الشاب (21 سنة) مع زوجته الألمانية (19 سنة) من عيادة الطبيب إلى البيت. وعلم أن الشاب ارتكب حماقة إجهاض الجنين لكما على بطن زوجته بعدما عرف، عندما كان في عيادة الطبيب، أن الزوجة سمحت لطبيب ذكر بفحصها. وكانت الزوجة الشابة في الشهر السابع من الحمل لحظة تعرضها للاعتداء الفظيع. وقد توفي الجنين بعد يومين في المستشفى رغم عملية قيصرية طارئة لإنقاذه أجراها الأطباء، إلا أن الأم نجت من الموت بفضل الرعاية الطبية. وعلى الأثر، وجهت النيابة العامة إلى الشاب تهمة الإجهاض غير الشرعي، وإلحاق الأضرار الجسدية البالغة بالزوجة. قاضي المحكمة قال إن الجنين كان سينمو ويولد بشكل طبيعي لو لم يتعرض إلى اللكمات القاتلة، ورفض ادعاء الزوج بأنه لم يضرب الزوجة على بطنها، بل اكتفى بدفعها عنه دفاعا عن نفسه. وكان الزوج قد نفى تهمة القتل العمد عنه، زاعما أن زوجته الحامل هاجمته بأداة حادة.

في المقابل، قالت الزوجة إنها كانت تزور طبيبة نسائية طوال فترة الحمل، لكن الطبيبة كانت في إجازة خلال مارس 2011، وما كانت تعرف أن الطبيب الذي من المفترض أن يجري الفحص على الجنين، بجهاز التصوير بالموجات الصوتية، ذكر إلا بعد ولوجها غرفة الفحص. وأضافت أن زوجها شتمها في البيت، وقال إنه لن يسمح لها بولادة جنين حي، قبل أن يهاجمها بالكلمات على بطنها.

وتعليقنا على هذه الأحداث أنها غريبة عن السلوك المهذب ، السلوك السوي الذي يدعو إليه الإسلام في التعامل مع المرأة والنساء بشكل عام، (فخيركم أحبكم لأسرته) وفهم الحياة بأنها دار اختيار للبشر كما هي دار اختيار كاليوم الآخر ، وأن الله لن يدخل من كتبت عليه جهنم

إلى الجنة كما لن يدخل من كتبت له الجنة إلى النار ، لا بطريق الخطأ ولا بطريق الجهل نظرا لعلم الخالق وقدرته على العدل وعدم ارتكاب الأخطاء كما يدعي بعض الناس ومنهم مفكرون ومتفقون ممن ينفوا قدرة الله ومدى علمه وهو العارف الخبير بالسراء والضراء ، فإن نشر مثل هذه الحوادث وهي كثيرة في عصرنا هذا حيث طلق أحدهم زوجته لأنها أبدت إعجابها بممثل في أحد المسلسلات التركية مثلا، وآخر قتل زوجته لأنها تحدثت مع إنسان غريب عنها، وثالث انتخب لمجلس الأمة والشعب ينام في جلسات مجلس الأمة وآخر يكذب فيدعي أن هجوما مسلحا من الأشرار حطم أنفه وتم فضحه بأنه كان يقضي فترة النقاها بعد عملية تجميل طالأت الأنف وما تحت العيون من الجلد المهترئ نظرا لطيات الوجه التي تظهر لمن تقدم في السن عادة ، ومن هذه الحوادث أيضا قيام مجموعة من طلبة الجامعة (للأسف الشديد) ممن يفهمون الدين كما يشتهون) قيامهم بإيقاف تصوير أحد الأفلام لفترة سابقة تظهر الموضة للملابس فوق الركبة ، حيث لم تكن هناك نزعة الحجاب أو التعصب للدين ، وهي أعمال تسيء إلى المسلمين أولا وإلى الإسلام كدين ينتمون له. فالدستور رغم أرقام العقيدة كدين للدولة نرى في تطبيق القوانين ما يخدم السياسة لا الدين ، ويطبق القوانين التي يبسطها الحكام ومن لف لفهم سواء كانوا من شيوخ الأزهر أو كانوا ممن يوصف أقل من فيهم بالأزعر ، فهم ينسون مهام الدولة ومهام المجتمع تجاه الفقراء والمساكين فيهتمون بالفقشور تاركين اللب الصحيح للاتباع ، فحين تغيب العدالة وتسقط الحرية في مهاوي الردى ، وتكثر الساقطات في شوارع الهرم وشوارع دبي وشوارع الأردن وبيروت وبغداد ودمشق والمغرب وأماكن أخرى ، ويعز الرغيف فيصبح حلما لدى الفقراء وتصبح الوظائف معدومة بل ومستحيلة على الشعب الغليان ، نجد بعض من يتمسحون بالدين من الجهلة الفاسقين بإقامة الحد على المضطرين لارتكاب الذنوب من أجل لقمة العيش ، وكف يد السؤال لما في أيدي الناس الذين كانوا سببا أساسيا في دفعهم لارتكاب الذنوب والسير في طريق الرجس والانحراف . فنراهم يتزوجون مثنى ومثنى وثلاث ورباع بسعر التين وهمهم الحفاظ على العذارى ، وهم يساهمون في زيادة العوانس بما يعرضون في قهواتهم التلفازية ، وما يطرحوه من دعايات وإعلانات تجارية لو درسوها بعناية منطقية لعرفوا أن المستقبل لهذه الشعوب سيحتوي على الرذيلة وحب الذات والأنانية الفردية ، وبدلا من توجيهها بطرق صحيحة يزيدون النار اشتعالا بدلا من إطفائها ، فنسوا التاريخ ونسوا اللغة ونسوا الفضائل التي أنت بها الأديان وسبحوا مع السابحين في ميادين العهر باسم التقدم والساتحين في دروب الرذيلة لجهلهم واهتمامهم بسفائف الأمور ومنها تحقير المقدس وتقديس المدنس وهم يعلمون أو يجهلون ، فلا أنظمة التعليم في ديارهم تحث على الفضيلة ولا في جامعاتهم يحثون على استعمال العقل والبحث والتقصي في علومهم ، ولا أنظمة تؤطر لفتوات البيع والشراء مما يزيد من الاحتكار في العقل وفي المال وفي الاحترام بين الناس وكأن الأخلاق كما يقسموها ويصفوها خلال سلوكياتهم ، وكان مصادر الشعوب الطبيعية حكر على طائفة أو قبيلة أو أسرة أو دولة بعينها دون طائفة أو قبيلة أو أسرة أو دولة أخرى ، وكان العربي مهجور عرقيا وعقديا ، فالإعلام الفاسد استشرى ، فليس حفظ القرآن وهو شيء مقدس ، وتوزيع الجوائز لقارئه إلا رذ الرماد في العيون حتى ينسى الناس الهدف من قراءة القرآن ويجعلوه خادما لهفواتهم وتغطية سوءاتهم وطمس ظلمهم وتغطية جهلهم ، وكانهم هم القائمون بالأمر دون خلق الله ، فتعالت أصوات أبواقهم وسرت أفلام مساعديهم من السبعانيين حولهم والمسبحين بحمدهم ، المتعان بهم لتمجيد الحرام وإذلال الحلال فلا يرون الحق المبين في

العدالة بين الناس ويغضون العيون عن العدل والمساواة بينهم ، فتجدهم يتباهون بامتلاك العمارات والقصور والخيول واكتناز الذهب والفضة وشراء الأثريات بالملايين مدعين أن لهم أدواق ليست كأدواق العامة ، حتى أصبح ثمن الناقة والفرس بالملايين ، وأصبح كل مبنى شاهق حكر على المنفتحين منتفخي الجيوب في كل شعب ، فاحترار الشباب وتنعم الشباب بثرواتهم ، وهم أقل علما وأذل مكانة من الشباب المتعلم المتسلح بالعلم .

وإن كنا نرى ونسمع كثيرا من الدعاة وقادة الأديان أحزابا وجماعات في محاضراتهم وتقاريرهم وخطبهم أن الإسلام حضاري وأنه يدعو إلى الحرية واحترام البشر والأديان الأخرى ، نراهم يفرقون في لبس الحجاب ، ويسايرون الظواهر السلبية في المجتمع ، ولعل في جماعات (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في بعض البلدان ما يسيء إلى الإسلام أكثر مما يجلبه من فائدة ، فقد روى البعض أنهم بعصي طويلة يدورون في الأسواق ليأمرؤا الناس حتى لو كانوا من دين آخر إلى الذهاب إلى المسجد لأداء الصلاة ، ويضربون بعصيتهم على أعقاب النساء للتحشم أيضا. وهو ما يتنافى مع الإسلام وقواعده في احترام الغير .

ولن نقف هذه الحوادث عند هذا الحد فهي تؤثر على الإسلام كدين وعلى المسلمين كبشر أكثرهم لا يؤمن بقتل النساء تنفيذا لكرامة الأسرة وحماية عرضها أو يتهجم على الشواطيء العارية ويأمر بإغلاقها ، أو يغطي عورات النساء والرجال في التماثيل الأثرية ، وهذه أمور لا بد من حلها والتعامل معها خاصة إذا توصلت الجماعات الدينية إلى سدة حكم العباد والبلاد أو إذا اتصفت بالعدل والنهضة والمساواة والنور كأحزاب وعند التطبيق تجدهم أبعد ما يكونون عن تطبيق الشريعة كما أمر الله وأمر رسوله الكريم..

وقد لفت انتباهي صورة بثتها الصحف والمجلات لشخص منتخب للبرلمان وهو مجلس الشعب وهو يقرأ القرآن في إحدى الجلسات ، وليس ذلك عيبا للاستشهاد ببعض آيات القرآن الكريم في خطاب النائب ، ولكن العيب أن الشخص يستغل وقت الجلسة البرلمانية التي تخصص عادة لخدمة مصالح الشعب ، يستغلها العضو المنتخب في خدمة نفسه تقريبا إلى الله تعالى . طانا أنه في خدمة الناخبين ، فالوقت ليس له إنما الوقت للشعب وحل قضاياهم والتفكير بتقليل مقاساته وحل معضلاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهذا مثل على عدم احترام الوظيفة أو تحديد تعريفها أو معرفة مزاياها، فعوض مجلس الشعب ملك للشعب ولا يحق للنائب استغلال الوقت في خدمة نفسه بل خدمة الشعب الذي أتى به إلى المجلس . ولا أدري ما عيب أحد النواب إذا قام بتقديم قرار: عدم قراءة الكتب الدينية في جلسات مجلس الأمة. فهل سيوصف ويتهم بالكفر أم أن المجلس في معظمه سيدعم النائب على متابعة قراءة القرآن ، وهذا أمر ممكن الحدوث. ولكن مجالس النواب ليست مجالس للدعوة ، فمجالس الدعوة هي المساجد والمعاهد الدينية وليس مجلس الشعب،

فإذا استمر الحال بالجهل بمعرفة تحديد الوظائف وتقويم مشاكل الشعوب بالعقل والوعي العلمي والمنطقي ، والتفريق بين الوظيفة كشيء عام والحياة الشخصية كشيء خاص ، فليس من المستغرب أن نرى في المستقبل بعيدا أو قريبا بقيام ثورات لحد وطرده كل الإسلاميين من السياسة ومقاليد الأمور ومجالس النواب ومجالس الشورى . وأعتقد أن السبب هو القواعد

والحقائق العلمية أن البشر مهما كانت صفاتهم ومهما كانت درجة إيمانهم ومهما علت معرفتهم فهم بشر معرضون للصواب ومعرضون للخطأ ، فلهم غرائز ولهم ميول ولهم رغبات منها الإنساني الأخلاقي ومنها الحيواني اللاأخلاقي ، وفيهم تعصب كل هذه لصفات تغذي الغرور والطمع والجشع النفسي وتنمي الأنانية البغيضة التي تعمي البصيرة والبصر معا ، نظرا لما يرون أنه صالح وهو بعيد عن الصلاح ، والاعتقادات البالية التي تعطيهم الحق في استعباد الناس وخاصة الجهلاء منهم ، وهم كثر في كل مجتمع ، فالمرآكز السياسية والاجتماعية في الدولة المدنية أينما كانت عند البعض ما تورث وتؤدي إلى المفاصد ، وحب الذات ، والبعث عن العدل والإيمان ، فليتعظ ولاة السياسة في مجالس الأمة والشورى ومجالس الأعيان في كل بلد عربي بما سيتعرضون له من انتقادات لبعض التصرفات التي تسيء لهم أولا وتسيء للإسلام على المدى البعيد.

أسأل الله أن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، وأن يأخذ بيدنا لما فيه صالح البشر وأن يسلم جهلاءنا بالعلم واحترام الحريات والعيش جنبا إلى جنب دون تعصبات دينية أو عرقية أو نفسية . إنه سميع مجيب.

للمؤلف من كتاب : الإسلام ومصالح البشر ، بالعربية : al-Islam wa-Masalih al-Bashar

وبما أن العرب لا يقرأون للفائدة العقلية ، فللمزيد من أفكار الكاتب في كتبه الأخرى بالعربية لمن يحبون القراءة لزيادة المعرفة يجدونها في : التعاليم الأخلاقية العربية والإسلامية - باللغتين ومحمد رسول البشرية -- و موجز التاريخ الإسلامي -- و اللهم فاشهد و طبائع الاستبداد للكواكبي ، و باب الإيمان في الصحيحين البخاري ومسلم ، تفسير الجلالين : سورة البقرة ، و كتاب الطهارة في صحيح مسلم وكتاب بروتوكولات حكماء صهيون بثلاث لغات .

للمزيد أيضا في هذا المجال مقالات أبو دلامة أنظر الموسوعة العربية الأمريكية -

<http://arabamericanencyclopedia.com>

العرب لا يقرأون ، وهذا أمر مفروغ منه !

من مقامات "أبو دلامة المجدلاوي" تقول:

لدينا كتاب مبدعون ولدينا فلاسفة جهابذة في الفكر ولدينا عظماء من البسطاء الذين يحكمون العقل في تصرفاتهم ويؤمنون بالحرية الشخصية للإنسان ويؤمنون بالعيش بسلام ، فعش ودع غيرك يعيش ، لم يعد ملانما في أيامنا هذه . لأنه قول يساء فهمه ، فليس معناه أن تعيش مرفها مميّزا ودع غيرك يعيش أيضا ولكن فقيرا معدما . ومن فهموا ذلك القول بمعناه الحقيقي هم من لهم صفة تجمعهم رغم عدم استشارتهم ، وهم ليسوا في قائمة من يضع القرارات التي تهم الشعوب . فما فائدة المفكرين وما فائدة الفلاسفة وما فائدة العظماء ثوارا وبسطاء وهم في أمة لا تقرأ ولا تقدر ملكات البشر في الشعوب ولا تسمح للفرص بالتساوي لكل أفراد الشعوب ، وهؤلاء لا يشاركون في وضع القرارات التي تهم الجماهير ، وفي كل شعب حاجة إلى قوانين تحكم الجميع أميرا وحقيرا فقيرا وغنيا ، عالما أو جاهلا ، صحيح الجسم والعقل أم معتلهما قوانين تبدأ بدستور عام لا يتصف بعقيدة أو أيديولوجية أو زمان أو مكان ، قوانين تطبق بعد فهمها وتحديد حدودها بين الناس ، قوانين تراعى القوي والضعيف على أسس وقواعد واحدة ، وتطبق على كافة أطياف الشعب بعدالة الأرض لا عدالة السماء .

لقد وجدت تناقضات في كل شعب عربي تراكمت عبر عقود تحتاج جلسة للتفكير والتنظير والتخطيط ، لأنها تناقضات داخل الشعب ككل ؛ ودخل الطبقة العاملة نفسها واتحاداتهم المرتشئة ، وبين طبقات الفلاحين أنفسهم ، وبين المثقفين الفقراء منهم وبناء الذوات ، وبين هذه الطبقات فيما بينها ، الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين وطبقة المثقفين . بالإضافة إلى تناقضات كلية تراكمية بين الطبقة العاملة والبرجوازية الوطنية . مما يثير التساؤل حول أفضل الطرق للقضاء على هذه التناقضات أولا قبل المناداة بالعدالة الاجتماعية ، ولن يتسنى ذلك إلا بإعادة النظر في مؤسساتنا ومعاهدنا ودساتيرنا إذ ليس سهلا أن تكون هناك عدالة إجتماعية في مجتمعات تسودها العنجهية القبلية أو الدينية أو الأيديولوجية أو النظرة المتعالية تقليديا بين الفقراء والأغنياء وبين ما نملك وما لا نملك ، فكيف نقضي على كل هذه التناقضات؟! لا بد من الإجابة على هذه الأسئلة قبل تحديد طبيعة النظام السياسي المعاصر والمستقبلي . فهل المناهج المطروحة والتي ظهرت على أرض الواقع تستطيع القضاء على التناقضات في تطبيق القوانين .

فالمنهج الديني لا يحل مشاكل المجتمع ولم يكن هناك دين أساسا قام بالحكم وعدل إلا في فترات قليلة في التاريخ البشري ، وحتى في الإسلام لم تكن هناك عدالة بمعناها المثالي كما تريدها الشعوب في الأمس أو اليوم ، حيث كانت فترة حياة الرسول قصيرة وحياة حكم الخلفاء الراشدين كانت أقصر منفردة بعد الرسول الكريم ، ولم تتعد حكم الخليفين الأولين أبو بكر وعمر . أما في فترة عثمان فقد كان مشكوكا في وجود العدالة لمحابة بني أمية في الحكم والخراج وتوزيع الغنائم ، أما في فترة علي بن أبي كالب فقد صبغت بالدماء بدءا بمقتل عثمان والمطالبة بدمه . وفي المسيحية كانت العدالة تحت الكنيسة غامضة وملوثة بالفساد ، أما في الدين اليهودي فلم تكن هناك عدالة لغير اليهود كأمة عنصرية قلبا وقلبا نظرية وتطبيق وما زالت .

وزيادة على ذلك ، كان الربا موجود في عهد محمد رسول البشرية ، حتى أن أقاربه كانوا يرابون وكانوا يستعبدون البشر رغم أنه نشر المساواة بين البشر ، إلا أن القتل والزنا

وارتكاب المحرمات كان متفشيا وعند توزيع الغنائم كانوا يتسابقون على تقسيم الأموال والجواري وكان محمد يتقاسم الجواري مع أصحابه ، حتى أنهم كانوا يختارون أفضل الجواري لتكون من نصيب الرسول كما علمنا من قصة جويرية لنت حيي بن أخطب التي أصبحت من أمهات المؤمنين حسب رواة المسلمين وأئمتهم .

فالمنهج الديني لا يصح أن يكون أساسا للعالم ، فهو منهج أخروي ، لا يهتم بالعالم الحاضر وإنما بالعالم الغامض فيما بعد يوم القيامة . وطالما أن البشر فيهم القدرة على الانحراف وإمكانية حصوله نظرا للأنانية وحب الذات والطمع المادي في الحياة الدنيا ولديهم القدرة على مطابقة الفعل للقول ، فإنهم لن يكونوا عادلين إلا إذا كانوا يسألون عما يفعلون ويقررون ، كما قال أبو بكر في خطبته ، إن عدلت فأعينوني وإن أسأت فقيموني ، أو كالعمرين في استخدام المثاليات في الدين لحكم أنفسهم والبشر ، ولكن هؤلاء قلة في التاريخ ، فإذا طبقت الأديان في العصر الحاضر فإنها ضرب من الخيال ، ولا يمكن أن تكون محكمة إلا من شريعة أو قانون ، ولكن الشرائع ليست مطبقة حسب الأديان حيث انحرفت الأديان في التطبيق وأصبحت العادات والتقاليد هي السلطة الخفية التي تسيطر على حياة الناس وتصرفاتهم .

في مجتمعاتنا العربية والإسلامية اليوم حيث يزداد عدد الفقراء والعاطلين عن العمل ويتوزع الفساد على كل طبقات الشعب في كل مكان حسب مبدأ الملكية والأنانية والطمع المادي ، فلو طلبنا من شخص مسلم أو مسيحي أو يهودي اليوم بأن يتقاسم ثروته التي جناها بالحق أو بالباطل مع الفقراء في محيطه حتى الأسري ، فلن يقبل أي منهم ذلك ، وتلك آفة رغم أن كل الأديان تدعو للعدالة ، إلا أن العدالة لا تطبق ولم تطبق أساسا إلا في فترات قصيرة جدا متناثرة في التاريخ القديم .

المنهج العقلاني أو الليبرالي أو العلماني وكلها تحمل نفس المعاني والقيم ، فإنها عند بعض أتباع الأديان كلها توسم بالكفر أو عدم المنفعة في حل مشاكل المجتمع المعاصر ، رغم أنها تطالب بسيادة القانون واعتماد العقل في تسيير الأمور الحياتية والسلوكيات البشرية ، إلا أنها أيضا إذا ركبت مراكب السياسة فإنها أبعد ما تكون عن العدالة الاجتماعية التي تساوي بين الفقراء والأغنياء حتى في الغرب المعروف بليبراليته وعقلانيته وعلمايته . فما نراه في الرأسمالية كنظام اقتصادي سياسي في حالة الفقراء والأغنياء أنه كلما تقدم النظام الرأسمالي كلما زاد البعد بين الطبقات الاجتماعية فالغني يزداد غنى والفقراء يزدادون عدد ، والهوة بين الطبقتين تزداد اتساعا .

وفي النظام الاشتراكي نلاحظ أن أتباع الأيديولوجية الاشتراكية يتسمنون المناصب في أحزابهم ، وبينهم وبين من لا ينتمون للحزب الواحد هوة بالغة الاتساع أيضا ، وعمامة الشعب ترزح في فقر عام .

ولكن المنهجين الرأسمالي والاشتراكي يتصفان بوجود قوانين ترعاها الأنظمة ، ولها حرية الاختيار للمناصب ، وعند الكبر وتقدم السن وهو مرحلة يتزايد عدد من يصلون إليها في النظامين ، هناك ضمان اجتماعي لدفع أثمان الأدوية والتشفي في المعاهد الحكومية ومساعدة

العاطلين في نهاية أعمارهم بما يعرف بضمان الأمن الاجتماعي ، حيث يصل كلا منهم من الدولة حسب القوانين المرعية مبالغ تفي بغرض استمرارهم في الحياة بعد التقاعد من الأعمال والوظائف.

ورغم أن المبالغ ليست متساوية بين المتقاعدين إلا أن الدولة تدفع للجميع شهريا مخصصات وتدفع أثمان أدويتهم وفواتير مستشفياتهم .

أما في المناهج الدينية التقليدية فالأمر ليس فيه نقاش ، فالموت يأتي من الله كما جاءت الولادة ، وهذا أمر لا يجادل فيه أحد لأنه حقيقة واقعة ، ولكن الفترات التي كان فيها بيت مال المسلمين يوزع تخصصات شهرية للمحتاجين كانت قصيرة في التاريخ ، ولم يشتهر التوزيع بعدالة إلا في أيام أبي بكر والعمرين ، حسب ما يخبرنا به التاريخ ، حتى في عهد رسول الله كانت القسمة بتقديم المهاجرين على الأنصار في توزيع المغنم ، وتقديم الرؤساء في العشائر والمقربين من حلقة الرسول عليه السلام ، ولم يكن هناك من تساؤل لأن الاعتقاد كان أن الله يختار وهو الذي يوزع على البشر ما يحتاجون دون خلاف ، حيث كان القرآن يقوم بتوزيع الأموال على الفقراء والمحتاجين والمساكين واليتامى وأبناء السبيل وأولي القربى ، وفي الدولة العصرية البعيدة عن شرائع الرسل والأنبياء وغياب وجود العادلين في التوزيع ، فلا بد من وجود قوانين تحكم بين الناس بالعدل ، بحيث يحاسب المسؤول في المراكز (الدينية) او السياسية أو الاجتماعية على قراراتهم الغير عادلة والتي تتدخل فيها عوامل كحب التملك للنفس البشرية وأنانيتها وطمعها وتكون المحاسبة عن طريق القوانين التي لا تفرق بين أمير وحقير أو بين غني وفقير أو بين حاكم ومحكوم .

وإذا أردنا تطبيق ما سبق على الأوضاع الحالية في الأمتين العربية والإسلامية في كلا الفريقين الذين ثاروا وانتصروا أو من ثاروا وانكسروا أو من رضوا بفتات الحكام وخسروا ، فما زالت الأديان غائبة والليبرالية (العقلانية العلمانية) أيضا غائبة وحتى الاشتراكية غائبة ، فكأنه لم يتغير شيء في بلاد العرب ، فالحال مازال كما هو ، والدساتير تؤطر للحاكمين لا للمحكومين ، وتعلي من الأقرباء والمقربين ، وتجازي الفاسدين ، وتلعن أبو المحتاجين والمساكين واليتامى والفقراء من شعوبها ، وليس هناك نظام يأخذ بالعقل منهجا يقوده ، ولا بمبدأ العدالة كمنج يطبقه ، لأن من كان يملك مازال يملك ، ومن كان لا يملك ما زال لا يملك ، ومع غياب القوانين التي تعدل بين أفراد الشعوب تشترك الأديان مع المناهج العقلانية (العلمانية الليبرالية) بنظاميها الرأسمالي والاشتراكي في تطبيق العدالة العرجاء ، فالأديان تقدس (بتوع ربنا) ممن يبدون كالدراويش لخداع أنفسهم قبل خداع الشعوب ، خاصة وأنهم لا يفقهون الفرق بين ماو عام للجميع وما هو خاص لهم ، فمن ينام في مجالس الأمة (الشعب) يجب معاقبته لأنه خان وظيفته فقصر في لعب دورها ، وكان الأولى به أن يكون واعيا لما يقوم به من مهام لخدمة الشعب لا لخدمة نفسه في التقرب إلى الله قياما في الليل أو تهجدا أو ساهرا بلا هدف أو بهدف خاص ، ومن أدن في مجالس الأمة (الشعب) ومن كذب على الناس وهو يخفي بعض عيوبه الخلقية ، فالواجب يدعو حسب القانون أن يعاقبوا لا أن تفتح لهم أبواب التوبة ، أو التماس الأعذار على التصير في الواجب حيث لا يجوز بأي حال

رده إلى العناية الإلهية عن طريق السماح لهم بالاستمرار في طمس الحقائق العقلية عن إدارة الوقت وإدارة مصادر الشعوب .

فغياب العدالة عمليا ، يجعلني أصل إلى ما يلي:

نظريا : المتخصص في العدالة الاجتماعية لا يكون تابعا لعقيدة أو دين أو أيديولوجية يقودها حزب أو مجموعة دينية أو حتى مجموعة ليبرالية عقلانية متحررة . لأن ذلك التخصص يدقق في الوقائع على الأرض لا الوقائع في السماء. وهذا يدعونا إلى النقطة التالية وهي التطبيق..

تطبيقا: لكل عمل حكومي أو خاص قيود وتعليمات وقوانين أساسية تتبع عند تطبيق العدالة الاجتماعية ، وهنا في العالمين العربي والإسلامي لا يوجد تطبيق للقوانين التي تراعي البشر كسواسية أمام القانون ، فالمواطن درجة أولى له قانون والمواطن درجة ثالثة له قانون ، والأجنبي العربي له قانون ، والأجنبي العجمي له أيضا قانون . وللحكام قوانين ، ولم دار في فلهم أيضا قانون (يمكن تسميته باللاقانون) ..

فإذا تسلمت مجموعة في شعب فقير جاهل استغلت جهل وفقر الشعوب فأنها لن تكون دينية في تطبيقها كما كانت تطبق العدالة في بعض فترات التاريخ ، ولن تكون عقلانية (علمانية ليبرالية) لأنه ليس هناك قوانين تحكمها ، فالبعض يريد القرآن قانونا شرعيا لكل زمان ومكان ، وآخرون يريدون قوانينا وضعية لا تناسب المجموعة الأولى ولا تركز على تطبيق المثل العليا أو ما ترسمه الأخلاق حسب الزمان والمكان ، حيث لا يعرف ما يشعر به العميان إلا أعمى منهم ، ولا يعدل المالك مع من لا يملك دون أن يكون هناك قانون يسير عليه العميان ويسير عليه الطرشان ويسير عليه المالك وغير المالك .

وفي الختام ، التضارب الحاصل بين الإسلاميين حسب أوزابهم وطرقهم وملهم نظرية وتطبيقا فيما نراه من سياسات داخلية أو خارجية ، إنما هو تضارب لعدم وضوح الرؤية لمستقبل العدالة الاجتماعية في المجتمعات ، وهي مجتمعات عالية على حكوماتها منذ وجودها بعد رحيل المستعمر عنها ، وعالية على الفساد المتفشي بين طبقاتها ، وعلى طرقهم التقليدية في حل مشكلاتها ، وكثرة الفتاوي من عقلائها وأغبيائها ممن يضعون أنفسهم في موضع خالفهم فيقول قال الله وقال الرسول في أمور دنيوية لم يعرفها الرسول من قبل ، ولا وردت في أيامه مثلها نوعا أو كما ، وربما لم تخطر في بال الله كما يدعي البعض المتنور ، أو خطرت لأن الله يعلم بكل شيء، وهو رب العالمين ، أو من العلمانيين العقلانيين المنتفعين من مناصبهم الرسمية والمقربين من أولي الأمر ومن الهالة التي تشاركهم أينما حلوا وأقاموا وكانهم أنبياء عصرهم من حملة جوائز نوبل التي حادت منذ تواجدها عن العدالة في التوزيع والمنطق العادل في التقييم واتبعت الهوى السياسي أو الديني أو الاقتصادي المحابي لأصحاب القوة المنحرفة أحيانا عن المنطق السليم .

للمؤلف من كتاب : الإسلام ومصالح البشر ، بالعربية : al-Islam wa-Masalih al-Bashar

وبما أن العرب لا يقرأون لفائدة العقلية ، فللمزيد من أفكار الكاتب في كتبه الأخرى بالعربية لمن يحبون القراءة لزيادة المعرفة يجدونها في : التعاليم الأخلاقية العربية والإسلامية - باللعين ومحمد رسول البشرية -- و موجز التاريخ الإسلامي -- و اللهم فاشهد و طبائع الاستبداد للكواكبي، و باب الإيمان في الصحيحين البخاري ومسلم، تفسير الجلالين : سورة البقرة، و كتاب الطهارة في صحيح مسلم. وكتاب بروتوكولات حكماء صهيون بثلاث لغات .

للمزيد أيضا في هذا المجال مقالات أبو دلامة أنظر الموسوعة العربية الأمريكية –

<http://arabamericanencyclopedia.com>

34

عرب اليوم والتاريخ - للدكتور حسن يحيى

الحكاية 37 : عرب اليوم والتاريخ ، من كتاب حكايات من أمريكا للمؤلف .
الكتابات الموجودة في الأسواق الأدبية والثقافية في بلاد الأعراب اليوم لا حصر لها ، فهي ردود فعل على ما يحدث في العالم العولمي ، وهي لا تحسم أمرا ، ولا تساعد على اجتياز الهوة بين ما ينادي به المثقفون وبين واقعهم المرير المتقهقر في عالم حقوق الإنسان ، ولا تحقق هدفا حقيقيا يساعد على النهوض من غفوة التاريخ . فهناك صراعات قائمة حول الهوية ، وحول العلاقات الدولية ، وحول الحضارات وحول الدور الأمريكي في صقل العولمة وحول الماضي التليد للطامعين في احتضانه في أحلامهم .
وأنا أسأل المثقفين العرب حول الصراع على الهوية : هوية من ؟ هوية المواطنة أم هوية

الدولة ؟ أم هوية الدين أو الوظيفة ؟ أم هوية الغني وهوية الفقير ؟ أم هوية العالم أو

الجاهل ؟ أم هوية الرجل أو المرأة ؟

أما عن الحضارات فسؤالي للمثقفين العرب : حضارة الشرق أم الغرب؟ حضارة الماضي أم الحاضر ؟ حضارة الجهلاء أم العلماء ؟ حضارة المرأة أم الرجل؟ حضارة الليل أم حضارة النهار؟ حضارة الأغنياء أم الفقراء ؟ حضارة من يملك أم من لا يملك عناصر الحضارة؟

أما حول أمريكا والعولمة فبياني للمثقفين العرب: أننا لن نؤثر في أمريكا ، ولكن نستطيع مصادقتها والاستفادة من تقدمها العلمي والمعلوماتي على أسس جديدة ، ومن هذه الأسس عدم التشبث بالدين كأساس للتعامل معها ، فكل منا له دينه ومعتقده ، والتسامح في قضية

التقاليد والعادات ، والتخلي عن الأنانية في الحكم والتحكم الرئاسي والتخلي عن العصبية الجاهلية والقبلية في الحكم على الآخرين .

أما حول الماضي التليد فلن يعود ناصعا كما كان أو قريبا منه ، فالدعوة للعودة إليه ما هي إلا إلهاء للعقل وخروج عن المنطق ، فالجهل السائد سبب يثبط العزائم في تحقيقه ، فلا حضارة لنا فتجمع بيننا ولا ثقافة لنا فتوحد مشاعرنا ولا دين لنا يهدينا بعقيدة سرمدية ، ولا وطنية تجمعنا حولها ولا تراث تلتحم به علاقاتنا ، ولا عرق يسود في أراضينا ، وليس لدينا شيء من ذلك كله إلا فئات من كل لا يسمن من جوع ولا يحمي من خوف ، فلا هوية لنا ، ولا أيديولوجية ولا استراتيجية حتى تدعم مطالبنا وتطلعاتنا إلى الماضي التليد . وصورة الشرق العربي والمسلم عند معظم الشعوب في العالم وخاصة في الغرب أنه فاسد ، جاهل ، فاسق ، غير إنساني ، دوني ، ديني متعصب ، منحرف متوحش ، متأخر في الفكر والعقيدة والتراث وطريقة المعاش والمعارف الإنسانية وحقوق الإنسان وأنه أخيرا أو باختصار كائن عدواني للبشرية والحضارة العالمية . وهي الصورة النمطية الواجب الوقوف أمامها ومجادلتها بواقع جديد وبراهين ساطعة ، وابتكار جديد في التعامل والحياة على أسس العدل والمساواة والحرية ، وهي من الشروط الواجب التسلح بها بالإضافة إلى ما يأتي: لا بد من التسليم بالهزيمة في عصر يملك المعرفة والتكنولوجيا ، فالركود وعدم التغيير أفتان في العالم المقدس ووسائل استبداده بالقول ، وهما من أسباب التخلف ، وعدم التباهي بالجهل والتبادل الدبلوماسي الطامع في ثروات الشعوب واستعباد الحكومات ، ومحو ما سببه كتاب الأصفهاني من تصوير الماضي التراثي والسياسي والاجتماعي المعنون "ألف ليلة وليلة" عن هارون الرشيد ، في التصور الغربي ، والبحث عن وسائل الإنتاج الصناعي والزراعي والتكنولوجي وتطبيقها بناء على تحديد مصادر ثروات الشعوب والعدالة في توزيعها ، لأن الظلم في تحقيق العدالة في مسألة المال والثروة يهلك الممالك ويزيد الاضطراب ويفشل الوحدة بين الأفراد والجماعات والدول ، ونقد الذات بطرق منطقية لا عاطفية ، وعدم التباهي كثيرا بالتقدم الغربي والانعقاد من ربق الكنيسة ، لأن الأخلاق يجب أن تسود وأن تطبق دو خوف أو ندم ، والنظر إلى النفس الفردية والوطنية والعمل على تقويتها بالعلم والمعرفة والتحكم في الثروات والبعد عن الأنانية والتعصب فيهما ، وعدم النظر إلى الحرية وحقوق الإنسان وكأنهما زنديقين دخيلين على الشعوب يستحقان الإعدام والسحل والنفي من أرض العروبة والإسلام ، عندها نقول أننا في طريقنا إلى مستقبل يدعو للفخر والرضا نفسيا واجتماعيا وسياسيا وحضاريا .

*** من كتاب حكايات من أمريكا للمؤلف . وتجدره أيضا هنا .

دقيقتان مع الدكتور يحيى - 11/Dr. Yahya مع الدكتور يحيى الحكاية الثانية والعشرون : من كتاب حكايات من أمريكا للمؤلف.

هذه الحكاية حصلت في الغرب الأمريكي مع بداية هذا القرن. يقال أن رجلا وزوجته وأولاده كانوا يعيشون بعيدا في مزرعة في ولاية كاليفورنيا. وكان عندهم بقرا وخيولا كثيرة . وفي أحد الأيام ورد عليهم ساكن جديد قرب مزرعتهم وهو مثلهم عند غنم كثير وبقرة واحدة. فذهب الرجل مساء الى الجار يرحب به ويدعوه الى العشاء فقام الساكن الجديد بالتعذر ورفض دعوة الداعي. وخرج الرجل مكسور خاطر عائدا الى بيته. ونهض الساكن الجديد مبكرا في الصباح وتوجه الى الأسطبل حيث كانت البقرة ليخدم لها طعاما ويقوم بحلبها. الا أنه فوجئ بالبقرة مذبوحة وقد علقت بجانبها ورقة مكتوب فيها: هذا جزاء من يرفض دعوة جاره للعشاء. كانت هذه مروءة أيام زمان فكيف أصبحت اليوم؟

أمريكا اليوم في معظم المدن يكاد يموت الانسان في الشارع ولا يتقدم منه أحد لمساعدته أو لطلب المعونة له. وقد حصل يوما أن رجلا كان يتعقب فتاة في نيويورك وبدأ بطعنها بسكين يحملها وكانت تهرب منه في كل مرة وهي تصيح تطلب النجدة . وكلما أمسك بها قام بطعنها فتهرب منه من جديد، وكان الناس في الشبائيك يفرجون على ما حصل دون أن يحاول أحد أن يتصل بالبوليس أو يشعر بالخوة فيهب لمساعدتها علما بأن مطاردة الرجل للمرأة استمرت أكثر من نصف ساعة طعنت المرأة فيها أكثر من ثلاثين مرة حتى أسلمت الروح والناس يفرجون. وقد جعلت كثيرا من الشعب الأمريكي وخاصة علماء الاجتماع أن يتساءلوا ماذا حصل في أخلاق هذا المجتمع الذي لا يشعر الناس فيه بروح الأخوة والانسانية ويتسمون فيه باللامبالاة وبرودة الأعصاب. فما رأي القارئ في هاتين الصورتين من المجتمع الأمريكي؟

لمعرفة المزيد والحصول على هذه الحكايات (75 حكاية) أحصل على كتاب حكايات من أمريكا للمؤلف.

دقيقتان مع الدكتور يحيى - 15/Dr. Yahya مع الدكتور يحيى الحكاية 36 : التعصب والتراث ، من كتاب حكايات من أمريكا للمؤلف.

التعصب والتراث - Culture and Prejudice

التعصب هو الحكم على الآخرين من البشر دون برهان مناسب ، لذا فهو خطأ جسيم يرتكبه الناس شرقا وغربا ومتوسطا ، وإذا تحكّم التعصب في مجموعة من الناس كانت نتائجه خطيرة بقدر قوته ، ومن الشاء عند البشر أن التعصب ينشأ من الخبرات القليلة التي تملكها الأقليات عادة عن المجموعات الأخرى في مجتمع ما ، ومن هذه الخبرات حب المشابه وكرهية المخالف في الدين والتراث واللون والعرق وحتى السياسة . وهناك سؤال يطرح نفسه : هل تقلّ العصبية بين الناس مع الزمن أم تزيد؟ ويقال جوابا على السؤال أن العصبية لجهة معينة كوطن أو دين أو لون أو جنس من الصعب التخلص منها نهائيا ولكن هناك عناصر إذا توافرت ساهمت في تقليصها ، كالتعليم والسفر ومعرفة الآخرين والتعايش الحر في المجتمع . ومن الضروري أن نحدد العوامل والدوافع المحركة لبقاء التعصب ، حيا رغم الجهود المخلصة لتقييم الحقائق حول ما تعتقده الشعوب

والمجموعات بأنه خاص بهم . فالتعصب للعروبة والإسلام مثلا أو تجاه السود واليهود من الصعب التخلص منه ولكن ليس من الصعب تقليبه مع الزمن نظرا للبيئات المختلفة التي يعيش فيها الناس ، من الناحيتين البيولوجية والجغرافية ، أو من ناحية العقيدة والعادات ، رغم أن المتعلمين يحاولون أن يكونوا منفتحي العقل في الحكم على الآخرين كبشر حسب مميزاتهم وصفاتهم ، لأن الناس عادة ما يفحصون ما يعتقدونه بأساليب وطرق غير سليمة ، فنتتهي إلى نتائج سلبية متحاملة على الطرف الآخر .

وقد قام الباحثون من علماء النفس وعلماء الاجتماع بعدة تجارب لقياس مدى التعصب ومدى التغيير الإيجابي فيه مع الزمن . ومن هذه البحوث أنهم عرضوا على مجموعة من الشباب صورة امرأة جميلة وطلبوا منهم الاتصال هاتفيا بها وكانت توقعاتهم قبل أن يبدأوا الحديث معها أن صاحبة الصورة ستكون فتاة اجتماعية وشخصيتها مرحة وأنها جذابة ، ثم عرضوا على مجموعة أخرى صورة امرأة ليست جذابة بل عادية أو أقل من العادية (أو قل قبيحة) على نفس المجموعة فكانت توقعاتهم أن صاحبة الصورة لها شخصية معقدة وأنها جدية وليست اجتماعية ، وكان الباحثون يريدون أن يكتشفوا كيف تكون المكالمات الهاتفية مع هاتين السيدتين وما أثر الصورة على في طريقة الحديث بناء على ما اعتقدوا بعد مشاهدة الصور ، فكان المتحدثون مع " المرأة ذات الصورة الجميلة " يتكلمون بدفء وحرارة وصدافة ، ويغلب على حديثهم الفكاهة وكأنهم يعرفون بعضهم من مدة طويلة وكانوا يحاولون زيادة الوقت في الحديث . أما المجموعة الثانية التي تكلمت مع " المرأة صاحبة الصورة القبيحة " فكان حديثهم بناء على توقعاتهم باردا وجافا وهم محافظون في حديثهم ويشعرون بحرج ، وقد احتاروا في اختيار الكلمات للحديث وكانت المكالمات قصيرة ، وق تم عكس الصور للمجموعتين فكانت النتائج متقاربة كما كان متوقعا ، وأضاف العلماء لمجموعتي الشباب مجموعتين من النساء ، وأجروا عليهن نفس التجربة وعرضوا عليهن صورتين لشباب حسن الطلعة باسم وصورة شاب عادي لا تبدو عليه السعادة فكانت النتائج قريبة من نتائج الشباب الرجال ، ولمعرفة مدى التعصب وأثره في المقابلات للوظائف أجرى العلماء أيضا بحثا على أشخاص بيض قاموا بمقابلة أشخاص بيض مثلهم مرة ثم قابلوا أشخاصا من لون مختلف عنهم فوجدوا أن البيض كانوا أقل حرارة وصدافة مع السود وكانت مقابلاتهم أقصر من مقابلات السود ، وعكسوا الصورة أمام أشخاص سود قابلوا أشخاصا بيضا وسودا ، وقد سجلت المقابلات بالفيديو لمراجعتها وفحصها فحصا دقيقا ، ولم تكن هناك فروقات بالنسبة لكل المجموعات إلا من حيث عنصر التعليم فكانت المجموعة الأكثر تعليما من الذين أجروا التجربة في كل المجموعات أكثر تسامحا مع الآخر وكانوا لطيفين في المكالمات أو الحديث ، بعكس المجموعات ذات المستوى الأقل في التعليم . ولكن التعصب كان موجودا بين الجميع انما اختلفت مستوياته ، فالتعصب للون أو دين أو جنس هو حقيقة واقعة ولكنه من الصعب التخلص منه نهائيا . لأن النمطية التي تتغلغل مع السنين في فكر الإنسان في بيئته الاجتماعية وتصرفاته تلعب دورا هاما في تقبل الآخرين أو رفضهم ، لذا لو قابل عربي يهودي أو العكس لوجدنا فروقا متقاربة في النتائج حول المجموعتين ، ولظهرت الكراهية المبطنة عند الفريقين عند الحكم على الآخر ، فالمعلومات والخبرات التراثية والعادات والتقاليد المعطاة أو المخزنة في العقل البشري عن الآخرين تؤثر تأثيرا مباشرا على عصبية البشر وحكمهم على الطرف الآخر .

ما الطريقة أو الطرق لتقليل التعصب في مجموعة من الناس سواء أكانوا ذكورا أم إناثا ، كبارا أم صغارا ، سودا أم بيضا عربا أو يهودا أو نصارى ؟ أعتقد أن التعليم أمر مهم ، والمعرفة وتعدد الخبرات الشخصية والسفر والتعايش مع الغير تدعو كلها إلى فهم الآخرين والتعايش معهم بأقل مستوى من العصبية والتعصب . فالفهم المتبادل بين أي فريقين (شعوبا ، منفردين ، أو مجموعات) يقلل من التعصب ويزيد من التفاهم والتعايش مع الغير والتقدير المتبادل لكل تراث مهما بدا غريبا أو مألوفا ، قريبا منا أو بعيدا عنا ، وهذا في اعتقادي يجب أن يكون من أهم أهداف التعليم في أي بلد شرقيا كان أم غربيا أو متوسطا في هذا العالم الصغير . وللكاتب نظرية علمية في هذا المجال بعنوان النظرية القمرية أو Crescentology، حيث كتبها في كتابين بالإنجليزية وكتاب بالعربية عن طبيعة البشر عند الأقوام .

*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#) . وتجدونه أيضا [هنا](#) .

37

Israel, Enemy Number One or Seven for Arab Politics Today?

[Hasan Yahya, Ph.Ds](#)

[للدكتور حسن يحيى](#)

هذا حديث عاقل خال من الجنون والتخيلات . فتمتع بالقراءة ولا تحكم على المقال ولا على الكاتب حتى تنتهي من قراءته . ومعلومة للقراء فالكاتب غير منتم لحزب سياسي أو ديني ، حتى اجتماعي ، وشكرا . والحديث ليس عن إسرائيل بقدر ما هو عن أحوال العرب اليوم ونحن نرى تقاليد الحكم انتقلت إلى الإسلاميين . وللكاتب وجهة نظر في هذا تعتمد الفحص والتحصيص والمنطق . فحكم الكنيسة ولي منذ زمن بعيد وفي بلاد العرب قد تكون (الكنيسة ورجالها الجدد) سببا في العودة بالشعوب والفكر والممارسة إلى القرون الوسطى . هل إسرائيل العدو رقم واحد أو رقم سبعة في بلاد العرب؟ أم أن الظلم والطغيان العام في بلاد العرب هو العدو الأول ، وما إسرائيل سوى جزء بسيط في معادلة الأعداء والأصدقاء؟ ويتعرض الإجابة على السؤال إلى ظاهرة تولي الإسلاميين مقاليد السلطة والقرار من خلال اكتساحهم مجالس الشعوب في عدد من الدول ، ورغم أن الغرب وقف أمام الإسلاميين وأطاح بهم في الجزائر وفلسطين حتى بعد نجاحهم في الانتخابات نرى الغرب يفتح ذراعيه مبتسما بلقاءاتهم في عدد من الدول في أيامنا هذه .

وسؤال يحتاج منا البحث والتحصيص قبل الإجابة عليه . فالإجابات تختلف الآن كما اختلفت في الماضي وستختلف في المستقبل . فالبشر يختلفون في الزمان والمكان والعمر والجنس (ذكر وأنثى) والعرق والعقيدة . وكلها عوامل تساهم في الإجابة على السؤال في هذا المقال . فتعريف إسرائيل لا يتعدى في الحقيقة العلمية وإن اختلف على التعريف ، بأنها دويلة غنصرية الأهداف لأن من أهدافها تجميع اليهود في فلسطين وقيام إمبراطورية صهيونية تتجاهل الأقوام الأخرى ، وربما كان ذلك من سوء حظ العرب وخاصة سكان فلسطين أن تم اختيار فلسطين لتكون وطنيا لليهود ، وهي فرضية ضعيفة، فالحظ لا مكان له أمام العقل والتحليل المنطقي ، والفرضية الأقوى أن قيامها كمن ضرب عضفورين بحجر واحد ، وأعني بذلك بتخطيط المستعمرين أنجليز وفرنسيين، ومنها أن يتخلص الأوروبيون (فرنسا

وبريكانيا بالذات) من عقدة الذنب تجاههم بما فعله هتلر بهم أولا ، والتخلص من وحدة العرب كعدوة محتملة قد تنهض من تحت الرماد فتشكل خطرا على العالم المسيحي مستقبلا ثانيا. وهذا العصفور الثاني ولد ميتا قبل أن يصل إليه الحجر ، وبما أن الغربيين مولعون بدراسة التاريخ فإنهم قرأوا عن تاريخ العرب في الجاهلية وما بعد الجاهلية (فجر الإسلام) وقاموا بالاستفادة من ذلك التاريخ العتيق بل وطبقوه في تقسيم الدول العربية واستعانوا بالسوء في المرحلتين للسيطرة على مصادر البلاد العربية وتشطيرها إلى دول أضفيت عليها الشرعية كما تضيفى الشرعية على أبناء الحرام وأصبحت دولا تسير جنباً إلى جنب مع الظلم والطغيان .

وكان منتهى ما أراه الغرب أن يرى العرب دولا وشعبا مشرذمة تهيم في عقائدها أنها خير أمة مع جهلها وإن ظلمت ، كادعاء اليهود الصهاينة بأنهم شعب الله المختار ، وكلا المبدئين مليء بالخلل العقلي نظرية وتطبيقا .

وبدأ الاستعمار بلباس قناع جديد ، يتناسب مع مرحلة تحرير الشعوب ، وكانت المناداة بالاستقلال السياسي للبلاد التي كانت مستعمرة من حيث النظرية ، ولكن عند التطبيق، كان المتعمر ينظر إلى مصالحه أولا قبل مصالح الشعوب التي تسعى للاستقلال، وكانت تنظر في وسائل التحكم بمن يحكم الشعوب، ولم تنظر إلى مصلحة الشعوب الطالبة بالتحرك. ومضت الخمسينات والستينات وأقبلت السبعينات من القرن الماضي ، وبدأت الشعوب ترى أن هناك خلا في الحكم على الأعداء ، فلم تعد إسرائيل هي العدو الأول، وكانت هناك قوى ظالمة وطاغية تستحق بجدارة أن تكون مع إسرائيل في قائمة الأعداء، وبدأ النضال من جديد ، فسقطت بغداد وسقطت أفغانستان وهما ضمن عوامل التفكير الغربي في توكيد الفارقة بين الدول العربية ، وتشثيت قوى الشعوب الجائعة والعاطلة عن العمل ، والمتطلعة إلى الحرية ، فغزتها من جديد فعدرت بالعروبة أيام عبدالناصر ، وأطاحت بصدام حسين والقوميين العرب فيما عرف بحزب البعث الذي انقسم على نفسه بين العراق والشام ، حيث وقفت أم القومية العربية سوريا بالوقوف ضد العراق متناسية الخيوط القوية التي تحاك بها مؤامرة تفتتت العرب وشعوبهم ، وأصبح العربي يسأم كونه عربيا ، ويفقد الأمل في قيام وحدة عربية نهائيا وإلى الأبد .

فتاريخ العرب بين داحس والغبراء وبين تغلبي وتميمي في فترة ما يطلق عليه بالعصر الجاهلي ، وبين سني وشيعي وبين عربي وأعجمي مما عرف بفترة ما بعد الإسلام ، كان منهاجا للغرب يتبعه للتفريق بين العرب ، فقام بتولية من لا يستحق وتأييده بالسلاح والمال إذا كان فقيرا بدون موارد، وليس من ميزانياته ، بل استخدم ميزانيات العرب أنفسهم في الدويلات والمشیخات النفطية ، ليقوموا بتمويل الحكام الفقراء في الدول العربية ، وجعلوا لهم سلطانا وحكما يتجبرون به ويجولون فيه ظلما وعدوانا. وبدأت نعمة جديدة تقول : الأردن أولا، الخليجي أولا، وبدأت عمليات التكويت والأردنة والسعدنة (أو السعودية كما يسمونها) وكلها مجالات في حب الأنا والأناية واستعباد الشعوب ، ولم يبق من العروبة ما تتسلح به ، وأصبحت الإقليمية ديدنا للحكام وشعوبها ، وأصبح معظم الجهال في أمة يعرب من الأغنياء ، ووضع العقل والمنطق والحريات واحترام الإنسان على الرفوف حتى وسنت كمياه المستنقعات الداكنة ، وبهتت ألوانها فلم يمكن تصورها ، وتم طمسها إلى غير رجعة فهي لم تعد ترى .

وفي هذا المجال كانت إسرائيل ترتع معافاة في خضم القتال بين الأخوة ، بين الجزائر والمغرب، بين اليمن والسعودية ، بين العراق وسورية ، بين مصر وليبيا، والأمثلة كثيرة فالسودان مثال حديث حيث أصبح سودانيين ، والعراق ثلاثة ، شمال ووسط وجنوب ، والأردن أولا الذي ينفي عن السكان وهم أكثرية ، ويمنع ولاءهم لوطنهم الأم فلسطين ، والمواطن وغير المواطن ، ما هي إلا أمثلة على تنمية الشقاق بين الشعوب في البلاد العربية ، وأمثلة على الشقاق في الشعب الواحد، وبقي الرابح الصياد يجلس تحت الشجر يستجم ويتفرج وأعني به إسرائيل، فلم تعد قضية فلسطين علابية كما كانت في الماضي ، وأصبح كل شعب له حدود وطنية يدافع ويموت من أجلها ، وأصبح الإسلام غطاء للاستعباد والظلم وأصبحت ميادين الفساد مرتعا للسباق الوطني ، وضحكت إسرائيل على أمة يعرب، وبان الفرق بين الجهلاء في الحكم وبين العقلاء في السياسة والاحتلال واستعباد الشعوب.

وفي ختام هذه المقالة ، ونحن نرى أن المتشدين بالإسلام إخوانا وسلفيين وأصوليين يكتسحون مجال الشعوب في الحكم ، إنما ينادون بنظالية العدالة والحرية وهم يخفون نواياهم بما ليس للصحافة وليس للنشر من تزمت فكري وتعصب جنسي أو عقيدي بما يتنافى مع التعددية التي آلت إليه بعض الدول شرقا وغربا ، وحكم القانون الوضعي وليس الإلهي ، لأن القوانين الوضعية توضع لخدمة البشر بينما الشرائع توضع للسيطرة على عقول البشر وعواطفهم ولا تخضع لمنطق أو تحليل منطقي عقلائي .

فإذا استمر من يعتقدون أنهم سيطبقون شرع الله في احترام الحاكم وإن ظلم ، واستعباد الشعوب بالتوكل والتواكل على الخالق ، والتعصب لمن يتعصب لعقيدته وحرمان الآخرين من العدالة لأنهم يختلفون عقيدة أو لونا أو ثراء أو هوية في عالم اليوم ، فإنهم يهدمون ركنا أساسيا من أركان الحرية البشرية في العيش بسلام وطمأنينة مهما اختلفت أصولهم وعروقهم وأديانهم وعقائدهم .

ولعلي أستطيع الحكم على السنوات والعقود القادمة من حيث السياسات التي ستتبع تحت سيطرة حكم العقائديين من إخوان وسلفيين وأصوليين أو حكم أصحاب الأيديولوجيات من علمانيين (شيوعيين أو رأسماليين) بأن حكمهم لن يقف بقوة مدة طويلة ، فاشعوب تتجه إلى ضلال، وهذا أمر محتوم في كتب السيرة والتاريخ إن كنا نؤمن بالسيرة وقصص التاريخ ، ولن تستطيع جماعات التكفير أو جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تغيير ما سيحصل مستقبلا لسبب بسيط وحقيقة واقعة بل واقعية عبر التاريخ أنسناها ودرسناها وهي أن الإنسان مهما كانت عقيدته فهو حيواني الغرائز ، وقل ما قرأنا حول من يربأ بنفسه فيفرق بين ما هو عام وما هو خاص ، كما كان الأمر أيام العمرين ، عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز ، فالزمن غير الزمن والنشر غير البشر والإخوان غير الصحابة والتابعين ، فالوقت متغير حسب التقنيات المستخدمة فيه ، فلم توجد السيارة ولا الطائرة في عهود الراشدين ، ولم يتم اختراع الإنترنت ولا وسائل الإتصال السريعة بين الناس ، ولم يعد الجمل ولا الحصان وسيلة انتقال كما لم يعد العصر عصر سيف ورمح في عالم القنابل النووية التي استعملت في حروب القرن الماضي بما عرف بالحربين العالميتين ،

فإسرائيل اليوم تصطبغ بصبغة جديدة تختلف عن صبغتها الأولى ولعل ما يقوم به الشباب اليوم في العالم العربي جزء لتحديد هوية إسرائيل ووضعها في الترتيب على سلم الأولويات في العدائية أو الصداقة ، وبما أن الشباب جاهل بشكل عام إلا أقله ، فلا الإخوان ولا السلفيين ولا العلمانيين بقادريين على ترتيب الأولويات والشعوب تخاف على رزقها وأولادها

وأوطانها ، والشعوب التي تزيد فيها الأمية بين رجالها ونسائها وأطفالها هي شعوب تحتاج عقودا من تعلم المعرفة واحترام الذات مع احترام الآخرين على قدم وساق ، فالمعرفة والعلم أمران أساسيان في إقامة العدل والشعور بالأمن والأمان في عالم اليوم ، ولا أستطيع أن أرى ملامح هذا الأمن ولا الأمان في تسلم السلطة لأصحاب العقائد ، فهم بشر والبشر خطأ ، فلا ملائكة يتسلمون حكما إلا ضلوا وفسدوا وظلموا باسم العقيدة التي يَسمح بها الحكام في كل عصر ، ولن يختلف الإخوان وغيرهم من الإسلاميين مهما تستروا تحت عباءات مفاهيم السياسة المعاصرة من المساواة والحرية والعدل والنهضة وهم يؤمنون قولاً وفعلاً بما قال الله تعالى في الآيات التالية وهي أمثلة على اعتقاد أهل السنة والجماعة تجعل المسلمين أفضل من غيرهم ومن هذه الآيات ما يلي:

1. جاء في سورة آل عمران – آية 85: " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ".
فإنه لن يقبل من العباد إلا دين واحد هو الإسلام ، أما الأديان الأخرى فليست منه في شيء إلا إذا اعتبرنا الإسلام لله عند كل رسله يعني تسليم النفس والروح لأمر الله تعالى والانقياد لمشيئته وهذا التعريف قد يدخل بعض تابعي الأديان الأخرى في الإسلام وإلا فغير المسلمين يعتبرون خارج دائرة الإسلام. فهل يؤمن الإخوان والإسلاميون بعكس ذلك؟

2. ونقول الآيات القرآنية في النصارى في سورة المائدة – آية رقم 72- 73 " لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد ". والنصارى اليوم في أوروبا والأمريكتين وفي أنحاء العالم بين داع للمسيح بأنه الله ، أو داع للمسيح بأنه ثالث ثلاثة . فكيف يفسر العلماء المسلمون ومنهم الإخوان والسلفيين والأصوليين هذه الآيات حول النصارى . وكيف يكون الإخاء بين النصارى واليهود والمسلمين؟ إنها مهمة شاقة ليس إلى حلها من سبيل . فالأديان المتبعة حالياً يناقض أحدها الآخر . ففي الدين اليهودي ورد في التوراة سفر (أشعيا 52) : استيقظي استيقظي ، إلبسي عرك يا صهيون ، إلبسي ثياب جمالك يا أورشليم لأنه لا يعود يدخلك في ما بعد أغلف ولا نجس " والأغلف هو النصراني والنجس هو المسلم . فكيف يوفق اليهود بين الأديان في المؤتمرات التي تجمع الأديان الثلاثة ؟ كما يقول التوراة " للأجنبي تقرض بربا ، ولكن لأخيك لا تقرض بربا " (تثنية 23) ، ويقول "البناء المستوطنين النازلين عندكم تستعبدونهم مدى الدهر وتتخذون منهم عبيدا وإماء أما إخوانكم من بني إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف " (لاويين 25). فهل هذا كلام الله يدعو للعنصرية والربا واستعباد البشر ؟ لست أدري! فهم الإسلاميين على حد سواء بالنظر إلى من هم خارج ملتهم.

3. وفي النصرارى واليهود يقول الله تعالى في سورة المؤمن آية 23- 35: " ياأيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ". فهل يغير الإسلاميون من نظرتهم حول ما تعنيه الآيات الكريمة والتعامل بعدل مع الآخرين ، وبمعنى آخر هل ستكون السياسات الاجتماعية والاقتصادية تصب في نهر المحجبين والمحجبات ورواد المساجد أم في نهر الشعب بكل طوائفه؟ وهذا أمر سيجابه الإسلاميين العصريين في حكم الشعوب.

4. ويقول في سورة البقرة – آية 113 " وقالت اليهود ليست النصرارى على شيء ، وقالت النصرارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب فانه يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه مختلفون" . فهل يستطيع علماء المسلمين دفع هذه التهمة عن النصرارى واليهود ، فكلام الله سبحانه لا يتبدل ، وهو واضح وضوح الشمس في سماء صافية . فهل تأتون بالآية الكريمة التي وردت في سورة آل عمران مثلا – آية 64 والتي تقول: " يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون" حتى ترفعوا عن أنفسكم ما تعرفونه عن اليهود والنصرارى من أن قادة دينهم من الأحبار والرهبان يأكلون أموال الناس ويكنزون الذهب والفضة ؟ أليس من منكم من يقوم بذلك حيا بانفس وتأليه الأنانية في ظلم العباد من مسلمين وغير مسلمين؟ لست أدري . فهذه الآية تكرر المعنى السابق وهي الاختلاف الواضح بين أهل الكتاب الذين رفضوا الامتثال لأمر الله وهم لم يأتوا إلى كلمة سواء ، وهي الإيمان بالله وعدم الشرك به . كان الله في عون العلماء المسلمين ، فهم في حرج كبير . وسيظهر ذلك جليا في حكم الإسلاميين للشعوب.

وفي رأيي المتواضع أن حكم الأديان من كنيسة أو مسجد لم يعد له طعم ولا رائحة فقد أثبتت الكنيسة ومعابد الأصوليين اليهود أنهم لا يحتكمون للعقل ولا يؤيدون المنطق في قراراتهم حول غيرهم، وما نراه في إسرائيل خلال العقود السبعة الماضية وما رأيناه من خداع الكنيسة والكهنوت في أوروبا وما رأيناه من بعض علماء الأزهر (الشريف) ورجال الحركة الوهابية وفتاوى جماعات التكفير إلا نسخة مكررة من تطبيق الظلم والفساد والانحراف عن الخلق السوي الذي تدعو إليه أديانهم ، وسماحة عقائدهم ، ولم يكن من أهداف الله تعالى يوما أن يجعل الجميع سواء تابعين لدين واحد ، فهو شاء وما شاء حصل، لأن من لا يتبع الأديان (من الملحدين) في أيامنا يمثلون أكثر من ثلث سكان هذا العالم إن لم يكن نصفه ، سواء أكانوا على حق أم على باطل

لذا فإن تسلّم رجال الدين كمجموعات أو أحزاب الحكم في بلد ما يطابق الفرضية التي تم فحصها بفضل الكنيسة والمعبد والمسجد ، وتحتم علينا العودة إلى القرون الوسطى حالكة السواد تحت ظل الكنيسة وتعنتها وكان المرابون والكفار والمسيحيون واليهود والمجوس

والزرادشتيين على حد سواء كانوا في عهد الرسول وما زالوا يتناسلون إلى يومنا هذا ، فإن وضع الإسلاميون أنفسهم في مقام الله مخطئين ، فالله لا يحتاج حراسة ولا محكمين من أجل دينه ، فلم يبق إلا التحكم للعقل والحصافة العقلية ومنطق الأشياء في تحليل الظواهر ، وهذا أمر يرفضه أصحاب العقائد والأديان في كل مكان ، وستكتشف الشعوب يوماً أن من صوتوا لهم خطأ حسب عقيدتهم أصبحوا في لباس الظالمين والدكتاتوريين يلبسون لباس الفضيلة لإخفاء المفاصد باسم الدين وسترا العورات في الظاهر واقتراف الذنوب في الباطن ومنها استعباد الشعوب وقتل المخالفين باسم العقيدة والدين ، وهو مبدأ أثبت فشله كما نرى في إيران وإسرائيل ومن يتبعون الوهابية ومن خلال تصرفات بعض جماعات الإسلاميين في الدعوة إلى عبادة الله ، بينما الجهل وعدم استعمال المنطق في تحليل الأشياء والحكم عليها ، ومجاملة العاطفة تكون الضابط الأوحده في تصرفاتهم .

وبناء على ما سبق نصل إلى النتيجة الحتمية بأن الأديان ستنزع ما بقي الجهل والخلاف العقيدي يعم البشر ويكون دينهم في إدارة آخرهم أكثر اهتماماً لإدارة أхраهم . فالأخرة من علوم الله فهل يهتدي أصحاب العقول في نهاية المطاف لاعتقاد جديد وهو أن الله ليس له جند لحماية دينه فهو عالم السرائر والظواهر في السلوك البشري ، وليس البشر هم العارفون والعالمون بكل شيء ، ولعل في العقيدة الخاطئة خطر يعلو على خطأ الجهل بأسس وروح العقيدة ، الداعية إلى التوسط في الأمر والاحتكام بالقوانين وروحها في أن واحد وليس في شريعة لا تتناسب مع العصر الحاضر وتتلون بألوان أيديولوجية تغمض عينيها عن الحقوق الإنسانية والعدالة الاجتماعية التي تسعى لها الشعوب . وهذا سيدخل لا محالة في تقييم إسرائيل ووضعها على سلم الأولويات عند العقلاء والشرفاء والشعوب وفي سلم الأعداء والأصدقاء .

الكاتب مسؤول عما يكتب ، فمن له تعليق فليدل بلوه أو فليسكت . والله أعلم . فقد طمح الكليل وتم قياد الناس بعواظهم لا بعقولهم في بلاد العرب وهذا أمر لا يلام العرب فيه وهدم ، وما هي إلا فترة تاريخية مؤلمة للعاقلين وأصحاب المنطق والعقل الراجح حسب منطق النظرية القمرية التي ينادي بها الكاتب . وفي رأيي أنها تفوق نظرية ماركس ونظريات البقاء للأصلح الداروينية السبنسرية في النظر إلى حل مشكلات العالم شرقاً أو غرباً عن طريق معرفة والتفاهم والتقدير المتبادل والعيش بسلام .

أقرأ للكاتب : النظرية القمرية وطبيعة الإنسان بالعربية وكتابي **Crescentology: Theory of Conflict Management and Crescentologism: The Moon Theory** حول مناهج جديدة لحل المشاكل النفسية والعالمية بأسلوب جديد بعيد عن الاشتراكية الشيوعية المنحرفة والرأسمالية المتحكمة الأنانية.

وفي اعتقادي أن معرفة هوية الكاتب ستؤثر في الحكم على نظرياته ، كعربي أو يهودي أو هندوسي أو مجوسي أو نصراني . وهذا أمر صعب التخلص من هذه التأثيرات العاطفية إلا عند العقلاء وأصحاب المنطق السليم وأصحاب الأخلاق السوية في النظر إلى العدالة ، فالهوية أحياناً تسمو بسمو الحضارة التي ينتمي إليها الكاتب إليها زماناً ومكاناً ، ويكتفي الكاتب بالهوية العلمية للتعريف بنفسه فهي أسمى من الهوية السياسية ولها ينتمي الكاتب ، والكمال لله وحده . (2630 كلمة) www.albahaspaces.com

دقيقتان مع [الدكتور يحيى](#) - 4/Dr. Yahya Two Minutes with

الحكاية الثامنة: من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#).

كثر الحديث مؤخرا عن حرية المرأة الذي تنادي بها الدول المتقدمة صناعيا وتنحو باللائمة على المجتمعات التقليدية بأنها لا تحترم المرأة وتجردها من حقوقها دون أن تقارن وضع المرأة في مجتمعاتها مع المجتمعات الأخرى. فقد ظهرت مؤخرا دراسة طبية حول ضحايا الاعتداءات من النساء في المجتمع الأمريكي مما يسمونه (Domestic abuse) وقد كان من نتائج الدراسة أن امرأة من كل ثلاثة نساء كانت ضحية للاعتداء القاسي. وأن نصف النساء في أمريكا قد اعتدي عليهن قبل بلوغهن سن الثامنة عشرة. وقال خبير في أبحاث الأستفتاء (Surveys) أن نتائج الدراسة جاءت متفقة مع التقديرات الأولية لحجم الاعتداءات على النساء. وقد ضمت الدراسة التي قامت بها جامعة جون هوبكنز عن طريق كلية الطب في بلتيمور 1952 امرأة بالغة كما غطت فترة زمنية بين فبراير ويوليو من عام 1993. وقد ساعد فريق البحث عدد من الممرضات المدربات على طرق البحث بطريق الأستفتاء. وقد تم توزيع الأستفتاء على النساء اللواتي يأتين للمعالجة كضحايا لاعتداءات شخصية من قبل آخرين. وكان من الأسئلة التي طرحت على النساء إذا ما كانت ضحية اعتداء جنسي أو شخصي ومتى كان ذلك بالإضافة الى أسئلة حول حالتهم الصحية والنفسية الحالية. وقد زاد الاهتمام مؤخرا بقضية الاعتداء على النساء وقامت الجمعيات النسائية بإثارة الموضوع بعد براءة اللاعب المشهور أو. جي. سيمبسون من تهمة قتل زوجته نيكول وصديقها جولدمان. كما قامت كثير من البرامج التلفزيونية باستضافة نساء تم الاعتداء عليهن واستضافة من قام بالاعتداء عليهن وتحليل الظاهرة علنيا. وقد علق أحد المشاهدين على الظاهرة فقال: انما الأمم الأخلاق .

*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#). وتجدونه [هنا](#) أو [هنا](#).

دقيقتان مع [الدكتور يحيى](#) - 5/Dr. Yahya Two Minutes with

الحكاية التاسعة: من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#).

يقول المثل الشعبي: باب النجار مخلع. وهذه الحكاية عن مستشار في حل مشاكل الغضب بالمفاوضات لم يماسك نفسه حين أفلت منه زمام الأمر فقام بضرب أحد طلابه الذين يحضرون درسا له في ضبط النفس. والسبب أن الطالب قد حضر الى الفصل وهو مخمور. وقد حصلت الحكاية في الولايات المتحدة. وكان من آثار الحادث أن الطالب المضروب اعتبر معطل الدماغ من جراء الضرب المبرح من المستشار المتخصص في ضبط النفس واسمه شارلز ماهوكا. وقد كان المدرس تحت التجربة لاعتدائه من قبل على شخص آخر. وقد تم القبض عليه كمشتبه به لضربه ميغيل غونزاليس في إحدى الجلسات التي كان هدفها التحكم في المزاج عند الغضب وضبط النفس. وقال شاهد عيان أن ماهوكا وعمره 39 عاما قام بلطم

غونزاليس فرماه أرضاً ثم بدأ يركله ويرفسه عدة مرات وهو على الأرض. ولم يتوقف عن الركل رغم تدخل المشاهدين للحادث. ويقال أن مستشار ضبط النفس فقد أعصابه كان مخموراً هو الآخر فلم يسمع كلام الحاضرين الذين طلبوا منه التوقف عن ضرب غونزاليس. أما غونزاليس فقد كان يحضر هذه الجلسات للتحكم بأعصابه عند الغضب بأمر من المحكمة التي قضت عليه بحضورها لأنها أدانته في حادث اعتداء بالضرب على صديقته. فنال عقابه بالضرب المبرح من أسناده الأقوى منه والأكثر غضبا والأكثر سكرا.

*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#). وتجدونه [هنا](#) أو [هنا](#).

41

دقيقتان مع الدكتور يحيى - Two Minutes with Dr. Yahya/6 - الحكاية الحادية عشرة: من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#).

هل سمعت بقصة طفل طلق امه وأباه؟ أخيراً حصل غريغوري على أمينته في الأسبوع الأخير من سبتمبر 1992. فقد حكمت محكمة أورلاندو في فلوريدا بالسماح لغريغوري أن يعيش مع العائلة الجديدة التي تبنته. وقد كان الحكم ضد والدي الطفل الذين حرما من رؤيته بأمر المحكمة. وحكاية غريغوري شفاقة وحزينة، فمنذ أن كان في الرابعة من عمره وهو يدخل بيتاً ويخرج من بيت لايواء الأطفال (Foster Family) ولم يقض سوى أشهر قليلة مع أمه خلال السنوات الثمانية الماضية. وقد أدلى غريغوري بتفاصيل عن علاقة أمه به ، فهي كما قال لم تتصل به حتى بالتلفون ولم تقم بزيارته ولم تكتب إليه، وقال بمرارة: اعتقدت أنها نسيت أن لها ولدا اسمه غريغوري كما أنه لا يتذكر أباه سوى أنه خرج من البيت مرة ولم يعد إليه بعدها. وقد نالت قضية غريغوري اهتماما خاصا وكبيراً على مستوى الولايات المتحدة فهي تعتبر أول قضية يقف فيها ابن في محكمة يطالب بحقوقه قانونياً ويطلب طلاقه من والديه ويرجو انتزاعه من أمه وأبيه الحقيقيين واعطائه الى أبويه بالتبني. ورغم أن هناك قوانين مرعية حساسة وجدت لحماية حقوق الأطفال أمام سوء معاملة أبويهم إلا أن قضية غريغوري اعتبرت شيئاً جديداً، فماذا تعني؟ انها قضية انتصر فيها المطالبون بحقوق الأطفال فهم منذ زمن طويل يطلبون من الولاية أن تتدخل عن طريق المحاكم في تقييم شئون الأسرة وخاصة في الأسر التي تعامل أبناءها وبناتها معاملة لا أنسانية ولا أخلاقية خاصة حين يحصل الضرر على الأطفال. كما أنها بالمقابل قضية تعني فشل مؤسسة العائلات الراحية للأطفال التي تأخذ وقتاً طويلاً لتساعد الأطفال المحتاجين للرعاية، لأن أهم وظيفة تقوم بها المؤسسة هي إعادة توحيد الأسر وإيجاد بيوت تسودها المحبة والهدوء والاستمرارية للأطفال في أسرع وقت ممكن قبل أن يضيع الأطفال ويسبق السيف العذل كما يقال .

كما أن قضية غريغوري (أو شون روص وهذا اسمه الجديد) قد أخذت ثمانية أعوام طويلة لتصل أخيراً الى حل. ولكن هناك أطفالاً كثيرين مثله قضوا مدة ربما أطول في رعاية الولاية أو حتى لم يجدوا بيتاً يلهمهم ويرعاهم، فالمشكلة عامة في كل ولاية ومن أهم نتائجها أن تمرداً جديداً من الأبناء ضد آبائهم قد باركته الدولة ودعمته المحاكم في الولايات المتحدة ... فهل هناك من حل لتقوية روابط الأسرة بدلاً من تفتيتها. لعل وعسى .

*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#). وتجدونه [هنا](#) أو [هنا](#).

42

دقيقتان مع الدكتور يحيى - 7/Dr. Yahya - حكايات من أمريكا للمؤلف.

الحكاية الثالثة عشرة

إذا كتب الله لك العيش في أمريكا فكيف تتصرف إذا طلب منك ولدك الصغير أن تشتري له كلباً؟ فبعد ثلاثة أشهر تقريباً من وصولنا إلى بلد الحرية والمساواة (أمريكا؟) جاءني ولدي الصغير وعمره خمس سنوات فجرى بيننا الحديث التالي :

قال لي: أريد كلباً صغيراً، (وقبل أن أجيب، ابتدرني بسؤال آخر لتوكيد طلبه):

لماذا لا نملك كلباً مثل الجيران؟

فحرت في الجواب بل صدمت للوهلة الأولى ، وبدأت أعصر ذكائي للبحث عن أفضل طريقة لأجابته عن سؤاله دون أن أجعله يحس بالذنب فاهتديت إلى طريقة مكافحة السؤال بطرح أسئلة حوله وتسلمت بطريقة الهجوم وهي أفضل وسائل الدفاع .

قلت: أليس للكلب مخالب وأسنان؟ قال: نعم.

قلت: ألا يريد الكلب طعاماً وخدمة خاصة للعناية به؟ قال: نعم.

قلت: هل تستطيع العناية بالكلب؟ قال: نعم.

قلت: وهل تسمح له بالنوم في سريرك؟ قال: نعم.

قلت: هل تستطيع أن تأخذ الكلب معك إلى المدرسة؟ قال: لا.

وعندها وجدت العذر في إجراء مجموعة من الأسئلة التي تعطي اجابة انفي بدلا من الأيجاب ففعل وعسى نصل إلى تبرير مقنع.

قلت: هل لدى الجيران أطفال في مثل سنك؟ قال: لا.

قلت: هل تستطيع السهر مع الكلب طيلة الليل؟ قال: لا.

قلت: هل يمكن لك أن تجد للكلب زوجة تعيش معه؟ قال: لا.

وحين وجد طفلي أن الاجابة بلا قد زادت عن حدها، واستشف أن فكرة اقتناء كلب قد اضمحلت. سكت ونظر إلى المجهول كأنه يعصر دماغه فأعاد التفكير في فكرة أخرى وفجأة نظر إلى بنظرة المنتصر وقال :

ما رأيك أن نربي فيلاً؟

43

دقيقتان مع الدكتور يحيى - 8/Dr. Yahya - حكايات من أمريكا للمؤلف.

يعتقد الكثيرون أن الغربية تخلق الرجال. ولكن أليس للغربة ثمن؟ (أحسن من الشرف مافيش) هذه الجملة ردها توفيق الدقن كثيرا في الأفلام العربية. وفي أمريكا ما زال العرب يؤمنون بها بل ويدافعون عنها. فإذا سألت أحدهم عن أمريكا قال: والله كبرت البنت ولا بد لنا من العودة إلى الوطن محافظة على الشرف. فأحسن من الشرف مافيش. وما جعل الأب يقول هذا هو أن اختلاف التراث بين الآباء والأبناء يؤدي إلى الصراع والتنازع والتنافر، خاصة بين البنات والوالدين. وقد حذر علماء الاجتماع كثيرا من اتساع الشقة بين الآباء والأبناء وهم

يعيشون في الولايات المتحدة. فتراث الأب يختلف اختلافا كبيرا عن تراث الأبناء الجديد ، كما نصحوا الآباء بزيادة الوقت الذي يقضونه مع أولادهم قبل أن يصلوا الى الصراع معهم . فالتراث الأمريكي خادع بالحرية الزائدة والاعتماد على النفس والمعاملة اللينة للأولاد وتقطيع أواصر الأسرة فينخدع الأولاد والبنات ويعتقدون أنهم أصبحوا رجالا أو نساء يعتمدون على أنفسهم وأنهم يفهمون أكثر من والديهم الرجعيين. وأنهم مسئولون عن أنفسهم وهذه المميزات براءة زائفة الا أن لها معاني خاصة عند والدين فالتراث العربي المشرقي يعتبر الفتاة والفتى صغارا حتى ينهوا دراساتهم أو يتزوجوا وهم يعتززون بهذا التراث الذي يقدس الأسرة ويقوي أواصر المحبة فيها ويبدل والدين كل رعاية للأبناء حتى يشبوا أصحاء جسما وعقلا. والوالدين سعيدين للقيام بذلك. ولكنهم يفاجأون حينما يبدأ الأولاد بالثورة على هذا الحنان الأبوي فالفتاة تريد الخروج والعمل واختيار أصدقائها بنفسها ، والولد يريد الانتقال من البيت للعيش مع صديقه والعمل في وظيفة حقيرة تكاد لا تدفع سجاثره. ويصعق الوالدان ويبدأون بطرح أسئلة على أنفسهم متعجبين: لماذا حصل ذلك؟ وكيف حصل ونحن قدما ونقدم لهم كل ما يحتاجونه طيلة السنين؟ وأين الأخلاق وأين بالوالدين احسانا؟ وأين التربية؟ وأين؟

وقد حصلت هذه الحكاية مع مغترب عربي جاء من احدى القرى فكان يحكم بيته بالحديد والنار . وكان لا يسمح لابنته بالتحدث أو المشاركة في مناقشة حول سيئات المجتمع الأمريكي ولم يكن يعطيها الوقت الكافي ليعرف المشاكل التي تواجهها في المدرسة فقد كان أبا فظا بمعنى الكلمة. فقد حرم عليها الحديث مع الشباب وحرم اتخاذ صديقات لها وحرم عليها فتح جهاز التلفزيون وحرم عليها الاشتراك في نشاطات المدرسة وكانت الفتاة تبدو لوالدها ملاكا. ولأمها أشرف بنت في أمريكا. الى أن جاءت في أحد الأيام بعد بلوغها سن العشرين وقالت لأمها : لقد تزوجت يوم أمس من شاب فأرجو أن تخبري والذي وتطلبني منه أن لا يغضب. فثار الأم وبدأت بالبكاء وبدأت بطرح عشرات الأسئلة دفعة واحدة. وكانت الفتاة تجيب على أسئلة أمها بهدوء. فقد تعرفت على الشاب عن طريق صديقتها التي كانت تزورها أيام الأحاد. وعندها كانت تشاهد التلفزيون والأفلام الفاضحة، ثم تعرفت بصديق صاحبها الذي عرض عليها الزواج وهو ليس على دينها. فقبلت لأنها تحبه وتهواه فهو جميل الطلعة ويحب شعرها المنسدل على أكتافها وقد ترك صديقه للزواج منها. وختمت الفتاة حديثها قائلة: سواء رضي أبي أم لم يرض فأنا سأعيش مع زوجي اعتبارا من اليوم وقد جننت لأخذ حوائجي وهو ينتظرني بسيارته أمام البيت. وقامت بتوديع أمها وحملت حقيبتها وخرجت. والأم تفتح فمها منبهرة بما ترى. وفي اليوم التالي خرجت الصحف تزيد من الأسى على والدين وتقول: أب عربي يقتل ابنته لأنها وقعت في الحب وتزوجت حسب اختيارها .

*** من كتاب حكايات من أمريكا للمؤلف. وتجدونه أيضا هنا أو هنا.

قام الكاتب بتحويل القصة إلى مسرحية باللغة الإنجليزية . بعنوان : *FBI STORM*

محلات السوبرماركت في أمريكا للفرجة والتبضع. ولكن الجهل أحيانا غير مطلوب عند التسوق. هذه قصة حقيقية واقعية حصلت في إحدى الولايات الأمريكية، فقد جاءت امرأة مع زوجها المبتعث إلى أمريكا ولهما ولد وبنت ورضيع، ولم يمض على قدومهما سوى شهرين حتى عرفا من أين يشتريان حاجتهما الغذائية اليومية، وحاجات الغسيل والملابس. وعاد الزوج يوما من الجامعة حيث كان في محاضرة له ففاتحته الزوجة وهي باشة الوجه بالخبر الطريف السعيد فقالت:

- هل تصدق أنني ذهبت اليوم إلى (السوبرماركت) واشترت مواد الطعام، وخصوصا علب لحم وعلب سمك ملونة للأولاد.

فقال لها الزوج: هل قرأت ما عليها. أنا خائف أن تكون لحم خنزير.

فقالت له تقنعه: عليها صورة سمك. قصدك أنا ما أفهم.

وذهبت إلى المطبخ بسرعة وأحضرت علبتين ناولتهما للزوج، فبدأ يقبلهما ويقرأ ما عليهما. ثم نظر إليها وقال بهدوء:

- عسى ما اشتريت كثيرا من هذه العلب؟!!

فقالت له: قلت لك أن عليها صورة سمك.

قال الزوج: (وهو يحاول ضبط أعصابه): هل أكل الأولاد منها؟

فقالت: لا ولكن أحضرت من هذه العلب ما يكفيهم على الأقل ثلاثة أشهر. ... انها علب تفتح بسهولة... وهي ملونة ورخيصة وعليها تنزيلات.

فقال الزوج: ارميهم بالزباله فوراً.

فصعقت الزوجة وصاحت: هل جننت ... نرمي فلوسنا في الزباله؟

فقال الزوج: هل تعرفين ما في العلب؟

قالت (وكانها تتحزر): لحم خنزير! لحم فاسد! لا.... هذا غير معقول.

قال الزوج (شارحا الأمر): لا انه طعام كلاب وقطط معلب.

*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#). وتجدونه [هنا](#) أو [هنا](#).

45

الحكاية الثامنة عشرة

دقيقتان مع [الدكتور يحيى](#) - 9/Dr. Yahya

الحكاية الثامنة عشرة: من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#).

هل عندك ابن يريد أن يغير العالم؟ اذن اقرأ هذه الحكاية. روى لي أحد المغتربين العرب يوما هذه الحكاية فقال: جمعنتي الصدفة بعد تخرج ولدي الوحيد مع زميل يعيش مثلي في الولايات المتحدة منذ أكثر من عشرين عاما فقال لي:

- هل تعلم بأن ولدي سيغير هذا العالم!!

فسألته مستعجبا:

- أي عالم تقصد؟

فتنهده وقال: هذا العالم الذي نعيش فيه.

فقلت له: وكيف ذلك؟ وما الذي جعلك تطلق هذه الدعاية لابنك؟

فقال: ان ولدي قد غير ثلاث مدارس خلال العام السابق، وغير ست فتيات (صاحبات) خلال الشهرين الأخيرين، وغير دراجته النارية مرتين خلال الأشهر الستة السابقة، وغير سيارته ثلاث مرات خلال العام المنصرم.

فقاطعه أسأله وقد زاد اهتمامي بالموضوع :

-على رسلك يا أخي هل ابنك موظف وقادر على ذلك؟

فوضع الزميل يده على جبهته ليمسح قطرات العرق المتساقطة وقال:

-أه ... ماذا أقول لك ، فقد سمعت عنه أنه يغير شغلته وعمله كل اسبوعين .

فقلت (مستفسرا): كل اسبوعين؟ هل يطرد من عمله أم أنه مطلوب في السوق لخبرته وحسن أخلاقه ومعاملته لمن حوله؟

فقال الأب (بأسى وتأسف): ليته كان صاحب خبرة أو حسن معاملة ، ففي كل مرة يخرج من عمله بعذر. فهذا لا يفهمه ، وآخر لا يعامله معاملة حسنة ، وثالث يتهمه بالخداع والغش ، ورابعة تغار من خبرته... وهكذا..

فقلت: لكن حتى الآن ... أنت لم تخبرني كيف سيغير ولدك هذا العالم؟

فقال: لقد طلب الاسبوع الماضي أن يغير أباه وأمه... تصورا!

فقلت(مندهشا): يعني أنت وزوجتك؟

فقال الرجل: نعم .. نحن. بعد كل الذي صرفناه عليه ، وخدمناه حتى أصبح رجلا، يريد أن يغيرنا لأننا لا نفهمه ، ليس من يريد تغيير أمه وأبيه ، بمقتدر على تغيير هذا العالم الى الأسوأ !؟

ولم أزد عن تحريك رأسي أسفا وألما ... ثم قلت متمتما: اليس هذا مظهرا من مظاهر الحضارة الغربية المنحرفة التي نمدها كل حين ؟ قال: بلى .

*** من كتاب حكايات من أمريكا للمؤلف.

46

الحكاية العشرون

دقيقتان مع الدكتور يحيى - Dr. Yahya/10

الحكاية العشرون: من كتاب حكايات من أمريكا للمؤلف.

يمثل الأب في الأسرة في كثير من المجتمعات الحنان والعطف ومركز التقدير من أسرته ومجتمعه. فهو الحامي لأبنائه وبناته الذائد عن أعراضهم وشرفهم. أما ما حصل مؤخرا في بوسطن بالولايات المتحدة وتناقلته الصحف وأصبح على كل لسان فهي قصة (أب) دفع لصديق له مبلغ 300 دولار ليقدم له خدمة غريبة جدا وهي اغتصاب ابنته البالغة من العمر 9 سنوات. والحكاية بتفاصيلها أن والد الفتاة طلب من أحد معارفه بان يقوم باغتصاب ابنته مقابل مبلغ من المال مقداره 200 دولار فلم يوافق لأن المبلغ قليل. فلم ييأس الأب وعرض الأمر على صديق (؟) آخر له ورفع المبلغ الى 300 دولار. فقبل الصديق أن يقوم بالخدمة لصديقه فيغتصب ابنته بناء على طلبه. والأدهى بل والأمر من ذلك أن يقوم الأب بامساك رجلي الفتاة لمساعدة صديقه على اتمام فعلته. وانتهى الخبر على هذا الأمر. وجاء دور البوليس الذي وصله الأمر عن طريق الفتاة. فقام بالتحقيق وتقديم الأصدقاء(؟) الى المحاكمة.

وقد حكم على الأب السجن مدى الحياة (أربعة أضعاف) أما صديقه فقد حكم عليه بالسجن 18 سنة مقابل خدماته الإنسانية. انتهت الحكاية .
ولا يسع الانسان العاقل الا أن يستغرب أشد الاستغراب لما آلت اليه الأخلاق والأحوال الأسرية في المجتمع الأمريكي. وما هذه الصداقة التي تعتمد الحيوانية الجسدية المادية أساسا لعراها؟ فهل الناس أحرار في التصرف على هذا الأمر بدون وازع من ضمير أو لمحة من الأخلاق؟ ويحلل علماء الاجتماع الأمريكيان المشكلة على أنها أثر من آثار تفسخ العلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة وغياب الأخلاق في المجتمع المادي الذي يوزن الانسان بمقياس المادة فحسب. ولكن هل يقف المجتمع متفرجا حتى تتعدل الأمور وتسود الأخلاق وتعود الأسرة الى طبيعتها الراحية لأفرادها المتمسكة بتقاليدها وأخلاقها؟ بالطبع لا. فاعذر أن الحضارة والحرية والفردية لها ثمن وما نراه من تفسخ العلاقات الاسرية وتدني الأخلاق ما هو الا جزء يسير من الثمن الذي يدفعه المجتمع لهذه الشعارات.
*** من كتاب حكايات من أمريكا للمؤلف.

47

الحكاية السابعة والعشرون

دقيقتان مع الدكتور يحيى - 12/Dr. Yahya
الحكاية السابعة والعشرون: من كتاب حكايات من أمريكا للمؤلف.

العلاقات العامة هي تلميع وتسويق سمعة شخص أو مؤسسة باستعمال وسائل الاعلام من جرائد واذاعة وتلفزيون ومشاريع أبحاث. فاذا كنت باحثا علميا في الولايات المتحدة فقل لي الى أي حزب سياسي تنتمي أقل لك ما هو الهدف من أبحاثك وعلاقتها العامة مع الشعب. هكذا وببساطة. فان كنت من منسوبي الحزب الجمهوري فانك من طبقة الأغنياء أو من المتطلعين لتكون من طبقتهم أو أنك أداة طيعة في أيديهم. أو أنت صاحب عمل تستخدم رأسمالك لاستعباد العباد فيما يسمى بالوظيفة. أو أنك صاحب أملاك ورثتها عن جدك أو أبيك وحولك من العمال والمديرين والطباخين والكناسين من يعينك على ادارة تلك الأملاك واستثمارها لصالحك. فاذا أردت دعم سياساتك وتبرير أفعالك التي تتنافى مع الذوق العام ودحض آراء غيرك من معارضيك فانك تقوم بمنح مبلغ من المال لمجموعة من معاهد الأبحاث أو لعلماء معروفين بصيتهم في اتقان الابحاث لتوكيد وجهة نظرك ونشترط على المعهد أو الباحث العبقري أن تكون النتائج في صالحك وصالح سياساتك التسلطية التي تعود بالنفع عليك وعلى أمثالك من أصحاب رؤوس المال أو أصحاب الممتلكات أو الأغنياء في حزبك. ونظرا لأن المال له علاقة مباشرة في العملية فانك تدفع بكرم زائد الى المؤسسات الاعلامية من اذاعة وتلفزيون وجرائد لنشر موجودات البحث واستئجار علماء معروفين لمدح تلك الموجودات التي تم التوصل اليها عن طريق البحث العلمي المحايد. وقد حصل ذلك في عهد الرئيس السابق جورج بوش. حيث قام حزبه الجمهوري بدعم بحث بين الأمريكيان فبين أن نسبة كبيرة من الامريكان من الأغنياء وأنهم سعيدون في حياتهم وأن أمريكا أفضل الأماكن في العالم. وقد تم اختيار العينة من عدة مناطق يسكنها الأغنياء في فلوريدا وكاليفورنيا وتكساس وتمثل فئة الأغنياء فقط في هذه الولايات. وأعطى البحث لمؤسسة معروفة بدمتها (العملية) فكانت نتائج البحث لامعة ومؤيدة للرئيس مائة بالمائة وقد قام

باعلان النتائج عن طريق وسائل الاعلام وهو فرح بها كما اتخذها ذريعة لدعم اعادة ترشيحه للرئاسة. وكان من أهم المعارضين لتلك النتائج أعضاء الحزب الديمقراطي فماذا صنعوا؟ قام الحزب الديمقراطي بعمل بحث خاص به مع تغيير مكونات العينة حيث ضمنها عددا من الفقراء الذين يسكنون في الأحياء الفقيرة في كل من ديترويت وواشنطن وشيكاغو وعددا آخر من الولايات الأمريكية. وكانت نتائج البحث بعكس نتائج البحث الذي قام به الحزب الجمهوري. وبهذا أثبت الحزب الديمقراطي أن في أمريكا نسبة كبيرة فقيرة وأن ليس كل من يعيش في أمريكا غنيا أو أنه سعيد في حياته. وقد قام الحزب الديمقراطي أيامها بنشر نتائج أبحاثه وعارض الرئيس كما عارض حزبه فيما توصلت اليه أبحاثه . ونخلص من هذه الحكاية الى أن الأبحاث لها دور خطير. وأن على العلماء أن يعوا هذا الدور فلا ينفادون خلف سياسات أو أيديولوجيات معينة والافقد العلم أهم مميزاته في عدم الانحياز والثبات والثقة بين الناس ودخل في حيز العلاقات العامة. وعلى العلماء عند تحليل المعلومات أي يكونوا على وعي تام ومقدرة علمية فائقة حتى يكونوا محايدين في وصف نواقص البحث أو الطريقة التي تم فيها أو العينة التي تم اختيارها أو الهدف الذي قام البحث من أجله وعن درجة الثقة الموثوية التي يحاول البحث التوصل اليها. وكلها نواقص في البحث العلمي الحديث. وفي كثير من الأحيان نسمع عن استفتاءات سياسية حول الثقة بالرئيس أو الثقة بالاقتصاد أو عن مستوى المعيشة في بلد ما وعلى القارئ أن يحرص على موازنة الأمور في مثل هذه المعلومات وأن لا يصدق ما يقرأ دون تحليل ومقارنة ووعي.

ملحوظة للقراء : مجموعة المقالات من 1 إلى 27 كتبت في الفترة من 1982 إلى 1990 .

*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#). وتجدونه [هنا](#) أو [هنا](#).

48

دقيقتان مع [الدكتور يحيى](#) - 13/ Yahya/ Dr. Two Minutes with الحكاية الثلاثون: [اليانصيب](#) ، من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#).

قال : لقد ربحت هذه المرأة ثمانية ملايين دولار في اليانصيب ، أنظر إليها تضحك بأعلى صوتها ، بالأمس لم تستطع شراء فستان لابنتها من السوق لأنها لا تملك اللازم له ، وتساءل الجالس بجانبني في المطعم : هل تلعب اليانصيب كثيرا؟ لا أبدا ، اشترت تذكرة يانصيب لأول مرة في حياتها . ولكنها لم تشتت تذكرة الدولار الواحد وإنما ضاعفت المبلغ خمس مرات ، حيث كلفها ذلك خمس دولارات . ولكن يبدو عليها أنها امرأة طيبة ، قالت سيده تجلس مقابل مكاني ، وعادة الفقراء لا يربحون مبالغ كبيرة ، ولكنها هذه المرة ربحت . لبنتي اشترت تذكرة مثلها ، وكيف ستحصل على المبلغ قالت المرأة التي تجلس خلفي، قلت: تصوري أنها ستلقى مبلغ 350 ألف دولار شهريا لمدة عشرين عاما . قلت: لن أقوم بالتدريس في الفصل القادم ، ماذا تعني ؟ وقال آخر : سأتوقف عن الكتابة بعد اليوم ، قلت أعني أن هذا المبلغ سيكفيها هي وأنا وابنتها . وسنسافر إلى كل أنحاء العالم ، فقالت المرأة من خلفه ، ومن أنت حتى تقول ذلك ، قلت حبيبها ، فسمعت المرأة الراححة لليانصيب ما قال الرجل ، فابتسمت وهي تقترب منه قائلة : ولكنك بعد اليوم لست حبيبي ، فأنا لا أعترف بك.

*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#). وتجدونه [هنا](#) أو [هنا](#).

دقيقتان مع الدكتور يحيى - 14/Dr. Yahya
الحكاية 32 : الوهم القاتل ، من كتاب حكايات من أمريكا للمؤلف.

تخرجت سالومي من الثانوية العامة وكانت قد قررت الذهاب مع صديق لي لاكتشاف المجهول ، وكان المطر ينزل بغزارة وكأنه دموع تنهال على الخدود البيضاء ، ووجهها ظهر كحبة الكمثرى الحمراء الناضجة ، وقد مكثت حكايتها حيث حصلت على حبة صغيرة بيضاء من صديقها لمقابلة الاكتشاف الجديد للعالم ، فقالت: لقد وجهت تلك الحبة حياتي ، تلك الحبة التي حصلت عليها من طالب في كلية الطب مقابل النوم معه ، كنت قد طلبت منه حبة دواء تتيح لي أن أموت بطريقة هادئة ، أخذت الحبة ووضعتها في جيبي الخلفي في المحفظة ، وخرجت مع صديق لي إلى البحر ، قلت له أريد شيئاً كبيراً يحتويني كالمحيط ، فأنا لم أعد أطيق الحياة ، جلسنا على الشاطئ وكانت الأمواج تكاد تصل أقدامنا ثم تعود أدراجها كأنها مربوطة بحبل ستارة في المسرح وتكرر الموجات ونحن جالسين على الشاطئ ، وتخيلن بحر الأم الذي يحتوينا قبل الولادة ، ويبدأ خلق الإنسان ، وتكون البداية ، شعرت بقلبي تملأه العواطف الجياشة ، ويعود قلبي فارغاً من المشاعر من جديد ، والأمواج كأنها تأخذ كل ما في أعماقب معها وهي تعود إلى البحر ، وتخيلت نفسي أخطبوطاً مرة ومرة أخرى سمكة صغيرة ، ومرة ثالثة أرى نفسي سلحفاة ، أو حوت يطوف المحيطات ، كم هو جميل أن يتخيل المرء نفسه بأنه محيط كبير وعميق . اقترح صديقي أن نشعل ناراً فأوقدنا النار فصارت أشعتها كالأفعى تتراقص في الهواء ، أنا وصديقي والنار في الليل ، ونحن نتمدد على الشاطئ ، ماذا يهمني من الناس ، منذ الخليقة حتى الآن ، لا شيء ، وأنا ممددة قرب صديقي الذي لا يتكلم دون أن تسأله ، قلت له :

أتدري مايك ، أن معي حبة تؤدي إلى الموت ؟

وهل تريدين الموت حقاً ؟ قال مايك متهكماً !

نعم ، أنت تعرف أننا تناقشنا في الموضوع سابقاً ، فهي معي في المحفظة ،

الحبة ليست فعالة ، قالها بدون اهتمام . " وهذه مجرد خدعة رخيصة "

ماذا تعني ؟ ومددت يدي إلى جيبي الخلفي وأخذت الحبة بين يدي ثم قسمتها نصفين وقلت ،

خذ نصف الحبة وأنا نصفها الآخر ، فلنمت ونترك هذا العالم .

قلت لك أنها كذبة ، فالحبة ليست مميتة وهي مموهة وليست حقيقية . فلا تبدي السخافات .

أعطيت مايك نصف الحبة فأخذها بيده وانتفض واقفاً ، وبدا أمامي كالطفل الكبير حيث لم تظهر عليه إمارات الرجولة ، صديقي منذ المدرسة الثانوية ، نظر إلي ثم وضعها في فمه وبلعها ، وارتمى على الأرض بجانبي ثانية ، ولم أكن أقل منه شجاعة وأنا أعرف أنها مميتة ، ووضعت النصف الآخر بين أسناني ، ثم بلعتها بعد لحظات . نحن مستقلقيان على الرمل ، والنار تشتعل ، وصوت أمواج المحيط يأتي ويذهب ، ونحن مستقلقيان وجوهنا تتجه إلى السماء ، رأيت القمر في أجمل صورته وهو بدر ، ساكن في وداعته وكأنه يحرسنا على الشاطئ ، كانت أشعة النار تنعكس على وجهه الملائكي ، ثم شرحت فيم يمكن أن يكون

موتا بطيئا جميلا لطيفا عميقا ، وأغمضت عيناى كمن يسلم أمره لملك الموت ، جاءت صورة أمة أولاً ثم صورة أبى ثم صورة الشاب الذى أعطانى الحبة وهو يقول:
ستمتين دون أن تحسين بالموت . وأغمضت عيناى ورحت فى سبات عميق .
ولدهشنى صباح اليوم التالى كانت الشمس تلسع أجسامنا كشعاع الليزر يعيد الحياة للأموات ، شىء مضحك فعلا ، لقد صدق ماىك ، فالحبة كانت مزيفة وخذعة ، وشعرت بالسعادة فجأة أنى حبة تنبض فى عروقى الحياة من جديد وكأنى ولدت من جديد ، اقتربت من ماىك ودست يدي فى شعره الذهبى وكان قميصه مبتلا من الأمواج والرمل الرطب ، فتح ماىك عيناى الزرقاوين ونظر إلى المحيط ، وأشعة الشمس تتحول إلى ملايين الأشعة كأنها تصرخ فىنا وتقول:

- أنتم أحياء ، واقتربت من ماىك وهمست فى أذنه وقلت له : أنا ورده خلقت من جديد ، وأنت الأرض التى تحتوينى ، فهل أنت سعيد بالحياة بعد الممات ؟ وضحكنا معا والتقت عيناىنا وكأننا أطفال فى دنيا الحياة .

*** من كتاب [حكايات من أمريكا للمؤلف](#) . وتجدونه [هنا](#) أو [هنا](#) .

50

Quality and Quantity Civilization

Hasan Yahya, Ph.Ds

حضارة الكمية وحضارة النوعية

الدكتور حسن يحيى

ظاهرة الاحتفاء بالكلاب والقطط والقروود ومسابقاتها والصرف عليها بملايين الدولارات ، وظاهرة المزايدات للخيول واللوحات ومقتنيات المشاهير من الملابس والقلائد والهبات ، والتباهى بتملك الأطنان والأبراج والقلاع ، والتسابق فى رفع البنين وحية الترف بين أصحاب الملايين والبلايين ، ونشر الفساد والطمع فى أقوات الفقراء بالمنافسة غير الشريفة ، والحض المباشر والمبطن للابتعاد عن لب الدين ومكارم الأخلاق ، ومنح السيادة للفاستدين والفساد ، والاعتداء الصريح والمبطن على الأمم الصغيرة لغرض السيطرة على ثرواتها وطرق معاشها ، وتجسيد الاحتلال وتكريس الدبلوماسية الخادعة بين الدول ، كل ذلك سمة من سمات الحضارة عند البعض ، ولكنه عند غيرهم ظلم بين العباد ، وهو أى الظلم من أهم الأسس فى اندحار وأقول الحضارات التى يتغنى بها أصحابها ، فالظلم يورد الندم كما كان الأمر عند الروم والفرس وغيرهم من العجم . وكما هو الأمر فى الحضارات المعاصرة فى الشرق والغرب رغم تفاوت الظلم وأنواعه بينها .

وللظلم صور شتى : فمنه التملك التعسفى للغالب من المغلوب دون تعويض ، والتحكم فى الأرض واستغلال العباد فى وظائفهم ورزقهم ، ومنه منع الحقوق عن أصحابها ، وكل مانع لحقوق الناس ظالم كمغتصبى الثروة من القلة ومن دار فى فلهم . كل ذلك عائد على أصحاب الحضارات بخراب العمران عندهم ، فإذا استمر ذلك الظلم فإنه ينذر بانقطاع النوع البشرى . ومن ذلك : تدهور الأديان والعقيدة والتراث ، وانزلاق النفوس فى الفساد والضلال واختلال العقول عند البشر ، وانحراف الأنسال عن أهدافها ، وإضاعة المال على توافه الأمور ، وبما أن مقاصد الشرائع ترتكز على العدالة بين العباد فيما سبق فإنها تعتبر من

مقومات الحضارة وأسس استمرارها في كل زمان ومكان . فإذا زاد الظلم نقص الدين ، وطغنت النفس وتاه العقل وانحرف النسل وذهب المال ، وكل من وجد أو سيوجد على الأرض فانه غير خالد وغير دائم . وإن في قصص الغابرين ما يؤكد ذلك ولا يخرج عن تأويله ، ففي قصة أوردها المسعودي عن الموبدان (فيلسوف عصره) في قصة طريفة عن حاكم الفرس وقصة اليوم . والقصة تقول أنه في أحد الأزمان كان ذكرا من اليوم التقى بأنثى اليوم عارضا عليها الزواج ، فطلبت أنثى اليوم مهرا لها وهو 20 قرية خربة في عهد الملك الهمام ، فوافق ذكر اليوم على الطلب بل زاد عدد القرى على ألف قرية خربة ، لأن الظلم قد بدأ ينتشر بين العباد في تلك المملكة . وكان له ما أراد فاندحرت حضارة تلك المملكة وتزوج ذكر اليوم من أنثى اليوم وعاشا في ثبات ونبات احتفاء بسقوط آلاف القرى التي كانت تتباهى بحضارتها . ففطن الملك لحكمة القصة فبدأ بإقامة العدل وكبح جماح الظلم بين العباد ولكن الظلم كان كبيرا فاجتاح العباد مراكز السلطة وتغيرت معالم الحضارة وأقل بريقها . فهل يحتاج أصحاب السلطان والقوة والجبروت لقصة كهذه حتى يغيروا مسارات بلادهم نحو إرساء قواعد العدل بناء ، وتطبيق المساواة في الثروة قانونا ، وتوكيد حقوق الإنسان مبدأ ، لا أعتقد ذلك ، فالجمال لا ترى عنقها الطويل . www.askdryahya.com *** من كتاب: **عربي في أمريكا للمؤلف**.

51

الهوية العربية وعرب اليوم

الدكتور حسن يحيى

Arab Identity And Arabs

Hasan Yahya, Ph.ds

الهوية أو (Identity) تعني الجوانب أو العناصر أو المكونات لمجموعة من المميزات لشيء ما ، شخص أو دولة أو حضارة يعرف الشيء ويميز بها . وهي أيضا جوانب سلوكيات أو تصرفات يميز بها الشخص أو الدولة أو الحضارة وتنم عن تلك الشخصية . وهي صفة نوعية يتسم بها العضو في مجموعة كبيرة أو صغيرة، تسكن في الشرق أو الغرب أو الوسط ، وعاشت في الماضي أو الحاضر . وقد تكون الهوية عرقية (عربي طاعجمي) أو عقيدية (مسلم أو نصراني أو هندوسي) أو أيديولوجية (رأسمالية ، شيوعية ، اشتراكية) . ويمكن أن تتشكل الهوية في الأساس قبليا أي أسريا فقول ابن فلان أو ابن قبيلة كذا ، أو ما تعارف الناس عليه من الوطنية والجنسية في السياسة الحاضرة في تعريف البشر وانتمائهم، فيقولون : سعودي، مصري، فلسطيني، مغربي، باكستاني، أمريكي، صيني ، إلى آخر هذه الأسماء التي تعبر عن هوية وطنية.

فإذا عرفت بالعقيدة أصبحت الهوية أوسع مجالا من مجال العرق. فالهوية العربية تختلف عن الهوية الإسلامية ، وفي التاريخ العربي والإسلامي كان ذلك الفرق واضحا بين الدول

المتعاقبة بعد دولة الرسول "محمد" عليه السلام والخلفاء الراشدين لتتحدد في الدولة الأموية بأنها عربية الهوية ، حيث كانت المراكز السياسية تابعة فقط للعرب ، وبين الدولة العباسية التي أصبح فيها عدد من دخلوا إلى الإسلام أكثر من العرب ، فبدأت الهوية تمزج المسلم والمسيحي في هوية واحدة . واستمر الحال في عهد الدولة العثمانية بما سمي بالخلافة .

أما في العصر الحاضر فقد تشرذمت الدول وصغرت حجما وسكانا فأصبحت الهوية إقليمية محددة بحدود سياسية رسمت أساسا من قبل المستعمرين الإنجليز والفرنسيين والإيكاليين والألمان ، ولي هناك هوية عربية بالمعنى الكامل في العصر الحاضر حيث لكل دولة سياسية هويتها ومصادرها وجواز سفرها وأصبحت الهوية إقليمية لها فوائدها ولها مساوئها ، لذا فالهوية العربية الحديثة غامضة وغائمة حيث لم يتسن جمع كلمة العرب بالفعل على الهوية العربية التي تجمع العرق العربي وحده بما عرف من محاولات القوميين العرب ونداءات جمال عبدالناصر وأحزاب البعث المشقة في لبنان وسوريا والعراق . ولعل هناك أسباب لعدم توحيد العرب وجعلهم هوية واحدة منها عوامل خارجية وأخرى داخلية ، لا يتسع المجال لذكرها هنا .

وقد نظر بعض المفكرين إلى مسألة الهوية من منظور تاريخي وهو جزء من الهوية لا يمكن أن تواجد بدونه ، ومنهم محمد عابد الجابري واعتبرها وعي بالذات يتطور ويتجدد مع الزمن ، وهذا أمر طبيعي في تطور وتغير الأشياء بيولوجيا وبيئيا وأيديولوجيا . وتظهر أهمية التاريخ الماضي في ربط الحاضر وتشكيل المستقبل للهوية ،

لذا كانت مسألة الهوية توسم الحضارات والدول بميسمها خلال التاريخ . وهناك شعوب عريقة عرفت تاريخيا كالفينيقيين والسموريين والكنعانيين والرومانيين واليونانيين والفرس والعرب والمسلمين والصينيين والهنود والأوروبيين من فرنسيين وألمان وإنجليز وغيرهم .

ويهمنا هنا طرح مفهوم الهوية العربية وكيف تطورت عبر العصور التاريخية في فترات ما قبل الإسلام وما بعده حتى يومنا هذا حتى نستطيع تحديد الهوية إن كانت هناك هوية بالفعل بعد التداخل والتواصل العالمي في مجال الهجرة والتقدم التكنولوجي .

ورغم أن الهوية حاجة جماعية للشخصية الإنسانية تتعلق بالمحيط البشري لها، فالتغيرات والتحديات التي كانت تصادف الشعوب استدعت إعادة ترتيب ما يعرف في علم النفس ب (الأنا) الشخصية أو (نحن) الجماعية كتميز لها عن (هو وهم) . وقد اعتبرها البعض أنها حالة نفسية تصاب بها الشعوب كما يصاب بها الأفراد فتخلق أزمة تعيد تحديد مسارها وتعريفها ومميزاتها .

من هنا يبدو واضحا أن معالجة مسألة الهوية، تتوقف على الوعي بفقدانها من أجل إعادة تشكيلها، والنظر فيها ولا يمكن ذلك إلا من دراسة التاريخ البشري لأمة من الأمم لأن للتاريخ صفة مساعدة في تعريف الأشياء حيث أنه متغير دوما ولا يبقى على حال .

وبالنسبة للهوية العربية مثلها مثل كثير من الهويات الأممية ، ولكنها بدأت مما عرف ثيل الإسلام عن مجموعة قبائل وشعوب، (مثل قحطان وعدنان ويعرب وتغلب وأسد وغطفان) وقد تأسست الهوية حين يدافع أصحابها عنها إذا تم تحديدها ولعل أكثر المناسبات في الجاهلي هي يوم ذي قار وهو من أيام العرب في الجاهلية . ولكنه لأول مرة ينتصر فيه العرب من الفرس ز دفاعا عن الهوية . وليس كالحروب الأخرى بما عرف عن أيام العرب كيوم الفجار بين كنانة وقيس عيلان ومعارك البسوس وداحس والغبراء وبين عبس وغطفان وكانت بين القبائل العربية نفسها..

وبعد الإسلام اتضحت الهوية فلم تعد عربية بل اتسمت بمزايا إسلامية حتى انتهى عصر الخلفاء الراشدين . وعادت الهوية العربية في الدولة الأموية ليكون العرق العربي الأموي ومن تابعهم من القبائل العربية وقادة الجيوش الإسلامية فكانت السلطة لهم ولم يشارك بها غير العربي،

وفي أيام الدولة العباسية بدأ العرق العربي يفقد مميزاته فقد بدأت الأقوام من غير العرب في الدول المفتوحة تتزايد عددا زتائيرا وتمازجا مع الهوية العربية فأثرت فيها بل عممتها إلى هوية إسلامية إوسع مكانا وزمانا ، فكانت الخلافة هي الرابط بين كل المسلمين سياسيا وهوية المسلم عرفت بها . وبدأ "الأخر" يبدو مقبولا من ناحية العقيدة على الأقل، وظل المعتدي هو نوع لا تقبله "الأننا" العربية ولا الإسلامية . وبعد تشرذم الإمارات بعيدا عن مركز الخلافة العثمانية . أصبحت الهوية تقصر على الموقع الجغرافي للقبيلة وعلى العرق في حدود ضيقة ، ولكن العقيدة كانت أوسع مجالا للهوية لارتباط تلك الدويلات بها ولو إسميا . وكانت الهوية الإسلامية تميز الدولة العثمانية ورعاياها شرقا وغربا بما كان يعرف قبل عام 1923 بالخلافة الإسلامية .

أما الوطن العربي اليوم أو الهوية العربية اليوم فالغموض يلغها والشكوك تمنعها والأناية تطمسها وتحددها بحدود جغرافية أو حتمتها المصادر الطبيعية التي ساهمت في منع تحديدها أكثر من الوطن المحدود بفنات لم تكن عربية أساسا إلا في القليل كدول عمان والخليج واليمن والسعودية .

لذا فقد انتقلت الهوية أو (الأننا) من عربي وغير عربي إلى مشرك وغير مشرك، ثم بعثت في الدولة الأموية إلى السمة العربية ، ثم الإسلامية حتى انتهى عهد الخلافة . ثم تشرذم ثانية كما كان في نهاية الدولة العباسية حين ظهر الصفاريون والأيوبيون والفاطميون والمماليك فظهرت دول بهويا جديدة شكلية لا تتبع عرقا ولا عقيدة ولا حتى أيديولوجية إلا ما قل فيما يعرف بمجلس دول الخليج .

52

Arab Traits and Dignity

صفات الإنسان العربي والكرامة

للدكتور حسن يحيى

بالرغم من الصفات الإيجابية التي يمكن للشخصية العربية أن توصف بها كالشجاعة والكرم والجدود وحسن الضيافة وإعزاز الجار لسابع جار، ونصرة الملهوف والرحمة ووصل الأرحام واحترام القبيلة والأسرة إلا أنني في هذا المقال لن أعدد هذه الصفات ، فليس لي القراء بذلك ، لأن صفات الشخصية العربية اليوم تطورت مع تطور التاريخ والجغرافيا وطرق الاتصال والتكنولوجيا الحديثة حتى أصبح العربي شخصية تدعو للبحث والتساؤل بعد أن انجرفت تراثيا وأصبحت تابعة في إعلامها وأدبها وبرامجها المتدنية نظرية وتطبيقا في القنوات الفضائية . حتى كادت الشخصية العربية تذوب في ثقافات العالم المتحرر المسيطر من خلال ما يعرف في علمي الاجتماع والأنثروبولوجي (علوم الإنسان) بالسيطرة الثقافية ، إلا أنني كإنسان عربي عاش حياته متنقلا بين عدد من البلاد العربية والأجنبية وخبر الناس في وظائفهم وحياتهم وطرق تعاملهم ، وتغير سلوكياتهم ، ودرس تاريخهم أبيضه وأسوده ،

أصل إلى نتائج إنسانية قد تميز بعض الأجناس عن غيرها، ودون تجريح لصور هذه الشخصية الإنسانية، مثل سمة الدفاع عن الكرامة لاستعادة عزة النفس مهما طال الزمن. فمهما طال الأذى وفقدت الكرامة وعزة الإنسان فإنه سيقوم باستعادتها وإن طال الزمن، ومن خلال فترة الانتظار تتكون هناك سمات للشعوب ونفسياتها وشخصيتها، ولست أقصد هنا العوامل المؤثرة في الشخصية مما تعارف عليه العلماء من بيئة طبيعية أو اجتماعية أسرية، ولكن تلك السمات المرتبطة عبر تاريخ من الأحداث تفقد الشعوب كرامتها، وتستلب عزتها بالقوة والجبروت، وتستنهين بقدراتها البشرية والعقلية والفكرية، ولست الأول في تحليل الشخصية العربية ولا في تحليل سمات الإنسان العربي، وإن كانت هناك صفات إيجابية كالكرم والجود وحسن الجوار وحسن الأخلاق مما تناقله الناس عبر العقائد والعادات، فقد أجمل هذه السمات النفسية والشخصية عالم النفس المصري الدكتور أحمد عكاشة في دراسة له في أربعة سمات: الاعتمادية والسلبية العدوانية والاستهوائية.

فالشخصية الاعتمادية عنده شخصية "تركن إلى الاعتماد الشامل على الآخرين أو السماح لهم بتولي مسؤولية جوانب مهمة في حياته الشخصية".

وتميل تلك الشخصية عند التعامل مع المحن والأزمات إلى إلقاء المسؤولية على الآخرين وكثرة النقد له والسخرية منه، أما الشخصية العدوانية والسلبية فإن السخرية من الأحداث والشعور بفقدان القدرة على التصدي للظلم فتمر بإلقاء الذكات والطرائف (السياسية والاقتصادية) وتعبير عن العدوانية للمتسلطين. وأضيف هنا أن منها استعمال الكلمات التي تجعلهم يصبرون على المظالم مثل حسبنا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وبمهل ولا يهمل. وإنا لله. ولكن إلى حين. فالكرامة المستهانة كانت كالرماد الذي لم تنته النار فيه بعد، فأشعلتها ثورات ميادين التحرير وهي تهز الأنظمة الفاسدة لاستعادة الكرامة فانقلبت من حالة الهدوء والسكون إلى الثورة ورفض الانصياع وطلاق الرضوخ الكامل للظالمين منتهكي كرامة الشعوب، فانقلبت إلى حالة من التمرد الكامل وإعادة الكرامة العربية من جديد. وهي سمات سلبية اتصف بها الإنسان العربي على مر العصور وبدأ عصرا جديدا في التغلب عليها.

وفي اعتقادي، أني توصلت إلى مرحلة تجعلني أحلل الشخصية العربية قدر استطاعتي وحسب دراساتي ومعرفتي وخبرتي الشخصية، ولست غريبا عنها كما أني لا أنتقدها، فالحقائق وحدها حسب الدراسات العلمية قد تكون شفيعا للكاتب في أحكامه وأوصافه لتلك الشخصية المحيرة. مضيئا على بعض السمات السابقة، وما توصلت إليه قريب مما توصل إليه غيري من المفكرين والكتاب العرب، ولكن دراستي للتاريخ العربي الاجتماعي وعلاقة الأجناس البشرية ببعضها وحكايات تطورها وتنميتها قد تعطي القارئ فكرة عن أهمية الدراسة لشخصية العربي عبر التاريخ والتوصل إلى بعض الصفات الخاصة بشعب من الشعوب. وفي رأيي أن هذه السمات كانت متأثرة عن الإحباط النفسي والتاريخي الطويل وقلة الحيلة في التصدي للقوي أو المتجبر المتسلط أو الظالم قريبا أو بعيدا. وأهم من ذلك فقد الكرامة الإنسانية عند العربي ومحاولات استردادها مما طبع شخصيته منذ أيام الجاهلية واستمرت معه بعدها حتى أيامنا هذه وهو لا يسكت على الضيم الذي يرى في قتل البنات والأخوات صيانة للعرض دون وازع من ضمير أو اعتراف بحرية اختيار. كما يرى في الانتقام والبعد عن الصفح الذي تحدث عليه الأديان.

فالإنسان العربي كان قد تجمد دوره تحت سلطات الحكم العثماني لقرون ، وقبل بالحياة تحت أقسى الظروف وأعني هنا العربي الفقير الفلاح المهمش من مجالات صنع القرار ، والذي بدأت شخصيته مؤثرة في الأجيال التالية صابرة على الأذى متحملة الظلم وسياسات التعسف وغزو البلاد فتسلح بالصبر من خلال استعمال بضع كلمات من القرآن الكريم أكثر الأحيان وبعض الأمثال الشعبية ، فهي تشفي الغليل كالدواء كما يقال ، ولكنها لا تحل مشكلة ومنها : لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون، يمهل ولا يهمل، حسبي الله ونعم الوكيل ويا ظالم لك يوم. والدائم وجه الله. ويكون استعمال هذه الكلمات كدواء مسكن وحيد حين لا يملك الإنسان قوة للتصدي للظلم أو المصائب أو أوجاع النفس في الأيام حالكة السواد كأيام الهزائم والقحط والفشل وفقد الأحيه عن طريق الموت. فالإتجاه إلى الله كان أمرا طبيعيا حسب العقائد والومئل الوحيد للبشر في سواد الأحوال النفسية والاجتماعية والسياسية .

كثرت هذه الكلمات استعمالا مع بدء الحروب الصليبية ، ودامت لقرون أدت إلى تشرذم الأمة الإسلامية بعد سقوط بغداد على يد التتار وأقول حكم العرب عن بلاد الأندلس، وكان لتلك الهزائم أثرها في فقد الكرامة العربية والإسلامية معا ، حيث تطول تلك الفترة أو تقصر حسب حجم فقدان الكرامة واستعمال تلك الكلمات التي ذكرناها سابقا .

وكانت أسوأ الفترات حين بدأت الحملات الصليبية تجتاح بلاد الشرق وفلسطين وقد استعملت الكلمات المسكنة بكثرة في تلك الفترة حتى جاء صلاح الدين ليعيد للعرب والمسلمين كرامتهم ، ويشعرهم بعزتهم وقدرتهم. ولكن الحكم العثماني الذي دام خمسمائة سنة ، ساهم في استعباد العباد وطمس الهوية العربية ، عن طريق دفع الأتاوات واستغلال الضرائب التي كان يجنيها الباي والداي ممثلي الحكام الأتراك في شمال أفريقيا (المغرب والجزائر) والتي كان يستغلها في الشرق حكام مشابهون ، من الباشوات وطبقة الإقطاعيين الذين استخدموا الأرض ومن عليها من الفلاحين الفقراء والبسطاء ، فكان استعمال تلك الكلمات المطمئنة للنفوس التي طبعت الشخصية العربية ، حتى جاء جمال عبدالناصر فبعث الكرامة العربية من جديد ، وتبعته ثورة شباب يناير في مصر العتيقة فشعر العرب باستعادة كرامتهم التي سلبت سنين طويلة ، بعد ربح من الزمن القاسي الذي لم يبق في قاموس النذل والعار وفقد الكرامة بوجود إسرائيل إلا واستهلك استعماله ، فكانت كلمات حسبي الله ، وإنا لله ، ويمهل ولا يهمل، وللظالم يوم ، وربك يفرجها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، من الأدوية المسكنة للنفوس في أوقات الأحران .

هذه الكلمات المعجزة ببساطتها كانت شفاء للإنسان العربي المظلوم، وكان لتراكم المظالم والمفاسد وتجاوزات الحكام انطباعات أو سلوكيات في أزمان القهر والظلم والنكسات مما خبرناه في حياتنا بعد أن بدأ الأمل يعود بقيادة مصر العربية ، فتم احتلال فلسطين من قبل الصهاينة ، بمساعدة بريطانيا التي كانت العظمى لقرون ، كبدية لتكريس الهيمنة من الغرب على ممتلكات الشرق ومنعه من استرداد كرامته ، ووحدته ، وتم الاعتداء على مصر الحبيبة التي كانت بقيادة جمال عبدالناصر الذي كان يعتبر رمزا للكرامة العربية ، فكانت حرب 1956 من قبل الدول الاستعمارية الثلاث بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر الأبية وبعدها حرب 1967 ، وانتكاسات العرب المتكررة في هيئة الأمم وتعتت القوى الإمبريالية في دعم المحتلين الصهاينة لفلسطين وغزو العراق وأفغانستان وبدأ الإنسان العربي يحاول استعادة كرامته طيلة تلك السنين فقد جفت تلك الكلمات المسكنة وأصبح الناس سكارى وماهم بسكارى ، وكان ما قام به بن لادن الشرارة في أفغانستان وغيرها ، وكانت جزء من محاولة

رفض للمهانة وطلبا لإعادة الكرامة العربية التي سلبت على أيدي الدول الغربية ورببتها المسخ إسرائيل الصهيونية .

وعادت بعض الكرامة المستباحة تنير وتتألأ في ميادين التحرير في عدد من الدول العربية في مصر الأبية وتونس الخضراء واليمن السعيد ونهر بردى . ولعلي أعود إلى سمات الإنسان العربي الذي عاش حلو الحياة ومرها فأصفه بما يلي:

- عدم الشعور بالمسؤولية : فالأخ الأكبر أو الأب العربي هو الذي يقوم بمسؤوليات الأسرة ومهمات العمل والكدح لإعالة الأسرة بناتها وأولادها ، مما يبعده عن الإحساس بمسؤولية الجماعة اتجاه السلطات الظالمة ، وقد تختص الشخصية الفلسطينية بتحمل المسؤولية بعد احتلال فلسطين ، كما تختص الشخصية المصرية بتلك المسؤولية بعد سنوات الظلم والقهر ، وقد كنت كفلسطيني يعيش في الأردن شخصيا أحس بالمسؤولية وأنا في العاشرة حيث كنت وأخي نجلب الماء للأسرة من بعد ثلاثة أميال ، حيث كنا نسكن غرب المدينة وكانت عين الماء في شرقها .

- الاعتماد على الغير في حل المشاكل: اعتادت الشخصية العربية الاعتماد على الغير وخاصة على الله في ترديد الكلمات المطمئنة للنفس مثل لا حول ولا قوة إلا بالله، يمهل ولا يهمل ، وترك الأمور كما هي دون إعمال فكر في حلها والتوصل إلى قرار اتجاهها .
- السلبية في التعامل مع الغير: تصور أن الغرباء خطرون وأنهم قد يؤذونهم . لذا تراهم لا يتشجعون على البدء في الكلام .

- اتخاذ الأصدقاء بسرعة ودون تروي ، مما يوقعه في أزمات العربي في غنى عنها ، فليس كل من تقابله يعتبر صديقا ، ويقع الطلاب المبتعثين من بلاد عربية أكثر من غيرهم في هذه المشكلة ، فيعتبرون الشخص صديقا بعد المقابلة الأولى ،

- عدم الاستقلال الشخصي عن الأسرة . وهذه المشكلة تسبب ألما للأبوين ، حيث يبقى الشاب والشابة معتمدين على آبائهم حتى سن متقدمة تزيد على الثلاثين عاما ، وهذه الظاهرة لا يوجد في العالم الغربي. حيث يعتمد الشاب أو يبدؤون ذكورا أو إناثا بالاعتماد على أنفسهم وهم في سن الثالثة عشرة أو أقل قليلا بسنوات. ويبدأون بالقيام بمشاريع تجارية ، بيع وشراء وتقديم خدمات ومشاركات خيرية ورياضية تخلق فيهم صفة التعاون والصبر والمجاملات المقبولة سلوكيا .

- وحب الأنانية للنفس ، الاهتمام بالأسرة أولا قبل العشيرة أو القبيلة ثانيا جعل الناس يحبون ما يملكون في حدود بيوتهم والدفاع عما يمتلكون وعدم الاهتمام خارج دائرة تفكيرهم نحو أسرهم.

- والعدوانية في المشاعر للغريب المختلف لغة أو لونا أو ثروة. فالأنانية تخلق نوعا من العدوانية تجاه الآخر، وكان لتواجد عدد من الأوطان عدوانية تجاههم ، فكانت حزازات بين القرى والمدن والدول تؤدي إلى العداوات المشاعر السلبية لكل ما هو غريب.

- وعدم النظر إلى الأمام والتخطيط للمستقبل. وهي سمة للعربي منذ قرون مضت ، فهو يعيش ليومه دون النظر لمستقبله ، وتلك الشخصية تربت وترعرعت على فهم أن الغيب في علم الله ، والمكتوب على الجبين تراه العين، والمكتوب مكتوب ، فلم التخطيط إذن؟ وهي صفة فهمها الناس خطأ للأسف، فالغيب من علم الله ، نعم، ولكن الحديث الشريف يحث على العمل من أجل المستقبل والتخطيط له ، حيث يقول الحديث الشريف: "أعمل ليومك كأنك تعيش ابدا واعمل لأخرتك كأنك تموت غدا". أو كما قال، فالموت والحياة والساعة (يوم

القيامه) من علم الغيب، ولكن التخطيط للزراعة والحصاد والعلم ومكابدة الظلم والاستعباد في الحكم السياسي ليست من علم الغيب. وإنما هي مهارات تكتسب بالعلم والعمل معا . (1689 كلمة)

www.arabamericanencyclopedia.com

الدكتور **حسن يحيى** ، كاتب عربي أمريكي ، أستاذ سابق في علم الاجتماع ، مؤلفاته تفوق **التسعين كتابا** بالإضافة إلى مئات المقالات باللغتين.

53

الطبيب والمريضة الشقية – قصة قصيرة قصة مترجمة للدكتور حسن يحيى

كان المرضى يأتون إلى عيادتي لأول مرة ، وكل ما لدي هو اسم أحدهم وهو محمود ، حيث جاء إلي يقول: أرجوك يا دكتور ، إنها ابنتي ، مريضة جدا أ أرجو أن تأتي لترأها . فألتقط حقيبتي المعتادة وفيها سماعة وبعض الكمادات والأدوية كاليود والمقويات مناهضات الجراثيم والفيوسات في حالات البرد الشديد أو الانفلونزا الحادة ، وفيها جهازان لقياس النبض وضغط الدم ، وبعض اللفافات من القماش اللين وبعض الأكياس القطنية . وحينما وصلت مع محمود إلى بيته ، قابلتني أمه ويبدو عليها الكبر من خلال الشعيرات البيضاء التي تظهر من تحت غطاء الرأس ، كما تبدو عليها النظافة وتنتظر إلي بتوسل وتقول: هل هذا هو الطبيب ، يا ولدي ؟ تفضل بالدخول . وأرجو أن لا تؤاخذنا يا دكتور ، وأن تعذرنا ، فحالتنا لا تسر الصديق ، ولكن البيت كان نظيفا والأغراض مرتبة تدل على ذوق رفيع رغم فقره ، وقالت الأم : تعال يا دكتور فالفتاة في المطبخ لأنه أكثر دفئا . فالطروف أحيانا تكون أكثر بردا في الغرفة الداخلية ، ودخلت إلى المطبخ حيث كانت تستلقي الفتاة التي لا يبدو إلا وجهها فقد كانت على الأرض بجانب طاولة المطبخ الصغيرة ، ويبدو عليها الهزال والكسل ، فقام الأب محمود بحمل البنت ووضعها على ركبتيه وغطاها بغطاء ثقيل وهو يحضنها إلى صدره ، فخلعت معطفي ونظرت إلى محمود ووالدته فرأيت أنهما يظهر عليهما شيء من القلق وكأنهما لا يتقان بما سأفعل ، أو هكذا تهيأ لي من نظراتهما ، فطمأنتهما وقلت ما تعودت عليه في معظم هذه الحالات : يبدو أنها بخير ، فلا تقلقوا ! ما بالها ؟ كيف حصل ذلك ؟ وهل كانت طبيعية بالأمس ؟ ولم يبد منهما أي رغبة في المساعدة ، فأنا الطبيب ويجب أن أعرف ما في الفتاة من مرض . ولو عرفوا علاجها لما جاء الأب محمود إلى عيادتي والطلب مني لمرافقتهم لرؤيتها .

وكانت الفتاة تنتظر إلي بعينيها الباردتين الواسعتين وكأنها تستغرب وجودي ، وكان تنفوسها يتسارع بشكل غير عادي ، ووجهها محمر قليلا أكثر من المعتاد ، ولاحظت بلامستها أنها مصابة بقشعريرة حادة وجسمها دافئ أكثر من المعتاد ، وكان للفتاة شعر ذهبي يلف حول رقبتها ، فأخرجت سماعتي واقتربت منها ، ووضععت السماعة على صدرها الصغير ، وهي تبدو كالصورة الجميلة على إعلانات الصحيفة الأسبوعية ، وقد علمت أن السخونة عليها منذ ثلاثة أيام حسب كلام الأب ، وحين لم تتغير إلى الأفضل اهتم الأب بزيارتي وطلب العون

للمساعدة ، كما أن الزوجة أعطتها بعض الأدوية مع مرقة الدجاج ، فأنت تعرف الحال في مثل هذه الأمور . ولكن حال الفتاة لم يتغير ، كما أن السخونة كانت منتشرة بين الأطفال في الفترة الأخيرة ، وأحببنا أن نخبرك لتخبرنا بحالها وما جرى لها .
وكما يفعل الأطباء ، رأيت أن أعطيها علاجاً وسألت:

هل كان لديها ألم في الحنجرة ؟ فأجاب الأب والأم معا بصوت واحد:
لا! لا قالت أن حنجرتها لا تؤلمها. ثم وجهت الأم السؤال إلى الفتاة قائلة:
هل حنجرتك تؤلمك؟ ولكن تعبيرات وجه الفتاة الصغيرة لم تتغير ولم تحرك حتى عينيها عن النظر في وجه الطبيب فسأل الأم:
هل حاولت فحصها ؟

حاولت ، قالت الأم ، ولكني لم أستطع اكتشاف أي شيء.
وكما يحصل في العادة فلدينا عدة حالات ديفتريا في المدرسة التي ذهبت الفتاة إليها ذلك الشهر وقد كنا جميعا وكان ذلك واضحا أن نفكر في ذلك. ولكننا لم نسمع البعض يتحدث عن ذلك.

حسنا، قال الطبيب، دعونا ننظر إلى المنجرة أولا.... وقد حاولت أن أبتسم كطبيب مختص ، قدر استطاعتي ، دعونا نسأل عن اسم الفتاة الأول . تعالي ، خديجة ، إفتحي فمك ودعيني أنظر إلى حنجرتك.

لا تعمل شيئاً.
لا تبدأي المشاكل، افتحي فمك واسعا ودعيني أرى. وفتحت ذراعي لأريها أنني لا أحمل شيئاً في يدي ، فقط افتحي فمك ودعيني أنظر .

إنه طبيب ماهر حنون ، قالت الأم ، أنظري كم هو لطيف في التعامل معك. هيا افعلي ما يقوله لك ، فهو لن يضرك في شيء.

وفي تلك الأثناء حاولت تماسك غضبي لعدم استجابة الطفلة ، فضغطت على أسناني غضبا، وهو ما أستطيع فعله، ولوأنهم وجدوا كلمة غير الأذى لساعدوني في موقفي ، ولكني لم أستعجل أو أنزعج وكنت أتكلم بهدوء وببطء اقتربت من الطفلة مرة أخرى.

وحركت الكرسي الذي أجلس عليه إلى الأمام ، لأكون أقرب من المريضة ، وفجأة مدت الطفلة يديها نحو عيني تريد إيذاءهما ، ولكن يداها لم تصل لحسن الحظ ولكن كادت أن تصل إلى عيني . وفي الحقيقة أصابت يدها نظاراتي فطارت ووقعت على الأرض. على بعد مني على أرضية المطبخ القريب ، ولكنها لم تنكسر، وعندها شعر الأب والأم بإحراج شديد من تصرف الطفلة ، فقاما بالاعتذار .

أنت فتاة شينة ، قالت الأم توبخ ابنتها ، فأخذتها من يدها وهزتها. أنظري ماذا فعلت مع الرجل الطيب الذي يحاول علاجك.

يا لله قلت مشدوها . لا تقولي أنني رجل طيب ، وتزايد لهاث الطفلة خارجا من حنجرتها بصعوبة ، فظننت أن الدفتيريا تقوم بعملها ، وتكاد تقتلها، ولم يكن يهمها شيء، فقلت للطفلة المريضة :

أنظري هنا.... أريد فقط النظر إلى حنجرتك فأنت عاقلة وفي سن يسمح لك أن تفهمي ما أقول . فهل تفتحين فمك واسعا لأرى . إنك حرة الآن ولا ترغميني على فعل ذلك غضبا عنك. ولم تتحرك الطفلة ولم تتكلم، ولم تعط أي انطباع أنها فهمت ما أقول. ولكن تنفسها اشتد

أكثر عما كان قبلاً..... وبدأت المعركة مع الطفلة فعلي أن أقوم بذلك ... وأن أرى حنجرتها لعلاجها ، ولكني قلت للأبوين اللذان يحيطان بي ويشاهدان ما يجري، إن الأمر بالكامل متروك لكما . وشرحت لهما أخطار المرض ، وقلت أنني لن أصر على فحص الحنجرة . وأنهما يتحملان المسؤولية . فإذا لم أقم بعملها هنا فعليكم الهاب بها إلى المستشفى ، فشعرت الأم بالمتعاض من تصرف ابنتها . أما أنا فقد ابتسمت قليلاً فقد حاولت جهدي مع الطفلة الشقية ، ولم أفلح . زقد وافق الأبوان على ما أنا فيه ، فقد شاهدا ما فعلته الطفلة وهي تقاوم الطبيب . ولكن الأب حاول استطاعته ، كان رجلاً ضخماً وكانت الطفلة ابنته ، وكان محرماً من تصرفاتها ، وتقبل أن يرغمها الطبيب بأي وسيلة على فتح فمها بل شجعه على القيام بذلك . فالدفتيريا التي أصابت ابنته جعلته يوافق على مساعدتي في النظر إلى حنجرة الطفلة من جديد. وبان على الأب الإرهاق من الانتظار ، بينما كانت الأم تتحرك بعصبية إلى الأمام وإلى الخلف خلفنا ، وتضع يدها على رأسها وكأنها تفكر ولكن لم تصل إلى قرار . فقلت للأب .

ضع الطفلة أمامك وفي حضنك قم بذلك فوراً واقبض على راسها . ولكن حالما قام بذلك حتى صرخت الطفلة بجنون ، إنك تؤذيها.... لا تقم بذلك . أتركوا يدي.... قلت لكم أتركوني ... وظهر الغضب عليها ، أوقف ذلك! توقف عن ذلك . فأنت تقتلني ... هل تظن أنها تستطيع التحمل ... دكتور ؟ قالت الأم .

أنت أخرجي من هنا ، قال الزوج لزوجته ينهرها ، هل تريدان أن تموت الطفلة بالدفتيريا ؟ هيا... الآن.... إمساكاً بها جيداً . قلت بصوت تبدو عليه الجدية .

وبعدها أمسكت رأس الطفلة بيدي اليسرى وحاولت بواسطة القطعة الخشبية أن أدخلها بين أسنانها ، وحاولت مراراً فلم أفلح ، فأنا أعرف كيف أصل إلى الحنجرة لفحصها ، ولكني وصلت بصعوبة هذه المرة ، ولكن الطفلة زادت شراسة ، وفي النهاية وصلت الملعقة الخشبية إلى حيث يجب خلف السن الأخيرة ، ونهايتها قريبة من حفرة البلع أعلى الحنجرة ، وكانت قد فتحت فمها على اتساعه ، ولكني لم أر شيئاً ، وضغطت الطفلة على القطعة الخشبية حتى كسرتها بأضراسها ، وحولتها إلى شظايا صغيرة، قبل أن أستطيع إخراجها من فمها .

ألا تستحي ، قالت لها الأم بصوت عالٍ . ألا تستحي من تصرفاتك الطائشة أمام الطبيب . أعطني ملعقة فضية أو من أي نوع ، قلت للأم . علينا أن ننتهي من هذا بسرعة . فقد كانت الدماء تملأ فم الفتاة ، فقد كان لسانها قد جرح وهي تصيح بأعلى صوتها، كما مسا من الجنون أصابها ، ربما كان علي أن أكف عن القيام بأي شيء وأعود بعد ساعة أو أكثر ، فقد تكون حالتها أفضل عندئذ، ولكني كان لدي طفلين آخرين بدون عناية في سريريهما ، ولديهما نفس الظواهر المرضية ، وبما أن شعوري كان يحتم علي أن أعالج الفتاة الآن وأن لا أعاني منها أكثر أعدت جهودي للقيام بعملها مرة أخرى ، ولكن كان الأسوأ في هذا كله هو أنني فقدت أعصابي وكأني فقدت عقلي، فقد كنت قد قاربت على إيذاء الطفلة ، بيدي وأنا متمتع بذلك ، لقد كانت متعة أن أقوم بعملها بمهاجمة الفتاة ، فقد كان وجهي يحترق من المحاولات السابقة .

كانت الفتاة الشقية تريد أن تحمي نفسها ضد غبانها ، أو كما يقال ضد نفسها ، فهي ضرورة اجتماعية أحياناً ، ولكنه عمى جنوني ، يشعر البالغ بالحياء لا يريد إظهار سمات البلوغ ، وقد

استمرت بذلك حتى النهاية . وفي آخر المطاف حاولت أن أستقوي على الطفلة فأمسكت عنقها وحنكها ، وأرغمتها على استقبال الملعقة الفضية لتدخل في فمها والوصول إلى أسنانها ، وما أن وصلت الملعقة إلى حلقها ، حتى ثارت وامتألت فتحات أنفها بغشاء مخاطي، وأصرت على منعي معرفة سرها ، فقد كانت تخفي التهاب حنجرتها المريضة لمدة ثلاثة أيام على الأقل وتكذب على والديها حتى لا تتعرض لما تتعرض إليه الآن .
والآن كانت الفتاة تظهر مرتبكة ، وكانت في موقف المدافع قبل أن تبدأ الهجوم، تحاول النهوض من حضن والدها وتطير نحوي بينما كانت دموع الهزيمة تمنع عينيها من النظر .

54

أسس صناعة المواطن العظيم

البحث عن العظمة هو حلم الشباب ، سواء أكانت تلك العظمة عقليا أو جسديا ، بمعنى أن العظمة قد تكون في جمع الثروات ، وقد تكون في تحصيل العلوم ، والسير قدما نحو العظمة ما هو إلا الوظيفة الجادة للرجال . فمن تبع العظمة المعنوية العقلية ، إنما يتبع العظماء في كل مكان ، يسافر إلى بلاد بعيدة للحصول على إنتاجهم والاستفادة من عبقرياتهم ، إذا كان ذلك ممكنا ، للتعرف على أفكارهم من خلال كتبهم وتعليقاتهم ومخترعات أفكارهم . وكلما زاد تحصيلهم زاد تفويمهم لأنفسهم كبشر يفكر ليعيش أو كما يقولون "ياكلون ليعيشوا" لا العكس ، لأن العكس يقرب الإنسان من منزلة الحيوان ، الذي يعيش ليأكل .

وقد يكون هناك لغات حية ، تساعد على الفهم والبحث عن العظماء وأعماله ، وقد يكون هناك مكان تنبت الدولارات على أشجاره ، كمناجم الذهب في جنوب أفريقيا ، والثروة في مناطق أبار البترول في الخليج ، وقد تكون الأحوال الجوية في جبال لبنان تساعد على التمتع بجمال الطبيعة ، وهذا صحسح ، ولكن الإنسان لا يسافر ليرتاح ماديا ، أو لكي يكون ثريا أو ليتمتع بجمال الطبيعة وصفاء السماء ، وكلها أشياء جميلة ومحبية للنفس ، فإنه يتطلع إلى حيث الناس والعمارات أو المنازل التي يسكنها بشر مثله لهم أحلام كأحلامه ، وهنا تكمن العظمة في التعلم وتزداد ثروات العقل فتشكل قوة المعرفة ، ومن أجل ذلك يستطيع الشاب بيع كل ما عدا ذلك ويشترى المعرفة بكل ثروات الدنيا . لذا فالإنسان يسافر من مكان لآخر قريب أو بعيد من أجل هدف روحي أو مادي .

أما إذا رأى أحدا العظمة في جني الثروات ، وفي النظر إلى ما في أيادي الغير، وحب الذات ، وأنانية النفس والتغلب على الآخرين ، فإن الأحلام تكون خيالية لدرجة قد تحطم حياة الأفراد والمجموعات وقد تؤدي بحياة الإنسان إلى حتفه ، فلا يرى شيئا جميلا إلا وكان ملونا بألوان الثروة مهما كانت قليلة في البداية فتغلق أبواب القناعة في عقولهم وتفتح أبواب الطمع وتخلق مناهج الغرور ، وتنشط خلايا استعباد البشر عند هؤلاء ، فيزداد ظلمهم فيسحقون أحلام الغير بأنانيتهم ، ويدوسون آمال الغير لتحقيق مآربهم ، ويتباهون باننصاراتهم مهما كانت صغيرة .

ويبدأ السباق بين هؤلاء وهؤلاء ، بين طامع في العظمة عن طريق العقل والقناعة ، وبين طامع في العظمة عن طريق العاطفة وحب الذات والأنانية ، بين من يصبر على الأذى حتى يصل إلى ما يريد من عظمة ، وبين من يظلم الناس حتى يصل إلى الثروة ، فالمعرفة في المدينة حيث الناس كثيرون والمنافسة كبيرة ، وإن كانت العظمة أحيانا موجودة في الأرياف تتجلى في الفلاح الذي يستيقظ مبكرا فيحمل فأسه ويشق القنوات المائية لسقاية زرعه وأشجاره ، ويعتني بها حتى تؤتي أكلها ، يعمل بعرق جبينه ، ويعود مرهقا في نهاية اليوم ليجد زوجته وقد حضرت له الطعام فيأكل هنيئا مريئا ، ويضطجع وهو يلاعب أبناءه حتى يقترب موعد النوم فينام دون مشقة ليكون جاهزا في اليوم التالي للعمل بنشاط . إلا أن المدينة أقسى ظروفها من الأرياف ، فالوظائف تنقرع وأكثرها يعتمد على الحرفة والمهارة التي لا تكتسب إلا عن طريق المعرفة والتعلم . حيث يتنافس الموظفون وعددهم يزيد يوما بعد يوم على وظيفة واحدة ، ولا يحصل عليها إلا من أثبت بالبرهان أنه قادر على القيام بها . وقد قيل فوق كل ذي علم عليم ، أي أن المعرف والمهارات تتناسب مع خبرات الناس ومستويات تعليمهم ، ولا يفوز بالوظيفة إلا من يستحقها ، بعكس الأرياف في هذا المجال ، حيث المطلوب من المهارات هو القوة الجسدية والعضلية لأن العمل لا يحتاج إلى عقلية مليئة بالمعرفة ، وإن لم تخل من اكتساب المهارة الجسدية في شق الطرق أو حفر الأرض أو زراعة النبات ، فهي أيضا تحتاج إلى دراية ومعرفة ومهارة لكنها إذا قيست لوظائف المدينة فهي لا تحتاج كبير عناء ولا إلى دراسات معقدة ، وقد يفوز بها كل من كان على قدر من الصحة والجسد السليم وإن كانت بالواسطة أحيانا إلا أن مؤهلاتها تختلف عن مؤهلات الوظيفة في المدينة . وليس من حسنات المدينة أن يبقى الناس جهلاء فيزيد عدد الشحاذين فيها فيسيء إلى منظرها ، ويزيد عدد الفقراء في بيوتها وعماراتها ، فنقل مواردهم ، ولا بد للناس من تحصيل العلوم ليحصلوا في المستقبل على ما يريدون للبقاء من ملابس ومأكل ومشرب . وكلما زادت نسبة العاطلين عن العمل أو كثر عدد الجاهلين زاد عدد الفقراء مما يسيء إلى مستقبل المدينة ، فالأموال كالدينار والدرهم والدولار في المدينة لا تنبت على أغصان الأشجار ، غنما تأتي عن طريق العمل والمهارات التي يتخصص الناس فيها ، فيتقونها ليحصلوا على أركان العظمة التي يسعون إليها .

ولعل الأديان تتحمل قسطا كبيرا من عناء زيادة المعرفة وغرس الفضائل وزراعة القناعات عند البشر حتى لا يكونوا أنانيين أو طامعين إلى ما في أيدي الغير دون حق . والأديان مسيحية أو يهودية أو إسلامية أو بوذية تكون ضرورية في بناء السلوك البشري وتحسين العقل الإنساني بالمعرفة وحب الآخرين دون النظر إلى أجناسهم وألوانهم وعقيدتهم وجنسهم . ويعتبر طالبوا المعرفة في شتى مجالاتها ، كمن يدخل سوقا تجاريا فيه العديد من البضائع المختلفة ، ولكل منها سعر خاص بتلك البضاعة ، فالمتمسح بالعقيدة يرى أن صفاء التفكير ما هو إلا تطهير للعقل البشري ، فالإنسان يكون له حرية الاختيار لما يريد ولكن بحدود ما يملك من ثروات ، ومن الناس من يستطيع النحت والرسم في مجالات الفنون ، ومن يستطيع التفكير لحل المشكلات اليومية ، فللك مادة دنيوية هناك من صممها وصنعها وأقى عمره في إقناعها ، ووظف العقل في تحسينها وتقليل ثمنها لتكون لكل الناس مهما كانت مداخيلهم ، ومهما تعددت أذواقهم . أي لها أصولها ونشأتها ، واعتمادها على فكرة من عقل مستنير وبحث متواصل.

فوافقت أذواق الناس واعتبروها ضرورية في الحياة . فكثرت صناعتها وزاد توزيعها وتم استعمالها ، وقل سعرها مع الأيام وامتلكها معظم الناس في المدينة والأرياف ، خاصة بعد جني المحاصيل بعد عمل شاق ونشاط مستمر.

ودعنا الآن أن نحبر في وصف الخدمات التي تقدم في المجتمعات ، ولكن مع التذكير بخطورة هذه الخدمات أو الدراسات التي تنمي العقل وتزيد من المعرفة البشرية ، فالإنسان نبيل تنمو مواهبه كما تنمو الورود والأشجار ، فتكبر أعصانها ، وتورف أراقها ، تمتد ظلالها للناس ليتمتعوا في تلك الظلال ، فالناس كما يقال ينمو كشجرة النخيل ، داخليا وخارجيا ، وفي كل صيف تطعم الشجرة أصحابها وجيرانهم ومعارفهم ، فإذا زادت ثمارها وكثرت أشجار النخيل استفاد زارعوها من جنيها فوزعوها مقابل أثمان في الأسواق القريبة والبعيدة ، أو جعلوها تصنع في صناديق جميلة صحية مغلقة . ويجب أن لا يطغى حب الثروات من المحاصيل الزراعية أو صناعة الخدمات مما يستعمله الناس على حب الناس والشعور بمشاعرهم ، وحب تعليمهم وتطوير مهاراتهم في مجالات الحياة المختلفة . ولا تصنع الأشياء عادة ولا تقدم الخدمات من شخص معين ، ولكن الناس يتعاونون مع بعضهم البعض لصناعة شيء أو زراعة محصول أو جني محاصيل ، فالتعاون بين أفراد المجتمع أساس للتعرف بينهم وبسط وأصر المحبة بين أفراد الأسرة الواحدة والمجتمع الواحد ، ويكون التعاون انعكاس لبسماتهم ومشاعرهم بالرضا ، كما يكون انعكاس لمطالبهم وأفكارهم ، فكل إنسان ينظر إلى مهارات الآخرين وهو لا يملكها ، فيبتقيها ويفيد غيره بها . وكلما زاد انعكاس العلاقات على الناس بالحسنى والفائدة زادت علاقاتهم قوة بينهم والتفاهم أصبح ديدنهم والمساهمة في بناء مجتمعهم أصبحت من أهم واجباتهم فصلح مجتمعهم وزادت سعادتهم .

كل عضو من الأعضاء البشرية في الجسم البشري يتشابه مع الأعضاء الشبيهة بها في كافة أنواع البشر مهما طالت قاماتهم أو قصرت ، ومهما زاد وزنهم أو نقص ومهما تعلموا أو لم يتعلموا مهما اختلفت ألوانهم أو أديانهم أو أجناسهم . خذ مثلا الرنتنين التي يتنفس كل إنسان عن طريقها ، فهما صغيرتين تتشابه مادة ووظيفة ، وكذلك الكبد الذي يصفى الطعام عند كل مخلوق بشري ، يتشابه بين الناس حجما وعملا ، والمعدة فهي صغيرة الحجم تستخدم عند كل الحيوانات والبشر لهضم الطعام ، تتشابه عند كل الناس مادة ووظيفة أيضا ، وكذا العيون واليدان والأذان والأنوف والذراعان والسيقان كلها محدودة القياس تتقارب في صفتها وطريقة عملها . فالأحرى بالإنسان أن يتعظ بما يملكه الناس وما يملكه هو بنفسه ، فليس هناك عضو يدوم أبدا ، وليس هناك عضو يقوم بعمل عضو آخر ، أو عضو يختلف في وظيفته عن العضو الموجود في كل البشر ، فإذا تتبعنا هذه الفكرة بالتأكيح سنصل إلى نتيجة واحدة لا تستدعي منا تفكيراً عميقاً ، وهو التعاون مع الآخرين نظرا لما نحمل من عناصر تقوم بوظائف متشابهة بين كل الناس ، فلا نراهم من علو ولا ننقص من قدرتهم أو نقلل من احترامهم . فنحن وهم سواء بسواء ، لدينا ما لديهم وتقوم أعضاؤنا بمثل ما تقوم به أعضاؤهم ، فلا يجب التعالي عليهم ، والتقليل من أقدارهم. فحسن الخلق حسب العقائد يعتبر الناس سواسية في الخلق والوظائف الفسيولوجية . وإن كانت العقول والأدمغة تتفاوت في طرق بحثها وتعريفها للأشياء إلا أنها تتشابه في طرق التفكير من حيث استغلال الخلايا العصبية والوريدية في عملية التفكير ، فكلما زادت المعرفة وتم تحصيل العلوم زادت ملكات الفرد في استخدام الأدمغة والخلايا العقلية فتنتج أفضل النتائج للبشر جميعا .

ويختلف الناس حسب نشأتهم في بيئاتهم ، فمنهم محافظ على التقاليد ، ومنهم من توسعت مداركه وسافر وتعلم فرأى وخبر وتمرن على أفكار كثيرة واكتسب مهارات عديدة ، فاختار أفضلها مما يقترب من العدالة الاجتماعية ، وحقوق الإنسان ، وحب الناس ، والتعاون فيما بينهم والتآخي هعن طريق التعايش السلمي بينهم. فأطلق الناس عليهم عقلانيين أو مفكرين أو متحررين من التقاليد والعادات ، وهم بعكس التقليديين المحافظين الذين يؤمنون بالعقائد والعادات والتقاليد مهما كانت منحرفة عن طريق المنطق ومناهج العلم التطبيقية في طرق البحث والتدقيق. ، لا يطبقون إلا ما قبله العقل بعد تمحيص وتدقيق. أما من حيث المداخل فنرى أناسا أقبلت الثروات عليهم من أنفسهم أو من كونهم ورثة لأغنياء من أسرهم وعائلاتهم بدون تعب أو مجهود ، وهناك أناس حصلوا على الثروات عن طريق الجد والعمل المستمر ، وهم مختلفون عمن يصبحون أغنياء عن طريق الحظ والمقامرة أو النصب والاحتيال على عباد الله .

وفي الإسلام يقول الله تعالى في القرآن الكريم "وما من دابة إلا على الله رزقها" فقسيم الأرزاق على رب العباد ، وقال أيضا أن لكل أمة من الأمم بعث نبيا لها ورسولا بلغة قومه ، وفي العصر الحديث خاصة في الغرب ، اعتقد الناس بأن لهم أنبياء يتكلمون لغتهم في فرنسا وبريطانيا وأمريكا الشمالية وفي مدن بعينها كباريس ونيويورك ولندن واليابان ، وما لف لفهم من العواصم في شتى بقاع الأرض بصورة متفاوتة ، وطبق تعاليمهم عن طريق العلوم والتفكير المنطقي ، ونبذ الفكر اللاهوتي الداعي لعبادة الله والائتمار بأمره ، فأصبحت حياتهم مادية لا روحية ، سعدوا بها كطريقة حياة ومنهاج سعادة ، فأنبياؤهم اخترعوا لهم طرق حديثة تختلف عن طرق الأنبياء الذي أرسلوا من عند الله ، فالأنبياء الجدد أصبحوا يجعلون المادة لا الروح أساس في التعامل ، فهم يدعونها روح التجارة ، وروح الأموال ، وروح القوة المادية . فكان داروين نبيا وكان ماركس نبيا وكان نابليون نبيا وكان آدم سميث نبيا عند هذه الأقوام والدول والمدن .

55

العرب تحت مجهر المغتربين في المهاجر .

عرب يا رسول الله :عرب

يعيش العرب في المهاجر أمريكا (الولايات المتحدة وكندا) وعيونهم على بلاد العرب . وفي كل يوم يشعر العرب أنهم منبوذون أو يتساءلون عما يرون ويسمعون ويقرأون عن أحوال العرب في شئون حياتهم السياسية التي تغلب على كل ما سواها من شؤون اجتماعية أو اقتصادية .

والعرب يشاركون في القنوات الفضائية ليمضوا أوقاتهم في مشاهدة الأخبار السياسية للعالم العربي من قنوات متخصصة في نقل البلاوي والمشاكل التي تواجه الشعوب وتمضي معظم وقتها في مشاهدة المسلسلات العربية والتركية وهي لا تقل عن الأخبار السياسية في محتواها وفي تصوير الظلم بأشكاله ، فالأغنياء يملكون القرارات التي تسير الفقراء منهم ، وتبين

سيادة الرجل على المرأة في كل شأن حياتي وخاصة ما يتعلق بالعواطف المكبوتة للأنتى العربية ، ومدى تسلط الآباء والأمهات في السيطرة على أبنائهم وبناتهم ، والتعامل مع مشكلاتهم بما يراه التراث المهترىء الذي يقصد القوي ويستهنين بالضعيف . لدرجة أن المهاجر العربي يريد أن يدفن وجهه في التراب حتى لا يرى ولا يسمع ولا يقرأ . مساكين هم القاطنون في المهاجر ، يظنون أن بلاد العرب قد تغيرت كما يتغير العالم من حولهم ، فيفاجأ بأن أحلامه ما زال يدوسها الإعلام العربي كما تدوسه حوافر خيل الحكومة وأزلامها ، فتصفق له وتحلل القضايا العربية بأساليب فاسدة لا تسمن ولا تعني من جوع ، ويتصدر البعض فيقدم حلولاً لمشاكل أسبابها معروفة لدى جميع العرب في شرق البلاد وغربها .

وفي المهاجر يعيش المئات بل الآلاف من العرب ممن غيروا طرق حياتهم وساهموا في إرساء المنطق والعقل في معالجة قضاياهم ، ولديهم العوامل والخطوات العملية لكل قضية في حياتهم كما في حياة الشعب العربي الذي ما زال يعيش حسب التقاليد والعادات مما يدعونه التراث ، وكان التراث أصبح إليها لا يجوز الخروج على طريقة معالجته للقضايا الإنسانية ، وما زال الغني يأكل مال الفقير ويتمتع بعرقه ويستغله أفسى استغلال في مكان العمل وطريقة الحياة ، وحتى الأحلام بدأ العرب في كل أوطانهم المصطنعة بحدود شائكة بدون أسوار ، فالمصري ما زال يقول مصر أولاً ، وكذلك باقي المواطنين في كل دولة أو دويلة أخرى ، فالمسافر من بلد إلى آخر وهم كثر في الأونة الأخيرة يعرف مدى مقاساة المسافرين عبر حدود البلاد العربية ، حتى فيما يدعى بدول مجلس التعاون أو مجلس الخلافة الخليجي . فما زال الوقت بعيداً عن تحرير العقول حول قيمة الإنسان وكيفية التعامل معه ، وكان الحكومات تقصد أن تضع أسوأ الناس أخلاقاً وأكثرهم جهلاً في التعامل مع البشر في مراكز الحدود ، حتى يبأس المواطن العربي من التمتع بحرية التنقل والسفر ،

مساكين من يعيشون في المهاجر وهم يرون إخوانهم يغلقهم القهر ويغطيهم التسلط ويسمهم التعسف بأظافره الحادة ، حتى جعلت المسكنة والتذلل من صفاتهم . ولعل بعض العوامل في بقاء الأحوال على حالها تنحصر في لقمة العيش التي يقابلها سكين الواسطة ، ومنجل التفضيل لأبناء الأسرة والعائلة والمؤيدين للسلطة وانتشار الفساد بين أزلام السلطة وتجار البلد في كل دولة ، مع غياب العدالة الاجتماعية التي تغطي بلاد العرب شرقها وغربها .

والأمر الثاني هو غياب التخطيط للبرامج ليشمل كافة أفراد الشعب بمختلف فئاته ، واستغلال المداخل من أجل التسلي والرفاهية للأغنياء ، وكان الله أعطاهم قدرات خفية ليكونوا أعلى من غيرهم وأكثر مالا وأقوى سلطة من غيرهم ممن لا يملكون قوت يومهم ، فنتركهم يتزلفون لأصحاب المراكز وأصحاب السلطة مقابل إذلالهم والدوس على كرامتهم .

وهذا عامل يشترك فيه المواطن العربي أينما كان ، فعنصر الوطنية أصبح كالعصاة السحرية لزراعة الكراهية بين الجاهلين من المواطنين بدواً أو ساكني مدن على السواء ليميزوا عن أصحاب العقول والمهارات من الدول الأخرى مما يعرف بالأيدي العاملة من أصحاب المهارات والتخصصات التي تخدم المواطنين دون مقابل كاحترام ومساواة المواطن والمهاجر إذا كانوا متساوين في التعليم أو الكفاءة .

ولو أخذت أي بلد من البلاد العربية فستجد أن ذلك دستور تراثي ، حتى في المجتمع الواحد، بين دوسري وبدون وبين أبناء العائلات أو أبناء الأغنياء ، مع أن الجميع نظرياً متساوون، ولكن التطبيق طالق بالثلاث عند التنفيذ. والعربي في البلاد العربية مهان بينما الأجنبي الذي

لا يعد عربيا مكرم بزيادة رواتبهم مما يفوق رواتب المواطنين أحيانا وتزيد على الضعفين أو الثلاثة أضعاف من راتب العربي من دولة عربية شقيقة ، مع أن الخدمات تكاد تكون متشابهة ، ولكن النظرة إلى الأجنبي (خاصة البريطاني والكندي والأمريكي) كأنه أفضل من المواطن ، ومن العربي معا ، وأن العربي لا يستحق التقدير أمر لا فراغ منه لتيسير الأمور التراثية ، وزرع الكراهية بين الإخوة من البلاد العربية ، أنظروا في أنفسكم ألا ترون ؟ هل عميت أبصاركم ، فلم ترون شمس الحقيقة التي تؤدي إلى العدل؟ عرب يا رسول الله

عرب .
وقد لمس العباد من العرب الذين خدموا البلاد التي يعملون فيها ، ورأوا بأم أعينهم تلك التفرقة بين مواطن ومقيم ، وبين عربي وأجنبي ، وبين المواطنين أنفسهم ، وأصبح معظم الحكام وأولادهم وأحفادهم ومن يدور في فلك سياساتهم رجال أو نساء أعمال ، يسلمون أمور إدارة أعماله لأجانب من أوروبا ، وخاصة الأمريكية والبريطانيين والكنديين وغيرهم. وقد عمل كاتب هذه السطور في عدة جامعات عربية فكان راتبه يقل عن نصف رواتب المثيلين له ممن يحملون نفس الشهادات العلمية من جامعات غربية ، ورغم أن خبرتهم تقل عن العربي إلا أن العربي ينظر إليه نظرة سلبية تقل من احترامه لنفسه وتقل من كرامته وتساهم في قرفه من الأنظمة العربية التي تمارس هذه الأعمال الشائنة ، حتى سئم العربي أن يكون عربيا مع هذه السلوكيات الطائشة من متقلي السلطة وأزلامهم ، وفي مجال المرأة ومعاملتها أمور لا يمكن التغاضي عنها ، وهي أضعاف في قناطر الظلم منها للرجال . عرب يا رسول الله عرب!

بينما نسمع عن توزيع البلايين في بعض الدول على مواطنيها مؤخرا نقدا أو بضاعة في زيادة الرواتب والإعفاء من القروض البنكية ، وفتح الجامعات وإقامة العروض وكأن البلايين الموزعة صدقة من الحكام أصحاب الثروات ، فأين هذه الثروات خلال الخمسين سنة الماضية ، وما هذه الثروات إلا ما تملكه الشعوب ولكنها مملوكة للحكام الذي أسأوا الحكم وتمتعوا بالفساد مع من حولهم طيلة عشرات السنين دون أن يسألوا عما يصرفون وعما يكتزون وعما (يلهفون) من صفقات الأسلحة أو البضائع المستوردة من الشركات العالمية باستقبال الرشاوي بدملوماسية على مستوى السفراء والوزراء وليس من الصعب ملاحظة الثراء على المتصلين بالحومات ، خاصة رجال الجيش والشرطة والمخابرات ممن لا يزيد تعليمهم عن الثانوية العامة فيسلموا مراكز إدارة حقوق الشعوب وأعمالهم بطرق ملتوية وسيطرة متعسفة في تطبيق القوانين الفردية لا المتعارف عليها حسب الدساتير الورقية التي تستخدمها الدول التي أقل ما توصف به: دول من القش ، أو من الدمى الكارتونية التي يشكلها من يرسمها ويشكلها كما شاء من جهات داخلية أو جهات خارجية،

مساكين الذين يعيشون في المهاجر ، يظنون أن أحوال الشعوب العربية قد تحسنت ، فإذا بالجهال يترقون ، والفاستدين يسودون، والفقراء ممن يبيعون ذمتهم يستغنون ، والباحثون عن الأعمال عاطلون تنزايد أعدادهم وتقل مهاراتهم ، وتزيد حاجاتهم الأساسية شحا ويصبح الرغيف غريبا عن الأسر الكادحة عند عامة الشعب الغلبان .

فماذا تغير في العالم العربي، مازال الأمر الواقع يحترم فرضا ، وليس كل لابس عمة شيخ يؤخذ برأيه ، وليس كل جاهل من أبناء الذوات يساهم في بناء مجتمع الأحلام الذي تطمع إليه الشعوب، لقد كان تخصص كاتب هذه السطور إدارة التربية والتعليم وإدارة الفصول ، ودراسات السلوك البشري في علمي النفس والاجتماع قبل عقد من الزمان فقدم على وظيفة

في العالم العربي، فقبل لتدريس اللغة العربية كما كان يفعل قبل دراساته العليا ، وحين حاول تغيير الوظيفة التي قبل بها ، وفتت الأنظمة الفاسدة أمامه ، فانسحب مرغما بعد أن أصبح الاتجاه العام للمسؤولين في تلك البلاد إلى حذف الدراسات العربية نهائيا من الدامعة وتحويلها إلى دراسات أخرى بالإنجليزية أو الفرنسية ، فعرض عليه أن يقوم بتدريس الإنجليزية وإن أجاد فيها إلا أنها ليست من تخصصاته العلمية فقد كان في الإدارة والبحث العلمي خبيراً ، ولم يتغير شيء في عقلية المسؤولين لأنهم يرتبطون ببعضهم البعض فهم أخوة أو أنساب يصاهرون بعضهم بعضاً ، ويحملون تلك العقلية الجاهلة في إدارة شؤون البلاد وشؤون العباد .

أرجو من القاريء الكريم -إن وجد في بلاد العرب - إن كان ما خبرته قبل عقود مازال سارياً أم أن هناك تغير ولو طفيفاً في سلوكيات البشر حاكمين متسلطين أم محكومين . هل قل عدد الخريجين في العلوم الإنسانية والدينية ؟ هل تغيرت أساليب التدريس التقليدية التي تركز الاستعباد والطاعة العمياء في متلقي العلم في المدارس الثانوية من بنين وبنات ، أم أن النظام التقليدي في التلقي والبصم (الحفظ) بدون تحقيق وتمحيص وبحث واستعباد عقول الطلاب مازال في المعاهد العليا والجامعات يشابه إلى حد كبير المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية ؟

المطلوب تغيير العقول وطرق التفكير في التعامل المشترك بين الناس مهما كانت اختلافاتهم المظهرية أو العقيدية أو الوطنية ، ومن خلا خبرة الكاتب الشخصية فإن المواطنين يعفون من الماء والكهرباء في العديد من الدول بينما تدفع العمالة الأجنبية (خاصة العربية) أضعاف الأسعار لتغطي الخدمات المجانية التي يتمتع بها المواطنون رغم قلة أعدادهم ، وهبوط مستوياتهم العلمية والمهارية ، حيث تترك الحكومات الحبل على الغارب لأصحاب الأملاك لمضاعفة الأجرة حتى في عمارات آيلة للسقوط عاش فيها المغترب عن بلده عشرات السنين فدفع ثمن العمارة وحده دون شعور بالعاطفة نحوه ، أو تخفيف مأساه في الصرف على أبنائه أو التهاون معه في أمر البقاء بعد التقاعد ، والمحظوظ من وجد كفيلاً من المواطنين يقبل بثمن يدفعه المغترب (الأجنبي العربي) من أموال هو في أمس الحاجة لها لتمويل تعليم أولاده

المطلوب الرحمة والرفاة ليس التساهل في القوانين ، لأن القوانين نظرياً تخدم المواطن والوافد معاً ، ولكن عند تطبيقها كما في إسرائيل العدو اللدود للعرب وخاصة الفلسطينيين منهم تطبيق القانون بنوعين العادل مع اليهود الإسرائيليين ، والظالم الذي يقتص من الفلسطينيين فيسلب أرضهم ويشرد أسرهم فيقوم بتفريق الوالد عن أولاده والزوج عن زوجته ، وهذا ما تقوم به الحكومات العربية عند تطبيق القوانين على مواطنيها بشكل مختلف عن تطبيق نفس القوانين على الوافدين ، مخترقين حاجز الاحترام والتقدير الذي يستحقه الوافد الذي أفنى زهرة عمره في خدمة البلد ، فممنح أسبوعاً واحداً لمغادرته ، فهل تغير شيء من ذلك فنرى شيئاً من الضوء في نهاية نفق المستقبل ؟ لا أعتقد ذلك . ولا أتوقع أن يحصل ذلك خاصة في الدول التي عرفت بالغنى والثروة ، فليس الفقير كالغني وليس صاحب السلطات كمن يخدم هذه السلطات ، والعدالة مازالت عمياء في طرق مظلمة لا ترى النور إلا في جيوب الفاسدين وأسرهم وعائلاتهم . فهم أحق بسرقة ثروات الشعوب والتمتع بصرفها في شراء النوادي والخيول والنياق والتحف التي تبقى في الكهوف ولا تساهم في رفاهية الشعوب بل تساهم في سلب ثرواته ، ولعل قانون: من أين لك هذا؟ الذي حاولت بعض الدول تقديمه

لمعرفة الفاسدين ، قام الفاسدون بطمس ملامحه وتعطيل تطبيقه بل وزادت عليه ، حتى بلغ السيل الزبي ، وتعنتر أصحاب السلطة فهم في غفلة مما لا يتوقعون .
العرب ، آه العرب ، عرب يا رسول الله ، يذبحون فلا يجندون ، وتهتك أعراضهم وحقوقهم فلا تقدم لهم يد المساندة في مطالبهم ، وتسلب كرامتهم فلا يتطوع أحد لاستعادتها ومساعدة فاقد الكرامة على استردادها . عرب يا رسول الله عرب لا يفكر أحدهم بجاره ، ولا يهتم أحد بأحد والكل يجري نحو لقمة العيش ولو كان الثمن الوحيد لتلك اللقمة هي الذل والمهانة .

عرب يا رسول الله عرب! معظمهم جاهلون وأكثرهم لا يقرأون ، ومن في يدهم الثروات والسلطات لا يقدرون ، فهم في غيهم يعمهون ، عرب يا رسول الله ما زالوا بالمتزلفين لهم راعون ، يهدوهم الجوائز وبهم يحتفلون ، وقيمون للقرآن نشاطات حتى مل القرآن من أساليبيهم الرخيصة في استعباد البشر من مواطنيهم والوافدين إلى بلادهم . فالقرآن لا يريد مسابقات بينما الشعوب تسعلا لكرامتها ، فالقرآن له حرمة ، فاتقوا الله فيما تفعلون ، فالوسيلة مريضة في استعمال المقدس لاستخدام المذنب في الحياة ، تدفعو جزءا صغيرا لخدمة الدين والسنة ، وتدفعون أضعاف ذلك في استعباد الناس وسلب كرامتهم ، عرب يا رسول الله عرب ما زلتم تأكلون لحوم بعض ، في الحاضر والغائب ، تتزلفون لأصحاب الثروات كأنهم آلهة يملكون مصائركم ، عرب يا رسول الله عرب ... لقد أصبحت العروبة لغة وتاريخا وتطبيقا من الأمور الغريبة ، حتى زاد اغترابها بين أبنائها وصدق الشاعر حين وصف الفتى العربي بالشعور بالغربة في بلاد العرب ، بقوله :

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

فهل تغير هذا بعد غياب طويل عن العالم العربي؟ لا أعتقد أنه تغير تغييرا جذريا فالتراث السلبي الذي يجب أن يتحرر لقبول الإنسان للإنسان ، واحترام الأخ لأخيه ، هذا التراث يزداد عنجهية وعنصرية تفوق ما كان في جنوب أفريقيا والأراضي المحتلة في فلسطين وأفغانستان والعراق وغيرها من الأوطان . عرب يا رسول الله عرب ... ثمن الناقة وصل إلى الملايين ، وثمان الإنسان العربي انحط إلى الملايم عرب يا رسول الله ... عرب . عرب يا رسول الله عرب . حسبي الله ونعم الوكيل . حسبنا الله ونعم الوكيل . حتى دعوات العرب إلى الله لم يعد الله يستجيب لها ، فلم يتوقع (رب العباد) أن ينزل أصحاب الشرف إلى الحضيض بين الأمم ، وإلى الاعتماد على سياساته في التعاون والاستغلال عن طريق البنوك التي تستعبد الحكومات ، وتذهب المساعدات لتصرف في غير موضعها وترزح الحكومات تحت نير الربا والفائض الذي ليس من العقيدة في شيء وأن تبسط العصبية وقلة احترام الآخرين والظلم والساد إلى أدنى مستوياتها العالمية في البلاد العربية ، وربما هذا ليس من صفات الخالق ، ولكنه قريب وم الواقع المرئي في بلاد العرب وشعوبه شرقا وغربا .

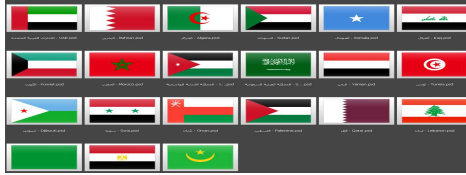
عرب يا رسول الله عرب ! أي مسيحيين وغير مسيحيين مسلمين وغير مسلمين ، يهود وغير يهود ، مواطنين ووافدين كلهم سواسية أمام خالقهم رب العباد ، فمتى استعبدتم الناس وقد خلقوا متساوين ؟ فلم تقولون ما لا تفعلون ؟ عرب يا رسول الله عرب! (2136 كلمة)

*** يرجى التكرم بعد قراءة هذه المقامة إذا وافقت هوى في نفوسكم أن تخبروا أصدقائكم لتعم الفائدة من المعلومات فيها، وشكرا لكم.

*** Note for readers: If you liked this, please let other people know about it.
You may contact the writer using [this site](#). Thank you!

56

زاوية "عين اليقين" لأبي دلامة



المستور بين السطور في بلاد العرب

Abu Dulamah Corner - The Eye of Certainty The Hidden Between the Lines

Arab Media in America, Past, Present and future.

الإعلام العربي في أمريكا وخارجها ماضيا وحاضرا ومستقبلا

تقل البحوث التي تجري حول الإعلام في بلاد العرب وإن وجدت فإنها لا تغطي الظواهر ولا المظاهر التي يتصف بها الإعلام العربي سواء حول وضع الإعلام في الماضي ومقارنته بالحاضر ولا التوقعات للإعلام في المستقبل ، وفي هذا البحث كنت قد قمت بدراسة ثلاث صحف عربية تصدر في أمريكا (وهي صدى الوطن والمندى والحدث) ، وتسعة صحف تصدر في العالم العربي (وهي جريدة القدس الصادرة في فلسطين وجريدة الشرق الأوسط السعودية ، والرأي الأردنية ، والخليج والبيان الصادرتين في الإمارات العربية، وجريدة الأهرام والأخبار الصادرتين في مصر ، وجلادتي الرأي والفيص الصادرتين في الكويت) في فترات متباعدة منذ الستينات من القرن الماضي وحتى وقتنا الحاضر باستثناء صحيفة اليوم السابع حديثة الإصدار ، وإن كانت العينة تقصر قليلا عن العينة البحثية العلمية إلا أنها كانت عينة تفي لتحقيق هدف البحث حول الإعلام العربي ماضيا وحاضرا والتكهن بتوقعات مسار الإعلام العربي في المستقبل .

ورغم أن الإعلام العربي ما زال يتغنى بالوضع القائم في معظم بلاد العرب وخاصة الدول الملكية والتقليدية في الدول الغنية ، إلا أن هناك تغييرا في المحتوى والمستوى والأسلوب والتغطية السياسية .

منهج البحث::

كان منهج البحث المتبع في الدراسة هو منهج التحليل الاستقرائي والمتوى : حيث تم تقسيم المحتوى إلى ثلاثة أقسام وهي من حيث الحجم ونوعية الكتابات أو المقالات أو التقارير . وساحة الإعلانات ، وعدد الصفحات .

تم اختيار العينة لتفي بهدف البحث ولكنها عينة أولية مختارة من الباحث نظرا لتواجدها بين يدي الباحث ، وسهولة الحصول عليها . وهي تضم تسعة صحف ثلاث منها يصدر في الولايات المتحدة وست صحف تصدر في البلاد العربية من الأردن وفلسطين والسعودية والإمارات العربية والكويت ومصر .

بالنسبة للقياسات والتحليل الإحصائي تم اتباع المقاييس المترية لاستخراج النسب والكميات والترتيب في الدراسة .

كان السؤال الرئيسي في البحث : ما مدى التغيير الحاصل في الـ'لام العربي من حيث الموضوع والمحتوى والحجم. وحتى نجيب على السؤال استخدمنا العينة في تواريخ متباينة لإمكانية المقارنة بين الصحف ومحتواها حسب الأوقات ماضيا وحاضرا . ومن بعض النتائج الأولية للبحث ما يلي:

حجم المقالات والتقارير : كانت نسبة المقالات والتقارير مثلا في الوطن والمندى الوسيط والحدث 64,83% و 52,78% و 40,7% بالتوالي.

حجم الإعلانات : كان حجم الإعلانات في الصحف الثلاث نفسها كما يلي: 35,17% في الوطن و 47,22% في المنتدى الوسيط ، و 59,3% في الحدث .

وأما بالنسبة للصحف الصادرة في العالم العربي ، فكانت نسبة المقالات والتقارير تتراوح بين 53,00% وبين 78,00% أما رقعة الإعلانات فكانت تتراوح بين 47,00 و 22,00% .

وهناك ثلاثة ملاحظات على الإعلام العربي من خلال الدراسة أولها: الذات العليا القابضة في قصور محاطة بالحراس ، وجيش من الخدم يدورون في فلك تلك الذات الذين يأترون بأوامره وينتهون بما ينهى. وتلك صفة للإعلام العربي في بلاد العرب.

وثانيها: الثروة الضائعة على التسليح والتشليح والتسييح . وإقامة المعارض وهدم العقول قل أن يتم تغطيتها في صحف العالم العربي بينما تجد لها متسعا في صحف العرب في الولايات المتحدة ، ولعل هامش الحرية من حيث الحجم هو السبب في ذلك .

أما ثالثها مما هو محذور على الإعلام العربي هو الحقيقة أو الحقائق التي تمس ثروات الشعوب وما ينقصها لباسا وطعاما وعقلا، والعقل هنا أقصد به التعليم والتربية اللتين ما زالتا ترتعان في الطرق والمناهج التقليدية التي تجعل المتعلمين عبيدا لأبناء الأغنياء وأبناء الحظوة المتمتعين بالركوع والسجود لغير الله من أولي الأمر. وهذه صفة ما زالت الصحف تتجمل بها في الدول العربية ، بينما تتصف الصحف العربية الصادرة في أمريكا بالمحاذير نفسها ولكن بطرق أكثر واقعية واحترام لقواعد البحث العلمي .

والملاحظة الرابعة : وضع المرأة والهدف من تعليمها. فما زالت هناك الآلاف من النساء من تصل إلى درجات متقدمة من العلم ، وما أن تنزوج حتى يطوبها الزوج تحت جناحه فيعطل جزءا هاما في بناء المجتمع . وقل أن تحتوي الصحف العربية قضايا المرأة في مجالات الحرية والمساواة ولا تحاول الخروج عن التراث وأسسه ، فالمحظورات قديما مازالت هي المحظورات حديثا حول حرية المرأة والقضية المساواة في الرواتب والمشاركة سياسيا أو اجتماعيا ، بينما تظهر مشاركة المرأة في الصحف الصادرة في الولايات المتحدة ولكنها ما زالت توصف بالمقالات الحجة حول المرأة التي تطرق مواضيع الحرية والمساواة من بعيد . وبناء على ما سبق أقدم الملاحظات التالية حول الإعلام العربي من خلال ما وجدته في العينة تحت الدراسة وتكاد كل الصحف العربية تتقارب في منهجها ومحتوياتها وحتى إعلاناتها ، إلا أن الصحف الصادرة في الولايات المتحدة نظرا لصغر حجم قرائها تكون الإعلانات

تجارية حول النواحي الصحية والخدمات الاجتماعية ، للمحامين والأطباء والمستشفيات والمحلات التجارية وأسواق المجوهرات والذهب والفضة .
ازدياد رقعة وأحجام الصور في الصحافة العربية وقنوات التلفاز . وقد كانت في الماضي حكرا على الصفحة الأولى الخاصة بصور الراعي الكبير ونشاط أزواجه وأفراد أسرته ، وصور زبانيته ممن هم في حكومته . أما اليوم فالإعلام العربي يتمتع بنقل الأخبار والتوافه عن المطربين والممثلين والغانيات وجرائم الشرف والجنس ، كما أن الرياضة أخذت حيزا لا بأس به ، والحمد لله يعرف الشباب العربي عن مادونا وفرق مانثستر أكثر مما يعرفوه عن التاريخ العربي والمبدعين العرب وعلماء العرب .
ازدياد حيز الإعلانات للوفيات وصور التخرج والإعلانات الأجنبية التي تسرق بضاعتها في الأسواق العربية .

زيادة الاهتمام بتفاهات النساء من مظاهر جسدية كمساحيق الجمال أو القبح ، وكريمات الشعر والجلد في الملمس ، ونماذج اللباس وإن اختفى تحت العباءات ، فالمهم هو تنمية الانحراف وزيادة الهوة بين الفتاة المستقيمة والفتيات المقلدات مما يؤثر تأثيرا سلبيا على تقدير الذات البشرية بين الرجال والنساء . وكنت في أحد مقالتي قد دعوت النساء في كل مكان إلى قص شعورهن حتى يعطرن آلاف الشركات التي تهتم بتجميلهن وتحسين مظهرهن وألوان شعورهن .

الإعلام العربي يهتم بالأخبار مهما كانت ، والمهم أن لا تكون الأخبار عن المحليات السلبية في المجتمع التي يصدر الإعلام فيه . بمعنى أن أخبار الحكومات الأخرى والشعوب الأخرى هي المقصودة لذر الرماد في العيون وإلهاء الشعوب شبابا وشبابا في أمور ليس لهم فيها ناقة ولا جمل . بالإضافة إلى قلة التحليلات المنطقية والإرشادية خلا الناحية الصحية لمن هم أعلى قليلا من الطبقة الوسطى وما فوقها . وقلما أن يكون الإعلام موضوعيا في نقل الأحداث المحلية ، فالمعرض تؤله الدولة ورجالها ، والنشاطات الرياضية والفروسية تكون للطبقة الحاكمة ، ويخدم الـ'لام العربي جيدا تلك النشاطات وتوزيع كؤوسها على أصحاب العزة والمناصب .

وبالنسبة لإسرائيل في الإعلام العربي ، فقد قلت كلمة إسرائيل بأنها عدوة للشعوب وعنصرية في التطبيق ، فإذا ذكرت تذكر في مجال مفاوضات السلام الذي يضيف عليها صفة الدولة التي تشارك في عملية سلام بعد سرقة الأرض وامتصاص ثرواتها وبناء المستوطنات عليها . وبدأ الإعلام يتعاطف مع منطلق إسرائيل في البقاء رغم أن الإعلام لا يتعاطف مع الفقراء والجهل ومناهج التعليم التقليدية التي تخلو من الدراسات النقدية والإبداعية ، حيث إن معظم نتاج الطلبة في معظم الجامعات التي تصرف على إدارتها البلايين حول التاريخ نفس البلد أو العلوم الاجتماعية أو الشخصيات الدينية والشريعة ومعظمها نقلًا عن الكتب الصفراء دون تمحيص ودون بحث نقدي ، ولعل محاولة طه حسين في العشرينات من القرن الماضي تعد مثالا على مقاومة الانفتاح على الدراسات النقدية ، حيث هوجم وأجم من التقليديين في تفكيرهم وممن لا يريدون للمنطق مساحة في التفكير العربي .

خلو المعلومات المنشورة من الثبات ، فقد كثرت الإشاعات التي يتناقلها الإعلام العربي، وقلة الاستبانات ومشاريع المسح الاجتماعي التي تعتمد على منطق البحوث العلمية .

ولعل ما سبق ينطبق على الإعلام العربي في الولايات المتحدة ، وعن تجاربي في هذا المجال ، معظم جهود الإعلاميين في الصحافة هي جهود فردية أو عائلية أو دينية تعتمد على زكاة البعض وتبرعاتهم دون تدخل أو عون من المؤسسات النفعية ، لذا فقد كانت الصبغة التي تصبغ الاعلام العربي في أمريكا بالسطحية والعاطفية والاثارة لكوامن الكره وعدم المحاوره مع الآخر ، حيث يمكن وصف الصحافة في أمريكا بأنها محجبة وخاصة بمن يقوم بنشرها والصراف عليها ، وقل أن ترى فيها منطفا يتناسب مع العقل وتقدم المناهج التحليلية مما يفيد العرب المهاجرين أو يزيد من أثرهم وتأثيرهم في السياسة الأمريكية . فالأمن لإسرائيل والحديث عن مفاسد بيع السلاح وتكديسه ، وعوائد نطف العرب خطوط حمراء سواء في الإعلام العربي داخل أو خارج الولايات المتحدة ، أما من يشتهر من الإعلاميين العرب وحتى علماءهم فهم يشتهرون بولأنهم لجهات رسمية حكومية في بلاد العرب ، وأعرف شخصيا عشرات الأساتذة والعلماء ممن يعملون في الجامعات الأمريكية ولهم اتصالات بالإعلام الأمريكي وشهرة بأن وظائفهم في تلك الجامعات ورواتبهم مدفوعة من دول نفطية لها منح وكراسي مقابل تبرعاتهم لتلك الجامعات ، وتاريخ القادة العرب طويل في هذا المجال ، وقبل أن يتسلم كلينتون الوئاسة في الولايات المتحدة كان قد تلقى منحة تزيد على العشرين مليوناً من دولة نفطية ، وظفت عدد كبيراً ممن يدورون في فلك التقليدية الجاهلة من الأقليات لاعرقيه والدينية .

والحديث عن الإعلام مستقبلاً فإنه لن يتغير كثيراً ، طالما أن أموال الأغنياء من الجهلاء يملكون صحفاً غير مطهرة ويملكون قنوات فضائية تشد البشر إلى الجهل والاعتقادات الخاطئة واللامنطقية وأقل ما توصف به بالتقليدية العمياء ، لتسكن آلام الفقراء وتعد البؤساء بجنة عرضها السموات والأرض ، وهم لا يملكون شبراً من أرض في حياتهم أو دولاراً في حسابهم البنكي ، وتساعدهم على الصبر على المظالم وأعمال الفاسدين ممن حازوا ويجوزوا ثروات الشعوب ويملكون الأرض ويستعبدون العقول التي يتصف بها العباد متناسين العدالة الإلهية في خلق العقل البشري ليكون منهاج تفكير وليس عاطفة فقط تؤدي إلى الفجور أسي ولوعة من مقارعة الحياة وفسادها وظلم حكامها ومالكي ثروتها .

وفي الختام نصل إلى القول إن الإعلام العربي موجود ولكنه في طور الطفولة ، أو قارب مرحلة المراهقة ، وهذا الحكم قد لا ينطبق على بعض الصحفيين العرب الذين هم على مستوى عالمي في الكتابة والتحليل وهم عدول في مقالاتهم ، وهذا يعني أن الصحافة العربية والإعلام العربي ما زال يعتمدان على الغير ، إذ ليس هناك من مميزات تجعلهما بالغين أو دلفاً في مرحلة البلوغ ، واستمر سنوات بل عقود قبل أن يصل الإعلام العربي تلك المرحلة المثالية التي يسعى إليها ويتطلع لها بعض الصحفيين العرب الأحرار والعقلاء خاصة الفقراء منهم . ولن تكون في أيامي القصيرة الباقية من عمري .

57

حرية البشر وحرية الكلاب
Human and Dog's Freedom
قصة قصيرة



Walking the Dogs

بعد أن باع صالح بيته ، وكان يسكن العاصمة لانسنغ ، التي تقع غرب ديترويت بنحو 90 ميلا، أعلن إفلاسه بعد أن قلت موارده المالية ، فلم يستطع دفع الضرائب على بيته ، وسيارته ، والتأمين الصحي لأولاده ، وأعلن إفلاسه بناء على نصيحة من محاميه ، رغم أنه كان ضد الفكرة بحد ذاتها فالعربي لا يحب أن يوصف بالإفلاس ، ولكن هذه أمريكا ، وكل شيء فيها ممكن طالما أنه طريقة للتخلص من الديون المتراكمة وإشعارات المحاكم التي تشتكي إليها المنظمات الكبيرة والشركات والبنوك ودولة الولاية ، لتوكيد ديونها على المستهلكين ، انتقل صالح مع زوجته التي شارفت على الستين وهي أصغر منه بعشر سنوات ، إلى مجمع سكني يتكون من اثني عشر مبنى في كل مبنى ثماني شقق ، ولم يكونا وحدهما فقد رافقا ابنتهما البكر وزوجته وأولاده ، وكان المجمع السكني نتيجة مشروع تنمية حضرية في المنطقة ، حيث تم بناء مول متوسط الحجم ، على بعد أميال من المكان ، وتم فتح فروع لكل المحلات الشهيرة بماركاتها المعروفة مثل وللمارت وسام وتارجيت ، بالإضافة إلى المطاعم الشهيرة التي كان لها السبق في فتح فروع لها مثل أبل بيز ، وقراباس ، إلى جانب مطاعم المأكولات السريعة كالمكدانولد والبرغر كينغ وويدنيز ودينيس وأربيز.

ولم يتعد صالح كثيرا عن مكان سكناه الذي قضى فيه ثلاثة أرباع عمره ، حيث كانت محلات التزود بالحاجات الشهرية متوفرة في محيط المنطقة ، فكان هناك فروع للمحلات الكبيرة مثل مايرز وكروغر وتارجيت وكى مارت ، وقد تعود على الحياة البسيطة فكان هو وزوجته يقوم كل أسبوع أو أسبوعين بالتسوق من أجل تحضير ما تحتاجه الأسرة ، من لوازم بيتية أو غذائية ، ولكن كانت هناك مشكلة إيجاد اللحوم ، وبما أن صالح كان مسلما ، فقد اعتاد أيام الجامعة مع بعض الأصدقاء من الشرق الأوسط زيارة بعض المزارع التي تربي الخرفان والعجول ، فكانوا يشترون العجل حيا أو الخروف ، فيقومون بذبحه وسلخه وتقسيمه بينهم ، وإذا سألت لماذا لم يشتروا اللحم من الأسواق القريبة وفيها اللحوم متوفرة بجميع أنواعها ، أقول لك أن المسلمين يحبون التأكد من أن الأضحية (الخروف أو العجل) أو حتى الدجاج ، أن يكون مذبوحا بطريقة إسلامية ، بأن يسمى على الذبيحة باسم الله وأن يذبح بطريقة سريعة حتى لا يتعذب الحيوان أو الطير ، فكانوا في البداية يقومون بكل تلك الطقوس للتأكد من قانونية الذبح حسب الشريعة الإسلامية . وبعد التخرج وانفصاض المجموعة الطلابية ، وسافر منهم من سافر وانتشر الباقي في الولايات الأخرى ، وقلة البقالات أو المحلات العربية في المنطقة ، بدأوا يزورون دير بورن في جنوب ديترويت ليشترقوا من المحلات الشرق أوسطية التي اقتصت بتوفير كل الخضروات والفواكه الشرقية ، واللحوم الشرعية اي التي ذبحت على الطريقة الإسلامية ، حتى أن طلبات اللحوم عادة جاهزة نظرا لمكالمة مع المحلات العربية تسبق الزيارة إلى ديترويت ، ويتسوقون كل أنواع الخضروات والفواكه التي يحتاجونها من المحلات الكبيرة التي نمت مع نمو السكان الذين جاؤوا من مناطق مختلفة من الشرق الأوسط ، من اليمن ولبنان وسوريا والأردن وتركيا وإيران والعراق ، ومصر وغيرها من البلاد المشرقية ، وينتهز المتسوقون من خارج ديترويت وداخلها الفرصة أثناء أو بعد التسوق فيقومون بزيارة المطاعم

البنانية والسورية والفلسطينية والعراقية (العربية) التي تشتهر بتقديم المأكولات الشرقية اللذيذة ، حيث يكون الفول والحمص والطعمية أو الفلافل والفتوش والتبولة مرافقة للطلب الرئيسي كالفتة والشيش طاووق والكباب مع الرز المقفلل الأصفر بالعصفر والتوابل الشرقية . وبعد تناول الغذاء يتوجهون إلى محلات الحلويات المشهورة في ديربورن التي تنتج الكنافة والبقلاوة والهريسة الشهية ، من حلويات المصري أو حلويات شاتبلا ، فيتحلون ويأخذون معهم لأيام تالية .

كان المشروع السكني الذي انتقل إليه صالح مع عائلته في الناحية الجنوبية على الخط السريع 69 الذي يقطع لانسغ متجها إلى فلنت وجراند رابيدس في الجزء الشرقي من العاصمة لانسغ . حيث تدور المباني حول بحيرة صغيرة تبدو نظيفة من بعيد ، ولكن ظهور الطحالب الكبيرة الحجم الخضراء والداكنة السواد تبدو كالأسواخ تجمعت في أطراف البحيرة بعيدا عن النافورة التي تمركزت في المنتصف ، وبدأ يظفر بأشكال مختلفة رغم النافورة التي ترتفع لأكثر من أربعين قدما ، ونظرا لأن الكبر قد بان على صالح وزوجته، وأكلت سنون التقاعد ما استطاع توفيره بعد إعلان إفلاسه ، بدأ يتمتع مع زوجته بمناظر البحيرة الساكنة التي تزعجها النافورة التي تعلو إلى أكثر من أربعين قدما ، وكانت الفراندا من السكن الجديد في الطابق الثاني تطل مباشرة على البحيرة ، التي تحيط بها الأشجار العالية عن بعد والشجيرات الصغيرة عن قرب تلف حول البحيرة كالأخاتم يلتف حول الإصبع ، ففي كل يوم يجلس صالح لمدة ساعة أو ساعتين على البلكونة ليمتع ناظره بالمنظر الجميل ، ولكن الأمر الذي استغربه صالح رغم أنه يعرف العادات والتقاليد الأمريكية ، وتصرف العائلات في اقتناء الكلاب والقطط والطيور ، إلا أن عادة رياضة الكلاب لقضاء حاجتها كانت تزعجه ، هكذا بدون سبب، فقد تعلم منذ الصغر أن الكلب نجس وأنه يجب أن يربي خارج البيت لا في داخله ، فالنبي الكريم له أقوال تتحدث عن نجاسة الكلب ، وحتى أن التقاليد عرفت بأن الكلب إذا لعق صحنًا أو وعاء فعلى صاحب الوعاء أن يقوم بغسله سبع مرات حتى يظهر الوعاء . وبناء على هذه التقاليد كان يرى عادة مرافقة الكلاب لقضاء حاجتها ليس من الحضارة وفي أيديهم أكياس البلاستيك أحيانا ، وأحيانا أخرى بدونها فالناس أجناس متحضرين يهتمون بواجباتهم تجاه الآخرين ، وغير متحضرين أو كسالي ، أو قرفانين من عملية جمع مخلفات كلابهم ، إنما هو نوع من الحقارة والدناءة كما يعتقد ، وقلة النظافة ، حيث إن البعض لا يستخدم الأكياس التي وضعتها إدارة المجمع السكني لذلك الغرض ، فأفسدت بقايا روث الكلاب نظافة الحشيش الأخضر حول البحيرة ، فتعانق أقدامهم ما بقي من آثار لم تجف بعد ، حين تغوص أقدامهم فيما لا يتوقعون من بقايا الكلاب ، ومع أن أكثرهم يتبع التعليمات وأحيانا يجلبون أكياس من بيوتهم لجمع ما يريح الكلب وصاحبه أو صاحبتة من بقايا ، ورغم أن تلك العادة تجعله منقرزا منها ومن طريقتها حيث بدأت تتكرر يوميا بين ثلاثين إلى خمسين مرة أمام عينية ، فيرافق الكلب عجوز أو شابة أو شاب أو طفل ، إلا أن صالح لم يكن يرتاح لمراى الكلاب في رياضتها اليومية ، إلا أنه يعيش في أمريكا وعليه أن يتقبل العادات الأمريكية كما هي حيث إن نسبة كبيرة من الأمريكيين يحبون اقتناء بعض الحيوانات ، لأسباب كثيرة منها حب الأطفال للحيوانات ،

وكثرة الدعاية للكلاب وأطعمتها وصحتها وعياداتها في شتى وسائل الدعاية والإعلام ، فقد أصبح من الغريب ألا يمتلك الأمريكي كلبا أو قطة أو طيرا ، إلا أن ما شب عليه من كراهية تربية الكلاب وإعطائها حرية أكثر حتى من حرية الأفراد ، فالكلب يربى على الدلع والراحة ، ويقوم مالكه أو مالكته بتدليله لدرجة أن بعض المالكين أو المالكات للكلاب ، يرافقونهم في سياراتهم ، فيعطون أحيانا حركة المرور ، نظرا لالتئانهم بالكلاب، وأصبحت هناك نكات حول حرية الكلاب ومقارنتها بحرية المواطنين ، قرأتها في كتاب بعنوان "زوجات للبيع" لكاتب أمريكي مبدع من أصل عربي ، وأحب مشاركة القراء بمعرفة تلك النكات حيث إنها تعطي جريمة الاعتداء على الكلاب وكبح حريتها حكما يفوق حكم الاعتداء على البشر ومن القصص بعنوان حكايات عن الكلاب (ص 21-22) من الكتاب يروي الكاتب ثلاث حكايات الأولى أن مواطنا أمريكيا انزعج من كلبه أو ستم من طلباته الكثيرة أو تعب من القيام بتلبية رياضاته لحاجته الضرورية فقام بقتل الكلب حيث دس السم له مع الأكل ، ولتفاخر بما عمل نشر خبر ما فعل لأصحابه في العمل فقام أحدهم واتصل بجمعية الرفق بالحيوان ونشر الخبر على صفحات الانترنت على الفيس بوك وتويتر ، وما أن بلغ الخبر البوليس حتى جاء ممثلوه واقادوه للتحقيق وتقديمه للمحاكمة ، فالكلب له حقوق ولكن المةاطن انتهك تلك الحقوق ، فقامت المحكمة بمراجعة القضية وقررت قرارها بحبسه تسعين يوما لعدم قدرته على دفع غرامة مالية قدرت ألف دولار.

أما الحكاية الثاني فقد انزعج أحد السائقين في الطريق السريع من أحد السائقين أو السائقات الذي كان سببا في تعطيل المرور ، فنزل السائق في السيارة الخلفية وتقدم إلى السيارة التي أمامه ، وكان السائق امرأة تسوق سيارتها وفي حضنها كلبها المدلل ، وبما أن السير قد توقف قليلا لسبب ما ، وما أن رأى السيدة التي تضع كلبها في حضنها حتى خطفه منها ثم قذف به إلى الضفة الأخرى من الشارع ، وهذا في الحقيقة تدخل قبيح في شؤون الآخرين وهو أمر غير مقبول حضاريا ، فماذا كان رد فعل السيدة ؟ اتصلت فوراً بتفونها الموبايل ، بالبوليس واتصلت أيضا بزميل لها في محطة راديو ، لنشر ما حصل معها ، كما اتصلت بجمعية الرفق بالحيوان وعم البوليس أوصاف المجرم ولون سيارته وقصته في حق الكلب والسيدة المسكينة ، ولم تمض ساعة حتى تم القبض عليه وتم سجنه أسبوعا ودفع مبلغ الغرامة 500 دولار.

أما الحكاية الثالثة فهي تقارن بين حرية الكلاب وحرية المواطن أو ما يعرف بحقوق الكلاب وحقوق المواطن ، فالحكاية تقول: أن شخصا متهورا كان يقود سيارته بسرعة فدهس أحد المارة الذي فقد حياته فوراً ، فتم القبض على الجاني وحبسه شهرا واحدا وتغريمه ثمن إشارة المرور التي تسبب بتعطيلها وكسرها ، ومقارنة بالقصتين السابقتين فإن قتل النفس البشرية أرخص في أمريكا من المعاملة القاسية للكلاب وليس فقط قتلها ، وهذا من الأمور التي لا يستطيع فهمها كثير من الناس خاصة أصحاب الأديان السماوية والمهتمون بالسياسة وهم يرون تورط أمريكا أحيانا في القتل والتخريب وتشريد الألوف نتيجة الحروب في بلاد كثيرة حول العالم حيث إن حياة الأفراد من البشر لا تشكل اهتماما كبيرا لدى الأمريكان ،

ولكنهم يعطون اهتماما كبيرا للمحافظة على حرية الكلاب وحقوقها . وقد قرأت قصة طريفة للكاتب ضمن كتابه حكايات من أمريكا ، وهي حوار بين أب وإبنة والقصة تقول:

" اذا كتب الله لك العيش في أمريكا فكيف تتصرف اذا طلب منك ولدك الصغير أن تشتري له كلبا؟ فيعد ثلاثة أشهر تقريبا من وصولنا الى بلد الحرية والمساواة (أمريكا؟) جاني ولدي الصغير وعمره خمس سنوات فجرى بيننا الحديث التالي : قال لي: أريد كلبا صغيرا، (وقبل أن أجيب، ابتدرني بسؤال آخر لتوكيد طلبه): لماذا لا نملك كلبا مثل الجيران؟

فحرت في الجواب بل صدمت للوهلة الأولى ، وبدأت أعصر ذكائي للبحث عن أفضل طريقة لأجابته عن سؤاله دون أن أجعله يحس بالذنب فاهتديت الى طريقة مكافحة السؤال بطرح أسئلة حوله وتسلحت بطريقة الهجوم وهي أفضل وسائل الدفاع .

قلت: أليس للكلب مخالب وأسنان؟ قال: نعم.

قلت: ألا يريد الكلب طعاما وخدمة خاصة للعناية به؟ قال: نعم.

قلت: هل تستطيع العناية بالكلب؟ قال: نعم.

قلت: وهل تسمح له بالنوم في سريرك؟ قال: نعم.

قلت: هل تستطيع أن تأخذ الكلب معك الى المدرسة؟ قال: لا.

وعندها وجدت العذر في اجراء مجموعة من الأسئلة التي تعطي اجابة النفي بدلا من الأيجاب فعمل وعسى نصل الى تبرير مقنع.

قلت: هل لدى الجيران أطفال في مثل سنك؟ قال: لا.

قلت: هل تستطيع السهر مع الكلب طيلة الليل؟ قال: لا.

قلت: هل يمكن لك أن تجد للكلب زوجة تعيش معه؟ قال: لا .

وحين وجد طفلي أن الاجابة بلا قد زادت عن حدها، واستشف أن فكرة اقتناء كلب قد اضمحلت. سكت ونظر الى المجهول كأنه يعصر دماغه فأعاد التفكير في فكرة أخرى وفجأة نظر الي بنظرة المنتصر وقال :

ما رأيك أن نربي فيلا؟" (حكاية 17 من قصص من أمريكا ص 38)

وكثيرا ما يحترق الآباء الذين هاجروا من الشرق الأوسط (خاصة العرب والمسلمين) في الإجابة عن هذا الموضوع ، فهو مرحج فعلا ... خاصة وأن الأطفال يشاهدون الكلاب تعيش عيشة نغنغة وحرية بلا حدود ، وكأنها أعضاء الأسرة .

كان صالح يرى هذا كل يوم أمام ناظره أكثر من ثلاثين مرة مما يدعو فعلا للتعجب ، يرى شخصا يقوده كلب صغير أو كبير أو متوسط الحجم تقوده شابة أو بنت صغيرة أو رجل ببطنه الممتد أمامه ، أو شاب رياضي ، فالأمريكان في المجمع السكني وكل مكان يهتمون بحياة الكلاب وحريتها وحقوقها عند البعض أكثر من اهتمامهم بالبشر في أمريكا أو خارجها ، فقد تمادت الكلاب في سحب مروضها ومرافقها حيث يريد الصعود أو النزول فيجره خلفه دون اعتراض وكأن حريته (الإنسان) مسلوبة ومستعبدة من قبل الكلاب التي يخدمونها ، حتى أنهم يفقدون السيطرة أحيانا على مجاراتها لأنها تدخل أماكن ضيقة أو خطيرة أحيانا

أخرى ، وفكر صالح بأن العبودية انتقلت من سيطرة الأسياد من البشر فأصبحت لونا جديد من عبودية الكلاب وسيطرتها على أصحابها ومروضيها ، وكيف لا وصالح يرى أن الاقتصاد الأمريكي يوظف الملايين في مهن تخصص الكلاب والرعاية بصحتها وتحضير غذائها وتسويق حاجاتها ، وافتتاح صالونات وعيادات لتجميلها ، واستعمال المساحيق التجميلية لها كصالونات التجميل والحلاقة وعيادات التجميل للنساء والرجال ، وقيام المعارض لها وتسويقها حتى أن سعربعض أنواعها يصل عشرات الآلاف خاصة النادر منها الذي يشارك في المسابقات الكلابية المتطورة ، ويظن البعض في أمريكا وأوروبا أن الكلاب عندها قابلية للتعلم والتأقلم أكثر من البشر ، حتى الجامعات لم تخل من تخصصات للحرص بالعناية بها ، واستقطاب الطلاب في مجالات دراستها والعناية بها وتجميلها وعمل العمليات الجراحية لها ، وافتتاح العديد من المستشفيات لها ، والعيادات لعلاجها ، وحتى المعارض الكبيرة بدأت تخصص رفوفا خاصة لطعامها وأثاثها ووسائل الترفيه لها ، وقد ابتكرت بعض الشركات أغلفة وصور لبعض المعلبات الخاصة بالقطط والكلاب حتى أن بعض الجهال أو الجاهلات ممن لا يتقنون اللغة الإنجليزية من زوجات المبتعثين أو الزوجات الحديثات الوصول إلى أمريكا ، من الشرق لا يفرقون بينها وبين المأكولات البشرية ، حيث قرأت مرة قصة من كتاب قصص من أمريكا (Tales From America) للكاتب عن حادثة طريفة شبيهة ، وهي مرتبطة بموضوعنا هنا ، وتقول الحادثة :

"محللات السوبرماركت في أمريكا للفرجة والتبضع. ولكن الجهل أحيانا غير مطلوب عند التسوق. هذه قصة حقيقية واقعية حصلت في إحدى الولايات الأمريكية ، فقد جاءت امرأة مع زوجها المبتعث إلى أمريكا ولهما ولد وبنيت ورضيع، ولم يمض على قدمهما سوى شهرين حتى عرفا من أين يشتريان حاجتهما الغذائية اليومية، وحاجات الغسيل والملابس . وعاد الزوج يوما من الجامعة حيث كان في محاضرة له ففاتحته الزوجة وهي باشة الوجه بالخبر الطريف السعيد فقالت:

- هل تصدق أنني ذهبت اليوم إلى (السوبرماركت) واشتريت مواد الطعام، وخصوصا علب لحم وعلب سمك ملونة للأولاد. فقال لها الزوج:

- هل قرأت ما عليها. أنا خائف أن تكون لحم خنزير. فقالت له تقعه: - عليها صورة سمك. قصدك أنا ما أفهم.

وذهبت إلى المطبخ بسرعة وأحضرت علبتين ناولتهما للزوج ، فبدأ يقبلهما ويقرأ ما عليهما. ثم نظر إليها وقال بهدوء:

- عسى ما اشتريت كثيرا من هذه العلب؟! فقالت له:

- قلت لك أن عليها صورة سمك وهي مرسومة بشكل فني .

قال الزوج: (وهو يحاول ضبط أعصابه):

- هل أكل الأولاد منها؟

فقالت: لا ولكن أحضرت من هذه العلب ما يكفيهم على الأقل ثلاثة أشهر. ... انها علب تفتح بسهولة... وهي ملونة ورخيصة وكان عليها تنزيلات. صفقة رابحة يابن الحلال . وعليك أن تشكرني لأنني وفرت عليك مبلغا محترما من المال . فقال الزوج (أيضا بهدوء) : - ارميهم بالزباله فوراً. (بدلا من إعادتها بالطبع للمحل

التجاري الذين لا يسألون عن السبب في إعادة البضاعة، ولكنه لم يكن يعلم ، فهو رجل شرقي كريم ، لا تهمه الفلوس) فصعقت الزوجة وصاحت:
هل جننت ... نرمي فلوسنا في الزباله؟ فقال الزوج:
هل تعرفين ما في العلب؟
قالت (وكانها تتحزر): لا لحم خنزير؟ لحم فاسد! لا.... هذا غير معقول.
فقال الزوج (شارحا الأمر):
لا انه طعام كلاب وقطط معلب." (قصة 17 من قصص من أمريكا ص 48 - 49)

كما قرأ صالح في إحدى المجلات أو الصحف اليومية أيضا أن أحد المواطنين قام بتقديم بشكوى ضد دائرة الإسعاف في أحد المستشفيات حين نقلت الكلب الذي يخصه بسيارة خاصة قبل أن يقومون بعلاج طفله أو معالجته هو . وهذا ما جعل صالح يتساءل حول ما توصلت إليه الكلاب من حضارة وتحقيق حرية وحقوق لم توجد للمواطنين والمقيمين في كثير من البلاد الشرقية التي يسموها الدول النامية في آسيا وأفريقيا ومناطق أخرى حول العالم ، أناس تداس حريتهم ، وتوكل حقوقهم وتندثر العدالة في معاملتهم ، باسم القانون أحيانا وهم ساكتون ، وتلك المقارنة جعلت صالح فيلسوفا ، حيث ربط حرية الكلاب في بلاد الحضارة العولمية مع حرية البشر في بلاد الحضارة الدينية والعقائدية ، فوجد الفرق الشاسع بين الحضارتين في معاملة الكلاب والبشر ، مما يستدعي ثورة للتغيير في كليهما ، خاصة وأن الناس في الشرق ملوا حياتهم البشرية مع استمرار التمييز العنصري بين مواطن ومقيم ، وبين غني وفقير وبين قريب من السلطة وبعيد عنها وبين صحفي عفيف وصحفي محابي ، وبين مخلص في عروبته وبين بائع لها ، وبدأت كثرة منهم يتمنون أن يحصلوا على حقوقهم وحريتهم في بلادهم كما تحصل الكلاب على حريتها وحقوقها في بلاد الحضارة الأمريكية والأوروبية . فقد ثارت الكلاب في الغرب فانتصرت وحققته أهدافها وأصبحت سيدها لمالكها ، فهل يثور البشر من الشعوب المتأخرة في الشرق لتحقيق بعض ما حققته الكلاب المتمدنة ؟ لا أدري ، وتناول صالح القلم والورقة وبدأ بكتابة هذا الموضوع الشيق . خاصة وأنه كان مفكرا له باع طويل في الشهرة قبل أن يتقاعد . حيث يرى أنه ما زال نافعا رغم السنوات السبعين التي مرت من عمره . وما كاد صالح ينهي مقالته عن الكلاب وحريتها ، عاد ابنه إلى البيت ، ولدهشة صالح كان مع ابنه كلبا صغيرا ، فقد كان ولده يلح عليه يوميا لشراء كلب لطيف لتربيته والعناية به تيمنا بالسكان في المجمع السكني في امتلاكهم الكلاب، والقيام بخدمتها وترويضها ، وأطلقوا على الكلب الجديد اسم : سام فابتسم صالح في البداية ولكنه بدأ يقهقه ضاحكا بصوت عال ، لم يعرف أحد سبب انفراج أساريره .

لم يعلم أحد حول فهم الدوافع الذي تكمن في نفسها حين أطلقت الرصاص على الرجل الطبيب الحاج سليمان ، وقد استغرب الجميع ذلك التصرف من الفتاة الشابة الجميلة ذات الثانية والعشرين عاما ، ولم تحاول سميحة النطق أو البوح بذلك لأحد حتى أمام المدعي العام وهو يحقق معها ، فقد بدت مصممة قوية ساهمة ، مطمئنة ، راضية بما فعلت ، ولا يرف لها جفن

أفاقت سميحة في الصباح ... وتوجهت إلى حيث الحمام لتغسل وجهها ... وتتنظر إلى نفسها في المرأة المشروخة المعلقة على الحائط وقالت في نفسها عمري الآن سبع سنوات فكيف أساعد أمي في مرضها وفي كل مرة أسمع منها وهي تنن من المرض أننا بحاجة إلى النقود من أجل الدواء وحالة أمي لا تتحمل المعاناة ... فهي مريضة ولا تكاد تقف على قدميها حتى تجلس على أقرب مقعد بجانبها ماذا أفعل يا ربي ؟ ماذا أفعل حتى أساعدها ؟

كانت سميحة تفكر طيلة الليل تبحث عن طريقة تجلب بها النقود لشراء الدواء لأمها ودفع أجره الطبيب وحالة أمها تستدعي أن يراها الطبيب وأن تأخذ الدواء في مواعيد منتظمة أمها مريضة ولا تقوى على الوقوف ، ولا بد من عمل شيء يساعد الأم في محتنها . تسكن سميحة مع أمها في بيت مكون من غرفة واحدة ومطبخ صغير وحمام في نهاية الردهة والحمام صغير وضيق ، وأمام البيت ساحة صغيرة اعتادت سميحة على اللعب فيها وهي صغيرة مع الأطفال الآخرين من أبناء الجيران ، وسميحة وأمها يحبان المكان ، فقد ولدت سميحة فيه ، ومات أبوها فيه وعمرها سنتان ، وهي لا تكاد تذكره ، وترك أمها ترعاها دون عون أو مساعدة فما تركه لم يكن ليكفي أكثر من شهر أو شهرين ، وعملت الأم جهدها لتربية ابنتها بما تجمعها من نقود مقابل الخدمة في بيوت الأغنياء ، ودخلت سميحة المدرسة وبدأت الأم تتعب في عملها حتى بدأت تبقى في البيت أياما وتعمل يوما أو بعض يوم ، لذا وبعد أن رأت سميحة أن أمها بحاجة ماسة إلى الدواء فكرت مليا في طرق الحصول عليها ، وتقديمها لأمها ثمنا للدواء وأجرة الطبيب .

كانت هناك هضبة تفصل سكانها عن المدينة المكتظة بالناس والسيارات والعمارات ، وقد اعتادت أن ترى بعضها وهي في طريقها إلى المدرسة في السنة الأولى كانت تعرف أن كانت تتخيل أن الحل سيكون في المدينة ... وأنها ستجد المال لأمها فيها فالبنوك كما عرفت من صديقاتها أنها تحتوي أموالا كثيرة وأنها تعطي النقود للمحتاجين وهي محتاجة وما عليها إلا أن تحاول

سأذهب إلى البنك فورا وأطلب منه أن يعطيني مالا من أجل علاج أمي . وبعد أن نظرت إلى المرأة لآخر مرة قررت أن تخرج لتنفيذ ما فكرت به فعدت إلى الغرفة لترى أمها غارقة في النوم ويبدو عليها التعب وهذا هو اليوم الخامس لبقائها في الفراش ، وحالتها الصحية لم تتغير بل تتدهور يوما بعد يوم لا بد من مساعدة أمي . أغلقت الباب خلفها ببطء شديد حتى لا تحدث صوتا فتستيقظ أمها من النوم وكانت تعلم أن أمها لو استيقظت لمنعتها من الخروج وخرجت من البيت إلى الطريق العام والأولاد يلعبون ويقفزون في الساحة فلم تعر انتباها لهم واستمرت تسير من ممشى لآخر حتى وصلت إلى الطريق الذي يصعد التلة المجاورة وقامت بصعودها وعند قمتها وقفت تنظر إلى المدينة ومبانيها العالية ، وأصوات السيارات تبدو من بعيد كأنها تنين يلفظ نارا كانت

تعلم وهي تنزل التلة أو هكذا تصورت أن البنك ليس بعيدا وأنه سيعطيها ما تريد فهي بحاجة ماسة إلى المال فالمال موجود للمحتاجين والمال في البنوك وما عليها إلا الذهاب إلى البنك القريب لتحقيق هدفها وعند نهاية التلة سارت مسافة لا بأس بها قبل الوصول عبر طريق يسلكه الناس عادة وهم يذهبون إلى المدينة إلى أول الشوارع في المدينة ، فرأت الشوارع الفسيحة والسيارات المسرعة تذهب يمينا ويسارا والناس تمشي نحو اليمين ونحو اليسار كأنهم في عجلة من أمرهم . كما رأَت العمارات التي تناطح السحاب ، وقالت في نفسها :

لا بد أن يكون البنك في أحد هذه العمارات . ولا بد أن أسأل عن مكانه . أنا متأكدة لو وصلت إلى البنك فـ'نه سيعطيني المال اللازم ... أأست فقيرة أحتاج نقودا لقد قالت صديقتي يوما أن البنوك فيها نقود كثيرة وأنا مصممة على الحصول عليها من أجل دواء أمي ... وأعتقد أن أمي ستكون سعيدة حين تعرف آه أنا فخورة بنفسي لأنني أحاول مساعدة أمي

أكملت سميحة مسيرها وانتظرت السيارات المارة قبل قطع الشارع الواسع وكلما حاولت العبور سمعت زامور السيارات فتعود إلى مكانها وبعد عدة محاولات خلت الطريق من السيارات لبرهة استطاعت أن تعبر الطريق وتتجه إلى المبنى الضخم أمامها وكان على باب المبنى حارس يجلس على مقعد طويل وهو يشرب الشاي ، فتقدمت منه سائلة بصوت خفيف يكاد لا يسمع :

أين البنك يا عم ؟ فنظر حارس العمارة ليجد فتاة لم تتعد السنة السابعة فقال متعجبا وماذا تريدين من البنك ؟ أريد أن أحصل عل نقود .

ولماذا تريدين النقود ؟ شعرت سميحة بالحرج من أسئلة الحارس ومع ذلك أرضت غروره قالت :

وهل هذا يهكم في شيء ؟

لا لا ولكني فضولي أحب أن أعرف وأنت طقلة بريئة أريد مساعدتك . في الحقيقة ... أريد النقود من أجل من أجل أمي وما لأمك ؟ هل هي مريضة ؟

نعم هي مريضة جدا .

على كل حال ليس المصرف بعيدا انظري إلى تلك العمارة الخضراء ... اتجهي إلى اليمين فتجدين بجانبها عمارة أخرى وهناك يوجد مصرف كبير لا أريد مصرفا ... أنا أريد بنكا

نعم المصرف هو البنك يا بنتي

فشكرته واتجهت إلى العمارة الخضراء ثم اتجهت نحو اليمين فرأت مدخلا زجاجيا واسعا ، فقالت في نفسها : لا بد أن هذا هو البنك . ها قد وصلت يا سميحة قالت تحدثت نفسها ... دقات وتحصلين على النقود تحاول الدخول فترطم برجل خارج من المصرف وهو يعد النقود وتتطاير النقود من يديه وتقع سميحة على الأرض الرخامية وتحاول سميحة أن تقوم لمساعدته على جمعها وهي تقول : أنا أسفه يا عم ! والله لم أقصد ... فيبادرها الرجل وهو في الخمسين من عمره :

ما لك يا بنية ألا تفتحي عينيك؟ فنظرت إلى الرجل نظرة استغراب ولكنها أخذت تجمع النقود عن الأرض وتعطيها للرجل الذي يتعكز أمامها على عصاته وانتهت من جمع الأوراق المالية ودفعتها إلى الرجل وهي تقول:
أنا أسفة يا عم ! فأنا أفكر في أمي

وما بال أمك؟ ما لها؟

أمي مريضة وتحتاج نقودا للذهاب إلى الطبيب ...

نظر الرجل المتكيء على عصاه وهو يضع النقود في جيبه وقال :

هل لكم حساب في البنك؟ صدمت سميحة بالسؤال ماذا يعني هذا الرجل؟

أقصد هل لكم فلوس في البنك هل لكم حساب جاري حساب توفير ...؟

حساب جاري توفير وانتظر الرجل جوابا ، واحتارت سميحة في الإجابة فهي لا

تعرف سوى أنها ستحصل على النقود من البنك . ثم أعاد الرجل سؤاله:

نعم هل لكم حساب في البنك؟

لا أعتقد أن في البنك نقود وأمي وأنا بحاجة إليها فنحن فقراء نعيش خلف التلة

والبنك يوزع النقود على الفقراء وهو سيعطيني النقود من أجل أمي .

وتركت سميحة الرجل ودخلت البنك فاتجهت إلى رجل يجلس خلف مكتب وأمامه شبك

زجاجي ، فاقتربت منه وهي تحاول الوقوف على رؤوس قدميها لتصل إلى الدائرة المفتوحة

في الشباك الزجاجي ، وقالت هامسة :

أريد نقودا . فنظر إليها الرجل قائلا :

ماذا تريدين ارفعي صوتك قليلا ، فقالت هامسة :

أريد مالا، فقال الرجل :

أين دفترك ... دفتر الحساب ...

أمي مريضة وأنا أريد من البنك نقودا لمعالجتها ..

هل لكم حساب أين دفتر الحساب؟

دفتر ماذا تعني أليس هذا هو البنك الذي فيه النقود ... ويعطيها للناس كلما أرادوا؟

نعم ... هذا هو البنك ولكنه لا يعطي إلا لمن لهم حسابات . فهل عنك حساب غي البنك؟

وقفت سميحة للحظة كسيرة الخاطر فقد طارت أحلامها فجأة وتبددت أهدافها في

الحصول على المال ... فليس عندها حساب حتى أنها ليس لها حساب في البنك
ماذا أفعل إذن ... أريد منك نقودا من أجل علاج أمي . فقام الرجل عن كرسيه ينهزها قائلا:

هيا اخرجي من المصرف فهذا مصرف للأعمال وللناس الذين لديهم حسابات وليس

للسحادين فقالت تدافع عن نفسها بعزة وكرامة :

أنا لست شحادة أريد المال حالا ... فالبنك يعطي المال للفقراء والمحتاجين

هيا ... اخرجي من المصرف وإلا سأنادي الحراس يرموك في الخارج ...

وعندما تأكدت سميحة بأنها قد خاب ظنها وأنها لن تحصل على ما تريد من النقود التي أتت

من أجله خرجت بخطى متثاقلة بطيئة نحو الباب الزجاجي الواسع وما أن خرجت عبر

الدرجات نظرت يمينا ويسارا والأسى يبدو على وجهها ماذا ستقول لأمها ! فهي لم

تخبرها بما عزمت عليه وما ستقوم به لمساعدتها ستصرخ أمي في وجهي وقد

تضررتني كان الله في عوني وبعد أن نزلت الدرجات توجهت إلى اليسار عائدة من

حيث أتت وهي تجر أسباب الخيبة والرجاء تتأسى على نفسها وتشعر بالأسى لعدم

تحقيق هدفها وهي تردد ... حساب ... حساب ... حساب توفير ... وما أن مشيت بضعة خطوات حتى شعرت بيد تربت على كتفها ... فنظرت إلى صاحب اليد ... فإذا به الرجل الذي صدمته قبل قليل أمام باب المصرف
ها هل حصلت على النقود ؟
..... ! نظرت سميحة بدون جواب :
ليس لديكم حساب في البنك !
وأومات سميحة برأسها ودموعها تنترقرق في عينيها
- لا، قالتها وهي تمسح دموعها بيدها ،
لا بأس عليك ما اسمك يا بنية ؟ ترددت سميحة في قول اسمها ... ثم قالت :
اسمي سميحة
اسم جميل يا سميحة انظري سأقدم لك شيئاً فهل تقبلين ؟
لا قالت أُمي أن لا أقبل شيئاً من الغرباء .
أنا لست غريباً فأنا الحاج سليمان صاحب المحل الكبير الذي على يسارك فما رأيك ؟
رأيي في ماذا ؟
سأطلب الطبيب ليأتي معك ويرى أمك أليس هذا ما تريدين !
نعم ولكن ليس معي نقود أعطيها للطبيب .
لا تقلقي بشأن النقود .
ثم دخل الحاج سليمان المحل الكبير على اليسار واتجه إلى طاولة عريضة عليها تلفون
ثم قام بعدها يشير إلي أن أتبعه قائلاً :
تعالى أريد الحديث معك ، فترددت في ذلك ، ولكن ثقّتي في الرجل جعلتني أتبعه إلى الداخل .
وخرجنا بعد عشر دقائق أو ساعة ، لا أدري ، فقد كنت مرهقة جسدياً، ولكن الحج سليمان بادرني بقوله :
اجلسي يا سميحة . الآن سأتصل بالطبيب .
وجلست سميحة على الكرسي الواسع وقام الحاج سليمان برفع سماعة الهاتف فيدير قرصه حوالي خمس مرات
ألو دكتور سامي ...
وانتظرت سميحة وبعد دقائق كان الدكتور سامي أمامها وهو يقول :
أيه يا حاج خير إن شاء الله ...
كانت دهشة أُمي لا توصف وأنا أدخل عليها ومعى الطبيب ثم حدثتها بكل ما حصل معي .
فقالت الأُم :
الدنيا ما زالت بخير يا سميحة . الحمد لله .
فقالت سميحة في سرها: " أه يا أماه لو تعلمين الثمن الذي دفعته مقابل ذلك الخير .

ذكاء امرأة : قصة قصيرة

Intelligent Woman: Short Story

Hasan Yahya

كان الثلج يغطي الأرض ، وتنبئ الأجرء بالمزيد ، وميشيغان مشهورة بطقسها الشتوي المتقلب ، خاصة في فترة رأس السنة وأعياد الميلاد ورأس السنة ، بينما كان ريتشارد وزوجته ديبى شانغلر يشاهدان برنامجا تلفزيونيا وهما يشريان البيرة ، في بيتهما الواقع فقام الزوج لشأن في نفسه ودخل إلى الحمام ، وبعد لحظات وكانت الساعة العاشرة تماما ، سمعا جرس الباب فأغلقت الزوجة التلفاز وقامت تتجه لفتح الباب ففوجئت بشاب ملثم يغطي وجهه بغطاء كثيف يكشف عينيه وفمه فقط ، يدخل بسرعة ويغلق الباب ، وكان ضخم الجثة مقارنة بحجم الزوجة وهو يوجه إليها مسدسا ويقول هامسا لكن بقوة وبسرعة : هل أنت وحدك هنا ؟ أين زوجك ؟ ولا تقومي بسخافات تؤدي بحياتك . فقالت الزوجة وهي ترتجف:

لا تطلق النار ، زوجي في الداخل .
ناده ليخرج ، فنادت على زوجها . فدخل زوجها ورأى الرجل يوجه سلاحه إلى رأس الزوجة ، فاقترب منه يريد مهاجمته ، فوجه الرجل المسلح المسدس نحو رأس الزوجة وقال : لا تحاول ؟ وإلا فرغت مسدسي في رأسها ، فترجع الزوج وهو يقول : لا تؤذيها ، ماذا تريد منا ؟

خذ هذا الحبل وقيد يدي زوجتك أولا ، فأخذ الزوج الحبل وبدأ يربط يديها أولا وحاول عدم شد الرباط حتى لا يؤذي يديها ، ثم ناوله الرجل المسلح لاصقا وقال:
ضع اللاصق على فمها ، فلا أريد أن أسمع صوتها . فقام الزوج بذلك . ثم أخرج الرجل المسلح من جيبه حبالا آخر وقال:

ضع المعطف على زوجتك ، وهات لها الكفوف ، وكانت على الطاولة بجانب الباب ، وبعد أن وضع المعطف على
والآن قيد قدميك ويديك بالكروسي الذي خلفك ، ولا تحاول أن تبدو شجاعا فتفقد زوجتك ، فقام الزوج بتقييد قدميه ويديه على الكروسي ، والآن ماذا تريد منا؟
أريد منك نصف مليون دولار ، تضعها غدا قبل العاشرة صباحا في برمبل بلاستيكي أمام مكتب البريد القريب من السوبرماركت ، وإذا أردت زوجتك فلا تبلغ البوليس .
أين ستأخذها ؟

سأطلقها غدا بعد الظهر وسأبلغك بالمكان ، وقام بشد الزوجة خارجا وهو يصوب مسدسة نحو رأسها . ثم خرج خلفها وأغلق الباب ، ثم قادها إلى سيارة قريبة فتح بابها ودفع المرأة إلى الداخل ، ومسدسه مصوب نحوها كل لحظة ، ثم قام بتشغيل السيارة واندفع عبر الشارع واختفى .

قام الزوج فورا بفك رباطه بسهولة وتحرك من مكانه ببطء شديد ، وعاد يجلس على المقعد وفتح جهاز التلفاز ولم يتصل بالشرطة .
وفي الصباح خرج الزوج إلى البنك ليحاول جمع المبلغ من مدخراته ومدخرات زوجته للتقاعد ومن حسابهما المشترك ، وما أن حصل على ذلك ، حتى أرسل المبلغ إلى حيث أخبره الرجل المسلح ، ثم عرج على ديبى التي كانت تنتظر قدومه ، أهلا ريك .

ديبى ، عندي أخبار حسنة لك ، وما هي ؟

أعتقد أن لأمر ستتحسن ، وكانت تلبس ملابس شفافة تبين محاسن جسمها فقالت:
هل تشرب شيئاً ، قال :

لا ، فليس لدي وقت ، فذهبت إلى غرفة النوم فتبعها ، واقترب منها ريتشارد كانت رائحة
عطرها تعطر أنفه فأحاطها بذراعيه ، ويقول:
رائحة العطر أخاذة فما نوعه ؟ فقالت:
أهي جميلة ، بويسون يعني سم ، وكانت تجلس على السرير ، فقبلها ونام معها ولبس
ملابسه وخرج .

عاد ريتشارد إلى عمله في الشركة قبل فسحة نهاية الغداء ، وكان شيئاً لم يكن ، وحوالي
الساعة الرابعة عاد إلى البيت ينتظر ، وبعد ساعة وكانت حوالي الخامسة بعد الظهر ، قرع
جرس الباب ، وفتح الزوج الباب ودخل بوب، وبادرة بقوله :
هل جننت ؟ ماذا لو رأك أحد من الجيران ؟
لن يراني أحد في هذ الجو العاصف ، اطمئن .
هل تركتها ؟ وأين تركتها ؟
في بيك أب تراك في استراحة هاويل – طريق هاي وي 96 .

وخرج بوب ثم جلس الزوج ومدد رجليه أمامه مرتكزا على الطاولة ، وفتح جهاز التلفزيون
يشاهد البرامج . وبعد ساعة لبس معطفه وكانت الساعة حوالي الخامسة ، ووضع قفازاته في
يديه ، وخرج فساق سيارته إلى طريق 96 واتجه إلى هاويل ، وبعد نصف ساعة كان في
الاستراحة ، فأوقف سيارته على بعد من المبنى ، بجانب سيارة تراك – نوع فرد مغطاه
بالثلوج ، ونزل من سيارته وهو يتطلع يمنة ويسرة واتجه نحو التراك يبحث عن الزوجة ،
وفتح الباب ، ونظر فإذاهي ملقاة على الأرض بدون معطف ، فاقدة الوعي ، فناداها فلم تسمع
، وحركها فلم تبد حركة ، وكانت شبه متجمدة ، فنزل من السيارة وذهب إلى التلفون العام
واتصل بالإسعاف 999 ، ثم عاد أدراجه إلى بيته ، وبعد ساعتين رن جرس الهاتف ،
ألو ، منزل جرينسون ،
مستر جرينسون ، زوجتك في مستشفى هاويل ، في العناية المركزة .

فأخذ سيارته وتوجه إلى المستشفى ، وبدأ يتذكر فهو يعيش مع زوجته في ديفيد هايتس إحدى
نواحي ديترويت ، وزوجته ابنة رجل أعمال غني يملك مصانع وشركات وسندات وأسهم
بالملايين لا تأكلها النيران ، وهي في الخمسين وهو يكبرها بسنتين ، يعيشان معا دون أن
يستفيد من أموالها وأموال أبيها وهو يعمل في إحدى شركات والدها الذي تقاعد بع أن تعدى
الثمانين ، وانتقل إلى مؤسسة طبية للقيام برعايته ، والوقوف على شؤونه ، وقليلاً ما كان
ريتشارد يزور أبا زوجته ، وفي آخر مرة ، كان يتحدث معه عن الشركات والميراث الكبير
الذي سيؤول لابنته بعد مماته ، وكان ريتشارد يساعد أبو الزوجة على تناول طعامه ، وقبل
خروجه ، نظر الزوج إلى الأب قائلاً:

أنا ذاهب الآن فهل تريد شيئاً ؟

أنت شيطان ، ريتشارد ، وهز رأسه .

وعند وصوله إلى المستشفى طلب أن يرى زوجته ، فدخل غرفتها وإذا بها تنفس بشدة ،
وهي تقول ،

لقد انتهى الكابوس ، ولكني كدت أموت من البرد ،
حمدا لله على سلامتك ، ونظر خلفه ، ثم أعاد نظره إليها قائلاً:

هل سبب لك الأذى ابن الكلب ؟

لا ! فقد كان إنسانا مسالما ، فقدم الزوج منها وقبل جبينها ، وقال بصوت خافت :
الحمد لله على سلامتك ، انتهى الكابوس ... انتهى الكابوس .

وجاء الطبيب وقال :

السيدة محظوظة فقد كادت تتجمد في الثلج ، ولكنها قوية وصحتها جيدة ، و يمكنها الخروج
الليلة . ويدخل رجل من الشرطة فيسأل السيدة جرينسون: هل تقولين لنا ما حصل بالضبط .

فقال الزوج : إنها مرهقة ولا تستطيع الإجابة الآن . فأشارت الزوجة قائلة ،
لا بأس ، لا بأس ،

وبعد ساعة كان الزوجان في طريقهما إلى ديترويت ، وفي الطريق لم يتحدثا في السيارة فقد
كانت الزوجة مرهقة ، والزوج يفكر في الزوجة ، فهو لم يسمع ما جرى بينها وبين المحقق
الذي طلب رؤية السيدة على انفراد ، فنظر إلى زوجته يريد أن يعرف شيئا فقال:

كيف حالك الآن ؟ نظرت إليه وقالت بعيون متعبة:

أحسن ! ثم تجرأ الزوج وسأل:

ماذا قلت للمحقق ؟

أخبرني عن اتصال شخص بالإسعاف ، والإسعاف بلغوا الشرطة ،

من وجدك ؟ وأين ؟

قال الشرطي وجدني عابر سبيل بجانب المكان . وقال الزوج يحاول التأسف:

كنت أنتظر أن يتصل بي المسلح مساء ، وانتظرت دون جدوى ، وحين رن جرس التلفون
ظننته هو فإذا به من المستشفى . ونظرت الزوجة إليه دو أن تتطق . ولم يقل الزوج كلمة
أخرى بعدها ، ومكثا ينظر كل منهما للأخر وكان كلا منهما يفحص الآخر .

كان ريتشارد رجلا له علاقة مع زبونة في البنك تدعى سندي ، وقد كثرت لقاءاتهم ، وفي
يوم من الأيام دعتة إلى بيتها ، وتوثقت علاقتهما ، وعرف أن سندي لها أخ في الجيش ،
اسمه بوب ، وعمره ستة عشر عاما ، وهو يأتي كل أسبوعين لزيارتها ، ويقضي يوما أو
يومين ، وقد عرضت سندي على ريتشارد أن يتعرف على أخيها ، فأخذ معها موعدا ،
وتعرف عليه ، شاب ضخم الجثة ، ولكنه طفولي الوجه بعينيه الزرقاوين ، وقد تكررت
لقاءاتهما في بيت سندي وحصل بينهما تودد واعتراف بالفضل ، فريتشارد يعد سندي
بالزواج وقد مضت ستة عشرة أشهر على معرفته بسندي . ومنذ أن توثقت علاقتهما بدأت
سيندي تخبره فيما لو حملت فما سيكون رد فعله ، فرد عليها قائلاً:

صحيح ، تريدين الحمل ؟

ولم لا ! فأنا أريد طفلا منك . وأنا أحبك . فنظر إليها نظرة عطف وحنان ، وهما على المقعد
الطويل في الصالون فقدم منها شفتيه وراحا في قبلة طويلة ، ثم قالت :

ما رأيك في تمرين سريع قبل العودة إلى مكتبك ، فمزال معك ساعة . وبدأت تفك أزرار
قميصه ثم أزرار بنطلونه وساعدها على التخلص من ثيابها هي الأخرى ، ونال منها ما شاء ،
ثم غادر المكان .

وينظر الزوجان فنلتقي نظراتهما ولكنهما لا يتكلمان ، ويعود ريتشارد إلى النظر أمامه ، وكانت الثلوج تتساقط بغزارة ، وكانت سرعته لا تزيد على عشرين ميلا في الساعة ، وفجأة عاد ليتذكر ذلك اليوم ، حين طلب بوب مقابلة ريتشارد ، والتقىا في مطعم أوليف جاردن في الجهة الأخرى من المدينة .

أنت تعرف ما فعلت ، وأختي الآن حامل في شهرها التاسع ، وتحتاج بيتا واسعا يأويها كما تحتاج مصاريف كثيرة بعد الولادة .

أعرف ذلك ، فكم تريد في هذا الوقت ؟

حوالي مليون ، قالها وابتسم ابتسامة بريئة .

مليون ، أنت مجنون هذا مبلغ لا يمكنني تدبيره .

الطفل يريد بيتا جديدا ، وعيشة على مستوى جيد ، أليس كذلك ؟ فنفخ ريتشارد الهواء من فمه وهو يفكر ، ثم قال :

أستطيع تدبير مبلغ جيد ، قل : ام م م ، مائة ألف دولار ، فما رأيك . فطلب بوب من ريتشارد أن ينظر تحت الطاولة ، فنظر ريتشارد فوجد مسدسا موجهها إلى حيث يجلس ، ثم قال بوب :

لا تكفي ، ماذا لو قلنا ربع مليون دولار . فذلك ما يمكن جمعه بسهولة وأنت لك مدخرات مع زوجتك لا بأس بها ، فأنت الوريث بعد وفاة زوجتك . ثم وضع المسدس في جيبه الداخلية . فقال ريتشارد ،

ما ذا ؟ هل تنوي قتل زوجتي؟ لن أرث فلسا واحدا قبل موت أبيها ،

هل تقترح قتل الأب أولا ؟ فقال ريتشارد ،

لا . لا . ولكن دعني أفكر بطريقة للحصول على نصف مليون وليس ربع مليون .

وفي السجن ، قال لريتشارد أحد زملائه يسأله :

- ولماذا اعترفت بأنك الفاعل والمدير للجريمة ؟

لقد أنكرت ذلك بشدة ، فلم أخبرها ولكنها كانت أذكى مني !

كيف ذلك ؟

لقد كانت زوجتي تعرف عن علاقتي مع سندي ، وعن قصة حملها ، لكنها لم تقل لي شيئا ، وكانت لها خطتها ، فتطلع الزميل إلى ريتشارد واستفسر قائلا :

لديها خطة ! ماذا تقصد ؟

الكاميرا الخفية هي السبب ،

الكاميرا الخفية؟

فيعد حوالي أسبوع من العملية عاد ريتشارد من زيارة سيندي وهي في المستشفى الذي تضع فيه وليدها ، وقد أسموه بوب على اسم أخيها ، وبعد أن اطمان عليها تركها وعاد إلى بيته . وبعد أسبوع كانت تسكن في البيت الجديد الذي اشتراه لها ولمولودها .

ومرت ثلاثة أسبوعين على الحادث ، وفي مساء أحد الأيام ، طلبت ديببي من ريتشارد أن يجلس بجانبها ويسكب لها كاسا من النبيذ المعتق ، فقام الزوج إلى الثلاجة وجلب قنينة وسكب منها كأسين ، تناول أحدهما وناوله لزوجته ، وكانت تلبس ملابس شفافة وكأنها تحاول إغراءه ، فقالت له :

هل تحبني ريكي؟ فظنر إليها نظرة مليئة بالحب وهو يقول ،
وهل عندك شك ، طبعاً أحبك ، فأنت زوجتي .
هل تضحي بنفسك من أجلي ؟
وهل قصرت في شيء ، لقد حاولت الدفاع عنك ، ولكن المسدس ،
لم لم تبلغ الشرطة ؟
كنت خائفاً عليك من المسلح ، فقد قال أن لا نبليج البوليس ، وسلامتك كانت أهم عندي من كل
المال .
إذن أنت تحبني !؟
نعم وضع كاسه على الطاولة ثم اقترب منها وقبلها قبلة طويلة ، فدعته للذهاب إلى غرفة
النوم ، فقامت وتبعها ، وبعد أن انتهى من مضاجعتها ، جلسا على السرير وهو بجانبها ،
فظنرت الزوجة إلى الزوج وقالت:
خبرني ريك ، هل أنت من رأيت وجهه في هاويل ، وأنا ملقاة في السيارة ؟
لا . لا . لا .
هل أنت دبرت كل شيء ، ولكن الزوج ينكر ،
لا لا يمكن أن أفكر بذلك .
ليتك اعترفت بما قترفت يداك . فلو قمت بذلك ، فإني أسامحك ، وأعتقد أنك تكذب . ثم قالت
الزوجة وكأنها تداعبه ، هذه المكالمة ستنتهي ما بيننا ،
ألو قسم البوليس ، هنا ديبي شانغلر ،

وبعد ربع ساعة وصل البوليس ، فقالت لزوجها أمام البوليس :
أريد أن أريك شيئاً ، فقام الزوج يتبع زوجته ، فأشارت إلى السقف وهي تقول:
أترى تلك العين في السقف ، إنها كاميرا خفية ، اشتريتها من وول مارت قبل شهر وركبوها
دون أن أخبرك ، فهل ما زلت تتكر؟ إن الشرطة تعلم ذلك منذ صباح اليوم فطلبت منهم عدم
اعتقالك حتى أخبرك ، فقد تغايبت ونسيت أنني امرأة ذكية ، ولا يمكنك استغلالها طويلاً .

محمود وربيحة

Mahmoud and Rabeeha

محمود رجل في الخمسين من عمره ، وزوجته ربيحة عمرها أربعون عاماً ، تزوجا منذ
عشرين سنة ولم يسعفهما الحظ في تربية أبنائهما ، فما أن يأتي المولود حتى تبدأ المتاعب ،
ولا يستمر طويلاً فترفضه الحياة أو يرفضها ويموت قبل أن يصل السنة أشهر ، ولم يترك
محمود وربيحة أي وسيلة طبية أو شعبية أو سحرية إلا وجربها ، مرة محمود وأخرى
ربيحة ، وكلما فرحا بمقدم الولد أو البننت لم تدم فرحتهما فسرعان ما يطويها عزرائيل بمنجله
، وقد طمأنهم عدد كبير من رجال الدين والنساء الطاعنات في السن أن الأطفال طيور من
طيور الجنة ، وأنهم سيكونون وسطاء عند الله للرفقة بوالديهم ، ورغم هذه التطمينات كانت
الرغبة في الأطفال تزيد مع الأيام ، خاصة عند ربيحة ، فمحمود كما يقال ، مقطوع من
شجرة وهو الباقي من ذكور أسرته وكان هم ربيحة كالدين هم في الليل وذل في النهار .

وعاش محمود وربيحة طيلة السنين وهما يأملان أن يمن الله عليهما بالخلفة الصالحة . فأولاد الحيران والإخوة كبروا وتخرجوا من مدارسهم ، ومحمود وربيحة يتحسران على أولا دهما ويتأملان خيرا .

كان محمود رجلا صالحا ، وزوجا حنونا ، لم يقم بما يغضب الله أمام الناس ، وجميع الناس من حوله يشهدون له بذلك ، فهو مثال الرجل القانع بحياته وبما قسم الله له ، وقد خدم أهل القرية طيلة هذه السنين دون ملل أو كلال . وكان رجلا عطوفا لزوجته ، فلم يسمعها يوما تأنيا ولا هو ناء عليها باللوم لحالتها تلك ، وقد طلبت منه أن يفكر بالزواج ، ورددت أكثر من مرة أنها تعطيه الإذن بالزواج بامرأة أخرى غيرها ، ففعل الله بزرقه بولد يسنده ويسندها عند كبرهما ، وحينما ألحت عليه يوما ، أبى وقال: افرضي أن الحالة تكررت مع الزوجة الجديدة فماذا يكون موقفي ؟ فشجعت ربيحة على التفكير والمحاولة ، وبعد إلحاح شديد منها ، طلب منها أن تبحث له عن بنت الحلال ، عروس الأمل ، بشرط أن تختارها هي بمعرفتها . فرشحت له خديجة بنت الحلاق ، أخلاقها طيبة وأبوها رجل طيب ومحترم ، فلما لم تجد منه تشجيعا بإبداء رغبة أو مهلة للتفكير ، قامت بترشيح ابنة اللحام ، وإن كانت مليئة الجسم قليلا ، إلا أنها ضحوة وأخلاقها طيبة ، وأمها صديقة ربيحة ، الروح بالروح كما يقولون . وأبوها معروف بكرمه وعطفه على الفقراء والمحتاجين أيام الأعياد ، فلما لم تجد منه رغبة ، وضعت يدها على جبهتها وأطرقت تفكر ، وتفكر ، وتفكر ، ثم جاءت الفكرة فقالت: إن الفتاة التي سأرشحها لك الآن لن تستطيع رفضها . ولكن عيبها الوحيد أنها صغيرة السن فهي لم تتعد الثامنة عشرة من عمرها ، وقد تخرجت الصيف الماضي من المدرسة الثانوية ، ووجهت كلامها لمحمود : فما رأيك يا محمود ؟ فأطرق محمود برأسه قليلا وكأنه يفكر بالفتاة المقترحة ، ثم قال: لا يوجد في الحارة فتاة بهذه الأوصاف سوى فتاة واحدة ، لا ! لا يمكن ! لا ! لا ! ، فقالت ربيحة : بل نعم .. ثم نعم .. ما رأيك بفلاح بنت إمام المسجد؟ فابتسم محمود ابتسامة الرضا ، ولكنه سرعان ما قطب جبينه ، وبان عليه الهم ، فقال: لا .. لا .. فإن أباهما لن يقبل بي ، وسيرفض زواجها مني . فقالت ربيحة تطمئنه: دع الأمر لي .. ألا تريد زوجة تحفظك وتعيش معك ومعى كما نشاء ؟ وأنا أعرفها ، فهي فتاة خجولة وتكن لي احتراما وتقديرا فائقين . فقال محمود: نعم .. هي فتاة ممتازة وصيبة ، لكن يا ربيحة .. بيني وبينها أكثر من ثلاثين عاما ، هل نسبت ذلك ؟

فقالت ربيحة: لا ! لم أنس ذلك ! ولكن والدها رجل تقي ، لا يهمله فرق العمر ولا يتطلع لمال أو جاه ، فهو رجل متواضع جدا ، وكل همهم أن ستر ابنته بالحلال . ثم أكدت من عزميتها وجدة بحثها قائلة: أعتقد أنه سيوافق على طلبك ، فأنت صديق صباه ورفيق دربه طيلة هذه السنين ، وليس عنده عذر يرفضك من أجله ، فتوكل على الله .

ومضى أسبوعان على محادثتهما تلك ، ولم يفتح محمود ولا ربيحة الموضوع سواء من قريب أو من بعيد . وعاد محمود من عمله يوما ، فلقىته ربيحة أمام الدار وهي تبتسم ابتسامة عريضة ، فقال لها : خير إن شاء الله يا ربيحة . - مبروك يا محمود .. جاءك السعد .. يا عريس الهناء .

عريس .. وهناء .. يا ربيحة الأعراس تريد شبابا لا شبابا مثلي .
يا محمود أنت أكثر شبابا من كل العرسان الشباب ، وأنا أدرى بك .

ودخلا المنزل سويا .. ثم جلس محمود على السرير ، وبدأ يخلع حذاءه ثم قال:
أه يا ربيحة ! هاتي ما عندك .. قولني الأخبار بالتفصيل .

الأخبار قلتها لك .. إنها أخبار سارة يا محمود .. ألم يكن عندك شك بأن إمام المسجد سيوافق ؟

وما زال هذا الشك عندي . لا ! لا ! .. بعد اليوم تخلص من هذا الشك .
وما يجعلك تقولين ذلك ؟

لأنني قمت صباح هذا اليوم بزيارة دار الإمام ، وقد كان لزوجته الفضل في تطويع زوجها خلال الأسبوعين الماضيين ، وقبوله بك عريسا لابنته.

قال محمود يحثها على متابعة الحديث : كيف ؟ كيف كان ذلك ؟ فقالت ربيحة بثقة زائدة : لقد أبلغتني أنها وزوجها إمام المسجد قد وافقا على زواجك من ابنتهما . فهز محمود رأسه وتمتم بكلمات غير مفهومة تتم عن عدم تصديقه ، أو كمن يريد أن يصدق فلا يستطيع . فقالت ربيحة:

هذا ليس كلاما فقط . أتدري ماذا ناقشنا أيضا ؟
لا ! وهل كنت معكما ؟

لقد طلبا عدم دفع مهر إلا المستطاع ، وليس عندهم شروط .
وما هو شعورك يا ربيحة بعد موافقتهما؟

لقد بحثنا هذا الأمر من قبل . ولا داعي للعودة إليه مرة أخرى .

ولكن يا ربيحة الموضوع .. فأصرت ربيحة على جوابها: يا محمود .. انتهينا .. يا عريس الهناء .. فكر في مراسم الزواج الآن .

وما أن انتشر الخبر عبر قنوات الإعلام من خلال الجيران ، حتى هب أهل القرية يتحدثون ، وانقسموا بين مصدق وبين مكذب ، وبين راض وبين حانق أو غاضب ، ولم يخل مجلس بين زوج وزوجته ، أو بين فلاح وجاره ، أو بين أب وأولاده من التندر بقصة محمود وربيحة وابنة إمام المسجد . وأكثر الغاضبين كانوا من الشباب في القرية الذين تندروا بالقصة من باب الغيرة ، فالرجل مسن وهو على حافة القبر ، والفتاة صغيرة في عمر الورود . أين الشباب ؟ وقد تعدى الكلام والتندر بالقصة ببعض الشباب أن يتجهوا إلى والد الفتاة ، إمام المسجد ، علمهم يثنوه عن عزمه ، وعرضوا عليه أن يزوجها لشباب منهم ، فهم أكثر غنى ، وأصغر عمرا ، وأجل شأنا ، من العريس العجوز . ولكن الجواب على عروضهم جاء من إمام المسجد بشكل حازم ، فشكرهم على شعورهم واهتمامهم بالموضوع ، وقال: لقد أعطيت كلمتي ، وعلي أن أحترمها ، وأفي بوعدى .

مقتطفة من رواية محمود وربيحة للدكتور يحيى

الجريمة الكاملة : قصة بوليسية قصيرة

Perfect Crime: Short Criminal Story

وصل الخبر عبر الهاتف لدائرة البوليس بأن رجلا أخذ رهينتين وهددهما بالسلاح ، وكانت المكاملة من زوجة تبلغ عن زوجها الذي فقد عقله وهددهما بالسلاح ، وبعد دقائق كلف السرجنت في المباحث الجنائية بالمهمة ونظرا لاستعمال السلاح قرر رئيس قسم المباحث أن يتولى عملية إنقاذ الرهائن فهو مولع بالظهور أما الكاميرات بعد كل حادث ، وركب السرجنت ورئيسه سيارة البوليس وخلال دقائق كانا يترجلان من السيارة ، ولم تكن هناك

آثار لجريمة ، فالهدوء يلف العمارة التي جاءت منها المكاملة ، وكانت في الطابق الأول ، وسار الرئيس إلى الشجيرات القريبة من الباب واقترب من الشباك القريب فكانت الستائر تغطيه فلم يستطع مشاهدة أي شيء يستطيع تقرير ما يريد صنعه وكان قد طلب من مساعده السرجنت أن يدور خلف الشقة لعله يجد شيئا ، فنقر على الباب وقال :

بوليس ، إفتح الباب ، ولم يأت جواب من الداخل ، فرجع رئيس المباحث إلى السيارة يطلب مزيدا من العون ، فلعل الرجل المسلح يبدأ في المقاومة ، فعرض عليه السرجنت خطة وقال:

ما رأيك لو كسرنا الباب ، ودخلنا ؟

لا لا تحاول ، فالأمر يبدو أكثر من ذلك ، وهما يتكلمان ، سمعا صوتا ينادي من الداخل عبر السباك الذي أزيحت الستار عن امرأة موجه إلى رأسها مسدس وهي تصيح:

أنقذونا ، هذا المجنون سيقوم بقتلنا ، ثم انقطع الصوت وعادت الستائر تغطي الشباك ، وبعد قليل وصلت دفعة جديدة من رجال الشرطة وهذه المرة يحملون مدافع رشاشة وقنابل مسيلة للدموع ، ووجهوا أسلحتهم نحو باب الشقة جاهزين ينتظرون تنفيذ الأوامر ، وجاءت دارت في رأس رئيس المباحث فكرة فطلب من السرجنت إحضار الميكروفون ، وبد لحظات كان يمسك بالميكروفون فصاح قائلا :

المكان محاصر من جميع النواذف ، ولا أمل في النجاة ، سلم نفسك ، واعف عن الرهائن تسلم وانتظر ردة فعل من الداخل ووقف الجميع ينتظر ردة الفعل أيضا ، ولكن لم تبد أي بادرة كرد فعل ، واقترح السرجنت أن يخلع فريق الهجوم الباب للدخول وتخليص الرهائن ، ولكن طلبه رفض من رئيسة

وبعد لحظات سمعا صياحا في الداخل ينم عن رجاء أحد الضحايا وصوت امرأة تقول :

لا تقتلني ، أرجوك ، لا تقتلني . ثم انطلقت رصاصة وساد سكون بعدها ، فقرر رئيس المباحث بالدخول عنوة من الباب ، وقبل أن يبدأ بتنفيذ خطته ، قال له أحد رجال البوليس الذين تسمرت عيونهم على الباب:

لقد فتح الباب ، سيدي . ونظر الجميع نحو الباب ، وبعد قليل خرج الإبن أولا ، وما أن وصل قريبا من رئيس المباحث ، حتى رأوا الباب يفتح من جديد وتخرج السيدة التي بلغت عن الحادث . وبعدها دخل رجال الشرطة وأولهم بالطبع رئيس المباحث وخلفه السرجنت . كانت غرفة الصالة واسعة وهي متصلة بالمطبخ ، وفي الصالة مقعد طويل يجلس عليه رجل لا يتحرك وفي يده مسدس ، وفي يده الأخرى بقايا زجاجة عرق من نوع رديء ، وكأنه يشاهد التلفاز ، وبدأ السرجنت بالبحث في الثلاجة عن مشروبات فوجد زجاجتين مثل التي في يد القاتل ، وزجاجة فيها ثلثين من عصير الليمون . وذهب إلى مجلى المطبخ فوجد أن قناني الخمر المستعملة مغسولة غسلا جيدا ، وبقايا تفاحة فاسدة ، وعاد إلى الصالون دون أن ينطق بشيء . وقد كانت ملامح الجريمة حسب رأي رئيس المباحث تدل على أن الحادث محاولة انتحار ، فقد قتل الرجل المسلح نفسه بعد أن وجد نفسه محاصرا ، وحضر الطبيب الشرعي والمصورين ، وخرج رئيس المباحث وخلفه السرجنت ، وكان هناك عدد من الصحفيين ، وهذا ما اشتهر به رئيس المباحث بعد كل حادث فيظهر في التلفاز ، وبدأ يعلن انتصاره في القضية التي راح فيها المسلح نفسه ، وهو أمر طبيعي في حالات اختطاف رهائن . ووضعت حول المكان الشرائط الصفراء ، ثم نقلت الجثة إلى التشريح .

وفي مركز الشرطة أفادت الزوجة أن زوجها عاطل عن العمل منذ شهرين ، وهو يشرب كثيرا ، ونظرا لقلة النقود وغلاء الأسعار ، فقد زاد شربه وزاد غضبه من الحالة السيئة التي آل إليها ، وقد هددهم أكثر من مرة بالقتل ، وجاء الإبن وشهد بما قالت الأم ولم يزد عنها شيئا مهما ، وقام السرجنت بسؤال الجيران الذين أكدوا أن الرجل كان يضرب زوجته وكان صباحها يصل الجيران ، وفي الأسبوع الماضي وحده سمعا صريخا من الزوجة بعد أن ضربها زوجها بعضا ثقيلة ، وأكد الجيران على أن الرجل لم يكن سيئا فهو بلا عمل ، فلم يستطع الصبر على شطف الحياة ، وتم إطلاق سراح الأم وإبنتها من المركز ، وطلب منهما عدم العودة إلى الشقة ، حتى تنجلي الأمور نهائيا وجلس السرجنت لكتابة تقريره حول الحادث ، وقبل أن ينتهي يدخل الطبيب الشرعي فيطلب مقابلة رئيس المباحث فلم يجده في مكتبه ، فطلب من السرجنت أن يوافيه في المشرحة ، فقال السرجنت:

ما هذا الشيء المهم ؟ هل اكتشفت شيئا حول الجريمة ؟

أرجو أن تحضر فورا إلى المشرحة ؟

ولكن أعطني ولو إشارة عن اكتشافك ، فقال الطبيب الشرعي :

هل تذكر على أي يد كان القتل يوضع ساعته ؟ وخرج من المكتب متجها إلى الخارج .

وبعد ربع ساعة وكان السرجنت قد أنهى التقرير حول الجريمة ، هرع إلى المشرحة ، وهناك قال الطبيب:

الرجل لم تقتله رصاصة ، بالإضافة إلى أن هناك آثار سم في المعدة ، من السموم التي تستعمل للفران . وأنه لم يشرب كثيرا فقد كانت نسبة الكحول في الدم قليلة ، ولا أعتقد أنها تفقد الشخص أعضابه .

ولكن رئيس المباحث اعتقد جازما أن الأمر لا يعدو حادث انتحار ،

كان هذا رأي الرئيس بالأمس ، ولكن ما رأيك فيما أقول اليوم ؟

علي أن أسرع لإخفاء التقرير والحفر من جديد حول الحادث ،

وفي صباح اليوم التالي بدأ السرجنت بزيارة الجيران مرة أخرى عله يجد براهين تدعم رأي الطبيب الشرعي ، فلم يكن الجيران يهتمون كثيرا ولم يبلغوا عن شيء هام ، ولكن ملاحظة من أحد الجيران الذي قال :

لقد كان رجلا مسالما رغم غضبه ، ولا أعتقد أنه سيأخذ زوجته وإبنته كرهائن ، فزوجته امرأة قوية ، وقد أخبرني الأسبوع الماضي بأنه سيطلقها ويرحل عنها . فتأكدت الشكوك حول الزوجة ولكن بدون أي دليل ضدها ، ففتح باب الشقة من تحت الشريط الأصفر الذي يغلفها ، ودخل إلى المطبخ ، وتصور ما حدث ولكن بعين الشك هذه المرة ، وفتح الثلاجة مرة أخرى ، فوجد قنينتي الوسكي في المكان فأغلق باب الثلاجة ، وجلس مكان القتل ، وقد عرف أن القتل كان يوضع ساعته على رسغه الأيمن ، بمعنى أنه كان أعسرا ، ولكن المسدس كان بيده اليمنى ، وبدأ يفكر بقوة ويسأل نفسه ، ما هي الحقيقة وراء الحادث ، ولملم نفسه واستعد للخروج من المكان ، ولكنه فطن شيئا مهما ، فهو لم ير قنينة عصير الليمون . فاتجه إلى الثلاجة وبالفعل لم تكن زجاجة الليمون موجودة في مكانها ، فبحث في المجلى فلم يعثر عليها . فخرج مسرعا من الباب وبدأ بمغادرة المكان ، فلمحتة الجارة العجوز وسألته:

هل انتهيت من التحقيق ، لقد أثر موت الزوج كثيرا في الزوجة ،

لا لم ننته بعد ،
كانت الزوجة تبكي هذا الصباح وهي تقول لي ما حصل .
متى رأيتها ؟
قبل أن تأتي بدقائق ، حيث دخلت لتأخذ شيئا ، ولم تطل بقاءها في الداخل ، وخرجت وهي تكاد تبكي .
شكرا لك ، وعاد إلى الشقة بسرعة فائقة وبدأ يبحث عن زجاجة الليمون ، فلم يجدها في كيس القمامة وكان الكيس فارغا ، فخرج بسرعة من البيت إلى الشارع ، فوجد سيارة القمامة تهم بالنقاط كيس القمامة من أمام العمارة ، فصاح بالعامل ،
لا لا لا تأخذ هذا الكيس .

وتقدم إلى الكيس ونثر ما فيه على الأرض ، ولدهشته كانت زجاجة الليمون بمحتوياتها في الكيس ، فحملها وعاد إلى المكتب . وهناك وجد أن الرئيس لم يصل بعد ، فاتجه إلى الطبيب الشرعي وناولته القنينة . قائلا:
أعتقد أن الجواب على شكوكك هنا في هذه القنينة . وعاد إلى مكتبه فوجد رئيس المباحث يتلقى التهاني على حادث الأمس ، فطلب منه السرجنت أن ينفرد به ، وبعد لحظات معدودة خرج السرجنت من المكتب ، وبعد ساعتين كانت الزوجة والإبن في مركز الشرطة ، وبدأ التحقيق من جديد في الجريمة بعد أخذ بصماتهما للفحص .
فقد أنكرت الزوجة اتهامها بقتل زوجها ، وحاول الإبن التخلص من الإتهام ، ولكنه بدأ بالبكاء ، والمهمة بالقول:
لقد قلت لك ، ولكنك لم تسمعي ، فنظرت الزوجة نحو الإبن بغیظ واضح ، ثم نظرت إلى السرجنت ، ليس لديك أي دليل ، ونحن ضحايا في الحادث ولسنا مجرمين ،
لماذا رجعت صباح اليوم وقمت بزيارة المنزل ، وقد بلغت بعد العودة إليه حتى ينتهي التحقيق . وبهرت الزوجة بالسؤال ، عدت لأمر تافه ، ولكنني لم أمكث كثيرا ،
نعم ، فما رأيك بزجاجة الليمون ؟
وما ذا عنها ؟

ويدخل الطبيب الشرعي الذي يهمس في أذن السرجنت ، فينظر السرجنت إلى الزوجة وقال:
لماذا فعلت ذلك ؟ وكيف ؟ فنظر الإبن إلى أمه ونظرت الزوجة إلى الإبن ولم ينطق أحدهما بكلمة .

وفي الحديث عن الجريمة فقد ضاقت الزوجة ذرعا بالزوج العاقل عن العمل ، والذي يسأل عن نفود دائما لشراء الخمر ، ولكن كان عنده نقص في الكلس فكان يشرب الليمون مع الخمر ، واشترينا له بعض الأدوية التي كان يتجرعها كل يوم ، وأن الزوجة كانت تدس السم للزوج في مشروبه منذ أكثر من أسبوع ، أما يوم الحادث ، فقد مات زوجها وهو جالس على الكنبه ويشاهد التلفاز ، ففكرت في لعبتها لتثبت أن الزوج انتحر ، وحين فتحت الستارة وظهر المسدس من الشباك موجه إلى رأسها ، كان في الحقيقة في يد ابنها لأن الزوج كان ميتا منذ ساعة ، وحين سمعتم إطلاق الرصاص كانت تلك الرصاص موجهة إلى الزوج ، فهي التي قامت بإبلاغ البوليس حول قصة الرهائن وتهديد السلاح ، وقد أبدت أسفها لأنها نسيت غسل

القنينة ، وعادت في الصباح لرميها في كيس القمامة نظرا لأن القمامة ستجمع صباح اليوم ، فلم تقم بغسلها . وأعربت عن أسفها لأنها أشركت ابنها في الجريمة ، فلم يكن في رأسها سوى إنقاذ نفسها من جريمة قتل زوجها .
وعاد السرجنت إلى مكتبه ، وبدأ بتمزيق التقرير السابق وبدأ بكتابة تقرير جديد .

مسرحية فكاهية من فصل واحد

One Act Comic Play

Hasan Yahya

الملخص: سالم وزوجته يعيشان حياة هائلة ، كلها حب وإخلاص، ولا يقبل كل منهما الاستغناء عن الآخر ... تأتي رسالة إلى الزوج فيعجب لمحتواها فيقوم بدعوة صديقه المحامي للاستشارة الرسالة تحتوي ورقتان أحدهما لونها أخضر ، والثانية لونها أحمر ، وفي كل منها شرط ، الورقة الخضراء تطلب من الزوج أن يطلق زوجته ... والشرط الثاني أن يغير إسمه بإسم غريب وجديد ... فهل يقبل مقابل مبلغ ربع مليون دولار؟ وما دور المحامي الشاب الذي يعرض الزواج على ابنة سالم ... ؟ ومادور الزوجة التي تبادل زوجها الحب والاحترام والتقدير؟
الأشخاص:

سالم: أب محافظ له سمعة طيبة يحب زوجته ، ولن يقبل مال الدنيا للاستغناء عنها حسب المشهد الأول في تقديم علاقة الزوج بزوجه .
ياسمين : البنت

المحامي: شاب له سمعة طيبة أيضا في مجال عمله .

زوجة سالم: ناريمان بنت الحسب والنسب.

منذر : كاتب العدل ، ابن أخت الفقيد المليونير صاحب الرسالة.

المشهد الأول

أمام الستارة وقيل فتحها سالم وزوجته يسيران جنبا إلى جنب ، وهما يتبادلان حديثا غزليا ، عن حياتهما السابقة ، وشهر العسل ... وأيام ولادة طفلتهما التي أصبحت في مقتبل العمر شابة يتطلع الشباب للزواج منها)

الزوجة شيرين: فآكر يا سالم ، يوم ما جيت تخطبني بابا قاللك أيه...؟

الزوج سالم : وهل أستطيع أن أنسى ؟ لقد كان أبوك على وعي تام وعقله يوزن بلد وله في قلبي احترام كبير . (يغير نبرة صوته مقلدا الأب: "قل لي ياولد، إنت عاوز تتجوز بنتي ليه؟")

الزوجة : وقلت له ليه؟

الزوج سالم: (يضحك وهو يتذكر) أول ما خطر في بالي عن الزواج ، قلت له: هو الناس بنتزوج ليه يا عمي؟

الزوجة: يعني بدل الإجابة سألته سؤال!

الزوج: نعم . ما هو السؤال بحير.... فنظر إلي بدهشة وقال: (بنبرة صوت متغيرة) - أنا اللي سألتك في الأول. إنت عاوز تتجوز بنتي ليه ...؟ إيه اللي يخليك عاز تتجوز بنتي ؟

الزوجة: وإيه كان جوابك....؟

الزوج : بدك الصراحة ... أنا تغربلت في البداية واحترت في الجواب
 الزوجة: السؤال بسيط تقولوا بصراحة ... أنا بحب بنتك يا عمي ... وعاوز أطلب إيدها
 منك... والا تقولو ... أنا عاوز أتزوج بنتك عشان أنام معاها كل ليله ، ونعمل هكتك بكتك مع
 بعض ... أو تقولو عشان تدفي سريري يا عمي.....
 الزوج: بدك الصراحة ... هذا في الحقيقة معنى الزواج ... وقد خطر ببالي ... لكني خفت من
 ردة فعله فقلت له :

"شوف يا عمي... أنا سمعت عن بنتك وأخلاقها الكريمة وتربيتها الفاضلة ... وأنا عاوز
 أتجوز بنتك عشان عاوز أكون أسرة سعيدة فيها أولاد وبنات ينادوك يا جدو... وعشمي أنك
 تحقق مطلبي... وتوافق.

الزوجة : يبدو أن جوابك دبلوماسي ويرضي السامع، فماذا قال لك والدي...؟
 الزوج : هذا ما قاله أبوك... قال... (ابتسم وقال) (بنبرة مختلفة) (لم أسمع بسبب أفضل من
 ذلك يا ولدي... سببا للزواج . وهو سبب يدل على أنك شاب كفؤ لابنتي... بس أعطيني يومين
 أسأل البنت حسب الشرع .

الزوجة: أنا عارفة إيه اللي حصل بعديها ... لقد كنت زوجا مخلصا وأبا كريما طيلة حياتك
 ... فقد تعاهدنا في شهر العسل على أمور كثيرة ولكن أهم شيء كان هل ما زلت تذكر
 ما هو أهم أمر كنت تتباهى بأن تسمعي كثيرا من الأوقات.... كنت تقول لي:

الزوج: أذكر ... وهل أستطيع أن أنسى لقد كنت دائما أردد على مسامعك جملة من قرارة
 نفسي ... وهي: لو دفعوا لي مال الدنيا مقابل عينيك الحلوة معايا ، ما بستغني عنك .
 الزوجة: هل سمعت عن موت المليونير الذي لم يترك عيالا ولم يستطع تحقيق ما يريد. فقد
 كنت أفضل منه بكثير. فأنت تعلم أنه طلب الزواج مني ... ولكن أبي رفض طلبه .

الزوج: أه! أعرف ذلك ، بس راحت عليه ، شوفي أمواله ضاعت ، فهو لم يتزوج في حياته
 وكان يخيل على الناس ... رغم أنه لم يكن بخيلا على نفسه. وقد كنت في غاية السعادة
 بعد أن وافق أبوك .

الزوجة: وقد حافظت على وعدك وكنت زوجا كريما يسهر على سعادتي وسعادة ابنتي
 الوحيدة .

الزوج: وأنا ما زلت أقول: لو خيروني أموال الدنيا مقابل وجودك معايا لرفضت أموال
 الدنيا الزائلة

الزوجة : الله يخليك يا سالم

الزوج : الله يخليك ليه يا ياسمين يا حبيبيتي ... ويتعانق الزوجان وتفتح الستارة (ويخرج
 الزوجان من الجهة اليسرى من المسرح) .

المشهد الثاني: غرفة صالة كبيرة وعلى اليمين مكتب صغير وراءه كرسي، تدخل الخادمة
 وهي تغني أغنية شعبية – يما القمر عالباب ... عاوز أناديله ... يما أرد الباب ولا أغني له
 قوليلي فين الأحباب ... يما يما الأمر عالباب وهي تحاول تنظيف المكتب على
 اليسار ، وتضع الورد في وعاء على طاولة المكتب. تسمع جرس الباب فتتجه إلى الباب
 وتعود بعد قليل)

الخادمة: رسالة للأستاذ سالم. باين عليها رسالة مهمة لكن وين الأستاذ سالم؟ (تضعها على
 الطاولة في الوقت الذي تدخل الزوجة المسرح)

الزوجة: (تدخل الزوجة المسرح من جهة اليمين) تعالي يا سعدية ، اطلعي فوق ها تيلي الشال الأسود ، عايزة أروح أعزي في اللي مات الأسبوع اللي فات ، الخادمة: مين يا ستي ؟

الزوجة: هو فيه غيره مات المليونير ، برضه واجب نعزي أخواته . الخادمة : ستي ستي ... فيه واحد جاب رسالة للأستاذ سالم وأهي على الطاولة. تخرج الخادمة ، وتأخذ الزوجة الرسالة ، فتقلبها ، وتقول:

الزوجة: يا ترى مين اللي بعث هالرسالة أكيد رسالة مهمة ... أفتحها والا مافتحهاش (تقوم بحركة كوميدية) أفتحها والا ما أفتحهاش أفتحهاش وتضع الرسالة ثانية على الطاولة ... ويدخل الزوج من الخارج .

الزوج : (يقبل زوجته على خدها)، إيه شايكفك جاهزة على فين ، إن شائ الله ؟ زيارة مجاملة بتعرف إن المليونير مات الأسبوع اللي فات ، وكنت وعدت أخته بزيارتها للتعزية (تأتي الخادمة ومعها الشال ، ويجلس السيد سالم على المكتب فتقول له الزوجة:

الزوجة: على فكرة قبل ما أنسى ، جاتلك رسالة ، أقرأها قبل ما تتشغل. الزوج: لا تتأخري (وتخرج الزوجة ، والخادمة ويبقى الزوج سالم على المكتب، فيتناول الرسالة ويقلمها ، ثم يقوم ليقف أمام المسرح قبالة الجمهور ويفتح الرسالة وفيها طرت صغير وثلاث ورقات ملونة : بيبضاء وحمراء وخضراء ، فيتعجب ويقول بصوت هامس:

الزوج: أيش هالرسالة التكني كولر بالألوان . وأي ورقة أبدأ في قراءتها. أكيد البطاقة الصغيرة ، آه هناك تعليمات (فيقرأها بصوت هامس) تعليمات: وتحتها خطان، أولاً: إبدأ بالورقة البيضاء ثم الخضراء ثم الحمراء بالترتيب .

(وينظر إلى الورقات الثلاث ، ويعود إلى مكتبه ، ويجلس وهو يقرأ الورقة البيضاء ، في سره ، وبعد القراءة ، يقفز من مكانه ،) هو..... هو..... هو..... والله وصرت مليونير يا سالم أريد أن أتأكد مما قرأت (فيبدأ بقراءة الورقة البيضاء):

" إذا استلمت هذه الرسالة وقبلت الشرطين فيها ، فستكون من الأغنياء . وسيكون في حسابك مبلغ ربع مليون دولار لكل شرط. إقرأ أولاً الأوراق حسب الترتيب التالي : بعد الورقة البيضاء إقرأ الورقة الخضراء ثم الورقة الحمراء . ولا بد من تحقيق الشرطين معا حتى تحصل على كامل المبلغ . التوقيع : سين تاء قاف باء لام.

(وبعد الانتهاء من قراءتها يقوم بفض الورقة الخضراء ويقرأها في سره صم يحدث نفسه) هذا جنون لا لا لا هذا لن يكون ، (ويضع الورقة الخضراء جانبا ثم يتناول الورقة الحمراء ويقرأ ما فيها) فعلا هذا منتهى الجنون..... هل هذه نكتة ، أم ماذا ؟ من يريد أن يلعب معي هذه اللعبة الفذرة ؟ (وامتدت يده إلى الهاتف وقال:)

الزوج: يعقوب ، تعالي بسرعة... أنا عاوزك لأمر مهم جدا ... ضروري أشوفك حالا..... مسألة موت أو حياة لا تتأخر علي (وما هي إلا لحظات حتى دخل المحامي الشاب وهو يحمل شنطة صغيرة معه .)

المحامي الشاب: مالك ؟ إيه اللي حصل صوتك خوفني يا رجل فايه الحكاية ؟ سالم: تعال وسمع يا سيدي تصور.... تسلمت قبل قليل رسالة عجيبة.

المحامي الشاب: رسالة ؟ وهل هذا أمر غريب... فالرسائل تأتي كل يوم... أشمعى يعني هذه الرسالة؟

سالم: من رجل لا أعرف من هو.... ، فليس فيها توقيع . ولكن محتواها يدل على أن الأمر ليس لعبة .

الشاب كلامك يدل على أن الرسالة مرسله من مجهول؟

سالم : نعم ذلك ما أقصده ، ولكن المسألة ليس من أرسلها ولكن محتواها المحامي الشاب: وما محتواها ؟

الزوج : ربما تكون مزحة ... ولكنها مزحة ثقيلة تصور لقد استلمت رسالة قبل قليل ولكن بعد قراءتها ، قلبت كياني.... رأيت شيئا عجبا . فهي بالفعل مزحة ثقيلة . المحامي الشاب: رسالة ماذا تعني... لا أفهم منك شيئا ! هذا والله عجيب ... ولا أعرف من أرسلها.

المحامي الشاب: وماذ تقول الرسالة ؟ حتى جعلك تتعجب منها؟

سالم: خذ واقراء..... لقد أرسل لي أحدهم رسالة يمتحنني فيها خذ ... وإقرأ.

(يناول سالم الورقة البيضاء إلى المحامي الشاب فيأخذها ويقراً ما فيها بصوت عال)

المحامي الشاب: إذا استلمت هذه الرسالة وقيلت الشرطين فيها ، فستكون من الأغنياء . وسيكون في حسابك مبلغ ربع مليون دولار لكل شرط . إقرأ أولاً الأوراق حسب الترتيب التالي : بعد الورقة البيضاء إقرأ الورقة الخضراء ثم الورقة الحمراء . التوقيع : سين تاء قاف باء لام.

سالم : هل تعرف أحدا بهذه الحروف؟

المحامي الشاب: هذا عرض مغري... ولكن ما الشرطين المطلوبين.

سالم: خذ إقرأ (ويناوله الورقة الخضراء)

المحامي الشاب: هل هذه الرسالة حقيقية؟ ربع مليون ثروة ... أليس كذلك ؟

سالم: بالتأكيد ، فأنا لم أجمع في حياتك ربع ربع هذا المبلغ فأنا لا أؤمن بالمال وأحب السمعة الطيبة أكثر من المال...

المحامي الشاب: ولكن قل لي: ما هو الشرط الثاني الذي اشترطه عليك ؟

سالم: خذ إقرأ.... لقد طلب مني أن أغير إسمي (وناوله الورقة الحمراء)

(يأخذ المحامي الورقة ويقراً ما فيها...) ويبدأ في الضحك بصوت عال..... تشر... بل عر..... ندل. ويكمل ضحكة بهستيرية إسم عجيب لكنه أقل أهمية من الشرط الأول.

سالم: تصور يريد مني في الرسالة الخضراء أن أطلق زوجتي ، وفي الرسالة الحمراء أن أغير إسمي . وأن أنتحل إسماً لا يمكن قبوله بعد أن وصلت إلى هذا المركز الاجتماعي... وهذه شروط عجيبة .

المحامي الشاب: فهل تقبل بالشرطين حسب الرسالة لتكون مليونيراً يا مستر تشرزشر شرب رل ؟

سالم: لا تمزح معي ... فالأمر مهم ، لهذا أرسلت في طلبك ... وأريد مشورتك كما أريد منك النصيحة قانونياً واجتماعياً فأنا أعرف ما يدور في رأسك وأنت محام باهر ... وأريد مساعدتك

المحامي الشاب: تريد نصيحتي... دون أن أعطيك جواباً حاسماً

سالم: ما رأيك ... لوجاءت هذه الرسالة إليك ... فماذا ستصنع وأنت محام معروف في البلد ... وإسمك على كل لسان... فماذا تصنع ؟

المحامي الشاب: والله الأمر غريب.... ولكني غير متزوج ولكن فرضا دعني أبسط الأمر لك ... إذا أردت مشورتني إفرض واحد غريب في الشارع أعطاك خمسة دولارات فهل تقبلها منه وتشكره عليها ؟

سالم: بدون مقابل بالطبع لا .
المحامي: ستقول أنني لا أخذ نقودا من الغرباء . ولكن فكر جيدا الآن فإذا كانت عشرة آلاف دولار فهل تأخذها ؟

سالم: ليس بالضرورة أن أخذها . وسأفكر بالأمر ...

المحامي الشاب: فهل إذا مات وتركها لك في وصيته ، فهل تأخذها ؟

سالم: ولكن الأمر مختلف . والشروط صعبة التحقيق ، فماذا يقول الناس؟

المحامي : هل ترفض.... ولماذا ترفض؟ لأنك لا تأخذ عشرة آلاف تركها لك واحد غريب.

بالعكس ، يجب أن لا ترفضها . وسأخبرك عن الفرق بين الرجلين . الرجل حين يموت لا

يحتاج نقودا ، فالحصول على النقود لن يؤثر عليه ،

ثانيا رغبة الرجل الميت أن يعطيك النقود ، فالرفض يعني رفض الميت . وقبولك يعتبر شيئا

مقدسا لرغبة رجل ميت .

وأنت لن تقبل النقود من غريب وهو حي ، ولكنك تقبلها وهو ميت . وهو لا يهتم بموضوع

النقود بعد الموت . لهذا يمكنك الحصول على النقود بدون أسف أو ذنب .

سالم: لا لا أريد أن تضعها في تلك الصورة .

المحامي الشاب: حسنا أنا على يقين أنك لن تقبل . ولكن تصور الأمر بصورة أخرى ،

إفرض أن رجلا غريبا طلب منك أن تحلق نصف شعرك وتترك النصف الثاني ، أو تحلق

نصف شنبك وتترك النصف الباقي، أو تلبس تنورة نساء بدلا من البنطلون فهل تقبل مقابل

خمس دولارات ؟ سالم: بالطبع لا!

المحامي الشاب: لكن إذا كان المبلغ خمسون ألفا أو مائة ألف أو ربع مليون ، فإنك لن تتردد

في قبول الصفقة . أليس كذلك ؟

سالم : ولكن الإسم شيء مقدس ، عرفني الناس بهولا يمكن الاستغناء عنه ؟ فهو إسمي .

المحامي الشاب: ولكن الإسم الجديد إسم أيضا .

سالم : ولكنه ليس إسما عاديا، و عليك أن تعيش مع الناس ، فماذا سيقولون ، باع إسمه ببضعة

دولارات .

المحامي الشاب: ولكنها ليست بضعة دولارات ، فهي ربع مليون دولار . وتغيير الإسم مثل

العطس عند الأطفال ، بخمس دولارات ، تجعل الولد يعطس طول النهار ، لكن عند الكبار

المبلغ أكبر وهو مبلغ مفر بالفعل.....

سالم: دعك من النكات ، ليس هناك عذر لي لرفض المبلغ ، فهل تعتقد أن مركزي سيتأثر ؟

المحامي الشاب: بالعكس. لن يتأثر وسيقول الناس أنك عاقل جدا . وسيكون إسمك في كل

الصحف والمجلات ، وستكون قصة على ألسنة الرواة والأطفال والكبار .

هذا عن الإسم

المحامي الشاب: (يكمل ضحكه بصوت عال.... تشرشل عضنقر عرندل) فهل ستقبل بتغيير

اسمك إلى..... شرم برم تشرميل عرندل ... اسم موسيقي....

سالم: دعنا من ذلك وكيف عن الشرط الثاني.... والزوجة التي ليس لها ذنب في العملية

تدخل الزوجة ، فتسلم وتقول:
الزوجة: ها أنتم تتحدثون عني ما الأمر ؟

المحامي الشاب: (بوجه كلامه لسالم) هل تريد أخذ رأيها ؟
سالم: عن الإسم لم لا ؟

المحامي : (ينظر إلى الزوجة ويطلب منها أن تجلس وتستمع للقصة .) لو أعطاك واحد ربع مليون دولار واشترط عليك تغيري إسم عائلتك . فهل تقبلين ؟
الزوجة ماريان: ما هذا السؤال؟

المحامي الشاب: إفرضي إن واحد عرض عليك مبلغ ربع مليون دولار على أن تقبلي تغيير إسم عائلتك لإسم آخر. فهل تقبلين؟

الزوجة ناريان: والله قد أقبل أو لا أقبل ... وهذا يعتمد على الإسم الجديد.
المحامي الشاب: الإسم الجديد هو (يفتح الورقة الحمراء ويقراً) الإسم الجديد هو تشربل عرندل .

الزوجة : ماذا تقول..... تشريش عرنكش
المحامي الشاب: تشربل عرندل.

الزوجة : مقابل ربع مليون ، نحن الراحين ... فهل السؤال موجه لأحد في هذه الغرفة ؟
الزوج : نعم أتذكرين الرسالة التي جاءت قبل خروجك للتغزية ، فيها هذا العرض. فهل تقبلين العرض لو كان موجه إليك.

(تدخل الخادمة تقدم الشراب للمحامي ، وتقرب منها الزوجة وتقول لها)

السيدة : سعدية ، شو رأيك لة تغيري إسمك؟

الخادمة : ليش يا ستي ، إسمي مس عاجبك ... وأغيره ليه ... إسمي حلو واسم أبوي عبدالستار حلو ... أغيرهم ليه ... ؟

الزوجة : لكن إذا واحد أو واحدة عرضت عليك تغيري إسمك أو إسم أبيك ، مقابل مائة ألف دولار تقبلي....

الخادمة : كام ... كام ؟ مائة ألف جنيه مين المخبول اللي يقدم هذا المبلغ لتغيير إسم ؟

الزوجة : يعني لو عرضت عليك الفكرة ، فهل تقبلي ؟

الخادمة: وهل فيها سؤال.... أنا مستعدة لتغيير إسمي وإسم أبويا وإسم عائلتي ، مقابل مائة جنيه ، مش كام ، مائة ألف

الزوجة: يعني ، أنت تقبلين

الخادمة : طبعا وبدون تردد.

الزوجة : (تنظر إلى المحامي وإلى سالم) أظن أن معها حق ، فالإسم يمكن تغييره والتعود عليه مع الأيام . وهذا رأيي أيضا . وليس من الصعب إتخاذ إسم جديد ، مثل الإسم المقترح ، وأرجو أن يقبل اقتراحي .

المحامي الشاب: هذا رأي صائب منك ، فهو يشابه رأيي، (فينظر إلى سالم ويقول) ، ما رأيك يامستر تشربل تشردم. أعني يا سيد سالم ؟

سالم : كأن الأمر بسيط ، ولكن ماذا عن الشرط الآخر ؟

الزوجة : وهل هناك شرط آخر؟

الزوج: إنسي الأمر.... وسأنسى الأمر أنا أيضا
الزوجة: (تصر على معرفة الشرط الآخر): ما هو الشرط الثاني؟ فيعطيه الورقة الخضراء ، فتنناولها وتقرأ ما فيها) يا رباها هذا جنون ليس مثل تغيير الإسم فما رأيك يا سالم؟

سالم: أنا محтар والله ، وأعتقد أن الأمر كله لعبة قذرة ...
الزوجة: عليك التأكد من البنك ، فإذا كانت هناك مبالغ بإسمك ، فالرسالة ليست نكتة أو حيلة مدبرة ... فاعل صاحب الرسالة له هدف ... وليس بغير المال تحقيق هدفه.

الزوج: فهل تقبلين أن أطلقك من أجل ربع مليون دولار؟
الزوجة: والله المبلغ مغري جدا..... ويمكننا أن نكون أصدقاء بعد الطلاق .
الزوج لا أكاد أصدق أن الفلوس تعمي النفوس.... إلى هذا الحد... فهل توافقين على الشرطين رغم صعوبتهما؟

الزوجة: ولم لا؟ نصف مليون دولار مقابل شرطين بسيطين ، نحن الكاسيين.... وسنصيح أغنياء .. وإسمنا شربش كمرش ... شرندل شمندر ... أي إسم أحسن من إبن الملعون ... أو إبن الحرام تشربل شرندل إسم موسيقي.

الزوج: ولكن ماذا يقول الناس؟ وأنا في مجلس المدينة، ماذا سيكون موقفي....
الزوجة: لن يتغير ومعك نصف مليون دولار.... بالعكس ... ستكون الحكاية طريفة... بل طريفة جدا

الزوج: (يتناول التلفون ويتصل بالبنك ،)
المحامي الشاب: لم أكن أتوقع أن تقبلي بالطلاق. فالحب بينكما كان واضحا وقويا فهل للفلوس هذا الأثر.

الزوجة: بالعكس الفلوس جميلة وقد عشنا عشرين سنة متزوجين كفاية ... وسنبقى أصدقاء.

الزوج: (يضع التلفون ويهب واقفا ويتجه إلى المحامي وزوجته على يمين المسرح) الرسالة ليست مزحة هناك بالفعل مبلغ نصف مليون في حسابي... إذا وافقت على الشرطين (يرن جرس الباب وتتجه الخادمة لفتح الباب فيدخل كاتب العدل وموظف البنك، وهو ابن أخت المليونير) فيقول:

كاتب العدل: ما شاء الله ، الجميع موجودين وأنا أريد أن أكمل ما بدأه خالي قبل وفاته.
الزوج: وما دخل خالك في الموضوع نحن نناقش مسألة عائلية....
كاتب العدل: هذا صحيح ، وقد أبلغوني في البنك أنكم اتصلتم بالأمر ماشية كما هو مخطط... إذن وصلتكم الرسالة ،

الزوج: نعم وصلتنا ، ولكن ما أمر الرسالة بخالك
كاتب العدل: في الحقيقة معي رسالة أخرى ، إلى المحامي الشاب. وشرط ثالث ، لا تتم الصفقة إلا به . (يناول الرسالة إلى المحامي الشاب فيتناولها منه ، ويفضها بشرعة ، وإذا فيها فقط ورقة واحدة حمراء وذلك يعني تغيير إسم العائلة بنفس الإسم تشربل عرندل ، ومبلغ ربع المليون دولار)

المحامي الشاب: (يبتسم دون تعليق) ويرى الإبنة تأتي من الخارج ، فتسأل:
أرجو أن لا أكون قد قطعت على الأسرة حديثها ! أرجو أن لا يكون الأمر جديا !
الزوج : يا لها من سمعة؟ فهل انتهى الأمر وأقبل بالعرض مع الشروط؟

المحامي الشاب: عليك أن تخبر ابنتك ؟

أخبريها يا زوجتي العزيزة !

الزوجة: أبوك حصل على هبة اليوم وأصبح مالكا ، بشرط أن يغير إسمه مع كل أسف. ويطلق أمك ، لكن أباك لا يشعر بالاختلاف الكبير . وأن ذلك لا يهم كثيرا. فنصف مليون دولار جعلته يوافق.

البنيت: ياه.. والله شيء لا يمكن تصويره ، وما الاسم الجديد أماه ؟

الزوجة: أبوك يقول أن الإسم شرشر..... فسر لها... لن أتذكره بسهولة ..

الزوج: الإسم تشر بل عرن..... دل ، وأمك بالثلاث، طالقة .

البنيت : تنظر إلى الصديق وتقول له : أخبرني أنت عن الإسم ما هو ؟

المحامي الشاب: قاله أبوك قبل قليل. وهو الإسم المعروض علي أيضا بنفس الشرط.

الفتاة: ولكنه ليس إسما ، إنه فعل مضارع . وقد أعتقدت أنه إسم بني آدم . ما هو الإسم يا با يا ؟

تشريل عرندل يا بنت.

إسمي ناديا تشريل عرندل. ناديا تشريل عرندل ! إسم موسيقي! فهل نقوله بنفس الأسلوب ، تشريل عرندل

ومن صاحب هذا الإسم ؟

الزوج: يقال أنه إسم لعائلة قديمة كانت تسكن في الجبال . أليس كذلك ؟ وقد يكون مخترعا لأول مرة ... لا أحد يدري....

الزوجة تقول للبنيت: والآن يا بنية كيف ترين إسمك الجديد: الأنسة تشريل عرندل؟

لا أعتقد أنني أتصور نفسي بهذا الإسم ، ولكني ساقف أمام المرأة لوقت طويل أتدرب على سماعه ، حتى أعرف من أنا .

الأب: سيكون إسما والسلام، ولكن قضية الطلاق صعبة التحقيق. فأنا لا أقبل به . أما الإسم فأنت ستغيرين إسمك يوما ما . عندها لن يكون مهما إسمك السابق .

الإبنة: أه .. تعني بعد الزواج !

فلن يظهر تشرنوبل في الصحف يوم زواجي .

الزوج : يصح اقول ابنته : تشريل عرندل يا بنت.

البنيت: أه تشريل عرندل.. ولكن الصحف ستقول أن هذه العروس كانت فقيرة ، وأن إسمها قد تحول من الإسم الجميل نادية صالح إلى ... تشر شر كرنبل..... إسم جميل لعائلة محترمة.. سأعتاد عليه لا محالة ، ويفتح كاتب العدل... حقيته الصغيرة وفيها مجموعة أوراق وهو يقول:

هل وافقتم على العرض إذن ، فلا داعي للشرط الثالث....

الزوج: وما هو الشرط الثالث

إذا قبلتم بالشرطين فلا داعي للشرط الثالث... إلا في حالة واحدة. هي عدم قبول الطرفين أي أنت والشخص الآخر . فالشرط الثالث ليس شرطا إلا إذا رفض الشرطان ... فأرجو المعذرة للتعقيد ولا تنظرون لمظهري فقد كنت مشغولا ، فكما تعلمون أن ملابسي لا تأتي من أفخر المحلات في المدينة.

الزوج: ولكن لك السلطة في التصرف في هذا الأمر وهذا ما يهم ، فما الأمر ؟..... وكيف وصل الأمر إليك؟

الزوج: عفوا ! هذه زوجتي ... وهذه ابنتي نادية ... وهذا تعرفه صديقنا ... المحامي الشاب ...

كاتب العدل: هذا جميل ، وكأن الاجتماع مهم بالفعل ، خاصة من الناحية القانونية . أنا كاتب عقود يا سيده ... وقد تشرف كثيرون بكتاباتي لهم.

الزوجة : أعلم ذلك فقد سمعت أنك قدمت خدمات لعائلة

كاتب العدل: بالتأكيد هذا صحيح فالأعمال الرسمية هي عملي ...

الزوجة: أعتقد أنه ليس لنا أهمية أنا وابنتي ... فسندخل قليلا ... ونترككم لأعمالكم الرسمية ...

كاتب العدل: (يوجه كلامه إلى المحامي) ولكن أه تذكرت هل وافقت على الشرط في رسالتك وبدأ الصديق بالقراءة : هذا شيء عجيب ... نفس الرسالة بالنسبة للإسم والمبلغ أيضا ... فهل هي لعبة أم ماذا؟

الزوج : ولماذا يترك لنا هذه المبالغ إن كانت من خالك؟ فهل هذه لعبة منك أو منه؟ .

كاتب العدل: لا ليست مني ، وليست لعبة ، فالما موجود في البنك فعلا بشرط القبول للشراطين في رشسالي الأب والشرط الواحد بالنسبة لك.

المحامي الشاب: أنا أرفض ذلك ولا أقبله ... ولن أناقش فيه ... ثم خرج من الغرفة .

البنيت: ولكن يا أمي ... إفعلي شيئا ... فإني سأخبره ..(ثم تبعته إلى الخارج)

الأم: عجيب والله يا كاتب الغراء ... لقد دهشت من تصرفاتك ... (وخرجت هي الأخرى)

الكاتب: ينظر في الغرفة : ها قد أصبحنا بوحدنا ...

الزوج : أعتقد أن لديك أخبارا لتفسير ما حدث .

الكاتب: بالتأكيد، فأنا أنتظر هذه اللحظة للبدء . فقام لتناول الأوراق من قبعته على المقعد ، وقال: كنت أنتظر طيلة الأسبوع إلى هذا اليوم .

أنتما أول ناس يحمل هذا الإسم ، وستبدأ أسرة تحمل هذا الإسم لأول مرة في التاريخ . لقد قمت باختراع هذا الإسم لكما ، ولم يوجد من قبل .

الأب: وما أدراك أننا سنقبل بالإسم المستعار؟

كل الأسماء مستعارة منذ زمن بعيد ، فلا أحد يحمل إسما قبل ولادته ... حتى آدم ..

الأب: أنا أذكرك يا كاتب ... فلا داعي باللعب بمشاعرنا ... فالموضوع مهم..

ببساطة شديدة .. أنت ترى أن خالي كان رجلا غير عادي . وكان يجمع الأموال ، ويكنزها . ولم يكن يخبئها في البنك ، وكان دائما يقال له : هل تطمع في ربع مليون دولار؟ فيقول: هذا

يعتمد على النتيجة فهل ستكون النهاية في مستشفى مقابل الفلوس؟ أم خسارة أحد أعضاء الجسم ؟

الزوج: هذا شيء قبيح أن يتحدث حول النقود هكذا ... وبهذه الطريقة ...

الكاتب: هكذا كانت عنده الفلوس ... وهكذا كان يتحدث عنها ... رغم أن كثيرين لم يوافقوه على ما يقول ... ولكنه كان يقول ليس هناك رجل يقف أمام المال ... والمال يصنع كل شيء

...ولكل إنسان ثمن ، مهما كان . وقد طلبت منه يوما أن يستعمل إسما لم يسمع به من قبل مقابل ربع مليون دولار وليجرب ... إذا كانت الفلوس تشتري النفوس ، فضحك على الفكرة

... وأعجبته فطلب مني تنفيذها ... وقلت له بدلا من واحد فيكونا شخصان ...

واترك الإسم لشخصين معروفين في المدينة ، ولهما إسم لا بأس به ، من الناس المعروفين في البلد ..

وبالطبع فإن كلا الشخصين لن يوافقا على الاسم . خاصة إذا كانوا من الأشخاص المرموقين . فاستراق الفكرة وقال: من هم الأشخاص الذين سنرسل لهم الرسائل. فاخترتك فوافق على ذلك وهو اقترح اسم المحامي لمعرفته بعلاقته مع ابنتك حيث سيكون صهرك ، ووافق عليه لاستلام الرسائل والنقود . وطلب مني القيام بذلك الأمر بعد وفاته مباشرة . وبدأنا باختبار الأسماء : طوش بوش ، لاغي موعي ، صفكشيك، وأخيرا إسم تشريل عرندل . كيف تجرؤ على اختياري أنت وخالك ومن أدراك وأدراه أنني سأقبل طوش بوش أو لاغي موعي .

الكاتب: خالي لم يسمع بهذه الأسماء من قبل ... وكل ما أراد أن يكون الإسم فكاهيا غريبا يدعو للضحك فقط . وقد أعجبه تشريل عرندل . الأب: إذا كان هذا ما تفكرون به بالناس وكأنهم يعيشون في حديقة حيوان ، فوفاة عمك من أعمال الخير للناس وبركة ،

ولكنه مسرور لا شك في مكان ما ... أرجو ذلك ... ولو كان حيا لشعر بالفرحة صباح اليوم وهو يرى ما يحصل . ولكنه يعتقد حتى أنه لو لم يكن موجودا فسيصله الصدى لما حصل في وقت ما أو مكان ما . فقد كان يعتقد بالروحانيات في بعض الأحيان . الأب: إذا كان عمك يسمعا فليسمع هذا : لا أنت ولا عمك في هذه القصة السخيفة تستحقون احتراما ، تلعبون بعواطف الناس عن طريق النكتة وأعتقد أنكم الكاتب : دعني أقطعك ... أنت قلت أن الأمر فكاهيا وسخيفا . ولكنه ليس كذلك ...

الأب: لا تحاول معي:: أخرج من بيتي حالا وسأرفع الأمر للقضاء . الكاتب: هل هذا يعني أنك ترفض العرض . مستر ... ما ذا ... ماذا تقول... عرندل أم سالم ؟ هل ترفض عرض خالي وشروطه ؟ وترفض النصف مليون دولار .

الأب: إذا كانت النقود موجودة بالفعل ، فلا أعتقد أنني سأرفضها .. الكاتب : وكذلك الإسم ... والطلاق ... أما المبالغ النقدية فهي بانتظاركما معا ... إذن سأقبل بعرض عمك وشروطه . وأعتقد أن من واجبي أن أقبل عرض عمك ... حسب مراده وغايته . ولا أدري عن المحامي فسأعمل جهدي حتى يقبل. إذ أن الصفقة لن تتم إلا مع قبوله أليس كذلك وهو ما تسميه الشرط الثالث .

الكاتب: نعم.... أنت تفهمت الأمر جيداشكرا مستر تشريل عرندل . وبناء على ذلك أراك فيما بعد . فأنت تعرف الشرط الثالث الآن ، ثم قام يتجه إلى الباب ثم عاد لتجميع أوراقه ثم خرج .

الأب: يقف ميتسما قائلا: ما هذا الصباح (تعود البننت مع الشاب المحامي فتقول:)) لا يريد صديقك أن يقبل بالنقود أو تغيير الإسم . وقد نصحته بقبوله .

الأب: لا نستطيع ربط المحامي بالعرض ، ومن العجيب أن يكون إثنان من آل التشرندل في مجلس الشعب . ولا يهمني سوى رأي المحامي - فاصبري ودعيه يفكر في الأمر يا بنيتي . وستترك له الأمر في القرار الأخير .

البننت: ولكن كيف سنزوج إذا لم يأخذ النقود ؟ الزوج: وهل اتفقتم على الزواج بهذه السرعة !؟

المحامي: أنا أسف لم أخبرك بما قررنا أنا وابنتك ، وكان علينا إخبارك من قبل ، وكنا سنخبركم اليوم أو غدا .. فأنا عرضت الزواج على ابنتك اليوم وهي قبلت .
الأب : ومن أين لك دفع تكاليف الزواج ، إذا لم تقبل العرض؟
المحامي الشاب: لا أدري بالضبط ...
البننت: نحن الآن في وضع أفضل ... فلدينا لابع مليون دولار ... وسيقبل بها .
المحامي: لا ... لا ... يا نادية ... فأنا لم أقرر بعد
الأب: ولكن هذا سيضع تعقيدات في الأمر .
البننت: لذا عليه أن يقبل بالعرض .
الشاب: هل تريدان أن يقول لك الناس السيدة تشريل عشرشل يا عزيزتي؟
البننت: اللقب بنفس الاسم يا عزيزي إذا قبل والدي بالعرض ،
الشاب: هل تريدان مني أن أقبل إذن ؟ فأنت لا تفهمين أن ...
الأب: أنا أفهم شيئا واحدا ... كنت تقنعني بقبول العرض ... وعلينا بالتضحية من أجل المال .
وعلى كل حال البننت ستغير إسمها بعد الزواج ، فإذا كان الإسم هو نفسه للعائلتين
البننت: هذا صحيح فلا داعي لتغيير الإسم إذن بعد الزواج .
وتحاول البننت الخروج لتخبر الكاتب وتبلغه بالقرار النهائي (فيدخل كاتب العدل ويقول::

كاتب العدل: ها قبلتم بالعرض مع كافة الشروط ،

الجميع : قبلنا قبلما

الكاتب: لقد فعلها عمي فهو يعرف الناس هو بالفعل يعرف الناس .

الفلوس تغير النفوس .

إسدال الستارة

مقدمة كتاب علم الاجتماع التطبيقي للمؤلف

مقدمة الكتاب

يعتبر هذا الكتاب مدخلا عاما لعلم الاجتماع العام ويضم مجموعة من المواضيع التي يغطيها عادة علم الاجتماع التقليدي والحديث. وقد قسم الكتاب الى أربعة أقسام هي: قسم علم الاجتماع العام ونظرياته ومنظريه ومناهجه، وقسم الفرد والمجتمع (نمو الشخصية والتطبيع والانحراف وعدم المساواة والأقليات)، وقسم المؤسسات الاجتماعية (الأسرة والتربية والدين والاقتصاد والنظم السياسية)، وقسم المشاكل الاجتماعية (السكان والتغير الاجتماعي والصحة والبيئة والحركات الشعبية والانحراف والعدالة) على المستويين الوطني والعالمي.

مقدمة منطقية

من عوامل ضعف الانسان أفكاره التي تسيطر عليه فتدفعه الى الشك في كل شئ حوله ورفض كل العلوم المتوارثة والمكتسبة لسبب بسيط هو أن بعض الأشياء لا يمكن للإنسان

أن يفهمها . وليس من اختصاصنا كبشر في الحقيقة معرفة كل شئ ولكن من المهم أن نعرف ما يتصل بأفكارنا وسلوكنا وأحاسيسنا كأفراد. والأفكار جمع فكرة وهي نتاج التفكير وكل انسان يعرف نفسه أنه يفكر وأن وظيفة عقله هي التفكير ، وكلما فكر الانسان فيما حوله فان العديد من الأفكار سيكون نتيجة طبيعية لعملية التفكير . ومن هذه الأفكار ما يتعلق بالكلمات كاللون والصلابة والطعم والحركة والانسان والحيوان وغيرها مما لا يستطيع حصره. وكل منها يحتاج الى تفسير وتقصي . فكيف يفكر العقل في هذه الأشياء دفعة واحدة وفي وقت قصير؟ وكيف يقطع آلاف الأميال ويعود الى مكانه كلمح البصر؟ وقد قال أحد الفلاسفة المسلمين وهو النظام أن العقل عاجز عن امتلاك المعرفة بكل فروعها في خياة واحدة ، حيث يقول: اعلم يعطيك جزءا منه إذا أعطيته كلك، فإذا طلبت جزءا آخر فإنك في خطر.

ان من طبيعة الانسان أنه يحمل ملكات وقدرات خاصة به كإنسان تميزه عن الحيوان. فمن فطرته منذ نعومة أظفاره، أنه يبكي اذا جاع وهو صغير ويفكر كيف يملأ معدته ، وتخفيف عطشه ، وستر عورته وهو كبير، كما يتعلم احترام ما اتفق الناس على احترامه ، واحتقار ما اتفقوا على احتقاره ، وهذا مختلف فيه. فهل هو من طبيعة البشر أم من تأثير الأعراف والتقاليد والخبرات الشخصية؟ أي هل السلوك الشخصي فطري أم مكتسب؟ فالأفراد يأمنون لأشباههم في أسرهم ، وفي جيرانهم ، وفي قراهم ، وفي مدنهم ، وفي دولهم، فكيف تتكون هذه الأفكار والسلوكيات عند البشر؟

لا بد لكل فكرة من رابط حسي أو انعكاس لشيء مرئي ، فاذا كان العقل صفحة بيضاء خال من أي فكر سابق فكيف تتكون فيه الأفكار ؟ و متى تمتلئ هذه الصفحة بأفكار خيالية مختلفة الألوان والأحجام والتسميات؟ ومتى حصلت على مادة المعرفة والتعلم؟ ولعل الجواب ممكن في كلمة واحدة هي الخبرة كمنبع من منابع المعرفة ، وعلى الخبرة تعتمد المعارف و تبدأ في الانتشار. فملاحظتنا للأشياء انما هي نتيجة اجسام حسية خارجية أو اجسام متخيلة داخل الدماغ نفسه ، وهي تستقبل من العقل وتنعكس على ما ن فكر فيه فيدعم فهمنا الحقيقي للأشياء من حولنا . لذا فان الحواس وانعكاساتها المتخيلة يعتبران منابع المعرفة. ومنهما تظهر كل الأفكار التي نحملها أو ما يمكن وجودها . وهما باختصار يمثلان ما نحسه بالحواس وما لا نحسه ونفكر فيه دماغيا. والاحساس هو المصدر الرئيسي للأفكار التي تتبلور عنها الأشياء من حولنا عن طريق اللمس أو السمع أو الشم أو الرؤية أو الطعم . وبالارتباط المباشر بالأشياء تنعكس أفكار محددة حول الخشونة وسوء الرائحة وارتفاع الصوت وقبح المنظر ومر المذاق واختلاف الالوان ، وكلها احساسات مباشرة. وهي أفكار جاءت من احساساتنا الخارجية الى العقل فحولها بسرعة الى ما ترتبط بها من لون وطعم ورائحة وصوت وصلابة . ويعتبر هذا المصدر(الحواس الخمس) في الحقيقة من أهم مصادر المعرفة . أما المصدر الثاني للمعرفة فهو ما يقوم به الفكر من عملية تحويل ما تم احساسه عن طريق الحواس الى فهم الأفكار . ويمكن تسميته بعملية تصوير واختبار ما يصل الينا من الحواس. أو ما يتصل بروح الأشياء التي تنعكس على صفحة العقل فيحولها الى مسميات لفهم الأشياء وربطها ببعضها البعض ، وعادة ما تكون المعرفة نتيجة عاطفة أو مقدره فكرية . ولا يمكن لها أن تتكون في العقل دون سابق معرفة أو خبرة. ف رؤية الثعبان مثلا تؤدي الى التفكير في سلوك الخوف والهرب منه طلبا للسلامة والأمان ، حتى وان لم نختبر ذلك بأنفسنا . وكثيرة هي الأمثلة على ذلك ، ومنها ما يتصل بوجهة نظر ، أو تفكير ، أو شك ، أو اعتقاد ، أو معرفة ،

أو رغبة . وكل ما يمكن أن يقوم العقل به من وظائف أو أفكار . وهذه المعرفة تصبح جزءا من العقل ، نلاحظها في أنفسنا وكأنها أفكار مميزة عن غيرها كما هي مميزة عما نكتسبه من معارف عن طريق الحواس. وان هذا المصدر للأفكار انما هو محدود بكل انسان وطاقته لاستيعاب المعرفة، ويمكن تسميته بالحس الداخلي كتمييز له عن الحس الخارجي . كما يمكن تسميته "رد الفعل" أو "الانعكاس". وهناك مصدر ثالث للمعرفة ، يعتبر أكثر تعقيدا من الاحساس والانعكاس وهو المعرفة المركبة من الذاكرة أو التخيل كعمليات القسمة والضرب والطرح والجمع. وهذا النوع من المعرفة لا يرتبط بعاطفة ولا يكون مرئيا. وقد تتفاوت معرفة الأشياء بين الأفراد كما أنه يمكن تطوير هذه المعرفة عن طريق التعليم والخبرة والترحال وطول العمر وتداخل الثقافات . وقد يتساءل المرء أحيانا : هل يمكن أن تتخذ الحواس؟ وهل يمكن للعقل أن يفسر الأشياء بعكسها؟ والجواب : نعم فالحواس كما العقل تتخذ صاحبها . حيث ان أصل كثير من الخلافات الناتجة بين الأفراد وحتى بين الشعوب يعود الى خداع العقل أو انعكاسات لمفاهيم خاطئة عششت في عقول الأفراد والجماعات عن كثير من الظواهر حتى ظن أنها حقائق اجتماعية وهي أبعد ما تكون عن ذلك. وتختلف هذه المفاهيم الخاطئة عادة بين المجتمع القروي ومجتمع المدينة وكما نعلم فان لكل مجتمع مميزات خاصة يتميز بها عن المجتمعات الأخرى فقد قام تونيس (Tonnie) بتحليل الروابط الاجتماعية حيث ميز بين شكلين من التجمعات البشرية: الجماعة (Gemeinschaft) التي يلتزم أفرادها بالروابط الاجتماعية الموروثة ويتصفون بالعاطفة والمشاركة الوجدانية للجماعة ويعتمد اقتصادها على ما تنتجه الأرض أو يجمعه الناس أو ما يصيدونه ويوزع دون تعقيد وحسب العادة المتبعة باستعمال طريقة التبادل النفعي. أما الشكل الثاني فهو المجتمع (Gesellschaft) ، الذي يقوم على التبادل النفعي بين أفرادها، والتقليل من عنصر التضامن بينهم والاهتمام بالفردية اللامبالية للآخرين ، كما يقوم اقتصاده على المؤسسات التجارية والصناعية وتبادل الأوراق المالية، وتعتمد العلاقات الاجتماعية في الجماعة حسب رأيه على الروابط الاسرية التي تحتوي روابط ثلاث هي: رابطة الدم ورابطة المكان ورابطة الروح فمثلا تعتمد رابطة الدم على اربع صلات هي: الزوج والزوجة، الاب واطفاله، والأم وأطفالها، وصلة الاخوة . ففي المجتمعات القروية مثلا يعرف الناس بعضهم بعضا ويوقر الصغير فيها الكبير كما يحترم فيها الانسان العادي أصحاب المراكز وأبناء العائلات ، ولا يتصرف أهل القرية الا بما يتناسب مع تقاليد القرية وعاداتها . ولا يتخذون قرارا الا بعد التأكد من أن القرار يتناسب مع التقاليد المتبعة. أما في مجتمع المدينة فالأمر مختلف ، حيث يتصرف الأفراد فيها دون الاهتمام بالتقاليد أو العادات أو آراء الآخرين . وفيها لا يعرف الناس بعضهم ولا يوقر فيها الصغير الكبير مثل القرية . وحين يأتي الأمر الى القرارات فانها تتخذ دون الاهتمام بمركز أو جاه أو سلطان . ولا يترقى الموظفون فيها نظرا لمركز العائلة الاجتماعي . وأصبح نشاط الوظيفة التي يقوم بها الفرد هي مقياس ترقيته لا حسبه ولا نسبه ولا شكله . وتتراوح المجتمعات في مقاييسها ولكن من المعروف أن أخلاق القرية وتصرفات أهلها وعلاقات الناس فيها وتركيبهم الاجتماعي وبناء مؤسساتها وعناصر ضبطها تختلف اختلافا متفاوتا عن أخلاق وتصرفات وعلاقات الناس وتركيبهم الاجتماعي وبناء المؤسسات وعناصر ضبطها عند أهل المدينة وهذا بحد ذاته ما تغطيه مواضيع هذا الكتاب الذي تقدمه بين يدي القراء.

الفصل الأول من كتاب مناهج البحث العلمي للمؤلف

العلم وطبيعة البحث العلمي Science and Nature of Research

يختلف فهم كلمة "العلم" بين الناس والباحثين على حد سواء . فالبعض يعتبره مرتبطاً بالمعلومات ، والبعض الآخر يربط بينه وبين المعاطف البيضاء التي يلبسها العاملون في المختبرات. ولكن العلم له معنى آخر بين العلماء وهو ما توصل اليه العقل البشري من معلومات عبر الملاحظات للظواهر وربط العلاقات فيما بينها. الا أن هناك مسلمات من الواجب معرفتها من الباحثين مثل التفريق بين ما هو الهي من شؤون الله تعالى وبين ما هو انساني من شؤون الإنسان. و معرفة قدرات الإنسان المحدودة زمنا ومكانا في البحث عن المعرفة. وقد نعرف بعض الشيء عن ظاهرة محددة بزمان ومكان أما أن نعرف كل شيء عن الظاهرة فهو أمر يقع خارج حدود الطاقة الأنسانية العقلية والجسدية. وقد نعرف شيئا بواسطة الرؤية أو القراءة عن حياة شخص ما ولكن لا نستطيع معرفة ما لا تصل الحواس الى معرفته. وهناك عدد ليس له حدود من الأشياء التي لا نعرفها في هذا العالم الواسع ، زد على ذلك أن وصف المعرفة بحد ذاته يختلف باختلاف القرب أو البعد زمانا ومكانا عن الحدث ، فمن يصف النار من بعيد ليس كمن يصفها وهي تشب في ثيابه ، ولا يصفها من تشب في ثيابه كمن أحرقت النار أصابعه. فالحقيقة المشاهدة تختلف باختلاف المكان والزمان واختلاف وسائل المعرفة . كما لا بد من معرفة أن كل ظاهرة في الوجود الأنساني ليست قابلة للبحث المتقن والخروج حولها بتعميمات. فالظواهر التاريخية السابقة ليست قابلة للدراسة لصعوبة البحث فيها وندرة المعلومات عنها. وأن لكل بحث دوافع وليست كل الأبحاث لأصلاح المجتمع.وكم من أبحاث صرفت عليها الملايين من أجل التدمير لا التعمير. بالإضافة الى أن المعرفة بحد ذاتها محدودة بقدرات الإنسان وامكانياته . فنحن نعرف عن شيء ما من خلال ما هو متوفر من معلومات عنه. كما نعرف أن نظرة العالم الى ظاهرة اجتماعية ما تختلف عن نظرة الإنسان العادي لنفس الظاهرة. وقد كان الاعتقاد الخاطئ السائد حتى القرن السادس عشر أن تعاقب الليل والنهار حاصل من دوران الشمس حول الأرض حتى أثبت جاليليو عكس ذلك بالبرهان والتجربة. كما كان الاعتقاد السائد حتى القرن الرابع عشر أن الأرض مسطحة وغير دائرية حتى ثبت عكس ذلك بالتجربة والبرهان. وكان الاعتقاد السائد بتصديق وقائع التاريخ كما وردت في الكتب مهما بولغ فيها حتى نادى ابن خلدون بتحكيم العقل فيما نقرأه من أحداث التاريخ وربط الوقائع بأسبابها وقياس الحالات القديمة على مثيلاتها في الواقع الذي نعيشه.

ان الظواهر التي يسود الاعتقاد بصحتها دون اعمال البصر والبصيرة فيها تحتاج من العلماء والباحثين الكثير من الجهد والعمل الدائبين لاثبات خطئها أو بيان حقيقتها. ولا يتأتى ذلك الا عن طريق البحث العلمي ووسائله والاعتماد على مقاييس محددة لا تتدخل العواطف فيها ولا تؤثر في نتائجها. وقد قرأنا في كتب التاريخ الكثير عن أمثال هؤلاء العلماء الذين أعطوا من وقتهم وأمواهم في سبيل الحقيقة . فمنهم من تحاشى أن يكون عاملا لدى الحكام ومنهم من انزوى بعيدا عن الناس حتى يخرج بنظرية علمية ومنهم من جهر بالحقيقة لا يماري فيها أحدا من ذوي السلطة وأصحاب المال والمراكز. ولتحديد الحديث عن طبيعة البحث العلمي

لا بد من التعرض لمفاهيم مثل: العلم والنظرية والفرضية، العلم ومعوقات المعرفة، وطرق الملاحظة، و الموضوعية، والحقائق، والقوانين التجريبية، والسبب والنتيجة أو الأثر.

تعريفات العلم

1. هو فحص الأفكار: فظاهرة الانتحار كانت ترتبط بالخلل العقلي حتى أثبت دوركهايم العكس. واختلاف نسبة الانتحار بين الذكور والاناث، وبين الفقراء والاعنياء وبين السود والبيض.

2. هو برهان فريد: يوصل الى البرهان عادة بالملاحظة والتجربة العلمية المنظمة.

3. هو ملاحظة مضبوطة ومنظمة عن طريق اختيار العينات بطريقة علمية وضبط المتغيرات حتى تكون النتائج علمية دون تدخل مزاجي أو عاطفي من قبل الباحث.

4. هو تطوير نظرية صحيحة حول الظواهر الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية بواسطة الفحص المستمر حتى تصح النظرية.

5. هو عملية تحقيق مستمر: فالفرضية تستدعي نتائج والنتائج تستدعي الفحص والتطبيق سواء من الباحث نفسه أو من بحاته غيره.

نظرية ---- بحث ---- نظرية ---- بحث

6. هو دراسة السبب: وقد تكون الأسباب كثيرة الا أن العلم يثبت أي الأسباب أكثر فاعلية من غيره في الظاهرة.

7. العلم هو دراسة المتغيرات: استعمال متغيرات كثيرة في البحث يؤدي الى اخراج المتغيرات قليلة الأهمية أو يمزج معها متغيرات أخرى.

8. هو الهدف البديل للوصف: ويمكن تحديد ذلك بطرق حسابية أو جبرية وباستخراج العلاقات احصائيا بدلا من الوصف اللغوي العادي للظاهرة.

9. هو مجموعة قواعد وقوانين: بمعنى أن خطوات التجربة العلمية مقيدة بقواعد لا بد من اتباعها وقوانين لا يحيد عنها حتى يحقق الهدف الذي يسعى اليه.

تعريف النظرية والفرضية

النظرية: يمكن تعريفها بأنها شرح مركز للعلاقات الملاحظة بين شيئين أو أكثر بطريقة علمية. خذ مثلا ظاهرة الزواج في المجتمع. حيث تقوم بعض النظريات بالربط بين استقرار المجتمع وعملية الزواج وتقوم نظريات أخرى بتفسير هذه العلاقة وكأنها تنفيس لحاجة طبيعية جنسية. ونظرية ثالثة تفسره على أنه ظاهرة اقتصادية تفيد المجتمع وهكذا. ولكل نظرية طريقتها في ربط هذه العلاقة وطريقتها في اختيار العينة للبحث لجمع المعلومات.

أما الفرضية: فهي نظرية غير مشفوعة بالبرهان. والافتراض هو بداية كل بحث حيث تكثر الفرضيات ولكن أيها الثابت علميا وأيها المرفوض علميا. والفرضية مأخوذة من كلمة Hypo و معناها شئ أقل ثقة من المعلومة المطروحة Thesis وللفرضية شروط منها الوضوح والايجاز، والشمولية والترابط وقابلية الاختبار. ومن المستحسن كثرة الفروض من أجل اثباتها أو عدم اثباتها. وقد يفسر علم الاجتماع ظاهرة الزواج بعدة وجوه مستعملا العلاقات الفرضية السابقة، فيوضح أي العلاقات كمسبب Cause للظاهرة أو كنتيجة Effect لها. فالنظرية البنائية الوظيفية توضح أن سبب قلة الزواج مثلا هو عدم وجود الكفاءة المالية لبعض الأشخاص الفقراء الذين لا بد من تواجدهم في المجتمع الصناعي.

وترى النظرية التصادمية أن سبب قلة الزواج هو عدم العدالة في المجتمع الرأسمالي الذي أوجد الطبقات الفقيرة التي لا تستطيع تحمل نفقات الزواج. وهناك مثال آخر على مدى اختلاف نظريات علم الأحياء الحديث في مناقشة وتحليل السبب والنتيجة وهو ما يراه المنظرون الاشتراكيون أو الشيوعيون من تفسير للمجتمع وما يراه المنظرون الرأسماليون لنفس المفهوم. ومع أن الخلاف بين الفريقين عائد إلى النظر في ملكية وسائل الإنتاج وأدوات التوزيع (ملكية فردية أو جماعية للدولة) ، فإن كلا الفريقين يتبع فرضية واحدة وهي أن الإنسان مخلوق بنفسه تطور وتحول إلى ما هو عليه حسب نظرية النشوء والأرتقاء. وكلاهما لا يعطي القيم الروحية أي دور في تسيير الإنسان إلى الخير أو الشر. ومع أن الشيوعية اخترعت ما يسمى بالأيديولوجية واهتمت الرأسمالية بالأمبريالية كصفات لاستغلال الشعوب الأخرى إلا أن الفروق بينهما واضحة بالنسبة للعوامل المؤثرة في تغيير المجتمع وتوجيهه نحو فائدة أصحاب السلطة أو المحكومين سواء أكانوا أفراداً أم أحزاباً.

بيئات العلم الثالث

ويمكن وصف مفهوم العلم من خلال تطوره المعقد في بيئات ثلاث: التجريبية والنظرية والإنسانية. فأما البيئة التجريبية فيعتقد العلماء أن هناك عالماً حولهم وأنه يمكن قياس ذلك العالم بواسطة مقاييس مخترعة ومصممة لذلك الغرض ومن أجل الوصول إلى المعرفة المنطقية لا بد من استعمال منهج علمي يتسم بالموضوعية والحياد حتى يوصل إلى الحقيقة. والبيئة النظرية حيث إنهم العلماء ليس في قياس العالم من حولهم وإنما في محاولة فهم وتفسير كيفية تنظيم العالم وكيف يعمل. فالجانب التجريبي يساعد على فهم هذا التنظيم ، والجانب النظري إنما هو تنظيم لهذا الفهم بنظريات علمية وأرساء قوانين تحكم هذا التنظيم نتيجة التجربة العلمية وليس الحدس ولا تصلح النظريات إلا إذا أسندها التطبيق. حيث توجد نظريات لا حصر لها فمنها الغث ومنها السمين بمعنى منها الحيد ومنها السيئ. أما في البيئة الإنسانية فالإنسان كبشر يقع بين البيئتين التجريبية والنظرية. فالعالم التجريبي يعتمد أساساً على مشاهدات الإنسان واستعمالات حواسه، والعالم النظري يعتمد على العقل الإنساني الذي يحلل المعلومات المشاهدة أو المحسوسة ويربط بينها من أجل ابتكار قوانين تعتمد على المادة المجمعة ويربطها بغيرها .

إن ارتباط هذه البيئات الثلاث أو العوالم الثلاثة إنما هو مقدمة نحو صياغة المعرفة الإنسانية بناء على قواعد منطقية تتحدد فيها هذه العوالم لتزيد من فهم الإنسان للطبيعة وتداخلها مع الإنسان ومدى تأثيره فيها أو تأثرها به.

الفرق بين العلوم الطبيعية والإنسانية

والعلم سواء أكان علماً طبيعياً محكوماً بقواعد ثابتة (لامتغيرة) كالفيزياء والكيمياء والقوانين الرياضية وعلم الأحياء والتشريح . أو كان علماً إنسانياً كعلم الاجتماع وعلم النفس والجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والعلوم السياسية فإنهما يشتركان في طريقة البحث العلمي . أما العلوم الطبيعية فتجلب للعقل عدداً من التصورات حولها فمثلاً حين نشاهد كيميائياً يبحث بمجهره عن نوع من البكتيريا العضوية ليعرف مدى أهميتها للإنسان أو مدى ضررها له، و نشاهد عالم فضاء ينظر بمنظاره ويسجل ملاحظاته ويربط بين هذه الملاحظات فما نراه ما هو إلا ركائز تعتمد عليها العلوم الطبيعية. فالمرض عادة له سبب أو أسباب ، ومعرفة الأسباب تمنع استفحاله بين البشر . وقد كان اختراع البنسلين والمواد المانعة للأمراض أو زيادة مناعة الجسم ضدها أثر كبير على الحياة البشرية . حيث إن هذه الأكتشافات لم تأت

بالصدفة وانما جاءت بعد ابحاث مضنية وطويلة. وان كان القليل منها نتيجة الصدفة الا انها وضعت للتجربة بعد اكتشافها.

أما بالنسبة للعلوم الانسانية فان عالم النفس الانساني يلاحظ فأرا يتصرف بغرابة في أنابيب التجربة أو يرى حماسة تتبع نظاما خاصا للحصول على طعامها فيقوم ببناء نظريته وتطبيقها على الانسان . وكثير من هذه النظريات (كنظرية بافلو ونظرية سكنز) قد أفادت البشرية من حيث معرفة الدافع والأثر. أما في حالة عالم الأجتماع، فيقوم الباحث بالربط بين العلاقات الانسانية في أسرة ما من خلال ملاحظة تصرفات أفرادها ويقوم بتسجيل ما يلاحظه، ويربط بين هذه العلاقات ويقوم بتحليلها عقليا أو بطريقة احصائية باستعمال الكمبيوتر وبنوك المعلومات. ويصل الى بعض النظريات التي تفود البحث لتصنيف العلاقات البشرية داخل الأسرة وخارجها. (يحيى 1994)

وما هذه الأمثلة الا لاعطاء فكرة عن أن الملاحظات العلمية انما هي مادة تساهم في زيادة معرفة الانسان لموضوع ما في هذا العالم. وقد لا تكون المادة المجمعمة مفيدة للفرضية الخاصة بالبحث الا ان في تحليلها ما يوافق الفرضية الموضوعية للبحث. وهنا يأتي دور العلم وتطور العلوم في تحديد صحتها. حيث يقوم أكثر من عالم باكتشاف وتوكيد نفس الفرضية على أنها صحيحة أو خاطئة وكلا النتيجتين تعم العلم بما يسمى "تقرير تقصي الحقائق" وكلما كثرت هذه التقارير العلمية كلما زادت معرفة صحتها أو عدم صحتها. وعندما يقوم العالم بربط هذه الحقائق ببعضها البعض يتم الوصول الى حقيقة غير متغيرة أو الى قانون اجتماعي شبيه بالقوانين الطبيعية. وهذا الربط يمكن تسميته بالقانون التجريبي. ويمكن اعطاء مثل آخر على هذه الطرق البحثية بملاحظة القمر وأشكاله ، فقيما كان الانسان يرى القمر كاملا ، ويراه هلالا ، وبعض الأحيان لا يراه مطلقا. وهذه ملاحظات يمكن وصفها كحقائق . وأما الربط بين الزمن وبين هذه الملاحظات من قبل عالم متخصص فانه يخرج بقوانين اعتمادا على تلك الملاحظات. وهذا هو القانون التجريبي. لأن الملاحظات تكررت وتناسبت خلال مدة زمنية محددة . ويمكن وضع القانون التالي بناء على ملاحظات القمر: (ان الدائرة الفضائية تعيد نفسها مرة كل 28 يوما). وهو قانون طبيعي لا يمكن للإنسان تغييره. ومثله تعاقب الليل والنهار.

ولا يقف دور العلماء عند هذا الحد لوضع القوانين بل يتعدى الى مرحلة أخرى تدعو لفهم هذه الظواهر أو القوانين . ولتفسير أو فهم هذه الظواهر لا بد من تواجد نظرية ، تربط بين الأشياء. وبناء على التفسير الفلسفي للأشياء فاننا نعلم انه لا بد من وجود عنصرين رئيسيين لكل نظرية وهما: وجود مبادئ أساسية مسلم بها(مثل ملاحظات حركة القمر المعتمدة على تقارير لقواعد حسابية أو منطقية) تؤدي الى نظرية. وأما العنصر الثاني فهو قواعد العلاقات أو الاتصال بين أجزاء النظرية لفحص النظرية والتأكد من صحتها أو عدمه. وتحتوي هذه القواعد على مسلمات للنظرية وفرضيات للقياس والفحص وقوة للتنبؤ بالحدث. وهي مفصلة كما يلي: مسلمة أساسية: الانسان عادة يجوع ، فيبحث عن الطعام ليسد جوعه . والنظرية: كلما زاد جوع الانسان زاد بحثه عن الطعام. أما الفرضية: اذا كان هناك شخص قوي البنية وشخص ضعيف البنية ، فان طريقة بحثهما عن الطعام تختلف من ناحية استعمال وسائل البحث عن الطعام. (فمنهم من يبحث عن حيوان لقتله لأنه قوي والآخر يبحث عن نبات الأرض مما لا يستدعي قوة جسدية كمطاردة الحيوان أو صيده). أما التنبؤ بالحدث: ان الانسان القوي الجسد أقدر على البحث عن الطعام من الانسان الضعيف البنية الجسدية.

ومما سبق حول المسلمات الأساسية يمكن ملاحظة التدرج من العام (المسلمات الطبيعية) الى الخاص (ربط الجوع بالبحث عن الطعام) ، ولا يمكن دراسة المسلمات العامة الا عن طريق الفرضية عن شئى خاص أقل منها أو أكثر تحديدا. ومن المثال أعلاه ، يمكن التنبؤ بأن الانسان القوي أقدر من غيره الضعيف في بحثه عن الطعام. فاذا تم فحص النظرية وثبتت صحتها وطابقت الفرضية عندها نقول أن لدينا نظرية والا فلا (لأن ادخال عنصر آخر مثل العقل قد يمنع من اثبات صحة النظرية). وفي الشكل التالي نبين خطوات تطور النظرية .

مسلمات ---- نظرية ---- فرضية ---- تنبؤ تجريبي

قواعد التواصل بين المسلمات والتنبؤ شكل 2 خطوات تطور النظرية

ولعل الطريقة السالفة كانت سهلة في ايجاد النظرية وطريقة فحصها ، ولا بد من ذكر أن المسلمات العالمية الطبيعية ليست كلها قابلة للتفسير أو للتنبؤ وذلك لعدم امكانية فحصها تجريبيا. حيث ان كثيرا من الظواهر الطبيعية لا يمكن تفسيره من قبل العلماء نظرا لتعقيدها أو لقصور العقل البشري وحدوده في المعرفة ، وهذه الحدود تعود الى عجز أدوات الملاحظة الحسية و التصورية (أي ما يمكن الاحساس به وما يمكن تصويره من خداع للبصر) .

عوائق المعرفة

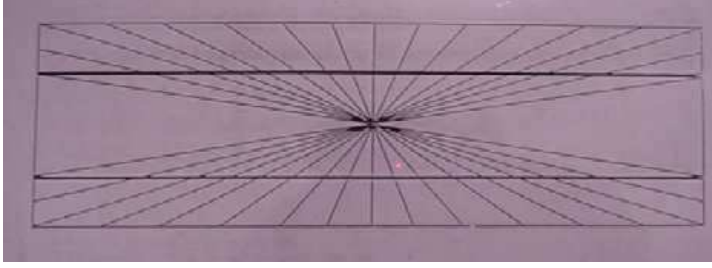
ومن عوائق المعرفة في طرق البحث العلمي الملاحظات الانسانية الحسية: وتنقسم الى قسمين رئيسيين: ما يمكن الاحساس به من خلال الحواس ، (وعادة تستعمل الحواس الخمسة السليمة في الملاحظة والمعرفة) وما يمكن تصويره (اذا كانت الحواس متعطلة أو فاعليتها في الملاحظة قليلة). وفي حالة التصور يمكن اعطاء الأمثلة التالية:

1. انظر الى الخطين التاليين (خدعة مولر وليبر) وقرر أيهما أطول من الآخر؟

شكل 3 وهم الخطين المختلفين

فان الملاحظ قد يعطي اجابة صحيحة أو اجابة خاطئة لأن الصورة قد تخدع الرائي فيظن أنهما غير متساويين.

2. انظر الى الشكل التالي وقرر فيما اذا كان الخطان القاطعان لعدة خطوط في الوسط مستقيمين أو غير مستقيمين أو متوازيين أو غير متوازيين.



شكل 4. وهم الخطين المتوازيين

فملاحظتنا حول الخطوط قد تكون صحيحة وقد تكون خادعة. ولا يمكن التثبيت من الجواب الا بالقياس واعمال الفكر أحيانا . وهذا ما يسمى بالطريقة الموضوعية للبحث عن الحقيقة التي لا تعتمد على الحس النظري وانما على القياسات التي تثبت الحقيقة المرئية أو تدحضها. وتزداد احتمالية الخطأ عند الناس اذا لم يكن المرئي قد شوهد سابقا، بمعنى أن الرائي بدون خبرة سابقة . ولننظر الى الصورة التالية فما هي وما مكوناتها؟

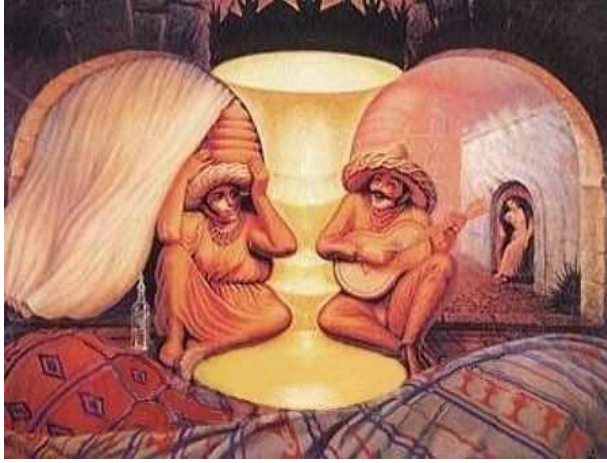


شكل 5. الوهم الصوري بدون خبرة سابقة



شكل 5. الوهم يصبح حقيقة بعد الخبرة .

عند امعان النظر في الصورة من خلال الخلفية البيضاء أو السوداء فان الصورة ستظهر للعيان. ولعل في فن التفريق بين الواقع المرئي Observed والواقع المتصور Imagined وتحديده ما يساعد في عملية التربية والتعليم . حيث تساعد المعلمين والمعلمات على عدم قياس سلوك طفل بما يتصورونه عن ذلك الطفل. فقد ينظر شخص الى سلوك طفل فيعتبره عملاً خلاقاً يدل على ذكاء خارق بينما تراه مدرسة أخرى على أنه سلوك سيئ. وقد اشتهرت المدرسة الألمانية "الجشتالت" بالتوكيد على الفرق بين المحسوس والمتصور . وتدعو المدرسة الى حل المشاكل السلوكية باستعمال استراتيجيات مختلفة.



شكل 6. الصورة الكلية



شكل 7. الصورة الجشتالتية الجزئية

قياس الظواهر الاجتماعية

Measurement of Social Phenomena

أول لبنة في العلم هي القياس أو الملاحظة المرتبة ، وليس هناك من سبب رئيسي يمنع العالم الاجتماعي الباحث من قياس ظاهرة يهتم بدراستها ، إن العمر والجنس للناس يمكن قياسهما ، وكذلك مكان الولادة والحالة الاجتماعية يمكن قياسها بعدة طرق معتمدة على التكلفة والمناسبة . إن مستوى الزحمة على الشوارع يمكن قياسها في عدة نقاط . ويمكن قياس السلوك ومدى التدين أو الانحراف . ويقوم علماء الاجتماع بمراجعة مقاييسهم لإدخال التحسينات عليها ، ويستعملون مناهج بحثية تختلف عن بعضهم البعض ، فالانفتاح على العلم يدفع العلماء على الاستمرارية في التغيير .

عناصر أساسية لا بد من توافرها في المقياس استمرارية القياس مع الوقت : precision تحديد القيمة لأقرب صفاتها أفضل من التقريب كالوزن بالغرام أفضل من الوزن بالكيلوغرام .

الثقة في القياس : reliability وهي قيام المقياس في كل مرة بنفس النتائج . أي أن القياس صالح ويمكن الوثوق في إعادة المقياس ليقاس ما وضع له أساسا . فمثلا تقدير عمر الإنسان بسؤال أصدقائه يكون أقل ثقة مما لو سأل الشخص نفسه . أو التأكد من شهادة ميلاده .

الثبات في القياس : validity ويعني ذلك مدى صدق مبادئ المقياس في تقديم المعلومات التي تتصل بمعنى مفهوم معين ، فمثلا التردد على دور العبادة قد يكون أكثر ثباتا لقياس التدين من استعمال الشخص لكلمة الرب أو اسم الله لأن الثانية قد تستعمل للضحك وليس للتدين .

أنواع المقاييس

قياس التصنيف الاسمي: nominal وهي المتغيرات التي تختلف من شخص لشخص آخر ومنا الجنس ، اللون ، مكان الولادة . ولا يكون المتغير واحدا بالقيمة فهو إما ذكر وإما مؤنث قياس التصنيف الترتيبي: ordinal وهي المتغيرات التي يمكن ترتيبها مع تقدم أو تأخر مثل التعصب ودرجاته فهو متعصب جدا أو متعصب أو غير متعصب أو غير متعصب جدا . ومنها السلم الاجتماعي والتدين والمحافظه والانتماء والتقليدية .

قياس تصنيف الوحدات أو الدرجات: interval ويتصف بأنه لا يقاس فقط المتغيرات الترتيبية ولكنه يفصل بينها بمسافة محددة مثل: قياس الذكاء IQ من 100 - 110 ومن 110 - 120 ومن 120 - 130 ، فالفواصل متساوية . ومنه درجات الحرارة الفهرنهايتية أو المئوية .

قياس التصنيف النسبي: ratio وهي كقياس تصنيف الوحدات أو الدرجات فهي تعتمد على الصفر كحد أدنى ، ويمثل العمر هذا التصنيف فنقطة الحد الأدنى هي الصفر ومنه طول الإقامة في المكان ، عدد المؤسسات التابعة لشركة كبرى أو عدد الذين يحضرون الاحتفال الديني في فترة معينة ، أو عدد المرات التي تكرر الزواج فيها . ومنها عدد الأصدقاء .

التفكير المنطقي

العلم بشكل أساسي هو نشاط عقلي ، وتفسيره يجب أن يكون مقنعا ، والأديان المستوحاة والتراث والتقاليد والحظ تعتمد على الإيمان بها ، أما العلم فلا بد أن يعتمد على التكرير المنطقي التجريبي. والمنطق جزء معقد وصعب من الفلسفة ، ومن المنطق أن يأتي النتيجة effect بعد السبب cause .

ومن المنطق أنه من المستحيل أن يكون للشيء صفتان لا يجتمعا ، فقطعة النقد لا يمكن أن تقف على الوجهين معا . ولا يمكن للمتعب أن يتسامح فيما يعتقد أنه حق . لذا فإن هناك نظامين للتفكير المنطقي الاستنتاج Inductive من الملاحظات الصغيرة إلى الأسس العامة وتوصل من الحقائق إلى النظرية والاستنباط Deductive من العام إلى الخاص أي من النظرية إلى الملاحظات ، وهو تقديم النظرية أولا ثم القيام بالبحث عن الحقائق للتثبت من صحتها . يمثل هذا النوع منطق سقراط الذي يعتمد على القول: كل الرجال غير مخلدين (عام) ، سقراط رجل، إذن سقراط غير مخلد (خاص). (لذا يكون البدء بدراسة عدم خلود سقراط). أما إذا كان المنطق استنتاجيا بدأ الباحث بدراسة سقراط غير مخلد وينتهي إلى النظرية أن الرجال غير مخلدين .

وعلى كل حال فإن كلا الطريقتين لها فوائد فالباحث الذي يبدأ بالنظرية العامة يتمتع بفائدة المنطق النظري الذي يدعم منطقته في وضع الفرضيات حتى لو لم يتم قبول الفرضيات بشكل مطابق للواقع ، وبالمقابل فإن الباحث الذي يبدأ ببحثه بالملاحظات يصل إلى خلاصة تعكس النظرية ولكن ينقصه دعم النظرية وتعميم النتائج . والشكل التالي يبين مميزات كل منهما .

البحث الاستنباطي Deductive

1. الفرضية -----2. الواقع الملاحظ 3. قبول أو رفض الفرضية النظرية

البحث الاستنتاجي Inductive

1. الواقع الملاحظ..... 2. إيجاد روابط وعلاقات3. استخلاص واستنتاج نظرية

البحث عملية استقصائية لمسببات ظاهرة ، كما أنه يبحث عن غير المسببات لها . وأهمية معرفة الأسباب الحقيقية لا تقل أهمية عن معرفة الأسباب غير الحقيقية . وكمثال على ذلك فإن الأجسام الساقطة من أعلى لا يهمنا لونها في السبب في سقوطها أو عدمه . ويحاول عالم الاجتماع الباحث أن يحصل على قوة الاكتشاف والتفسير من أقل عدد من المتغيرات . وكلما عرفنا أكثر ازدادنا قوة علمية حول الظاهرة البحثية .

طبيعة الباحث والتحري (المحقق الجنائي)

يشارك الباحث التحري في العمل على البحث عن الإجابات للأسئلة ، فالتحري يريد معرفة جواب لمن قتل إكس واي زي ، والباحث يدرس أسباب المرض السرطان . والإجابات الصحيحة على الأسئلة هي التي تجعل الباحث باحثا جيدا أو تحريا جيدا.

تعريفات

النظرية: هي مفهوم عام وتصف بتركيز مجموعة من التعبيرات تربط بين أوجه ظاهرة معينة .

الفرضية: تعبير عن توقعات حول طبيعة الأشياء وهي مستمدة من نظرية . ويكون معظم أوقات وجهود الباحثين في العمل على فحص الفرضيات ليقرروا فيما إذا كانت التوقعات النظرية تستوي أو تقترب من الواقع .

المتغير variable هو مفهوم له قيمة تختلف من حالة لحالة أخرى ، ومن وقت لآخر كترتيب علامات الفصل والوزن والطول والمدخول الشهري ، وهي مميزات أشخاص Persons أو أشياء things لها قيم تدعى متغيرات ومنها مثلا: الهوية الشخصية ID ، وهو متغير هام للفرد مثل الطول والوزن ولون العيون ولون البشرة والجنس وتاريخ الميلاد بعض المتغيرات يمكن أن تكون أرقاما numbers مثلا 4 من 5 متغيرات كالطول والوزن والميلاد

المتغير الذي ليس له قيمة عددية يكون له اسم مثل أبيض ، أخضر ، أزرق ، مؤنث ومذكر وهكذا

المتغير الذي يوصف بالاسم وليس برقم يسمى بقيمته مثل Nominal من الاسم اللاتيني nomen وتعني اسم ، مثل لون العيون والجنس فهي من هذا النوع.

المتغيرات الأخرى التي اعتبرت كوحدة للطول والوزن وتاريخ الميلاد يمكن قياسها بمقياس له أرقام وفي حالة الارتفاع تستعمل الوحدات مقاييس لها قيم متساوية في القياس Ordinal وتقع نقاط التساوي بين الفواصل في النوعين السابقين . ولكن بعض العلامات لا تحتاج أن تكون بفواصل متساوية Interval مثل الدرجات في الفصل الدراسي فتسمى قيم مستمرة وغير منتظمة .

عدد المرات التي تتكرر في مجموعة واحدة بنفس القيمة تسمى عدد مرات التكرار Frequency

توزيع التكرار Frequency Distribution هو المفهوم الذي يعني توزيع الأرقام أو ترتيبها من أعلى إلى أسفل أو العكس .

كل قيمة تجمع لمتغير عن طريق البحث تدعى ملاحظة observation الدراسات التقاطعية Cross sectional studies : دراسة ملاحظات في زمن معين . الدراسات المستمرة: Longitudinal studies دراسات ملاحظات في عدة أوقات ومن عيناتها دراسة التكرار Trend studies ودراسة المجموعات Cohort studies ودراسة المجموعات الصغيرة Panel studies . أغراض الدراسات البحثية

بحوث استكشافية: Exploratory لشيء جديد أو ظاهرة لم تعرف سابقا .

بحوث وصفية: Descriptive لحالات أو بحوث وصفية كما هي ،

بحوث تفسيرية: Explanatory لظاهرة تحتاج مزيدا من التفسير

وحدة التحليل في البحث: Unit of analysis وحدات الدراسة والتحليل قد تكون الفرد ، أو الجماعة أو الأسرة أو المؤسسة أو المجتمعات أو طلاب ما قبل المدرسة من رياض الأطفال أو كبار السن ، أو النساء المطلقات .

الفنون الشعبية: Social artifacts ومنها الكتب التراثية والأغاني والسيارات القديمة والأشعار والقصص والطرائف .

مواضيع البحوث

الشروط ومنها العمر والجنس والبناء والحالة الاجتماعية

تقديم النفس للجمهور حول العقائد والآراء السياسية أو الرضا حول شيء ما وهي سلوكيات دالة على شخصية المشاركين في الدراسة من حيث التعصب أو التسامح تجاه الآخرين . الأفعال والأعمال : وهو ما يقوم به المشاركون من استثمار أو انتخاب أو خروج لنزهة أو القيام بمهام وظيفية أو إدارية .

أنواع البحوث ومواضيعها للدراسة

هناك ستة أنواع مختلفة من الظواهر يمكن للباحث أن يدرسها ويبحث فيها:

ظاهرة أفعال الناس وردود أفعالهم لمدة زمنية قد تأخذ دقيقة أو ساعات ، وفي مناسبة معينة .
ظاهرة النشاطات وتدوم ليوم واحد أو أسابيع أو فصل دراسي يمثل جزءا من حياة المشاركين كالنزهات ، و فرق كرة القدم ، والاحتفالات .

ظاهرة المعاني : وهي نوعية الكلام اللفظي بين مجموعة من الشباب أو الأقارب في الأسرة

ظاهرة المشاركة : وهي ظاهرة مشاركة الفرد في الجماعة أو فريق العمل ودوره فيها .

ظاهرة العلاقات: وهي ظاهرة التداخل بين الأفراد وطريقة تواصلهم وعلاقاتهم مع بعض .

ظاهرة الوضع العام للعينة بكل جوانبه كوحدة للتحليل .

طرق جمع المعلومات

المسح الاجتماعي عن طريق الاستبانة والمقابلة

تحليل المحتوى: المكتوب ك مقال أو جريدة أو كتاب .

الدراسات التاريخية: البحوث التاريخية أو التسجيلية من خلال المخطوطات والمصادر الثانوية للبحوث التي قام بها باحثه آخرون.

الدراسات الميدانية: ويشترك فيها الباحث كأنه فرد في العينة

المنهج التجريبي : وهو منهج تخطط الدراسة فيه بشكل مخبري أو مبني على أسس وتعليمات خاصة بالمجموعات ومنها مجموعات للضبط وأخرى للاختبار .

تخيص النقاط السابقة

البحث والملاحظة عمل إنساني طبيعي

ومن أجل الفهم يقوم الإنسان بالملاحظة والبحث من أجل استكشاف بعض المميزات حول ظاهرة معينة مما يلاحظه ،

يحاول الباحث تعميم نتائجه حول الظاهرة التي يلاحظها من أجل فهم العالم من حوله .

الطريقة التقليدية في تعريف العلم تختلف عن التعريف العلمي .

العلوم الاجتماعية هي تطبيق المنطق العلمي والمناهج العلمية للظواهر الاجتماعية.

تبحث العلوم الاجتماعية عن فهم السلوك الإنساني بالطرق العلمية ومنها:

قياس الظاهرة الاجتماعية

اكتشاف الواقع الاجتماعي كما هو في الواقع

تكوين النظريات الاجتماعية

يستعمل البحث العلمي في العلوم الاجتماعية مبدأ الاستدلال من الملاحظة أولا ليصل إلى

الأسس العامة ، كما يستعمل مبدأ الاستنتاج من النظرية أولا ليصل إلى ملاحظة واقع الحياة

تنظيم الخطوات بصورة واعية (عملية مرسومة) وتعرف بها خطوات البحث ومفاهيمه كما

يقيسها الباحث . كالبدء بالملاحظة والتعليمات الواجب اتباعها في البحث في تعريف المفاهيم

في العالم الواقعي وترتيبها حتى تصل إلى التعميمات حول الظاهرة .

صفات وحدة التحليل تشمل الفرد والأسرة والمجموعات والمجتمعات والمؤسسات .
المتغيرات هي مميزات للدراسة التي تتصل بالمشاركين كالعمر والحالة الزوجية ومستوى
التعليم والخل السنوي .
الانتماء السياسي في تقديم الاختيارات السياسية في عمليات الانتخاب ، ومن هذه الصفات
عقلاني ، ومحافظ ، وتقليدي أو جمهوري وديمقراطي كما هي الحال في الولايات المتحدة .

بعض المقالات على ووردبرس
بعض القصائد
بعض المقالات العلمية المنطقية

لمحات من سيرة حياة الكاتب

الدكتور حسن يحيى عالم اجتماع عربي أمريكي ، ومفكر تربوي عالمي ، ولد الدكتور يحيى في قرية مجدل يافا (الصادق) في فلسطين عام 1944. ودرس الابتدائية في مدرسة بديا- قضاء نابلس. ثم رحل مع العائلة الى الزرقاء قرب عمان عام 1956. وقد أنهى دراسته الثانوية في مدرسة الزرقاء الثانوية عام 1963 في الزرقاء-الاردن. وقد عين مدرسا في نفس العام في لواء الزرقاء . ثم أنهى دراسته الجامعية الأولى متخصصا في اللغة العربية وآدابها عام 1975 من جامعة بيروت والماجستير في الدراسات الشرقية عام 1981 من جامعة القديس يوسف في بيروت. ورحل الى الكويت عام 1966 طلبا للعمل. وقد عمل منسقا للبرامج التلفزيونية للقناتين العربية والانجليزية ودرس الاسلاميات واللغة العربية كلغة ثانية في مدرسة الكويت الخاصة وجامعة الكويت بين 1976 و 1982. هاجر طلبا للعلم الى الولايات المتحدة في عام 1982. يعتبر الدكتور يحيى نفسه مستقلا وهو عربي أمريكي ، وقد كان عضوا فعالا في جمعية العلماء المسلمين وجمعية العلماء الأمريكية ، وهو متخصص وخبير في التراث العربي والاسلامي الاجتماعي وله خبرة طويلة في تعليم العربية لغير الناطقين بها من عرب وعجم . وقد حصل من جامعة ولاية ميشيغان على درجة الماجستير والدكتوراه في الادارة التربوية عام 1988 ودكتوراه أخرى في علم الاجتماع النفسي المقارن ودراسة السكان عام 1991 . وله مقالات تربوية وتخصصية منشورة عالميا عن التغيير الاجتماعي . وفي حقل التدريس في التعليم العالي درس علم الاجتماع وطرق البحث والعلاقات العرقية في كليات وجامعات الولايات المتحدة. وقد أسس معهدا للأبحاث الاسلامية عام 1989 ومعهدا للتراث العربي في عام 1992. كما أسس جريدة الأمة في شيكاغو وكان رئيس تحريرها بين عام 1992-1999 له اهتمامات بحثية خاصة في دراسة تنمية الموارد البشرية من غير القادرين عقليا وجسديا ونفسيا وقياسات الذكاء .

وقد ألف أكثر من 100 كتابا بالإضافة إلى الأوراق البحثية المنشورة وأكثر من 500 من المقالات . وقدم عدة مقابلات تلفزيونية ، ويعمل الدكتور يحيى الآن القاضي المستشار في تنمية الموارد الإدارية والنفسية ومعهد إحياء التراث العربي في المهجر والموسوعة العربية الأمريكية . وللدكتور يحيى زوجة (واحدة) وأربعة أبناء ثالثهم ابنة ، وعشرة أحفاد يعيشون معه في الولايات المتحدة الأمريكية .

العنوان الدائم:

1029 Coolidge Road, Lansing 48912, Michigan, USA

Email: drhasanyahya@aol.com

Arab American Encyclopedia Publications

منشورات الموسوعة العربية الأمريكية

كتب الدكتور: د حسن يحيى - Dr. Hasan Yahya Books

كتب (بالعربية والإنجليزية) ، قام بنشرها الدكتور حسن يحيى ضمن مشروعه: إحياء التراث العربي في المهجر ، بالتعاون مع الموسوعة العربية الأمريكية التي أسسها أيضا لهذا الغرض ومعهد البحوث الإدارية ومطابع شركة البركان وتلفزيون الدكتور يحيى في الولايات المتحدة :

The Editor-Publisher's Books

In English:

1. Moon Flowers: Poems, Tales & Politics
2. Poetry Diwan: Love, Fears & Hopes
3. Crescentology: A Theory Of Conflict Management And Cultural Normalization
4. Crescentologism: The Moon Theory
5. Brief Arab & Muslim Ethics: For Non-Arabic Speakers (Bilingual)
6. The Beast In Me America: Arabic Folklore, Tales, Stories, & Poetry
7. Personality & Stress Management: A New Theory
8. Arab Palestinian & Jews: Sociological Approach
9. Legal Adultery: Sexuality & World Cultures
10. Crescentologism: The Moon Theory
11. Islam: Finds Its Way
12. 30 Tales From Faraway Land: Middle Eastern
13. Brief Islamic History (bilingual)
14. Jesus Christ Speaks Arabic
15. Islam: Finds Its Way Fan Adabi Jadid (bilingual)
16. Protocols of Zion: Trilingual : Spanish, English & Arabic
17. Prophets Saga: from Adam to Muhammad
18. Al-Akhlaq al-Islamiyyah (Bilingual)
19. Quotes: Love & Humor (Bilingual)
20. Jesus is Different the Prophets History
21. 50 Short Stories (55 words)-Bilingual
22. The Intruder: Bilingual
23. *Alisha and Other Stories.*
24. 70 Very Short Stories (English)
25. *Short Stories from World Literature (Bilingual)*
26. 65 stories for Children 3-12 , (English)
27. Occupation and Other Stories from World Literature –English
28. 85 Fables & Tales for Children 3 to 12 (English)

29. NajialAli Art Show: A Palestinian Artist
30. Princess Imagination: A New Design Novel (English)
31. Al-Hariri Assemblies (Maqamat al-Hariri) (English) *Naji al-Ali Art Show. Ann Mary Thatcher*
32. Water, Population and Conflict in the Middle East.
33. *Princess Diana Still Alive, A New Novel Design. Ann Mary Thatcher.*
34. *Nietzsche On Christianity*
35. *Bertrand Russell: Roads to Freedom*
36. باللغتين – التعاليم الأخلاقية العربية والإسلامية
37. قصة قصيرة بالعربية 28
38. قصة قصيرة للأطفال 55
39. في العلوم الاجتماعية مناهج البحث العلمي
40. أضواء على الفكر الغربي
41. حالات علاجية لغير القادرين
42. علم الإجتماع التطبيقي
43. حكايات من أمريكا
44. قياسات الذكاء بالعربية
45. نظرية سي القمرية والطبيعة البشرية
46. مقالات في التنمية الإجتماعية
47. شعر – ديوان بحر الأمانى
48. شعر – ديوان القدر
49. شعر – ديوان لولاك
50. مجموعة قصصية - زوجة السلطان
51. قصص ومقالات – زوجات للبيع
52. بيت من الشعر العربي 2000
53. الزواج والجنس في العالم
54. كتاب الحب والأبراج
55. قواعد الحب والزواج
56. أغاني للكبار : كبري عقلك .
57. مسرحيات وقصص / الشرط الثالث
58. الإسلام ومصالح البشر
59. للأطفال – أغاني رياض الأطفال
60. كتاب أطفال – الطفلة المثالية
61. حكايات وأغاني للأطفال 20/20
62. (أصل الحضارة (للأطفال – سلسلة بلادي العربية
63. بيت من الشعر العربي 2000
64. والمعلقات السبع – أكثر من 3000 بيت مضاربات الشعر العربي
65. والسعادة الوعي واللاوعي
66. عشر قصص عربية
67. لغير الناطقين بالعربية : العربية فن .
68. (محمد ص) رسول البشرية
69. موجز التاريخ الإسلامي
70. جزء أول – مهارات المعلم وإدارة الفصل

71. جزء ثان – مهارات المعلم وإدارة الفصل
72. اللهم فاشهد – مقالات
73. مقالات في علم النفس
74. مجموعة قصصية – عربي في أمريكا
75. أسس الإدارة ونظرياتها
76. الأسرة العربية في مهب الريح
77. باللغتين – 1 سلسلة التعليم للأطفال
78. (Bilingual) باللغتين – التعاليم الأخلاقية العربية والإسلامية
79. (bilingual) مسرحية : الدخيل، بالعربية مترجمة عن الإنجليزية
80. (bilingual) مترجمة عن الإنجليزية بالصينية مسرحية الدخيل،
81. (bilingual) مسرحية الدخيل بالإسبانية، مترجمة عن الإنجليزية
82. (bilingual) خمسون قصة قصيرة جدا : 55 كلمة فقط – باللغتين فن أدبي جديد
83. ثلاثون قصة عربية قصيرة : أفضل القصص
84. 70 قصة عربية قصيرة
85. قصائد من العالم العربي : أشعار الربيع العربي
86. من الأدب العربي المعاصر قصص عربية قصيرة
87. (Translated into Arabic) مترجمة من الأدب العالمي – الإحتلال وقصص أخرى
88. (Arabic) سبعون قصة عربية قصيرة.
89. وقصص أخرى من ألف ليلة وليلة معروف الإسكافي
90. قصة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي
91. رسالة الغفران لأبي العلاء المعري
92. مقامات بديع الزمان الهمذاني الخمسين بالعربية
93. كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع
94. مقامات الحريري الخمسين بالعربية
95. حي بن يقظان لابن طفيل
96. قصص قصيرة من الأدب العربي المعاصر بالعربية
97. التنمية الثقافية للأطفال
98. دراسات في أدب الأطفال
99. رواية زببية : صدام حسين
100. رواية أخرج منها يا ملعون لصدام حسين
101. رواية المغتربون لمحد الإحسانبي
102. 1 الإحتلال وقصص أخرى – مترجمة من الأدب العالمي /
103. طبائع الاستبداد للكواكبي
104. البخاري ومسلم باب الإيمان في الصحيحين
105. تفسير الجلالين : سورة البقرة
106. كتاب الطهارة في صحيح مسلم
107. قصائد من البلاد العربية: أشعار الشباب العربي
108. مقالات أنيس منصور: د. أحمد هيكال 52.
109. خمسون مقالا لأنيس منصور/ 2
110. مقالات لأنيس منصور/ 3
111. تفسير سورة الكهف : شريف سيد قطب
112. تفسير سورة الكهف : يوسف القرضاوي
113. قادم قريبا - الغزال الطائر : قصص ومسرحيات

www.arabamericanencyclopedia.com

www.hasanyahya.com

www.askdryahya.com

www.dryahyatv.com